بستان الواعظين

و

رياض السامعين

للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

بستان الواعظين

و

رياض السامعين

للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

رتبه على (ستة عشر) مجلسا

فى الترغيب، والترهيب، والوعظ، والارشاد، وتهذيب النفوس .

معززا ذلك كله بالأدلة والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية،

وآثار الصحابة، وأقوال العلماء، والصالحين، وحكايات

وأشعار تناسب المقام .. الخ

طبع فى

المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر بمصر

لصاحبها : محمود على صبيح

يحتوى هذا الكتاب على المجالس الآتية :

— ١ — فى الاستعاذة

— ٢ — فى القيامة وأهوالها

— ٣ — فى ذكر الميزان والصراط

— ٤ — فى قوله تعالى: وعلى الاعراف رجال

— ٥ — فى قوله تعالى: يوم تاتى كل نفس تجادل عن نفسها

— ٦ — فى قوله تعالى فاما من أوتى كتابه بيمينه

— ٧ — فى قوله تعالى: ووضع الكتاب

— ٨ — فى ذكر الجنة وأوصافها

— ٩ — فى قوله تعالى: كل نفس ذائقة الموت

— ١٠ — فى موت الانبياء والاولياء والصالحين

— ١١ — فى ذكر القبور

— ١٢ — فى فضل الصيام

— ١٣ — فى تحريم الخمر

— ١٤ — فى فضل يوم عاشوراء

— ١٥ — فى قوله تعالى : الله نور السموات والارض

— ١٦ — فى قوله تعالى: إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

طبع هذا الكتاب بمعرفة محمود على صبيح صاحب المكتبة المحمودية التجارية على النسخة الوحيدة المحفوظة بدار الكتب الملكية ولم نعثر بعد شدة البحث وبذل الجهد على خلافها وهى صحيحة دقيقة ومن تعدى على طبعه يحاكم قانونا . وحقوق الطبع محفوظة له خاصة

الطبعة الاولي : سنة ١٣٥٣ ﻫ — ١٩٣٤ م

صححه وشرح غريب ألفاظه وعلق حواشيه

عثمان خليل

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله وهاب العطايا ، كاشف الضر والرزايا ، مفرج الكرب والبلايا ، مضاعف الاجر للصابرين . مانح العباد بفضله أرزاقهم ، مقدراً بحكمته آجالهم ، محتما عليهم من الازل أعمالهم ، محاسبهم عليها وهو أسرع الحاسبين . وهب الغنى للعاقل والجاهل ، ويسر الثراء للمحلى والعاطل ، ونفذ حكمه على الظالم والعادل ، وجعل الجنة مقاما للطائعين والنار مثوى للعاصين *

أحمده سبحانه على نعمة الاسلام ، والهداية من ظلمات الكفر والاجرام ، الى أنوار الرفعة والاكرام ، فى عداد أمة سيد المرسلين *

وأشكره على ما أولى من سوابغ النعم ، وتفضل بجزيل الجود والكرم ، وتحنن بالصحة بعد السقم ، وبالتوبة على عباده المسرفين *

وأصلى وأسلم أكمل الصلوات وأعطرها ، وأزهى التسليمات وأزهرها ، وأبرك التحيات وأوفرها ، على من أرسله رحمة للعالمين . محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، أفصح الانس والجن العجم منهم والعرب ، وخير من وعظ وزجر وأرشد وخطب ، ومهد طريق الفلاح والهداية للسالكين . وعلى آله أكرم القبائل ، وأزواجه أمهات المؤمنين ربات الفضائل ، وأولاده النجباء الاماثل ، وعترته الطاهرة وأهل بيته أجمعين *

ورضى الله تبارك وتعالى عن أصحابه الاخيار الابرار ، الامجاد الاطهار ، ما تعاقب الليل والنهار ، مصابيح الدجى ونجوم المهتدين *

وبعد : فقد استخرت الله تعالى فى نشر كتاب (بستان الواعظين ورياض السامعين)

للعلامة الكبير أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزى رحمه الله تعالى لانه على وفرة مادته وغزارة نفعه نادر الوجود ، بل فى حكم المفقود ، فلم أعثر — بعد طول البحث — إلا على نسخة منه فريدة بدار الكتب الملكية وسأوفيها حقها من الوصف عند تحليل الكتاب وإظهار ما فيها من خطأ وصواب بقدر ما تسعه الطاقة ويحتمله الجهد . وخابرت فى ذلك حضرة الصديق الفاضل

محمود على صبيح

صاحب

المكتبة المحمودية التجارية بميدان الجامع الأزهر بمصر

و

المطبعة المحمودية التجارية بمصر

فوافق على أن يقوم بطبعه على نفقته أحسن الله اليه *

بيد أنى كنت عزمت على ترجمة المؤلف ترجمة مطولة تجمع ما تفرق فى الكتب وتناثر فى الصحف إلا أنى رأيت أخيراً أن أكتفى بنبذة وجيزة تغنى المطالع عن الرجوع إلى المطولات ، وتفيد من قصرت يده عن تناول كتب الوفيات *

واستبدلت بذلك أن أصف الكتاب الذى نحن بصدده وأعرفه للقراء ليحلوه مكانته من الصدر ، وينظموه فى سلك مع الدر على قلائد النحر ، فالفائدة به مؤكدة ، والهداية من طريقه معبدة . جعل الله أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، نافعة لمن حاد عن الطريق القويم . فالفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم *

مؤلف الكتاب

هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبى الحسن على بن محمد بن على بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن احمد بن محمد بن جعفر الجوزى بن عبد الله بن القاسم بن النضربن القاسم بن محمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمـــد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه . الفقيه الحنبلى الحافظ الملقب جمال الدين *

كان إمام وقته فى الحديث والوعظ وحضور البديهة وارتجال الخطب وكثرة التأليف،فقد الف فى العلوم الشرعية والتفسيروالحديث والوعظ والطب والجغرافيا . وقد قيل : لوجمعت الكراريس التى كتبها وحسبت مدة عمره وقسمت عليها لخص كل يوم تسعة كراريس ، وهذا شىء يستعظمه العقل بالنسبة للحالة المشاهدة بيننا *

وبراية أقلامه التى كتب بها الحديث خاصة أوصى أن يسخن بها ماء غسله بعد موته فكفت وفضل منها *

وتمتاز كتبه بمتانة العبارة وفصاحتها ، وصحة أسلوبهاورشاقتها ، ودقةمعناها وسهولة الفاظها وصدق لهجتها *

ويغلب أن يودعها وقائع اتفقت له ، أوصح عنده نقلها . فهويستشهد بهاومثيلاتهافتوضح مقصوده ، وتكسب أقواله جمالا ورونقا *

ولم يطبع من مؤلفاته إلا النزر اليسير ومعظمها إما فاقد أو مبعثر فى خزائن الكتب فى أوروبا واسلامبولومصر وغيرها *

ومن أشهر مؤلفاته التى لم تطبع ، تاريخه الكبير المسمي (المنتظم فى تاريخ الامم) وهو أجزاء مبعثرة فى مكاتب العالم ومنه جزء بدار الكتب الملكية بمصر في ٥٠٠ صفحة يتضمن تاريخ ٦٠ سنة فقط ، فكم يبلغ حجم جميع الكتاب ؟!

وقدحكى عن نفسه فى كتابه دفع شبهة التشبيه أن مصنفاته بلغت (٢٥٠) مصنفا . ومن لطيف شعره يخاطب أهل بغداد :

عذيرى من فتية بالعرا ... ق قلوبهم بالجفا قلب

يرون العجيب كلام غريب ... وقول الغريب فلا يعجب

ميازيبهم إن تندت بخيـ ـر الى غير جيرانهم تقلب
وعذرهم عنـــد توبيخهم (مغنية الحى لاتطرب)

ومن غريب مايحكى من نوادره وسعة معرفته وحضور بديهته أنه وقع نزاع ببغداد بين أهل السنة والشيعة فى المفاضلة بين أبى بكر وعلى رضى الله عنهما فرضى الكل بما يجيب به ابن الجوزى، فأقاموا شخصا يسأله فى مجلس وعظه فقال : أفضلهما من كانت ابنته تحته ، ونزل فى الحال حتى لايراجع فى السؤال . وكان ذلك بديهة بدون روية ولا تفكير فجاء فى غاية الحسن والدقة . فقال السنية إنه أراد أبا بكر لأن عائشة ابنته تحته ، وقال الشيعة أراد عليا لأن ابنته فاطمة تحته *

وكتب عنه الرحالة الكبير وسائح العرب العظيم العلامة ابن جبير فى رحلته فصلا فى وصف مجلس وعظه واحتشاد الخلق وتزاحمهم حوله وتوبتهم على يديه فليراجعه من شاء *

ومن غرر مؤلفاته التى طبعت حديثا كتاب نقد العلم والعلماء ، والمدهش ، وصيد الخاطر ، ودفع شبهة التشبيه ، ومناقب الامام احمد بن حنبل ، وسيرة عمر بن الخطاب ، وكتاب أخبار الحمقى والمغفلين (وقد قمت بتصحيحه وطبعه أخيرا) الى كثير من الرسائل وكلها تدل على علو كعبه فى التأليف وغزارة علمه ، ودقة فهمه *

ولد رحمه الله فى سنة ٥٠٨ هـ وقيل سنة ٥١٠ هـ وتوفى ليلة الجمعة الثانى عشر من شهر رمضان سنة ٥٩٧ هـ ودفن بمقبرة باب حرب ببغداد . وكان يوم وفاته يوما مشهودا ببغداد حشد الناس جميعا له وشيعوه الى مقره الاخير وتبركوا بالصلاة عليه الى أن مضى أكثر الليل . وقد قيل إن كل من أتي بعده عيال عليه في الوعظ والترغيب وحسن صياغة الكلام والتأثير فى النفوس رحمه الله رحمة واسعة *

تحليل كتاب

بستان الواعظين ورياض السامعين

إن للشعراء في حسن المطلع وبراعة الاستهلال ورقة الديباجة ميدان فسيح لجودة الاختيار واستلفات الانظار والافكار حتى أن المبرز منهم من يجمع غرضه من القصيدة الطويلة في مطلعها فيعلم المطلع لاول نظرة إن كانت في المديح أو الهجاء، وفي التهنئة أو العزاء. والامثلة على ذلك كثيرة أكتفي منها بما يقوم بالغرض. قال جرير يرثي زوجته خالدة بنت سعد:

لولا الحياء لهاجني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

ألا يرى القارىء لهذا المطلع جريان الدموع وحرقة الاحشاء، ولهفة الثاكل؟؟

وقال قطري بن الفجاءة المازني من زعماء الخوارج على دولة بني أمية في الحماسة:

أقول لها وقد طارت شعاعا من الابطال ويحك لا تراعي

ألا يدرك المتأمل هنا أنه يخاطب نفسه تحت عجاج الرماح وصلصلة السيوف؟

وقال المتنبي يصف أحد الفتوحات لسيف الدولة:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

أيخفى على ذي نظر ما أراده الشاعر حتى لو اكتفى بالشطرة الاولى؟

وقال المعري يرثي مصلوبا على خشبة:

علو في الحياة وفي الممات لحق تلك إحدى المعجزات

ألا يرسم ذلك البيت وحده خشبة المصلوب وهو يتأرجح عليها؟؟ ومالنا نبعد، وهؤلاء الكتاب العصريين بيننا يضع كل منهم فوق رأس مقالته كلمة أو كلمتين كعنوان يؤدي معنى غرضه من المقال، والمحور الذي تدور عليه، والغاية التي ينشدها.

فاذا تقرر هذا ـ وهو في حكم البديهيات ـ ألا يكون ابن الجوزي قد وفق التوفيق كله في براعة

الاستهلال وحسن المطلع حينما سمى كتابه (بستان الواعظين، ورياض السامعين) ؟ ؟

أليس يجمع البستان من الثمرات أشكالا ومن الزهور ألوانا فيجنى كل ماشاء ويدع ماشاء . وتعجبه ثمرة فيجتنيها ، وتروقه باقة فيهديها : وهو فى البستان يتنقل ويتنزه . لايرى إلا حسنا ، ولا يشم إلا عطرا ، ولا يحس إلا نعيما . والواعظون قوم تخصصوا للوعظ والارشاد ، ونصبوا أنفسهم لهداية العباد ، وجمعوا الى غزير العلم دقة الفهم وصائب الحكم وجاذبية للتأثير وسهولة فى التعبير وطول مران على الخطابة واستعداد دائم لحسن الاجابة وحضور الذهن وصدق الفراسة وحسن القدوة وكمال السمت والصلاح فى نفسه ومن اتصل بسببه لئلا يقع تحت قول القائل :

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا كيما يصح به وأنت سقيم !!

ورياض السامعين ، فالرياض جمع روضة وهي ما اتسعت جنباتها ، وفاح أريجها ، وتنوع نبتها ، فغصون حالية ، وأزهار زاهية ، وثمار نامية ، ومياه جارية ، وروح وريحان ، وفاكهة من كل زوجان ، صنوان وغير صنوان . والسامعون هم أهل المجلس الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ويتفيئون ظلال رياضه . جعل كتابه لهم رياضا يتروحون فى جنباتها ، ويتلذذون بثمراتها .

ولقد أصاب فى هذه التسمية كل الأصابة وأبدع كل الابداع ؛ ففى ذكر البستان والرياض نغمة تطرب الأذن وتبهج النفس . وجدير بمن نصب نفسه للوعظ والارشاد أن يتسلل برفق وتأن إلى القلوب الجامحة والنفوس الشاردة حتى يستولى على قيادها ويذلل من عنادها ويجعلها أطوع له من يمينه يوجهها إلى سبل النجاح كيف شاء .

ورتبه على ستة عشر مجلساً كل مجلس منها فى غرض مخصوص وكلها تدور حول الترغيب فى الفضائل الدنيوية والأخروية والترهيب من الرذائل الخلقية والنفسية . معتمداً فى ذلك على ما أودع فى النفس البشرية التى وإن جمحت طويلا فى ميدان الغواية والضلال ، فهي سريعة الاحساس والشعور قريبة الرجوع عند أول منبه لها وكابح من غيها — إذا ماوفق كالمؤلف رحمه الله — الى تشخيص الداء والدواء . وصور الرذيلة فى أبشع صورها وأحط منازلها ، وأغري بالفضيلة من حيث هى فضيلة حسن منظرها طيب عرفها جميل أثرها ، وقارن بينها وبين أضدادها من القبائح والنقائص مؤيداً حجته بالبراهين القوية والأقوال المروية ،

مرصعاً ذلك بالآيات والأحاديث وكلام السادة الصالحين المشهود لهم بكمال العقل وتمام الايمان وحلية التقوى والصلاح *

فاذا ماصبر المرشد على مهاجمة جيش الغواية داخل حصون الغرور بسلاح الايمان الراسخ والعقيدة الثابتة والاقتناع الكافى فلا بدله من التغلب أخيرا على أعدائه الشياطين ، وكسب تلك النفوس المضللة وردها إلى حظيرة الاسلام وطريق الصلاح واكتساب جزيل الثواب كما فعل ابن الجوزى رحمه الله فيما سنعرضه الآن عليك .

إبتدأ فى المجلس الأول بالاستعاذة من الشيطان الرجيم بقوة المولى الكريم فأتى بلباب ماقيل وما يقال من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والحكايات المروية واستطرد إلى وصف الشيطان وتأثيره فى إفساد النفوس وتلويث العقائد منبهاً على أن ذلك وإن كان فى نفسه كبيراً إلا أنه من الممكن التغلب عليه بسهولة اذا مااستمسك الانسان بالعروة الوثقى ونهى النفس عن الهوى وتدرع بالاستعاذة فى كل قول وعند كل عمل لانها تذكره بالشيطان الرجيم ومن كان ذاكراً له احترس منه وأمن الوقوع فى شركه *

ولما وفى هذا المجلس حقه من البيان وعلم أن الأرض تهيأت للبذار ، وأن النفوس تنبهت من السبات هجم بها على المجلس الثانى وهو فى القيامة وأهوالها وشدة خطبها وشديد كربها ، وهناك ألقى بالنفوس فى جحيم من الخوف والفزع والحيرة والجزع وزعزع أساس القلوب المتحجرة ووصف جهنم وصفاً عجيبا لم يسبق اليه حتي ليكاد السامع يحترق من اشتعال لهيبها ، ويسمع صليل سلاسلها وأغلالها ، ويحس ببطش زبانيتها . حتى اذا تفطرت القلوب وانهملت الدموع وخشعت النفوس عرج بهم على المجلس الثالث فى الميزان والصراط فأكمل ما بدأ به وأقنع من شك فى قوله ومزج الخوف بالأمن والشدة باللين ، وأصبح الناس حيارى بين بين تركهم فترة يفعل فيها الدواء فعله ويبلغ الهدي محله ثم عكف بهم الى فسيح الثواب فى مجلس الكتاب ، فهبت عليهم حينئذ نسمة عليلة استروحت اليها النفوس ومالت إلى ظلها الاجسام وثابت اليهم أحلامهم واجتمعت شوارد أفكارهم وخفت قليلا حيرتهم ثم سمعوا النداء من الرب العلى (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه) فمازال يستل السخائم ويجلى ظلمات القلوب التي ران عليها سواد الذنوب ويطهر مابقي عالقا فى النفوس من دنس الخطوب حتى تهيأت لتلقى البشارة العظمى بذكر جنة المأوى . فالروح والريحان ، والحور والولدان ، والثواب والاحسان ، والفاكهة والرمان ، بعد لهيب النيران ، والخيبة والخذلان ، والسموم

والخسران ، ثواب ومتاع ، ونعيم دائم بلا انقطاع ، وخرير أنهار ، وتغريد أطيار ، ومنازل سرور ، وضحكات الحور ، وأريج البخور ، والغرف الزمردية فى القصور ، والطعام والخمور والأسرة العسجدية والستور ، والمتعة واللذة والحبور . هذا ما ينشره على الاسماع ثوابا للاحسان ، وثمنا رابحا لطاعة الملك الجليل المنان ، واتباعا لاحكام القرآن ، وسنة سيد ولد عدنان

فأى نفس تجمح بعد هذا وتغوي ؟ ولم ترعوى وتسلك سبيل الهدى؟ ألم تتحصن بالاستعاذة ؟ أماشاهدت أهوال القيامة ؟ أما أحست بلفح السعير ؟ أما رأت شدة البطش والنكير ؟ أما آمنت بالميزان والصراط والكتاب؟ أما أيقنت بالعذاب والثواب ﴿

الآن لا يخشى عليها المؤلف الغواية والضلال ، فلينشلها من وهدة الخبال ، الى حضرة ذى الجلال فى نعيم دائم وظلال . الى الجنة الخالدة والنعيم السرمدي ثم (فأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى) وأى جنة وأي نعيم هى ! ! هى التي قال فيها سيد الأولين والآخرين « حيطانها الذهب والفضة ، وقصورها اللؤلؤ والزبرجد ، وحصباؤها الدر والياقوت » وهل تحتاج الجنة الى وصف ؛ أو تفتقر الي نعت ! ! أليست هي دار الخلد أعدت للمتقين ! فيها ماتشتهى الأنفس وتلذ الأعين ولا يخطر على قلب بشر ! تجد ماتشتهيه حاضراً كائناً ما كان ، ترى أبهج المناظر وتسمع أبدع الألحان ، لاموت فيها ولا سقم ولا ليل ولا نهار ولا انقطاع للذتها ، ولا بلاء لجدتها ، ولا فتور لسكانها ، ولا ملال لقطانها ، إخوان على سرر متقابلين ولقد أكد ذلك ثانيا فى مجلس الموت ، وقرر أن كل نفس ذائقة الموت حتى الملائكة المقربين وحملة العرش أجمعين وحتى لا يبقى إلا وجه الله الكريم . وتبسط فى وصف موت الانبياء والصالحين ليهون على العباد طعم الموت حيث يشترك فيه كل ماخلق الله تعالى من نسمة تسعي وملك وجن حتى السموات والأرضين ! فيالها من حكمة جليلة ، ونصيحة جميلة ، وطريقة فى الوعظ والارشاد طريفة ﴿

ولما كانت النفوس البشرية سريعة النسيان لأوقات الشدائد ، وخشى عليها أن تفترهمتها وتضعف نشوتها أسرع بها إلى ذكر القبور ومافيها من عقاب وثواب ، وسؤال وأهوال ، غير تارك فرصة لغمز العاصين وتنبيه الطائعين فلا العاصى يائس من رحمة الله تعالى بعد التوبة ، ولا الطائع آمن قبل النشور . فهناك القبر وظلمته ، والسؤال وشدته ، والعمل السوء وملازمته وغضب الله وعقوبته . هناك يتجرد المالك من ملكه ، والجبار من حوله وطوله ، والسلطان

من جيشه وحرسه ، والقوى من قوته ، والعزيز من عزته ☼

هناك يتساوى الأمير والحقير ، والغني والفقير ، والعالم والجاهل والظالم ، والعادل ، والشيوخ والشبان ، والجبناء والشجعان . فى ظلمات القبر أجسام عارية ، وأوصال بالية ، وهيا كل خاوية ، ينتظرون يوم الحساب ويبتهلون الى رب الارباب فى دفع العذاب ونيل الثواب ، وحسن المآب ☼

فاذا ماوصل إلى نهاية هذه المجالس وهذب النفوس وقوم الاخلاق وتاب العصاة وارعوى الطغاة واعلنوا جميعا التوبة الخالصة ، فتح لهم باب الرغبة على مصراعيه قائلا لهم هلموا هلموا إلى جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين ، وبشرهم بمزيد الرضوان للصادقين ولمح لهم بالبشائر الكبرى للصائمين ، فبدأ لهم بمجلس فى فضل الصيام وحكمة خصوصية شهر رمضان ، وماأودع الله سبحانه فيه من فضل جسيم وثواب للصائمين عظيم يتعادل وماتتركه النفوس من شهوات الطعام والشراب وحبسها عن المعاصى والآثام . ذكر رحمه الله فضائل الصيام الظاهرة وشرح المقصود منه وحدوده وأحكامه . ولما كان ذلك مقررا عند الجميع قال إنما ذكرت لكم الصيام فى شهر رمضان وأريد به صيام الجوارح عن الآثام كما تصوم البطن عن الطعام . وصيام الباطن أشق عليكم وثوابه لو علمتم أنفع لمعادكم . بسط فى هذا المجلس من درر النصائح وغرر الحكم ما لو تمسكوا به لفازوا فوزا عظيما . خاطبهم من طريق العقل والمنطق الحق وألزمهم الحجة وغلبهم على أنفسهم فأذعنوا له بالطاعة بعد النفور ، وسلموه أعنتهم بعد الأباء ، واستطابوا دواءه واستشفوا بمراهمه فقد وفاهم من النصح الخالص حقهم ومن الموعظة الحسنة نصيبهم . ولما آنس منهم الطاعة شرع فى أخذ عهودهم ومواثيقهم بالاستقامة والصلاح ، ولما كانت الخمر أم الشرور وهى وحدها الهدامة لكل أساس صالح ، والنفوس بها متمسكة وهى فيها متمكنة هاجمها حالا بشدة وقسوة غير تارك لها منفسا تهرب منه ، أو مخرجا تتسرب اليه . فاستعمل لهم أقرب الطرق وأسهلها كما علمنا المولى سبحانه فى طريقة تحريمها ولعمر الحق أن هذا المجلس وحده لو كان كل مافى الكتاب لكان جديرا بالفضل والاجلال . لاأقول كما قال المثل إنه قال فى الخمر ماقال مالك ، بل أقرر غير مبالغ فى عظيم الفوائد وجليل العوائد التى أحسن تنسيقها وأجاد تبويبها ، وارسلها الى القلوب سهاما من نار وباقات من أزهار .. الخمر أس الشرور ومفتاح المصائب ، ورسول الكفر ، وخزائن الخسران وعندى أن كل عاقل يتحتم عليه مطالعة هذا المجلس بامعان وروية ويقرئها أهله وأولاده فما

سمعه انسان وذاق بعده للخمر طعما،ولا ذكر لها اسما.أثابه الله تعالى على ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار . ولما أراد أن يزيدهم من غيوث كرم الله تعالى الهاطلة عقد لهم مجلسا فى فضل يوم عاشوراء وصيامه وصدقته والطاعة فيه والتقرب الى الله تعالى بالاحسان لما ورد فيه من صحيح الأخبار وجليل الآثار .فطوبى لمن وفقه الله للطاعات ويسر له الاكثار من الحسنات وبعد أن انقضى هذا المجلس العظيم عرج بهم الى تفسير قول الله تعالى (الله نور السموات والارض)الآية وذكر أن المراد بذلك النور هو قلب المؤمن وأورد فى ذلك جملة صالحة من اقوال المفسرين حتى فرغ من ذلك وقد أضاء ذلك النور القلوب ، ومحا سواد الذنوب والعيوب .

ولما كان ختام كل شيء أعلق بالاذهان ، وأجدر بالاحسان ، عقد مجلسين فى الصلاة والسلام على الرسول الامين ، والنبي العظيم ، مبتدئا بقول الله تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما). فسر هذه الآية الكريمة فأبدع،وشرحها فأحسن،وسرد صحاح الاحاديث وأحاسن صيغ الصلوات ومالها من فضل مبرور ، وثواب عند الله مشكور . وبذلك ختم الكتاب فكان ختامه المسك ، ونظمه ففاق اللآلى فى السلك فعليه الرحمة ما اهتدي ضال من غوايته ، ومابرىء قلب من شقاوته .

أما وقد فرغت من موضوع الكتاب وتحليل محتوياته فأقرر غير متردد أن هذا الكتاب الجليل خليق أن يدرس لجميع الناشئه الاسلامية فى كافة البلدان لما فيه من جزيل الفائدة وعظيم المنفعة والتحذير من عواقب الشرور والآثام بعبارة سهلة فصيحة ولغة قريبة صحيحة. والنسخة الوحيدة التي نقلنا عنها بدار الكتب الملكية كتبت فى سنة ١٠٢٥ هـ بخط واضح جلى فى حجم الثمن الصغير . إلا أن كاتبها رحمه الله كان قليل الالمام بالعربية فمسخ بعض كلماتها وحرف عن غير قصد ألفاظا كثيرة فيها . ثم جاء بعده من طالعها وصحح بعض أغلاطها على هامشها بخط مخالف للاصل الا أنه لم يوفها حقها من العناية والدقة . فراجعت أخطاءها وصححت معوجها ونبهت علي ذلك فى كثير من هوامش الكتاب وعسى أن أكون وفقت فى عملى هذا (وفوق كل ذى علم عليم) وأمر آخر ألفت اليه الانظار وهو أن هذا الكتاب الجليل مشحون بالأحاديث النبوية وفي النفس من بعضها شيء ، إلا ان علماء الحديث تسامحوا فى أحاديث الترغيب والترهيب من حيث الضعف لا من طريق الكذب ، فيجوز للواعظ ـ وفى سبيل المنفعة العامة أن يذكر الاحاديث الفردية والضعيفة شرطا أن لا يبني عليها حكما، ولا يحلل بها حراما، وابن الجوزى رحمه الله كان اماما كما قلت فى العلوم الشرعية ومنها علم الاحاديث وعلله ولم يذكر

من الاحاديث إلا ماصح عنده وحسن طريقه ❋

وأما مافي الكتاب من الاشعار فأغلبها من نظمه هو وإن كان غالبا ركيك المبني ضعيف التركيب إلا أنه كان ينظمه للوقت والساعة تنبيها للنفوس وتذكيرا للقلوب ولان الشعر أعلق بالذهن ، والنظم أسلس فى الاُذن،ولايعاب ذلك عليه أوينقص من فضله . ولقد كرر بعض الصيغ فى جملة مجالس بألفاظها،ولكن لوعلم المطلع أنه كان يجلس المجلس فى كل أسبوع وربما فى كل شهر لالتمس له العذر فى ذلك ❋

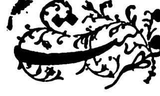
ولقد كان حقا غزير المادة وافر العلم نفع الله به آلافا مؤلفة من العباد، وتاب على يديه مالايحصى من العصاة، بل اعتنق دين الاسلام في مجلسه مئات من اليهود والنصارى .ومات وهو محبوب من الجميع ، مبجل من الملوك والاُمراء فى دنيا عريضة وجاه كبير ❋

هذا ما أردت تحقيقه والله سبحانه يلهمنا الصواب، ولايحرمنا الثواب، إنه سميع مجيب وهاب

(وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)

تحريرا بمصر في أوائل رجب الفرد سنة ١٣٥٢

عثمان خليل



كتاب بستان الواعظين ورياض السامعين

المجلس الاول فى الاستعاذة

من صفحة (١) الى صفحة (١٤)

تفسير الاستعاذة . نصائح . كيفية الاستعاذة . تحذير من الشيطان . التعوذ عبادة . تعوذ النبي . أحاديث فى عذاب القبر . أسباب عذاب القبر . القرآن يأمر بالاستعاذة . لكل أحد شيطان . فرح الشيطان بالعاصي الجاهل . جنود إبليس . محاورة إبليس لموسى . أصل البخل والكرم . نجاة المستعيذ من العذاب . خصال الخير عن الامام على . من رأى إبليس من الصحابة والصالحين . وقاية الله من إبليس . ضعف الانسان والشيطان . دعاء يعصم من الشيطان . لماذا حجب الله إبليس . زينة السماء . طهارة العاصى ونجاسة المعصية . التمسك بالسنة وعدم مخالفتها . كيف أهلك النبي عفريتا . سليمان وإبليس . نصائح من خطبة الوداع . أعوان الشيطان من بنى آدم . آدم وخروجه من الجنة . اختصاص إبليس ببعض الجهات .

المجلس الثانى فى ذكر القيامة وأهوالها أجارنا الله منها

من صفحة (١٥) الى صفحة (٣٨)

سورة الزلزلة وما تشير اليه . صفة إسرافيل . خشية النبى من هبوب الريح . متى ينفخ فى الصور . كيف يموت جبريل . كيف يموت ميكائيل . كيف يموت إسرافيل . كيف يموت عزرائيل . لمن الملك اليوم ؟ . كيفية بعث الموتى . صفة الصور . أين يقف إسرافيل . ملازمة الاعمال للاجساد . العمل السوء وهيأته . إخراج الارض مافيها . مدة النفخ فى الصور . هيأة أرض الحساب . كيف يقف الناس فى المحشر . مقدار زمن الحشر . بكاء النبى من أهوال القيامة ـ معنى دك الارض وانشقاقها . الامن والخوف . ملائكة سماء الدنيا . ملائكة السماء الثانية . الجبابرة فى الحشر كالذر . حديث فى أهوال القيامة . شدة الحر والظل . مطر الرحمة .

ترهيب من أهوال المحشر . جهنم فى المحشر . وصف جهنم . بطاش جهنم . رد الرسول جهنم عن الخلائق . جهنم وزفيرها . الزفرة الاولى . الثانيـة . الثالثة . الرابعـة . بماذا تخمد النار . من أسـباب غفران الذنوب . هـذا يوم الدين . موعظة كعب الاحبار . حديث فى الترهيب . سجود جهنم .

المجلس الثالث فى ذكر الميزان والصراط

من صفحة (٣٩) الى صفحة (٦٧)

افتخار الوحوش على بنى آدم . صفة الصراط . حسن العمل والصراط . الموازين يوم القيامة . وزن الاعمال . كلمة التوحيـد . فضل الصدقة . شـفاعة الرسول . مايثقل الميزان . الرأس فى الخير والرأس فى الشر . وزن أعمـال العباد . نور الرسول على الصراط . فضل الصلاة على النبى . جسور جهنم . القنطرة الاولى . القنطرة الثانية . تأدية الامانة وتضييعها . القنطرة الثالثة . صلة الرحم . القنطرة الرابعة . شكر الوالدين . القنطرة الخامسة . ترك الغيبة والنميمة كلمة الشر وعذابها . شهادة الزور . القنطرة السادسة . اكرام الضيف . البركة مع الضيف . ينزل الضيف برزقه . إطعام الطعام . حفظ الجار . تعلق الجار بالجار . الوصية بحفظ الجار . القنطرة السابعـة . الصدق والـكذب . كذبة المؤمن بثمانين خطيئة . نجاة الصادقين . الصلاة تجوز على الصراط . كيفية الجواز على الصراط . اقسام الناجين على الصراط . حديث فى العناية بالنساء . آكل الربا . المتصدقين سرا وعلانية . آخر من يبقى على الصراط . باب الجنة . منازل الجنة . فائدة للجواز على الصراط . شفاعة الناس بعضهم لبعض . لاتقبل صلاة شراب الخمر . التوبة من الخمر وثوابها . فضل المؤذنين . فضل العلماء . فضل حملة القرآن . من لم يعمل بالقرآن . فسقة حملة القرآن . ماخلف الصراط

المجلس الخامس فى قوله سبحانه و تعالى و تقدست اسماؤه

﴿ وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ﴾ (١)

من صفحة (٦٨) الى صفحة (٧٥)

سؤال العباد يوم القيامة . ظلمات الكفر والمعصية . السور الحاجز بين الجنة والنار . صفة المنافق . بئر الهبهب . أهل الاعراف . شفاعة أهل الجنة فى أصحاب الاعراف . حياء آدم . حياء نوح . حياء موسى . حياء عيسى . شفاعة محمد . دخوله جنة عدن . سجوده بين يدى الله تعالى . جاه المصطفى العظيم .

المجلس السادس فى قوله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وفى حساب الملائكة والرسل واللوح المحفوظ

من صفحة (٧٦) الى صفحة (٩٠)

تبكيت الله تعالى للجبابرة . تفسير الجبار . نصيحة . السائق والشهيد . اللوح المحفوظ رسالة ميكائيل . رسالة اسرافيل . رسالة جبريل . شهادة نوح . جاه الرسول الاعظم . فضل أبي بكر الصديق . منبر الرسول والمحشر . الثواب والعقاب . فائدة التوبة . عمل العبد يلازمه . الحض على التوبة . ما تحويه الآية . حكاية عن أحد الصالحين . رقة عبدالملك بن مروان . توبيخ الله تعالى للعباد . السؤال لايدع ذرة . سؤال الله تعالى للعباد .

المجلس السابع فى قوله سبحانه و تعالى

(يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا) الآية

من صفحة (٩١) الى صفحة (٩٩)

حكم قدسية . النداء باسماء الخلائق . أهل الرشاد والتوفيق . شفاعة العبدالمؤمن . حكاية

(١) هذا المجلس هو الرابع غير أنه جاء الخامس خطأ ولذلك نبهنا على صحته وعدم سقوط شىء من المجالس وصححناه بعد المجلس ١٣ .

عن ذي النون المصرى . رجع الى الموعظة . جهنم وشدتها . زينة الدنيا الزائلة . صاعقة جهنم . من ابيض وجهه . حكاية ذى النون عن الراهب الصامت . تقسيم العمر على الاعمال

المجلس الثامن فى قوله تعالى فاما من أوتى كتابه بيمينه

من صفحة (١٠٠) الى صفحة (١٠٧)

أين الكتب يوم القيامة . أول الناس حسابا . كتاب الحسنات . كيفية السؤال . غفران الذنوب . لباس المكرمين . أشد الناس عذابا . كتاب السيئات . صفة العذاب للكافر . طعام أهل النار

المجلس التاسع فى قوله تبارك و تعالى ووضع الكتاب

من صفحة (١٠٨) الى صفحة (١١٧)

الفرق بين الحسنة والسيئة . النجاة فى ذكر الله . حكاية عن رقة ابن واسع . احاطة الكتاب بكل شىء . حكاية فى كتابة الكتب . البسملة وبركتها . حكاية عن عيسى عليه السلام . حكاية فى الاعتماد على الله . حكاية عن مالك بن دينار . دعاء ابن واسع . عجائب الكتب ضرب مثل فى رقة القلب . حكاية عن التوبة . الدموع تمحو الذنوب . فضل البكاء

المجلس العاشر فى ذكر الجنة واوصافها

وما أعدالله لاوليائه فيها

من صفحة (١١٨) الى صفحة (١٣٦)

آيات فى الجنة . أحاديث فى الجنة . شجرة طوبى . وصف الجنة . رواحل الجنة . إكرام الله تعالى . براذين الجنة . مصافحة الملائكة . عدد الجنات وأسماؤها . الحور العين . صفة الحور . دار السلام . جنة عدن . جنة الخلد . درجات أهل الجنة . طعام الجنة . دلال الحور . لباس أهل الجنة . أول من يدخل الجنة . مساكن الجنة . طيور الجنة . أنهار الجنة سرر الجنة . أرائك الجنة . زوجة الدنيا . تبادل الحب . ضفائر الجمال . الوصائف . ضيافة الله . وفد الله . كرامة الله لعباده . سوق الجنة رؤية الله تعالى . المتحابون فى الله . حلل الجنة . خواتم الجنة . نوق الجنة . أمانى أهل الجنة

المجلس الحادى عشر فى قوله تبارك وتعالى

(كل نفس ذائقة الموت)

من صفحة (١٣٧) الى صفحة (١٥٧)

ذكر الموت . حكاية عن الربيع . سكرات الموت . آلام الموت . طعم الموت . داود والذرة . موسى وموعظته . نوح وخوفه . سكرات الموت . أذكر الموت . موعظة حسنة . أسماء العباد . نوح وزهده . عيسى والجمجمة . عمرو بن العاص عند موته . سليمان وملك الموت . سعيد بن المسيب والجني . صلحاء الجن . العبد وربه . عمر بن الخطاب وعظته . حث النبى أصحابه على ذكر الموت . ذكر الموت والعمل . حكاية فى الزهد . عظة ابن مسعود . الداء والدواء . عظة عمر بن عبد العزيز . القرآن والموت واعظان . شدة الموت . تمنى الموت دعاء مجرب .

المجلس الثانى عشر فى موت الانبياء والاولياء والصالحين

من صفحة (١٥٨) الى صفحة (١٨٠)

صفة الموت . عظة الموت . ابو العتاهية الشاعر . مثل الدنيا والموت . ملاقاة الارواح . أعمال الاحياء والاموات . المثابرة . قبض أرواح الصالحين . ملائكة الرحمة . سؤال الملكين . نعيم القبر . سليمان وملك الموت . نداء الموت . عظة من الغفلة . نداء الملك . حكاية عن واعظ . خشية عيسى ملك الموت . حديث فى ملك الموت . نداء الميت . سؤال الرجوع للدنيا . ٤٨٠٠٠ قبيلة . رحمة الله بالمسرفين . حكاية عن الحسن . حكاية عن بعض الصالحين . شاب عاص غفر له . عظة للاستعداد للموت . الموت ينتقى الخيار . عمل الملكين . المبادرة بالتوبة السنى والزنديق . رفق ملك الموت بالمؤمن .

المجلس الثالث عشر فى ذكر القبور (١)

من صفحة (١٨١) الى صفحة (٢٠٩)

حكاية فى الخوف من الله . حكايات عن الصالحين فى الخشية من الله . صفة القبر . أشد ماعلى الميت . عظة للنبي . العبرة بالقبور. دعاء لاهل القبور. حكاية عن الاصمعى . حكاية عن الحسين . نداء القبر لساكنيه . بكر بن حماد . حكاية عن احمد بن أبي الحوارى . عيسى والمدينة الخربة . ابن عباس وابن الخطاب . عظة نفسية . حكاية عن ابن السماك . حكاية عن بعض الصالحين . موعظة ابن عباس . حكاية عن الحسن البصرى . نباش القبور . حكاية عن أبي الاسود . حديث في منكر ونكير . غرور . الملك الزاهد . موعظة للبهلول . حديث فى هدية أهل القبور . الصدقة والدعاء للميت . رجاء الاموات للاحياء .

المجلس الثالث عشر فى فضل الصيام

من صفحة (٢١٠) الى صفحة (٢٣٥)

فضل رمضان . تقسيم الصوم . الصوم اللغوى . صيام الجوارح . عقاب نظرة فى الحرام عقوبة الزنا . آفات الزنا . الصوم الشرعى . حكاية الانصارى . قصة عمر بن الخطاب وغيره الاعرابى المجتهد . ثواب الصيام . فضل الصلاة على النبي . صيام الدهر. التوبة فى رمضان . أحاديث عدة فى فضل رمضان . عظيم فضل رمضان . الصيام والقرآن شفيعان . الصيام باب العبادة . فضل السحور. شدة العقوبة فى رمضان . كف الجوارح عن الشرور. أصل رمضان فى اللغة . عظة بليغة . تقسيم الصوم والصائمين . تمثيل الشهور كاخوة يوسف . نكت فى ذلك أولاد يعقوب ورمضان . رمضان فى القيامة . خسران العاصى فى رمضان . موعظة للحسن البصرى . الصيام باب العبادة . فضل الجوع . سبب فريضة رمضان . رمضان رسول من الله أحاديث فى فضل الصيام .

---

(١) وحقيقته المجلس الثاني عشر وقد تسلسلت النمر خطأ لغاية هذا المجلس .

المجلس الرابع عشر فى تحريم الخمر وما جاء فيها

من صفحة (٢٣٦) الى صفحة (٢٤٦)

تحريم الخمر . حمزة عم النبي والخمر . عمر بن الخطاب والخمر. ابن أبى جعونة والخمر . سعد ابن أبى وقاص والخمر . أحاديث فى تحريم الخمر . الخمر شر كله . قول ابن عباس فى السكران . ثمن الخمر خسار . كيف سكر حمزة . قراءة السكران . من مات يدمن الخمر . عذاب شارب الخمر شارب الخمر فى القيامة . الخمر جريمة عظيمة .

المجلس الخامس عشر فى فضل يوم عاشوراء

وما جاء فيه وفى صيامه من الفضل العظيم

من صفحة (٢٤٧) الى صفحة (٢٦٧)

ثواب صيامه . الغسل يوم عاشوراء . النفقة على العيال . بنو اسرائيل وعاشوراء . صيامهم له . كل معروف صدقة . أهل المعروف . اخراج الزكاة . اللعنة على مانع الزكاة . من شبع وجاع جاره . حديث فى ذم الشح . عظة فى الحض على الزكاة . من خلف ثروة لبيت المال السائل فى حلقة ابن عمار . تحذير من البخل . من أقرض الله فضاعفه له . يوم عاشوراء وقتل الحسين . الحسين وجده . رؤيا ابن عباس لمقتل الحسين . آيات ظهرت لمقتل الحسين . حكاية غريبة . حكاية عن قتلة الحسين . من استخف بالحسين . بر سليمان بن عبد الملك للحسين . فى قتل الحسين . عمرو بن الليث . من فضائل عاشوراء . خاتم سليمان . كيف نجا الاسير . دعوات صالحة .

المجلس السادس عشر فى قوله تعالى الله نور السموات والارض

من صفحة (٢٦٨) الى صفحة (٢٧٨)

قلب المؤمن . النور هو الهدي . شجرة الزيتون . المساجد لذكر الله . كلمة السوء . الزهاد الخائفين . خيار الامة . صفة المؤمنين .

المجلس السابع عشر فى قوله تعالى

(إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)

من صفحة (٢٧٩) الى صفحة (٢٩٦)

الصلاة على النبي وشفاعته . الصلاة عليه فى يوم الجمعة . عجيبة . فضل المصلى وأبى بكر . حكاية الشافعى عن مؤمنى الجن . أوتاد المجالس . صيغة الصلاة . ثلاثة تحت ظل العرش . للصلاة رائحة طيبة . الامام الشافعى . أبخل الناس . أنجاكم أكثركم صلاة . ثمرة الصلاة . الملائكة تستغفر للمصلى . مقام الشبلى . ابلاغ الصلاة إلى الله . صلاة الملائكة . من كتب الصلاة فى كتاب . الصلاة تبلغه عن العباد . حسنات الحرم . الصلاة صلة تعارف . طيب مجلس صلى فيه عليه . حكاية عن نساخ أكثر من الصلاة . عدد الصلاة عليه . صفة الرسول والثناء عليه . صيغة للصلاة .

مجلس ثان من المجلس السابع عشر في قوله تعالى

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾

من صفحة (٢٩٧) الى صفحة (٣٠٩)

فى الصلاة عشر كرامات . أحاديث فى فضل الصلاة . الصلاة تنور القلب . حكاية فى كثرة الصلاة على النبي . الصلاة تحل العقد . الصراط والصلاة . جهنم والصلاة على النبي . الصلاة بشارة بالجنة . ما للمصلى عند الله . نكت فى فوائد الصلاة عليه . كاشفة الكرب . من أكثر الصلاة عليه . الصلاة والدعاء . كيف تدعو الله . فائدة الصلاة على النبي . ثبوت الشفاعة . المداومة على الصلاة عليه . مهر حواء أم البشر . إشارات وبشارات . مكفرات الذنوب .

﴿ تم الفهرس والحمد لله أولا وآخرا وبنعمته تتم الصالحات ﴾

استدراك

سقط لفظ (المشاهد) من صحيفة (تحليل الكتاب) فى أولها عند إن المشاهد للشعراء في حسن المطلع الخ .

وجاء فيها : وقال المعرى يرثي مصلوبا ، والرثاء لابن الانباري لا للمعري .

وحصل فى تسلسل نمر المجالس اختلاف فجاء المجلس الخامس مكان الرابع خطأ واصلحناها ابتداء من المجلس الثالث عشر

كما وقع بعض غلطات مطبعية قليلة لا تخفى على فطنة القاري. اللبيب ولاتحتاج إلى جدول خطأ وصواب لقلتها وظهورها وقد سبق أن أوضحنا أن النسخة التى نقلنا عنها كثيرة التحريف والخطأ ،وقد بذلنا فى تصحيحها غاية الجهد والنصب بقدر الطاقة ولا أدعى العصمة فالعصمة لله وحده

إن تجد عيبا فسد الخللا   جل من لاعيب فيه وعلا

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

-١- مجلس في الاستعاذة

تفسير الاستعاذة

قال الله تبارك وتعالى: (وإما ينزغنك (١) من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم) وقال تعالي: (وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) المعنى، فاستعذ بالله اذا أردت أن تقرأ القرآن، يقال: أعوذ بالله ملاذا وعياذا، ويقال هذا عوذ لى مما أخاف منه، أي مجيري والدافع عني. وتسمي المرأة عائذا لانها تعوذ بولدها. والتعوذ بالقرآن هو الشفاء من آفات الشيطان. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ من آفات كثيرة تواترت بها الاخبار. وكان رسول الله ﷺ يتعوذ من البخل، والجبن، والهرم، والكسل، وعذاب القبر، وفتنة الدجال (٢) فتعوذوا مما تعوذ منه نبيكم صلى الله عليه وسلم واعتصموا بمولاكم العظيم من كيد الشيطان الرجيم. أعوذ بالله معناه، استعنت بالله، وأستجير بالله، وألجأ الى الله، وأستنصر بالله، أعوذ بالله وأعتصم بالله وأحتمي بالله وأستكفي بالله، ياقارىء ياتالى بمن تعوذ، بمن تلوذ، (٣) بمن تستغيث، بمن تستجير، بمن تستنصر، بمن تعتصم، بمن تحتمي، بمن تستكفى؟ الا بالله !!

---

(١) نزغ الشيطان أفسد وأغرى (٢) الدجال المسيح الكذاب (٣) لاذ به لجأ واستعصم

نصائح

اعلم أن المستعيذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم معتصم بحبل الله المتين .

أعوذ بالله من الذنوب والعصيان ، أعوذ بالله من الضلال والخذلان ، أعوذ بالله من سخط الرحمن *

اعلم ياأخي أن العبد اذا اعتصم بحبل السلطان المخلوق سلم من شر الظالمين ، فاحرى (١) أن يسلم المستعيذ برب العالمين من الشيطان العدو اللعين *

روى عن النبي عليه السلام أنه قال : « من استعاذ بالله فى اليوم عشر مرات من الشيطان الرجيم وكل الله به ملكا يذود عنه شر الشيطان كما تذاد (٢) الغريبة من الابل عن الحوض» فكيف لايسلم المستعيذ باللهمن الشيطان والملك يذودعنه بأمر الملك الديان ؟ ! *

كيفية الاستعاذة

أعوذ بالله من أكل الحرام ، أعوذ بالله من ظلم الضعفاء والايتام ، أعوذ بالله من ارتكاب الكبائر والآثام ، أعوذ بالله من سخط الملك العلام ، أعوذ بالله من عدم التوفيق لحسن العمل ، أعوذ بالله من الركون إلي طول الامل ، أعوذ بالله من تمزيق الاعمار ، فى مخالفة هدى الابرار ، ونستعينه على تطهير القلوب من طوالع الارتياب ، وجنايات الاغتياب ؛ فانه داء قد أعيا دواؤه ، وتعذر شفاؤه ، وعم بلاؤه ، وكما نستعين به على تطهير ضمائرنا من حب الدنيا فان حب الدنيا رأس كل خطيئة وأصل كل بلية ، فلذلك نسأله علما نافعا ، وعملا متقابلا ، وإيمانا صريحا ، ويقينا صحيحا . أعوذ بالله من رأى يكون ضلالا ، أعوذ بالله من عمل يصير حسرة ووبالا ، أعوذ بالله من نية تعقب وزرا ، أعوذ بالله من عزيمة تجلب شرا أعوذ بالله من عدم التوفيق ، أعوذ بالله من ترك التحقيق ، أعوذ بالله من ترك السعة والرجوع الي الضيق *

تحذير من الشيطان

عبادالله تفكروافى اخراج أبيكم آدم من الجنه دار الامان ، وهبوطه إلى دار الذل

---

(١) أحرى أجدر وأولى ، وحري به أي خليق وجدير به .

(٢) ذاده عن الشيء يذوده طرده ، وذاد الابل ساقها وطردها . والغريبة أي التى لم تكن من إبل صاحب الحوض إنما يدفعها العطش الى الورود مع إبله .

والهوان ، وكان سبب ذلك الملعون الشيطان . وقد نهاكم مولاكم عن طاعته ، وأمركم بمعصيته ، فان فى طاعته سخط الرحمن ، ومعصيته توجب سكنى الجنـــان ، ونزول محل الرضوان *

قال الله سبحانه وتعالى: (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) فمن أطاعه خذله وصده عن الهدي ، وفتح فى قلبه أبو اب الضلالة والردى *

قال الله تبارك وتعالى : (وكان الشيطان للانسان خذولا) أعوذ بالله من وسواس الصدر ، أعوذ بالله من المكر والغدر ، أعوذ بالله من شتات الامر ، أعوذ بالله من قلة الشكر ، أعوذ بالله من عذاب القبر ، أعوذ الله من ترك المتاب ، أعوذ بالله من شدة العذاب ، أعوذ بالله من مناقشة الحساب ، أعوذ بالله من غضب رب الارباب *

التعوذ عبادة

واعلموا عباد الله أن التعوذ بالله من الشيطان الرجيم هو من أفضل العبادات لان الله تعالى قد أمر عبده المؤمن أن يتعوذ به من الشيطان الرجيم في محكم القرآن الكريم . الله الله لا تقروا عين عدوكم الشيطان ، فانه يؤديكم الى عذاب النيران ، ويصدكم عن دار الخلد وسكنى الجنان . أعوذ بالله من مرديات الاعمال ، أعوذ بالله من الغى والمحال ، أعوذ بالله من سخط ذى الجلال *

واعلموا وفقنا الله وإياكم أن من دخل الحصن سلم من شر الاعداء ، وصار فى حرز ذى النعم والآلاء . ومن استعاذ بالملك الرحمن ، سلم من شر العدو الشيطان . والاستعاذة أحصن حصن لدين المؤمن من كيد الشيطان الرجيم ، وأحرز حرز لقلبه من وسواس العدو اللئيم . أعوذ بالله من شهادة الزور ، أعوذ بالله من ركوب الفجور ، أعوذ بالله من الغى والنفور ، أعوذ بالله من الشيطان المبعد المثبور ، أعوذ بالله من الركون الى دار الغرور ، أعوذ بالله من سخط الملك الغفور *

تعوذ النبى صلى الله عليه وسلم

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول « اللهم إنى أعوذ بك من صاحب غفلة ، وقرين سوء وروح (١) أذى » أعوذ بالله من شماتة الاعداء ، أعوذ بالله من خيبة الرجاء ، أعوذ

(١) فى الأصل زوج أزى بالزاى ولعلها تحريف

بالله من عضال (١) الداء ، أعوذ بالله من مخالفة الهدي ، أعوذ بالله من أفعال الردي ، أعوذ بالله من سخط ذي النعم والآلاء ، أعوذ بالله من عثرات اللسان ، أعوذ بالله من النميمة (٢) والخذلان ، أعوذ بالله من الغيبة (٣) والبهتان ، أعوذ بالله من عقوبة الملك الديان *

أحاديث فى عذاب القبر

روى عن النبى ﷺ أنه مر على البقيع فوقف على قبر ثم قال : « الآن أقعدوه ، والآن سألوه ، والذى بعثنى بالحق لقد ضربوه بارزبة من نار لقد تطاير قلبه نارا » ثم وقف على قبر آخر فقال مثل مقالته على القبر الاول ، ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه : « لولا أنى أخشى على قلوبكم لسألت الله أن يسمعكم من عذاب القبر مثل الذى أسمع » فقالوا يارسول الله ماكان فعل هذين الرجلين ؟ فقال عليه السلام : « أما أحدهما فكان يمشى بالنميمة بين الناس ، وكان الآخر لايستنزه من البول » (٤)

أسباب عذاب القبر

وقد روي عن النبى ﷺ أنه قال : « لايعذب أحد فى قبره إلا باحدى ثلاث ، فى الغيبة والنميمة والبول » فالله الله عباد الله تعوذوا بالله من الغيبة والنميمة والبهتان ، وأذى الجيران ، فان ذلك كله يبعد عن الرحمن ، ويقرب من الشيطان ، ويصد عن الجنان ، ويؤدى الى النيران . أعوذ بالله من علة الدين ، أعوذ بالله من ضعف اليقين ، أعوذ بالله من الشيطان اللعين ، أعوذ بالله من سخط رب العالمين ، أعوذ بالله من الشيطان المثبور ، أعوذ بالله من عذاب القبور . أعوذ بالله من ترك النعيم والسرور ، أعوذ بالله من الصد من دار الحبور ، أعوذ بالله من عذاب الويل والثبور ، أعوذ بالله من عقوبة من يعلم مافى الصدور *

القرآن يأمر بالاستعاذة

واعلموا عباد الله أن من استعاذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم فقد عمل بالقرآن الحكيم. وذلك أن الله تبارك وتعالى أمره بالاستعاذة من اللعين ابليس فى آي كثيرة من القرآن . فمن

(١) الداء العضال الذى أعيا الاطباء (٢) النميمة فى الاصل اظهار ماخفي وتطلق هنا على من يفشى الامرار (٣) ، والغيبة أن تذكر مساوىء أخاك فى غيبته وتذمه بقبيح خصاله (٤) الاستنزاه من البول الاحتراز عن تلويث الجسم أو الثياب به لانه نجس *

استعاذ بالملك الوهاب ، من شر الشيطان الكذاب ، فقد عمل بالسنة وأحكام الكتاب . والقرآن شافع لمن عمل به ، وخصم على من لم يعمل به *

واعلموا عباد الله أن الشيطان يصدكم عن العمل بالتنزيل ، ويبعدكم عن الملك الجليل ، ويلقيكم فى معصيته لتصيروا إلى العذاب الدائم الطويل ، في اليوم الهائل العبوس الثقيل *

لـكل احـد شيطان

روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت قلت يارسول الله مامن أحد إلا ومعه شيطان ؟ ؟ قال : « نعم » قالت وأنت يارسول الله ؟ قال : « وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم » أعوذ بالله من خشوع النفاق ، أعوذ بالله من البعد والفراق ، أعوذ بالله من مخالفة الملك الخلاق ، أعوذ بالله من عذاب يوم التلاق ، أعوذ بالله من الخلاف بعد الوفاق . وأنشدوا:

ويحك عذ بالله ذى الجلال والمجد والنعماء والافضال
ثم اتل آيات من القرآن ووحـد الله ولاتبال

أعوذ بالله من عبد شارد ، أعوذ بالله من شيطان مارد ، أعوذ بالله من عدو حاسد ، أعوذ بالله من قلب فاسد ، أعوذ بالله من بدن عن الطاعة متقاعد *

واعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبده خيرا أبعد عنه شيطانه وأعانه عليه ونشطه للطاعة وأزال عن بدنه الكسل فاقبل العبد عند ذلك على مولاه ، وأعرض عمن سواه . وآثر رضاء سيده على هواه ، فعند ذلك يجعل الله الجنة العالية مأواه . واذا أراد بعبده شرا مكن منه شيطانه وسلطه عليه فابعده عن طاعة الجبار ، وكسله عن عمل الابرار ، وحبب اليه أعمال أهل النار ، وبغض اليه أعمال أهل دار القرار *

فرح الشيطان بالعاصى الجاهل

روى عن النبي عليه السلام أنه قال : « إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يغلب خيره على شره قبله الشيطان بين عينيه وقال فديت وجها لايفلح أبدا » فان من الله وتاب عليه واستنقذه من الضلالة واستخرجه من غمرات (١) الجهالة يقول الشيطان ـ لعنه الله ـ واويلاه قطع عمره فى الضلالة فاقر بالمعصية عينى ، ثم أخرجه الله بالتوبة من الجهالة فا كثر بالتوبة حزني . فالله

(١) غمرات الجهالة كثيرها وشديدها

الله عباد الله لاتقبلوا وسواس العدو الشيطان ، وارجعوا بالتوبة الى مولاكم الرحمن ، فعساه أن يستر ذنوبكم وعيوبكم بستر الغفران ، انه كريم متفضل منان . أعوذ بالله من الشقاوة بعد السعادة ، وأعوذ بالله من الغرة (١) بعد الارادة ، وأعوذ بالله من النقصان بعد الزيادة . أعوذ بالله من الكفر بعد الايمان ، اعوذ بالله من القطيعة والحرمان ، أعوذ بالله من طاعة الشيطان ، أعوذ بالله من العقوبة والهوان ، أعوذ بالله من نقض العهود ، أعوذ بالله من مخالفة الملك المعبود ، أعوذ بالله من العذاب الدائم والخلود ، أعوذ بالله من سخط ذى الكرم والجود *

عباد الله احذروا مكائد الشيطان فانه عارف بالعيوب ، بصير بالقاء العبد في الذنوب ، له طرق كثيرة إلى الصدور فاستعيذوا من شره بمولاكم علام الغيوب . أعوذ بالله من قلب لا يخشع ، أعوذ بالله من عين لاتدمع ، أعوذ بالله من دعاء لايسمع ، أعوذ بالله من عمل لا يرفع ، أعوذ بالله من علم لاينفع . أعوذ بالله من المصير إلى عذاب الله ، أعوذ بالله من الخيبة من رحمة الله ومن التزين بمعصيته . أعوذ بالله من زيغ القلوب ، أعوذ بالله من تتابع الذنوب ، أعوذ بالله من ترادف العيوب ، أعوذ بالله من سخط علام الغيوب . أعوذ بالله من مضلات (٢) الفتن ، أعوذ بالله من البلاء والمحن ، أعوذ بالله من سخط ذى الجود والمنن . أعوذ بالله من النقص بعد التمام ، أعوذ بالله من التخلف بعد الاقدام أعوذ بالله من سخط أحكم الحكام *

جنود ابليس

ذكر في بعض الأخبار أن إبليس -لعنه الله- يبعث فى كل يوم ثلاثمائة وستين عسكراً لاضلال المؤمنين ، والله تعالى ينظر فى قلوبهم ثلاثمائة وستين نظرة ففى كل نظرة من نظراته تهلك عسكراً من عساكره فأنى تبقي عسكر للشيطان فى جنب نظرة الرحمن ؟!! *

فالله الله عباد الله لاتقبلوا وسواس الشيطان المخدوع ، واستعملوا قلوبكم وصدوركم بالآيات والخشوع ، وأسيلوا على مافرطتم غزير الدموع . أعوذ بالله من عواقب الخلاف ، أعوذ بالله من الجرأة والاستخفاف ، أعوذ بالله من العصيان وقلة الاعتراف . أعوذ بالله من الباطل وشره ، أعوذ بالله من الشيطان ومكره ، أعوذ بالله من العصيان وذكره . أعوذ بالله من فساد القلب ، أعوذ بالله

---

(١) الغرة العزة والغفلة

(٢) مضلات الفتن أى التي تضل فيها عقول ذوى النهى ويحسبونها هدى لأنها دقيقة

من ترادف الذنب على الذنب ، أعوذ بالله من سخط الملك الرب *

محاورة ابليس لموسى

روى أن الشيطان لعنة الله عليه قال لموسى بن عمران صلوات الله على نبينا وعليه لا تخلون بامرأة غير ذى محرم فأكون ثالثكما ، ولا تقضين فأنال منك ، وإذا هممت بصدقة فبادر اليها ، فانك ان لم تبادر اليها فتحت لك فى ذلك سبعين بابا من الفقر أمنعك بها من الصدقة *

وقيل فى قول الله عز وجل: (الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) الآية . أى يردك الشيطان إلى نفسك ولينسيك اشتغالك بربك ، وقيل يعدكم الفقر فى طلب فوق الكفاف فيكون عندك مايكفيك وأنت تحرص على جمع الزيادة وهو الفقر اللازم فيردك عن غناء الكفاية إلى طلب المزيد وهو الفقر الحاضر الذى يؤدى صاحبه إلى العذاب الدائم الشديد . وقيل يعدكم الفقر فى البذل والعطاء فى مرضاة الله عز وجل وهو الغناء لان الله تعالى يعدكم مغفرة وفضلا فينبغى للعبد أن يذكر من الله تعالى عليه ، وإحسانه إليه ، وإفضاله لديه *

اصل البخل والكرم

واعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى قال فى محكم التنزيل على لسان محمد رسوله عليه السلام (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) ومن هو بخيل شحيح فليس بواق ولا مفلح . واعلم أن البخل شجرة فى النار وأغصانها مدلاة على الدنيا وهى شجرة الشيطان فمن تعلق بغصن منها قادته إلى النار . وكذلك الكرم شجرة فى الجنة وأغصانها مدلاة على الدنيا فمن تعلق بغصن منها جذبه إلى النعيم ، والكرم من أخلاق الملك الكريم ، فمن تعلق به فقد أسخط الشيطان الرجيم . ودليل هذا أن الله تبارك وتعالى لم يبعث نبياً قط إلا وهو كريم ، ولا رأيتم عبداً صالحا إلا وهو كريم . قال فالكرم من أخلاق النبيين والصديقين ، وهو من اخلاق رب العالمين ، فاستعملوه بينكم يامعاشر المؤمنين ، والمؤمنات ياأمة محمد خاتم النبيين . أعوذ بالله من عين لاتبكى عليه ، أعوذ بالله من قلب لايشتاق اليه ، أعوذ بالله من دعاء لايصل اليه ، أعوذ بالله من الذل إلا إليه (١)

(١) الضمير هنا راجع الى الله سبحانه وتعالى ، أى يجب أن يكون العبد متوجها اليه فى كل حال

نجاة المستعيذ من العذاب

واعلموا عباد الله أن المستعيذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم ناج من العذاب الأليم ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى قال : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) وإنما يأمركم الشيطان بالفحشاء ليحرق غيره كما أحرق نفسه ٭ قال الله تعالى : (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء) أعوذ بالله من اللهو والغفلات ، أعوذ بالله من العذاب والحسرات ، أعوذ بالله من غضب إله الأرض والسموات إخوانى أطيعوا مولاكم الملك الجليل ودعوا كيد الشيطان المهين (١) الذليل ، واعملوا بالسنة والتنزيل ٭

خصال الخير عن الامام على

روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال : من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلباً ، ولا عن النار مهرباً ، أولها من عرف الله فأطاعه ، والثانية عرف الشيطان فعصاه ، والثالثة عرف الحق فاتبعه ، والرابعة عرف الباطل فاجتنبه ، والخامسة عرف الدنيا فاعرض عنها ، والسادسة عرف الجنة فطلبها . فالله الله عباد الله اجتهدوا فى طاعة الرحمن الرحيم ، واجتنبوا كيد الشيطان الرجيم ٭

من رأى إبليس من الصحابة والصالحين

روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : رأيت إبليس اللعين فى المنام منكوسا فهممت أن أقرعه بالعصا فقال لى يا أبا سعيد أما علمت أنى لا أخاف من العصا ولا من الاسلحة ، قال فقلت له يا ملعون فما الذي تخافه ؟ قال أخاف من شيئين ؛ أحدهما استعاذة المستعيذين ، والثاني شعاع معرفة الصادقين . أعوذ بالله ممن لا يشفق على نفسه ، أعوذ بالله ممن لا يبكى على رمسه ، أعوذ بالله ممن لا يقدم ليومه من أمسه ٭

حكى عن الجنيد رحمة الله عليه أنه قال : رأيت إبليس فى المنام عريانا يتلاعب بالناس فقلت أما تستحى من الناس ؟ فقال الملعون بالله عليك هؤلاء عندك ناس ؟ لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما يتلاعب الصبيان بالكرة ، فقلت له يا ملعون ومن الناس ؟ قال ثلاثة نفر

(١) فى الأصل المهيمن وهو خطأ

بمسجد الشيرازى ــ كذا سمى المسجد ــ أمرضوا كبدى ، وأنحلوا جسمى ، كلما (١) هممت بهم أشاروا إلى الله تعالى فأكاد أن أحترق ، قال الجنيد : فانتبهت وقد بقي من الليل بقية فخرجت إلى المسجد الذى ذكر الملعون فدخلته فاذا بثلاثة نفرقعود رءوسهم فى مرقعاتهم فقال لى أحدهم : يا أبا القاسم أنت كلما قيل لك شيئا تقبله ! يا أخى اعلم أن من تعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقد ثبت على الدين القويم ، وذلك أن الله سبحانه أخبر عن إبليس اللعين (لاقعدن لهم صراطك المستقيم) وذلك أنه بعثه الله تعالى قاطعاً طريق الدين كما أن اللصوص قطاع لطريق الدنيا على المسلمين (٢) ، فابليس لعنه الله قاطع طريق العقبي ليصدكم عن الحق والهدى ، فاذا استعذت منه هرب منك ولم يقدر على قطع طريق الدين *

وقاية الله من إبليس

قال الله سبحانه : (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) وقال تعالى: (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا) الآية وقد أمر الله تعالى عباده يقولون فى الصلاة سبع عشرة مرة فى سبع عشرة ركعة وهى عدد ركعات الفرض : (إهدنا الصراط المستقيم) فانى يضرك كيد الشيطان الرجيم ؟ ! ! *

إعلم يا أخى أن البيت المعمور كان فى الارض الى وقت طوفان نوح عليه الصلاة والسلام لحفظ من الغرق وسلم من الطوفان ورفع الى السماء . وقلب المؤمن أفضل من البيت المعمور أكثر من ألف ألف مرة فهو بالحفظ أولى ، لان البيت المعمور معمور بعبادة الملائكة وقلب المؤمن معمور بنظر الخالق اليه ، فشتان مابينهما ! ! *

ذكر عن أبى سعيد أنه قال فى قول الله عز وجل (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) كأنه يقول إن كان لك عليهم سلطان أن تلقيهم فى معصية الله ، فليس لك عليهم أن تمنعهم مغفرة الله *

وقول آخر : إن كان للشيطان سلطان فى إلقاء العبد فى المعصية ، فأولى أن يكون لمغفرة الله سلطان فى تطهير العبد من الخطية ، وليست قوة الشيطان بأكثر قوة من مغفرة الرحمن فى قلوب أهل الايمان . أعوذ بالله من كثرة الفساد ، أعوذ بالله من ظلم العباد ، أعوذ بالله من غضب رب جواد ، أعوذ بالله من عذاب يوم التناد ، أعوذ بالله من القطع والبعاد . وأنشدوا:

(١) فى الاصل فلما وهو تحريف (٢) كذا بالاصل ، ولعله يريد أن اللصوص قطاع طريق المسافرين لانهم لايقطعون الطريق على المسلمين فقط بل على المسلمين وغيرهم .

أعوذ بالرحمن من موقف يشهده المؤمن والكافر
إن كنت بئس العبد ياسيدى فأنت رب سيد غافر

ضعف الانسان والشيطان

واعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى سمى الانسان ضعيفا ، وقال فى آية أخرى (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) والضعيفان إذا اقتتلا ولم يكن لواحد منهمامعين لم يظفر بصاحبه ، فأمر الله الانسان الضعيف أن يستعين بالرب اللطيف من كيد الشيطان الضعيف ليعصمه منه ويعينه عليه . من كان فى معونته الاله العظيم ، لم يضره كيد الشيطان الرجيم ، من كان فى معونته الملك الوهاب ، لم يضره كيد الشيطان الكذاب ، من كان فى معونته الملك القهار ، لم يضره كيد الشيطان الفرار ، من كان فى معونته الملك الرحمن ، لم يضره كيد الشيطان ، وأنشدوا :

العبد فى كنف (١) الاله وحفظه من كل شيطان غوى ساه
إن عاذ بالرحمن عند صباحه وكذاك إن أمسى بذكر الله

دعاء يعصم من الشيطان

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال حين يصبح وحين يمسى أعوذ بالله العظيم ؛ وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم ، قال قرينه عوفي هذا العبد منى اليوم » شعر

يا رجائى فى بلائى لا تزل عنى خيرك
أنت ربى أنت حسبي أنا لا أعبد غيرك

أعوذ بالله من عدم الاخلاص ، أعوذ بالله من هول يوم القصاص (٢) ، أعوذ بالله من ترك الاستقامة ، أعوذ بالله من العذاب والملامة ، أعوذ بالله من هول يوم القيامة ، أعوذ بالله من الحسرة والندامة ، أعوذ بالله من حرمان الكرامة *

لماذا حجب الله إبليس

يا أخي إن الله تعالى لما قبح صورة إبليس ولعنه وشوه خلقته ، وأوحش هيأته وقامته ، لطف بعباده حيث ستره عنهم ، حتى لا تستوحش قلوبهم إذا أبصرته أعينهم ، ولذلك جعل المولى جل جلاله السماء موضع نظرهم ، وزينها بعلامات الرسوم ، وحفظها من الشيطان

(١) فى الاصل فى جوار الاله ، ولا يستقيم البيت (٢) يوم القصاص هو يوم القيامة .

الرجيم برواصد النجوم ، فكأنه قال سبحانه : يا عبادى لا يصلح لابصاركم ما كان مشوها قبيحا ، بل يصلح لها ماكان مزينا مليحا ، هذه معاملته سبحانه وتعالى مع جميع الناس فى الدنيا فأولى أن يلطف بالمؤمنين فى العقبى ، يصون أبصارهم عن النظر الى النار الكبرى وهى الجحيم ، ويكرمها بالنظر الى الدار المزينة وهى جنة النعيم ، أعوذ بالله من مخالفة الاحكام أعوذ بالله من التمادى فى الآثام ، أعوذ بالله من معصية السلام ، أعوذ بالله من عذاب الغرام *

زينة السماء

روى عن النبي ﷺ أنه قال : « لما خلق الله تبارك وتعالى الجنة قال لها تزينى فازينت ، ثم قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون ، فجعل الله تعالى السماء المزينة فى الدنيا(١) موضع نظرك ، وجعل الجنة المزينة فى العقبى موضع ترغبك ، فاذا ستر الله تعالى ابليس الملعون فى الدنيا وغيبه عن بصرك لئلا يستوحش قلبك بقبح صورته ، فأولى أن يستر أعمالك القبيحة من الفساد والآثام من الفضيحة يوم التناد (٢) على رؤس الاشهاد . لطف الله بعباده فستر إبليس عنهم فقال (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم) فكأنه سبحانه وتعالى قال لعبده المؤمن أنا حبيبك الأعظم ، وان ابليس عدوك الأعظم، فلو رأيته وهو أعظم أعدائك عليك لشق ذلك عليك فسترته عنك ليكون حزن الدنيا ونصبها، وترادف همومها وغمومها، أهون عليك . وكان أيضا يجتمع عليك مغيب حبيبك الأعظم ، ورؤيتك عدوك الأعظم ، فغيب إبليس عنك حتى لاتراه كمالا ترى حبيبك الأعظم فيكون الامر أهون عليك *

أعوذ بالله من التضليل والتسويف ، أعوذ بالله من الزيغ والتحريف ، أعوذ بالله من سخط الرب اللطيف *

حكى عن سهل بن عبد الله التسترى رحمة الله عليه قال : رأيت إبليس اللعين فى المنام فقلت له أى شيء أشد عليك ؟ فقال استعاذة المستعيذ برب العالمين الذي هو أرحم الراحمين *

طهارة العاصى ونجاسة المعصية

واعلم يا أخى أن العبد المؤمن وإن أطاع الشيطان بنفسه فهو غير راض بقلبه ، وإنما مثله

(١) أى مزينة بدراري النجوم والافلاك كما قال تعالى (وزيناها للناظرين)

(٢) يوم التناد هو يوم القيامة

كمثل الواقع في نجاسة وبين يديه غدير ماء طاهر فيكون قلبه مع الماء وإن كانت نفسه (١) فى النجاسة ، فيكون سببا لطهارته . كذلك نفس المؤمن وإن كانت فى نجاسة المعصية فان قلبه مع الله ومع محبته فيكون ذلك سببا لطهارته من المعصية . والاصل فى هذا أن الله تعالى يعامل العباد على عقائد قلوبهم كما قال النبي ﷺ : « إن الله لاينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم » وفي هذا الحديث نكتة حسنة وهو أن المنافق يذكر كلمة التوحيد باللسان وهو لايرضاها بالقلب فهو لايثاب يوم القيامة على إقراره باللسان ، هكذا المؤمن يعمل المعاصى بالادمان لكنه لايرضاها فنرجو أن لايعاقب . شعر :

إني تعوذت بالعظيم الاول الآخر القديم
ذى الطول والفضل والمعالى الماجد الواحد الكريم
من شر نفسي ومن هواها وشر شيطانها الرجيم

اعوذ بالله من شر لايزول ، أعوذ بالله من عذاب لايحول ، أعوذ بالله من مخالفة الرسول ﷺ

التمسك بالسنة وعدم مخالفتها

عباد الله عليكم بطاعة سيد المرسلين ، والتمسك بسنة خاتم النبيين ، وبمخالفة الشيطان اللعين ، ينجيكم مولاكم من العذاب المهين . ويدخلكم الجنة مع أوليائه المتقين ، وتنظروا إلى وجه رب العالمين . وأنشدوا

أعوذ بالله الذي لم يتخذ ولدا وقدر الرزق قبل الخلق تقديرا (٢)
أعوذ بالله العلى مكانه ذى العرش لم نعلم سواه مجيرا
من حر نار لاتفتر من لهب (٣) من حرها للظالمين نصيرا
وكذا السلاسل والعذاب لمن طغى (٤) يدعون فيها حسرة وثبورا

أعوذ بالله من الملوك العاتية ، أعوذ بالله من القلوب القاسية ، أعوذ بالله من الهوام العادية أعوذ بالله من اللصوص الضارية (٥) أعوذ بالله من جور السلاطين ، أعوذ بالله من كيد

---

(١) كذا بالاصل وهو يريد أن جسمه فى النجاسة لان النفس اسم معنوى للاخلاق والطباع
(٢) فى الاصل : وقدر خلقه تقديرا ولا يستقيم البيت فأصلحناه (٣) فى الاصل لاتفتر عنهم ولا يستقيم (٤) فى الاصل : والسلاسل الخ ولا يستقيم . وبالجملة هذه الابيات من شعر الوعظ الذي لايراعون فيه كمال الوزن والقافية (٥) كذا والاولى الهوام الضارية واللصوص العادية

الشياطين ، أعوذبالله من أذى المساكين .

اخواننا إياكم ومخالفة السنة فان ذلك يبعدكم من الجنة *

روي عن مجاهد رضى الله عنه انه قال : من ذرية ابليس اللعين ولد يسمى زكبتور وهو صاحب الاسواق يضع فيها رايته كل يوم. فالله الله عباد الله لاتبذلوا مهجتكم للنيران. ولاترضوا بالزيادة والنقصان ، فى المكيال والميزان ، فان ذلك يؤدى إلى عذاب النيران *

كيف أهلك النبي عفريتا

روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : كنت مع رسول الله ﷺ وجبريل عليه السلام معه ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ ، فاذا بعفريت قدأقبل من مردة الجن وفى يده شعلة نار وهو يقرب من النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال جبريل عليه السلام : يا محمد ألا أعلمك كلمات تقولها فينكب العفريت لوجهه وتطفأ شعلته ؟ قال له : قل أعوذ بنور وجه الله الكريم وكلماته التامات التي لايجاوزهن بر ولافاجر من شر ماذرأ فى الارض ومايخرج منها وماينزل من السماء وما يعرج فيها ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر طوارق النهار الا طارقا يطرق بخير يارحمن . فقالها النبي صلى الله عليه وسلم فكب العفريت على وجهه وطفئت شعلته *

سليمان وابليس

وذكر ان ابليس لعنه الله لقي سليمان ﷺ فقال له سليمان : ياملعون ماأنت صانع بامة محمد ﷺ؟ فقال له الملعون : ياسليمان لادعونهم (١) حتى يكون الدنيا والدرهم أشهى عندهم من شهادة أن لاإله إلا الله . فتحفظوا رحمكم الله من هذا كله فانها حبائل الشيطان *

نصائح من خطبة الوداع

روى عن النبي ﷺ أنه قال فى خطبة الوداع : « أيها الناس انى لكم ناصح أمين ، ألا وان ابليس قد يئس منكم لاتعبدون صنما أبدا ، ولكن والذى بعثنى بالحق ليجعلنكم ابليس لعنه الله أن تعبدوا ألف إله ، يعبد الرجل إبله ، والآخر امرأته ، والآخر غنمه ، والآخر

(١) كذا بالاصل ، ولعلها : لأدعهم الخ

حرثه (١) والآخر تجارته ، والآخر صنعته ، والآخر مركبه ، والآخر صديقه يقول الرجل للرجل كيف حالك ؟ ؟ فيقول له : لولا تجارتى ما كان لى حال ، والآخر يقول لولا حرثي والآخريقول لولاامرأتىوالآخر يقوللولامركبي ، والآخر لولاصديقى ، فينسيه ذكر مولاهويتعبه فىدنياه ، ويقطعه عنأخراه » (٢)

ياابن آدمماغترارك بمن اليه اضطرارك ، وما احتقارك بمن اليه افتقارك ، ياابن آدم إن كنت بالنهار هائما ؟ وبالليل نائما ، متى ترضى من كان بأمرك قائما . يا ابن آدم توكل على الملك الخلاق ، الذى يتكفل بقسمة الارزاق ، توكل ياأخى عليه ، واسند أمورك اليه ، فانه لايملكها غيره *

أعوان الشيطان من بنى آدم

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن للشيطان اعوانا من بنى آدم يبعثهم الملعون الى المؤمنين يشغلونهم عن الصلاة وعن الصدقة وعن ذكر الله ويحبب اليهم كسب السحت والحرام والذى بعثني بالحق ليعبدون الدنيا والدرهم أشد من عبادة الاوثان » أعوذ بالله من الركون إلى الهوى ، أعوذ بالله من الضلالة والردى ، أعوذ بالله منمعصية إلهالسما*

آدم وخروجه من الجنة

ذكر أن عبد الله بن سهل التسترى رحمه الله قال : لما أخرج آدم من الجنة دار الكرامة والامان وأنزله (٣) إلى دار الذل والهوان والبلاء والامتحان ، قال الله تعالى : يا ابن آدم أسكنتك فى جواري فعصيتني ، وأطعت الشيطان وتركتنى ، وعزتى وجلالى لأسكننك فى جواره لتطيعنى وتعصيه ، وتحبني وتبغضه ، فاذاكان يوم القيامة أقول لك طاعة بطاعة ومعصية بمحبةثم أدخلك الجنة *

جاء فى بعض الاخبار أن الله تبارك وتعالى لما خلق آدم وولده أودع قلبه أربعة أشياءوهى المعرفة ، والعقل ، والايمان ، واليقين . فصار خزانة لهذه الأشياء وسلط على قلبه أربعة أعداء وهم (٤) ابليس ، والهوى (٥) والنفس ، والدنيا . وضمن ابليس لاصحابه الوصول

(١) حرثه يريد أرضه وبساتينه وزرعه .

(٢) خطبة الوداع التى اقتبس منها المؤلف هذه الفقرات هى خطبة جامعة قالها النبي ﷺ فىحجة الوداع وهى آخر حجة حجها قبل وفاته وهى مذكورةبطولها فى كتب السير *

(٣) بالاصل : أنزله بدون الواو (٤) كذا بالأصل والصواب وهى (٥) الهوىهنابمعنى الميل والرغبة ، ويهواه يحبه ، وأما النفس فيريد بها هنا القوة العاقلة المدركة أو العقل الباطن الذي يكلف بموجبه الانسان *

اليها كما قال تعالى فى كتابه (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم) فلما علم المولى جل جلاله من ضعف ابن آدم وقلة مقدرته على مدافعته عليه أربعة أسماء من أسمائه يتحصن بها من ابليس وجنوده وهى : ياأول ، يا آخر ، ياظاهر ، ياباطن . فكأنه قال تعالى : ياابن آدم أنا الاول احفظ معرفتك لى من بين يديك ، وأنا الآخر احفظ عقلك وأنا الظاهر أحفظ إيمانك عن يمينك ، وأنا الباطن أحفظ يقينك عن شمالك *

اختصاص إبليس ببعض الجهات

سئل بعض الحكماء ، ما الحكمة فى أن لم يعط إبليس إثنان من ابن آدم واعطى أربعة ؟ أعطى من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله من الجهات الاربع ، ولم يعط ابليس أن يأتيه من فوق ولا من تحت ؟ قال : لان الاربع جهات تدخلها المشاركة فى الاعمال ، وفوق موضع نظر الرب جل جلاله إلى قلوب عباده المؤمنين (١) وتحت موضع سجود الساجدين بين يدى رب العالمين . عصمنا الله وايا كم من فتنته عصمة يدخلنا بها فى رحمته وتاب علينا وعلى جميع المذنبين إنه تواب رحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم *

-٢- ﴿ مجلس فى ذكر القيامة وأهوالها أجارنا الله منها ﴾

سورة الزلزلة وما تشير اليه

قال الله عزوجل : (إذا زلزلت الارض زلزالها) هذه السورة مكية محكمة بالوعد والوعيد يخوف الله تبارك وتعالى بها عباده ويذكرهم فيها تزلزل الارض وقيام الساعة لينتهوا عما نهاهم عنه من العصيان ، ويمتثلوا ما أمرهم به من الطاعة والايمان ، وخوفهم الله تبارك وتعالى من يوم القيامة ليستعدوا لها ولعظيم أهوالها . قال الله سبحانه وبحمده : (إذ زلزلت الارض زلزالها) يقول إذا تحركت الارض بأهلها فزلزلت من نواحيها وارتجت من مشرقها ومغربها ، فلا تزال كذلك حتى يكسر ما على ظهرها من جبل وبناء فلا تسكن حتى يدخل فى بطنها جميع ما خرج منها . وزلزلتها من شدة صوت اسرافيل عليه السلام وذلك إذا فرغت أحيان (٢) الدنيا

(١) هذا بحسب تقريب العبارة إلى الاذهان من جهة التمثيل، وإلا فليس لله تعالى مكان أو جهة خاصة ينظر منها ، أو أن نظره إلى قلوب عباده هو من فوق إلى تحت فقط .

(٢) أحيان الدنيا أى مدتها والحين الوقت ويجمع أيضا على أحايين *

وساعاتها,شهورهاوأوقاتهاوأعوامهاوأيامهاوحلالهاوحرامها . وذلك اذاخمدالحق وظهر الباطل وترك الناس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وركبوا المآثم واستحلوا المحارم وكثر بينهم التظالم ، وترك الجهاد،وظهر الفساد ، وفشا الربا ، وكثر اللواطة والزنا،وركبوا الفواحش والفجور ، واستعانوا على ذلك كله بشرب الخمور ، وأمر قوم بالمعروف وتركوه ونهوا عن المنكر وفعلوه ، وكرهوا الحق واتبعوا أهواءهم ، وقرىء القرآن فلم يعمل به،واسودت القلوب وكثرت الفواحش والعيوب ، وتزين(١) الفساق بالمعاصى والذنوب، فاذا كانوا كذلك اشتد غضب الجبار جل جلاله عليهم فعند ذلك يقول الله ياإسرافيل انفخ نفخة الصعق (٢) فينفخ إسرافيل عند ذلك كما أمره الجبار جل جلاله فتزلزل الارض من مشرقها الى مغربها ، وذلك من غضبة يغضبها الجبار على المنافقين والفجار *

صفة إسرافيل

وإسرافيل (٣) عليه السلام ملك عظيم جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب ورجلاه تحت تخوم الارض السابعة السفلى بخمسمائة عام والسموات السبع إلى ركبتيه ، وعنقه ملوى تحت العرش والعرش على كاهله . وقد مد الرجل اليمنى وأخر اليسرى، واللوح المحفوظ بين عينيه وقد التقم الصور وشخص ببصره نحو العرش وأنصت باذنيه ينتظر متى يؤمر بالنفخ فى الصور والصور قرن من نور *

قال النبى ﷺ : « الصور قرن من نور ، والذى نفسى بيده إن أعظم ثارة فيه كما بين السماء والارض »

وروى عنه ﷺ أنه قال : « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم الصور وحنى جبهته وشخص ببصره نحو العرش وأنصت باذنيه ينتظر متي يؤمر أن ينفخ فى الصور (٤) فاذا نفخ فيه مات أهل السموات والارض الا أربعة أملاك فانهم لايموتون الابعد موت الخلائق وهم ، جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ، فمن شدة صوت إسرافيل تتحرك الأرض من مشرقها الى مغربها فلا يبقي عليها بناء إلا انهدم إلاالمساجد فان أساسها يبقى لاينهدم لفضلها عندالله تبارك وتعالى ، لما عبد فيها ووحدوقرىء كلامه فيها وذلك قوله تعالى (كل شىء هالك

(١) أى تباهوا بها وأظهروها ولم يزجروا عنها . وهذا الواقع فى عصرنا ولاحول ولا قوة الا بالله (٢) صعق الرجل غشى عليه ، وصعق من فى السموات ومن فى الارض أى مات ، وهو المراد هنا . (٣) اسرافيل اسم أعجمى ويقال فيه اسرافين أيضا بالنون .
(٤) الصور القرن ، وقيل هو جمع صورة كبسرة وبسر ، أي ينفخ فى صور الموتي الارواح.

إلا وجهه) جاء فى التفسير أن الاشياء كلها تهلك إلا عملا يراد به وجه الله تعالى ، والمساجد لا تهلك لانها إنما بنيت لوجه الله تعالى *

خشية النبي من هبوب الريح

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا هبت الريح تغير لونه ، وكان يخرج ويدخل مرة بعد أخري من شدة خوف قيام الساعة وزلزلة الارض ، فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاف هذا الخوف كله وهو أكرم الخلق على الله ؟ فكيف بمن أفني عمره فى السهو والغفلات ، وقطع أيامه باللهو والبطلات ، وضيع أوقاته فى العصيان حتى مات ؟؟ وأنشدوا :

نهارك يامغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم
وشغلك فيما سوف تكره غبه ... كذلك فى الدنيا تعيش البهائم
وفعلك فعل الجاهلين بربهم ... وعمرك فى النقصان بل أنت ظالم
فلا أنت فى الايقاظ يقظان حازم ... ولا أنت فى النوام ناج وسالم
تسر بما يفنى وتفرح بالمنى ... كما سر باللذات فى النوم حالم
فلا تحمد الدنيا ولكن فذمها ... ولا تكثر العصيان إنك ظالم

وروي عن النبي ﷺ أنه قال : « انتهيت ليلة أسرى بى إلى السماء السابعة فرأيت إسرافيل قد حنى جبهته وقدم رجلا وأخر أخرى والعرش على منكبه (١) والصور فى فيه بين شدقيه وقد تهيأ للنفخ فى الصور فما ظننت أن أبلغ الارض حتى تبلغني النفخة كما رأيت من تهيئته للنفخ »

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إسرافيل فقال . « له جناح بالمشرق وجناح له بالمغرب ، ورجلاه تحت الارض السابعة السفلي والعرش على كاهله (٢) وإنه ليفكر فى كل يوم ثلاث ساعات فى عظمة الله تعالى فيبكى من خوف الجبار حتى تجرى دموعه كالبحار فلو أن بحراً من دموعه أذن له أن يسكب لطبق بين السموات والارض وإنه ليتواضع ويصغر حتى يصير كالوضع » والوضع طير صغير يشبه العندليب ، والعندليب أصغر ما يكون من الطير ، فالله الله يا معشر من آمن بالله واليوم الآخر استعدوا لقيام الساعة وزلزالها *

قال الله تعالى (إذا زلزلت الارض زلزالها) تتحرك الارض وتتمخض وتتطاير الجبال

---

(١) المنكب كالمجلس مجمع عظم العضد والكتف (٢) الكاهل ما بين الكتفين .

وتنقلع الشجر وتنهدم المبانى فلا يبقى على ظهرها من جبالها وشجرها ونباتها شىء إلا دخل فى جوفها *

قال عكرمة : إنما تقوم الساعة على شر الخلق *

متى ينفخ فى الصور

قال حذيفة : كان الناس يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أنا أسأله عن الشر مخافة أن يصيبني ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول (١) : « فى آخر الزمان فتن كقطع الليل المظلم فاذا غضب الله تعالى على أهل الارض أمرالله تعالي إسرافيل أن ينفخ نفخة الصعق فينفخ على غفلة من الناس فمن الناس من هو في وطنه ومنهم من هو فى سوقه ومنهم من هو فى حرثه ومنهم من هو فى سفره ومنهم من يأكل فلا يرفع اللقمة الى فيه حتى يخمد ويصعق ، ومنهم من يحدث صاحبه فلا يتم الكلمة حتي يموت فتموت الخلائق كلهم عن آخرهم » *

وإسرافيل لايقطع الصيحة (٢) حتى تغور عيون الارض وأنهارها (٣) ونباتها وأشجارها وجبالها وبحارها ، ويدخل الكل بعضه فى بعض فى بطن الارض والناس خمود صرعي فمنهم من هو صريع على وجهه ومنهم من هو صريع على ظهره وعلى جنبه وعلى خده ومنهم من يكون اللقمة فى فيه فيموت وما أدرك أن يبتلعها وتنقطع السلاسل التى فيها قناديل النجوم فتستوي بالارض من شدة الزلزلة وتموت ملائكة السبع سموات ، والحجب والسرادقات ، والصادقون (٤) والمسبحون وحملة العرش والكرسى وأهل سرادقات المجد والكروبيون (٥) ويبقى جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام *

---

(١) فى الاصل: يقولون وهو تحريف (٢) فى الاصل الصحية وهو خطأ
(٣) وذلك مشاهد الآن عند هيجان البراكين ففى طرفة عين تدمر المدن وتندك الجبال او يصبح السهل وعراً والصحراء بحراً . وآخر ما حصل من ذلك زلزال الهند الشديد (٤) فى الاصل . والصافون وهو تحريف (٥) الكروبيون طائفة من الملائكة سموا كروبيون لشدة حزنهم وطول عبادتهم وهم كالاولياء فى الناس .

كيف يموت جبريل

فيقول الجبار جل جلاله يا ملك الموت من بقي ؟ —وهو أعلم — فيقول ملك الموت سيدى ومولاى أنت أعلم بقى إسرافيل وبقى جبريل وبقى ميكائيل وبقى عبدك الضعيف ملك الموت خاضع ذليل قد ذهلت نفسه لعظيم ما عاين من الاهوال . فيقول له الجبار تبارك وتعالى انطلق الى جبريل فاقبض روحه، فينطلق ملك الموت إلى جبريل عليه السلام فيجده ساجداً وراكعا فيقول له: ما أغفلك عما يراد بك يامسكين ، قد مات بنو آدم وأهل الدنيا والارض والطير والسباع والهوام وسكان السموات وحملة العرش والكرسى والسرادقات وسكان سدرة (١) المنتهى وقد أمرنى المولى بقبض روحك ! فعند ذلك يبكى جبريل عليه السلام ويقول متضرعا إلى الله تعالى : يا ألله هون على سكرات الموت . فيضمه ملك الموت ضمة يقبض فيها روحه فيخر جبريل منها صريعا فيقول الجبار جل جلاله من بقى ياملك الموت ؟ وهو أعلم — فيقول مولاي وسيدي بقى ميكائيل وإسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت *

كيف يموت ميكائيل

فيقول الجبار جل جلاله انطلق الى ميكائيل فاقبض روحه فينطلق ملك الموت الى ميكائيل كما أمره الله تعالى فيجده ينتظر الماء ليكيله على السحاب فيقول له ماأغفلك يامسكين عما يراد بك ! ما بقى لبنى آدم رزق ولا للانعام ولا للوحوش ولا للهوام ، قد مات أهل السموات وأهل الارضين وأهل الحجب والسرادقات وحملة العرش والكرسى وسرادقات المجد والكروبيون والصادقون والمسبحون وقد أمرنى ربى بقبض روحك ، فعند ذلك يبكى ميكائيل ويتضرع إلى الله ويسأله أن يهون عليه سكرات الموت ، فيحضنه ملك الموت ويضمه ضمة يقبض فيها روحه فيخر صريعا ميتا لاروح فيه ، فيقول الجبار جل جلاله من بقى ؟ — وهو أعلم — يا ملك الموت فيقول مولاي وسيدى أنت أعلم بقى إسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت *

(١) السدرة الشجرة

كيف يموت إسرافيل

فيقول الجبار تبارك وتعالى انطلق إلى إسرافيل فاقبض روحه ، فينطلق كما أمره الجبار الي إسرافيل فيقول له ما أغفلك يامسكين عما يراد بك ! قد مات الخلائق كلهم وما بقى أحد وقد أمرنى ربى ومولاى أن أقبض روحك ، فيقول إسرافيل : سبحان من قهر العباد بالموت، سبحان من تفرد بالبقاء ، ثم يقول مولاى هون علي مرارة الموت فيضمه ملك الموت ضمة يقبض فيها روحه فيخر ميتا صريعا ، فلو كان أهل السموات فى السموات وأهل الارض فى الارض لماتوا كلهم من شدة رجة (١) وقعته *

كيف يموت ملك الموت

فيقول الجبار تبارك وتعالى من بقى ياملك الموت ؟ — وهو تعالى أعلم — فيقول مولاى وسيدى أنت أعلم بمن بقي ، بقي عبدك الضعيف ملك الموت فيقول الجبار تعالى وعزتى وجلالى لأذيقنك ما أذقت عبادي انطلق بين الجنة والنار ومت ، فينطلق بين الجنة والنار فيصيح صيحة لولا أن الله تبارك وتعالى أمات الخلائق لماتوا من عند آخرهم (٢) من شدة صيحته فيموت ، فتبقى السموات خالية من أملاكها ، ساكنة أفلاكها ، وتبقى الارض خاوية من إنسها وجنها وطيرها وهوامها وسباعها وأنعامها ويبقي الملك لله الواحد القهار الذي خلق الليل والنهار فلا ترى أنيساً ، ولا تحس حسيساً ، قد سكنت الحركات ، وخمدت الاصوات ، وخلت من سكانها الارضون والسموات *

لمن الملك اليوم ؟

ثم يطلع الله تبارك وتعالي إلي الدنيا فيقول : يادنيا أين أنهارك ؟ وأين أشجارك ، وأين سكانك ، وأين عمارك ، أين الملوك وأبناء الملوك ، وأين الجبابرة وأبناء الجبابرة ، أين الذين أكلوا رزقى ؛ وتقلبوا فى نعمتي وعبدوا غيرى لمن الملك اليوم ؟ فلايجيبه أحد ، فيقول تعالى الملك لله الواحد القهار ، فينظر الجبار جل جلاله إلى عباده موتى من بين صريع على خده ومن بين بال فى قبره ثم يقول يادنيا أين أنهارك وأين أشجارك وأين سكانك وأين عمارك

(١) فى الاصل : وجية ولعلها تحريف. (٢) كذا بالاصل ولعلها عن آخرهم.

وأين الملوك وأين الجبابرة لمن الملك اليوم ؟ فلا يجيبه أحد ، فيقول تعالى : لله الواحد القهار فتبقي الارضون والسموات ليس فيهن من ينطق ولا من يتنفس ما شاء الله من ذلك ، وقد قيل تبقى أربعين يوما وهو مقدار ما بين النفختين ، ثم بعد ذلك ينزل الله تبارك وتعالى من السماء السابعة من بحر يقال له بحر الحيوان ماء يشبه مني الرجال ينزله ربنا أربعين عاما فيشق ذلك الماء الارض شـــقا فيدخل تحت الارض الى العظام البالية فتنبت بذلك الماء كما ينبت الزرع بالمطر (١)

كيفية بعث الموتى

قال الله تعالى (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) إلى قوله (كذلك يخرج الموتى) الآية كما أخرج النبات بالمطر كذلك يخرج الموتي بماء الحياة ، فتجتمع العظام والعروق واللحوم والاشعار فيرجع كل عضو الى مكانه الذى كان فيه فى دارالدنيا فتلتئم الاجساد بقدرة الجبار جل جلاله وتبقى بلا أرواح ، ثم يقول الجبـار جل جلاله : ليبعث إسرافيل ، فيقوم إسرافيل عليه السلام حيا بقـدرة الله تعالى فيقول له الجبـار يا إسرافيل التقم الصور وازجر عبادى لفصل القضاء ، فأول ما يحي الله تبارك وتعالى إسرافيل ويأمره أن يلتقم الصور *

صفة الصور

والصور قرن من نور فيه أثقاب على عدد ارواح العباد فتجتمع الارواح كلها فتجعل فى الصور *

(١) اختلف العلماء قديما وحديثا في أنه هل تبعث هذه الاجسام بنفسها أم يخلق الله سبحانه أجساما أخرى من الارض لتلك الارواح ؟ وأرى ترجيح الرأي الاخير لان الاجسام بعد الموت تتحلل إلى اصلها وهو التراب ، ومن هذا التراب تتكون أجسام أخرى وهكذا دواليك منذ نشأة الدنيا الى يوم القيامة ولا بد حتما من ادخال اجسام فى اجسام ، لذلك لا يبعد على قدرة الله تعالى أن ينشىء اجساما اخرى لهـا ما للاجسام الاولى من المميزات لان الروح كما أشار العلامة ابن القيم الجوزية هى المقصودة بالثواب والعقاب

أين يقف إسرافيل

ويأمر الجبار إسرافيل أن يقوم على صخرة بيت المقدس وينادى فى الصور وهو فى فيه قد التقمه والصخرة أقرب مافى الارض الى السماء وهو قوله تعالى (واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب) ويقول إسرافيل فى ندائه : أيتها العظام البالية واللحوم المتقطعة والاشعار المتبددةوالعروق المتمزقة ، لتقمن الى العرض علىالملك الديان ليجازيكن بأعمالكن فاذا نادى إسرافيل عليه السلام فى الصور خرجت الارواح من اثقاب الصورفتنتشربين السماء والارض كأنها النحل يخرج من كل ثقب روح ولا يخرج من ذلك الثقب غيره ، فأرواح المؤمنين تخرج من أثقابها نائرة بنور الايمان وبنور اعمالهاالصالحة ، وأرواح الكفار تخرج مظلمة بظلمات الكفر ، وإسرافيل يديم الصوت والارواح قد انتشرت بين السماء والارض ثم تدخل الارواح فى الارض الى الاجساد فيدخل كل روح الى جسده الذى فارقه فى دار الدنيا ، فتدب الارواح فى الاجساد كما يدب السم فى الملسوع (١) حتى ترجع الى أجسادها كما كانت فى دار الدنيا ، ثم تنشق الارض من قبل رءوسهم فاذا هم قيام على اقدامهم ينظرون الى أهوال يوم القيامة وطوامها ، وإسرافيل عليه السلام ينادى بهذا النداء لا يقطع الصوت ويمده مدا والخلائق يتبعون صوته والنيران تسوق الخلائق الى ارض القيامة *

ملازمة الاعمال للاجساد

فاذا خرجوا من قبورهم خرج مع كل إنسان عمله الذى عمله فى الدنيا لان عمل كل إنسان يصحبه فى قبره ، فان كان العبد مطيعا لربه وعمل عملا صالحا كان أنيسه فى الدنيا ، ويكون أنيسه إذا خرج من قبره يوم حشره يؤنسه من الاهوال ومنهموم القيامة وكروبها ، كلما نظر العبد المؤمن الى نار أو الى هول من أهوال القيامة جزع فيقول له عمله : يا حبيبي ما عليك من هذا شيء ، ليس يراد به من أطاع الله وإنما يراد به من عصى الله تعالى مولاه ثم كذب بآياته واتبع هواه ، وأنت كنت عبدا مطيعاً لمولاك ، متبعاً لنبيك تاركا لهواك فما عليك اليوم من هم ولا حزن حتى تدخل الجنة *

---

(١) الملسوع هو الذي لسعته العقرب والحية ونفثت سمها فيه فيتمشى فى الجسم على مهل إن لم يتدارك بربط العضوالملسوع ويجب بعد ربطه ربطا محكما ان يشرط بموسى لينزل منه الدم ثم يمتصه آخرليس في فمه جروح ويوضع عليه ملح الطعام ويسقي ماء الليمون .

العمل السوء وهيأته

واذا كان العبد خاطئا وعاصيا لذى الجلال ومات على غير توبة وانتقال ، فاذا خرج المغرور المسكين من قبره خرج معه عمله السوء الذي عمل فى دار الدنيا وكان قد صحبه فى قبره ، فاذا نظر اليه العبد المغتر بربه رآه اسود فظيعا فلا يمر على هول ولا نار ولاشيء من هموم القيامة الا قال له عمله : يا عدو الله هذا كله لك وانت المراد به ، وأنشدوا :

أى يوم يكون يوم النشور — يوم فيه يفوز أهل القبور
يوم فيه الجزاء جنة عدن — لمطيع ومن عصى فى سعير
خاب من قد عصى وفازمطيع — راقب الله فى جميع الأمور
قام فى الليل للاله ذليلا — ليس يخلو من خوفه للقدير
خاف من عظم يوم هول شديد — شدة الهول من عذاب الزفير

فالله الله عباد الله ، معشر المريدين انتبهوا من هذا المنام ، واهجروا الفواحش والآثام ، وارجعوا الى طاعة الملك العلام ، من قبل أن يأتى يوم تشقق السماء فيه بالغمام *

إخراج الارض مافيها

قال الله تعالى (وأخرجت الارض أثقالها) يعني مافيها من الموتى والكنوز ، وما أودعها من أعمال العباد ومن مخبآت أسرارهم (١) من أعمال الطاعة وأعمال العصيان . فيأمر الله تعالى أن تخرج أعمال العباد وذلك أن العبد إذا خرج من قبره يجد عمله على شفير قبره ، فان كان عمله صالحا وجده نوراً يستره ويحجبه ، يستر عورته من أعين الناس ويحجبه عن النيران التي تسوق الناس إلى أرض القيامة ، وإن كان عملا سيئا وجده ظلمة سوداء تكون عليه أشد من كل هول يلقاه من أهوال يوم القيامة *

هذا كله فى النفخة الثانية ، وبين النفخة الاولى والثانية أربعون سنة ، فهو قوله (أخرجت الأرض أثقالها) *

---

(١) فى الاصل : سراريهم وهى خطأ ، لان السرارى جمع سرية وهى المرأة يتسرى بها الرجل أى يستمتع بها . وربما تكون محرفة عن سرائرهم

فقل لنفسك يامغرور وقد ترادفت عليك الهموم والكروب ، وأحاطت بك الاهوال والخطوب ، وأظهرت لك القبائح والعيوب ، وأثقلت ظهرك الاوزار والذنوب وأنشدوا :

قد سودت وجهي المعاصي وأثقلت ظهرى الذنوب
أورثني ذكرها سقاما فليس لى فى الورى طبيب
ياشؤم نفسى غداة حشري إذا أحاطت بى الكروب
وصوت داع دعا باسمي أين مفرى وما أجيب ؟
هذا كتاب الذنوب(١) فاقرأ فعندها تظهر العيوب

ذكر أن العبد اذا خرج من قبره وجد عمله السوء حزمة وملك من ملائكة العذاب واقف عليها ، فاذا نظر الى ما قدم فى أيامه قال له الملك : يا عدو الله خذ عملك فاحمله على ظهرك كما كنت تلتذ به فى الدنيا ولم تراقب مولاك ، وقد علمت أنه مطلع عليك ويراك ، فيأخذ العبد المسكين تلك الحزمة فيجدها على ظهره أثقل من جبال الدنيا والنار تسوقه الى الموقف وملك يسوقه سوقا حثيثاً بالعنف والانتهار والاغلاظ عليه ، وآخر يشهد عليه مع علم الله تعالى فيه . وأنشدوا :

كيف احتيالى اذا جاء الحساب غداً وقد حشرت بأثقالى وأوزارى
وقد نظرت الى صحفى مسودة من شؤم ذنب قديم العهد أوطارى
وقد تجلى لهتك الستر خالقنا يوم المعاد ويوم الذل والعار
يفوز كل مطيع للعزيز غداً بدار عدن وأشجار وأنهار
لهم نعيم خلود لا نفاد له يخلدون بدار الواحد البارى
ومن عصى فى قرار النار مسكنه لايستريح من التعذيب فى النار
فابكوا كثيرا فقد حق البكاء لكم خوف العذاب بدمع واكف جاري

فالله الله يا أولى الالباب ، تفكروا فى هول يوم الحساب ، ولاتنسوا المطالبة برد الجواب واشفقوا علي أنفسكم من أليم العذاب ، وارجعوا الى طاعة رب الارباب ، وابكوا على ماسلف من ذنوبكم بانتحاب ٭

(١) اشارة الى قول الله تعالى (وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا)

مدة النفخ في الصور

ذكر أن إسرافيل عليه السلام لايقطع النداء في الصور حتي تخرج الارض جميع مافيها من الموتى ومما أودعها الله تعالى من شيء ، فإذا كمل العباد فى الموقف وكل إنس الارض وجنها ووحوشها ودوابها وطيرها وأنعامها وهوامها حتى الذباب؛ قطع إسرافيل النداء بأمر الله تعالى وذلك بعد تبديل الارض غير الارض والسموات ، ففى تبديلها قولان

هيأة أرض الحساب

أحدهما أن الارض التي يحاسب العباد عليها هى أرض من فضة بيضاء لاجبل فيها ولابناء ولابحار ولاأنهار ولا أشجار ، ماسفك عليها دم ولاعصى الله تعالى عليها يأتى بها من غامض علمه ويقول لها كونى فتكون ، وقد أضرم تحتها النيران وتكون هذه الارض (١) فى عظم تلك الارض مثل الشعرة البيضاء فى الثور الاسود *

وقد قيل : إن تبديل الارض هدم مبانيها ، وغور مياهها ، وانقطاع أشجارها ، وتسجير بحارها ، وتسيير جبالها ، وتبديل السماء ، وتكوير شمسها وقمرها ، وانكدار نجومها ، وتعطيل أفلاكها ، وتشققها . فهذه تبديل الارض والسموات والله أعلم بحقيقة ذلك *

كيف يقف الناس فى المحشر

فاذا قطع إسرافيل عليه السلام النداء وقف الخلائق كل واحد منهم ينظر الى السماء ولا يرتد اليه طرفه ولا يدرى أحد من يقف بجواره لارجل ولا امرأة ولايدرى الاخ باخيه ولا الوالد بولده ولاالأم بابنها . كل انسان منهم مشغول بما هو فيه من عظيم الأهوال ، وكل واحد منهم يفكر فيما قد جاء به من العصيان ، وفرط فيه من الطاعة والنسيان ، فالكل ينظر الى ماينزل به الامر من السماء من شقاوة أو سعادة *

(١) أى الارض التى نعيش الآن عليها ، وللعلامة ابن القيم الجوزية بحث طريف فى كتابه مفتاح دار السعادة فى أن أرض الحشر هى أرض الدنيا وفى أن الجنة والنار موجودتين الآن أم سوف يوجدا ، أتى فيه بالعجب العجاب *

مقدار زمن الحشر

ويقال والله أعلم : إن الوقوف يكون مقدار ثلاثمائة سنة من سنين الدنيا لاخبر يتنزل ولاخبر يصعد . قد كثر الزحام فلا تسمع الا همس الاقدام حيارى نادمون فيما فرطوا فيه من استزلال القدم ، يومئذ لاينفع البكاء ولا الندم . وأنشدوا :

ليس فى الدنيـا لمن آ من بالبعث سرور
إنمـا يفرح بالدنـ يا جهول أو كفور
إنمـا الدنيا متاع كل ما فيها غرور
فتذكـر هول يوم السما فيه تمور (١)

بكاء النبي من أهوال القيامة

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خوفنى جبريل عليه السلام من أهوال يوم القيامة حتى أبكانى فقلت له حبيبي جبريل أليس قد غفر الله لى ماتقدم من ذنبي وما تأخر ؟ فقال يامحمد لتشاهدن من الاهوال يوم القيامة ما ينسيك المغفرة ، فبكى رسول الله ﷺ حتى بلت دموعه لحيته » فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى من هول يوم الحساب وقد أمنه الجبار من أليم العذاب ، ووعده بالجنة وحسن المآب ، فكيف بامثالنا المساكين ؟ وكيف بمن ترك الحق والصواب ، وخالف السنة والكتاب ، وأطاع الشيطان وأفنى عمره في معصية الملك الوهاب ؟ وقد قيل فى قوله تعالى : (كلا إذا دكت الارض دكا دكا) هو تحريكها ، وقيل دكا دكا إذهابا *

معنى دك الارض وانشقاقها

سئل بعض العلماء عن معنى تكرار هاتين الكلمتين ، دكا دكا وصفا صفا ؟ فقال : تدكدك الارض دكا بعد دك ، أى تحرك مرة بعد أخري حتى لايبقى عليها أثر من بناء أو جبل أو شجر . وقوله صفا صفا ، تأتى الملائكة صفا بعد صف كل ملك قد شغل بنفسه لعظم مايرى من ظهور الاهوال . فاذا كثر زلزال الارض (فحملت الارض والجبال فدكتا

(١) تمور بمعني تموج . قال الضحاك : تموج موجا . وقال أبو عبيدة والاخفش : تسكفأ .

دكة واحدة) حتى تنقطع الجبال من أصولها وتنشق الارض وتغور فيها أنهارها وعيونها ويدخل فيها كل قصر شديد(١) من بين قديم وجديد ، فياله من يوم ما أهوله ومن بلاء ماأطوله ، ومن جبار ماأعدله . قد أفنى العباد بالحمام (٢) فلا يري أحد من الانام . فاذا استوى الأولون والآخرون فى أرض القيامة أمر الله تبارك وتعالي السموات أن تنشق فتنشق كل سماء وتتقطع مثل قطع السحاب ، وقيل كما يتطاير القطن بين يدي القطانين اذا ندفوه *

فمثل لنفسك صوت انشقاقها فى سمعك ، وكيف يثبت له فؤادك ، ويستقر لفظاعة هوله قدمك ، فقدم فى أيام حياتك مايقيك تلك الاهوال لأن الخلق فى أهوال يوم القيامة على قدر أعمالهم فى الدنيا من خير وشر ، فمن عمل صالحا وخاف من ربه وخاف من هول ذلك اليوم أمنه مولاه من جميع أهواله وكروبه ، ومن لم يقدم فى دنياه عملا صالحا لأخراه لقيته صعاب الخطوب ، وترادفت عليه الهموم والكروب ، فيندم حين لاتنفعه الندامة إذا حل فى أهوال القيامة *

الأمن والخوف

روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يقول الله تبارك وتعالى اذا خافنى عبدي فى الدنيا أمنته يوم القيامة وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة » فاذا انشقت السموات بلغت القلوب الحناجر ، وأيقن كل عبد وأمة أنه قادم على ما عمل فى الظواهر والسرائر ، اذا انشقت السماوات عظمت المصائب ، وكثرت النوائب ، وندم العبد على ما فرط فى الدنيا وضيع من الثواب والرغائب *

فاذا انشقت السماوات عظمت الرزيات ، وكثرت الآفات ، وظهر العذاب وحلت العقوبات ، وأظهر الله مخبآت السريرات ، وندم العبد المغرور على ماأذنب فى الايام والاوقات ، وماجنى فى الشهور والساعات *

فاذا انشقت السماوات كثرت الاحزان ، وبرزت النيران ، وأزلفت الجنان ، وندم العاصى على ما عمل من العصيان ، وعلى مافرط فيه من طاعة الرحمن فانتبهوا لهذه الاهوال يامعشر الاخوان ، ياأهل الاسلام والايمان ، فان الهول والله عظيم ، والخطب كبير جسيم *

---

(١) لعله يريد كل قصر مشيد. (٢) الحمام الموت *

ملائكة سماء الدنيا

فاذا انشقت السماوات وتقطعت ونزلت الملائكة باجمعها ، فاذا نزلت ملائكة سماء الدنيا فزع منهم أهل الارض وظنوا أنهم قدأمر فيهم بأمر ، فتقول لهم ملائكة سماء الدنيالاتجزعوا منا فانا نخاف من الذي تخافون ، وتكون ملائكة سماء الدنيا أكثر من أهل الارض إنسها وجنها وأنعامها وطيرها ووحشها وجميع خلق برها وبحرها سبعين ضعفا ، فتبقى العباد يموج بعضهم فى بعض *

ملائكة السماء الثانية

ثم ينزل ملائكة السماء الثانية وهم أكثر عددا وأعظم خلقا ممن اجتمع فى الارض سبعين ضعفا ، فتجزع منهم ملائكة سماء الدنيا وجميع من في الارض فيقولون لهم لاتجزعوا نحن مشغولون بانفسنا ونخاف مما تخافون منه . فلا تزال ملائكة كل سماء تنزل ويجزع منهم جميع من سبقهم ، ويكون أهل كل سماء أكثر وأعظم ممن سبقهم سبعين ضعفا . وكان أهل كل سماء فى صف واحد على حدة كل واحد منهم قد شغل بنفسه من عظيم مايري ومايبدو له . وأنشدوا :

يا غافلين أفيقوا قبل بعثكم ... وقبل يؤخذ بالاقدام واللمم
والناس أجمع طرا شاخصون غدا ... (١) لاينطقون بلابكم ولا صمم
والخلق قد شغلوا والحشر جامعهم ... والله طالبهم بالحل والحرم
وقد تبدى لاهل الجمع كلهم ... وعد الآله من التعذيب والنقم
وكل نفس لدي الجبار شاخصة ... لا ينطقون بلا روح من الزحم (٢)

الجبابرة فى الحشر كالذر

روى أن الجبابرة يحشرون يوم القيامة على صورة الذر (٣) أصغر الناس خلقة لتجبرهم

---

(١) فى الاصل : عرا بالمهملتين (٢) الزحم ، الزحام والزحمة وازدحم القوم اجتمعوا كثيرا .
(٣) الذر صغار النمل ، وقد وردت جملة أحاديث تؤيد ذلك وخصوصا فى قصة الاسراء عند الكلام على رؤيته صلى الله عليه وسلم للعصاة والمذنبين *

على العباد فى الدنيا قد صارت العزة للغنى الحميد ، ولزمت الذلة كل جبار عنيد ، وشيطان مريد قد ترادفت عليهم الهموم والاهوال ، وظهرت لهم العقوبات والانكال ، وندم كل مذنب بطال ، فحينئذ لاحيلة لمحتال (فى يوم لابيع فيه ولاخلال) شعر :

مقام المذنبين غداً عسيرا اذا ما النار قربها القدير
وقد نصب الصراط لكى تجوزوا فلا ينجو الكبير ولاالصغير
وقد نسفت جبال الارض نسفا ويبست البحور فلا بحور
وبرزت الجحيم لكل عبد على أهل المعاد لها زفير

عباد الله تفكروا واعتبروا ، وابكوا وتباكوا ، واستعدوا لليوم الثقيل ، والهول الكبير ، والخطب الجليل ، والعذاب الشديد الطويل *

حديث فى اهوال يوم القيامة

ذكر فى بعض الاخبار عن النبي المصطفى المختار ﷺ وعلى آله الاخيار دوام اختلاف الليل والنهار أنه قال : « ليوم القيامة مائة الف هول كل هول أعظم من الموت مائة الف مرة » فاندم يامسكين على ماصنعت وفات ، وأصلح بالتوبة النصوح ماهو آت ، من قبل أن يأتى يوم لامرد له من الله ليس للظالمين من نصير ، ولا للعاصين من مجير ، ولا لأحد من ملجأ ولا نكير *

شدة الحر والظل

فاذا تكامل أهل السموات ، وأهل الحجب والسرادقات ، وحملة العرش والكرسى وجميع أهل الارض فى عرصة القيامة وازدحمت الخلائق واختلفت الاقدام ، وشخصت الاحداق وتطاولت الاعناق ، واثنت من شدة العطش ، واجتمع زحام الخلائق وأنفاسهم وشدة حر الشمس وضيق البأس ، ارتفع العرق على وجه الارض حتى يعلو على الابدان ويعم العباد على قدر منازلهم ورتبتهم التى أنزلتهم عليها أعمالهم التى عملوها فى دار الدنيا ، وقد زيد فى حر الشمس مايتضاعف قيل حر عشر سنين — ولاظل يومئذ إلا ظل العرش فلا يصيب منه عبد ولا أمة الا على قدر عمله ، فكم بين مستظل ناعم بظل العرش وبين صاح باد بحر الشمس ؟!

مطر الرحمة

وقد قيل : إن الله تبارك وتعالى يمطر يوم القيامة الغيث على طائفة من عباده وترمى جهنم شررها على طائفة أخرى ، فكم من مستريح ببرد ماء الامطار وبين ملتهب بحر شرر النار؟ فمن قطع عمره فى الدنيا بطاعة الرحمن وعمل بالسنة والقرآن ، خلصه مولاه من جميع الهموم والاحزان *

ترهيب من أهوال الحشر

فمثل لنفسك وقد نظرت للجبال قد تقلعت من أصولها وصارت مثل السراب ، وتقطعت السموات وتطايرت مثل قطع السحاب ، وقد أيقن كل فاجر وكافر بالحلول فى أليم العذاب ، وقد صارت العزة لذى البطش الشديد ؛ ولزمت الذلة (١) كل جبار عنيد ، ثم رجعت السماء كالمهل — وهو دردى الزيت الذى يجلس فى قعر الاناء (٢) قيل ترجع السماء كالدهن الرقيق وترجع الجبال كالعهن المنفوش وهو أضعف مايكون من الصوف وتصير الخلائق كالفراش وهو البعوض وقيل كالجراد المنتشر إذا خرجت عليه الشمس لايأخذ بجهة واحدة . كذلك الخلق يموج بعضهم فى بعض لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه . قد اجتمعت القيامة بأهوالها ووضعت الحوامل أحمالها ، وزلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها ، وشهد على الامم بأعمالها . وشاب الوليد ، وحضر الوعد وحق الوعيد ، وعظم الهول الشديد ، وذل كل متكبر وجبار عنيد . قد خضعت الرقاب لرب الارباب ، وخاب كل كفار كذاب ، واشتد الهول وعظم العذاب ، فتفكروا فيما تسمعون يامعشر الاحباب ، وانظروا لانفسكم يا جماعة الاخوان والاصحاب ، واستعدوا لاهوال القيامة ياأولى العقول والالباب . وأنشدوا :

مثل لقلبك أيها المغرور يوم القيامة والسماء تمور
قد كورت (٣) شمس النهار وأضعفت (٤) حرا على روس العباد تفور

---

(١) فى الاصل ولزمت العزة وهو خطأ (٢) والمهل أيضا النحاس المذاب والمهل القيح والصديد (٣) كورت الشمس قال ابن عباس : غورت . وقال قتادة : ذهب ضوؤها . وقال ابو عبيد مثل تكوير العمامة تلف فتمحى (٤) اضعفت أى زيد عليها مثلها او اكثر يريد أن الشمس زادت حرارة بعد تكويرها

وإذا الجبـال تعلقت بأصولهـا فرأيتها مثل السحاب تسير
واذا النجوم تسـاقطت وتناثرت وتبـدلت بعد الضياء كدور
وإذا العشار تعطلت عن أهلها خلت الديار فما بها معمور
وإذا الوحوش لدي القيامة أحضرت وتقول للاملاك أين نسير
فيقال سيروا تشهدون فضائحا وعجائبا قد أحضرت وأمور
واذا الجنين بأمه متعلق خوف الحساب وقلبه مذعور
هذا بلا ذنب يخاف لهوله كيف المقيم على الذنوب دهور ؟؟

جهنم فى المحشر

فاذا اشتدالفرق ، وسال العرق ، أمر الجبار جل جلاله أن يؤتي بجهنم أعاذنا الله وإيا كم منها وزحزحنا وإياكم عنها برحمته ، فيؤتي بهاوأهوالها وأنكالها وسلاسلهاوأغلالها ، وقد اشتد جحيمها وغلا حميمها وكثر زقومها وغضب زبانيتها وعظم سم حياتهاوعقاربهاواسودت جبالها وهاجت بحارها ونتن غسلينها وغلى سمومها وقد اجتمعت مما خلق الله فيها من عظيم بلائها ، فابرزت للخلائق وهم ينظرون اليها من مسيرة خمسمائة عام ٭

وصف جهنم

قال الله تعالى : (وبرزت الجحيم لمن يرى) فيراها الخلائق كلهم وهى تغتاظ على العباد ، وتغضب لغضب الجبار جل جلاله وتتغيظ وتتسعر ، عليها سبعون ألف زمام من حديد قد تعلق بكل زمام سبعون ألف ملك من ملائكة النار يحبسونها عن الخلائق وهى تريد أن تنفلت من أيديهم وتأتى على أهل الموقف والملائكة الذين يحبسونها وجوههم مثل الجمر وأعينهم مثل البرق الخاطف ؛ فاذا تكلم أحدهم تناثرت النار من فيه ، بيد كل واحد منهم أرزبة من حديد من نار فيها اثنان وسبعون ألف رأس من نار كأمثال الجبال الراسيات العظام ورؤسها كرؤس الافاعي وهي أخف فى يدي الملك من الريشة وأعينهم زرق ووجوههم كلحة قدخلقوامن نار السموم فتريد جهنم أن تنفلت من أيدى الملائكة من غضب الجبار جل جلاله٭

هذا كله قاله الضحاك عن الائمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم

بطش جهنم

فاذا جاءت جهنم بأمر الله تبارك وتعالى جاءت بالهول الاكبر والفزع الاعظم فيخرج من

نفسها وهج شديد ويسمع من جوفها دوي سلاسل الحديد . فاذا قربت من الخلائق سمعوا لها شهيقا وزفيرا وأولها حريقا ، فاذا نظرت فى أهل المعاصى ثارت وفارت وأرادت أن تثب عليهم فاغتاظت وتمحمحت اليهم (١) وأرادت أن تأتي على جميع الخلائق وتريد أن تنفلت من أيدى الخزان فتهرب الخلائق فلا يجدون منفذاً ولا مكانا يستغيثون اليه ، ومنادي ينادى (يامعشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان) أى بحجة — ثم ترجع جهنم بسلطانها على خزانها لشدة غضب الجبار على من عصى الله وخالف رسوله ، فاذا انفلتت من أيدى الزبانية أرادت أن تقبض على كل من في الموقف فيعرض لها صلوات الله وسلامه عليه محمد الرسول وكل نبي يومئذ بنفسه مشغول *

رد الرسول جهنم عن الخلائق

فيأخذ محمد ﷺ بزمامها ، ويقبض على خطامها ، فيردها على خطامها ، فيردها علي عقبها وهو ﷺ يقول لها : كفى عن أمتى ، فتخمد من نوره ﷺ وتناديه أيها النبي المكرم والرسول المشرف المعظم ، خل سبيلي من يديك ، فما جعل الله لى ولا لغيرى من سلطان عليك فيناديها الملك الجليل الجبار ، هذا محمد حبيبي سيد الابرار ، ووزير الاخيار ، فالطاعة لمن له الوسيلة والشفاعة فعند ذلك تضع جهنم رأسها (٢) خاضعة كالحة كليلة تحت سكون وخمود باذن الملك المعبود ، لمحمد ﷺ صاحب الحوض المورود ، والمقام المحمود ، واللواء المعقود ، والكرم والجود ، وإقامة الحقائق والحدود . ولو تركها خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، لاهلكت الخلائق أجمعين ، غضبا لغضب رب العالمين . أعاذنا الله وإياكم برحمته منها إنه أرحم الراحمين *

جهنم وزفيرها

وقيل إن جهنم أعاذنا الله منها ، وزحزحنا وإياكم برحمته عنها ، اذا نظرت الى الكفار

---

(١) كذا بالاصل ، ولعلها محرفة عن حمحمت اليهم بمعنى طلبتهم كما يحمحم الفرس اذا طلب العلف ، واما تجمجم بالجيم فبمعنى لم يبين عن غرضه ، والكتاب طمس حروفه *

(٢) كل ماورد فى هذه الفصول هو تشبيه بقدر ماتدرك العامة ، وإلا فليس لجهنم رأس او ذنب تقادبه أو تساق كالابل ، بل ذلك موضوع للتهويل بقدر ماتفهم العامة ، وقد ورد مثل ذلك فى القرآن الكريم (طلعها كأنه رؤس الشياطين) مع أن العرب لم تشاهد رؤس الشياطين وإنما تشبهوها بعين الخيال

والمنافقين والفجار ، وأصحاب الخطايا والأوزار ، زفرت زفرة فترمى شررا على رءوس الخلائق مثل عدد نجوم السماء وزبد البحور ورمل البر ، فتقع على رءوس الكافرين والعاصين لرب الاولين والآخرين . فلو كانت الدنيا باقية لانهارت جبالها ، وجفت أزهارها ، ويبست عيونها وأنهارها ، من شدة حرشرر جهنم ، ولو كان ثم موت لمات الخلق كلهم ٭

الزفرة الثانية

ثم تزفر أخرى أعظم من الاولى فلا تبقى دمعة فى عين الا قطرت ويغلب بياض العين على سوادها ، وتبلغ القلوب الحناجر ، ولا يسأل أحد الا نفسه البر والفاجر ٭

الزفرة الثالثة

ثم تزفر الثالثة وهى أعظم من الاولى والثانية فلا يبقي ملك مقرب ولا نبى مرسل ولا ولى ولا صديق الا جثا على ركبتيه حتى ابراهيم وجميع المرسلين إلا ما خلا من حبيب رب العالمين محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فانه لا يسأل عن هول النار قد خلصه الله من أهوالها ٭

الزفرة الرابعة

ثم تزفر الرابعة وهى أعظم من الاولى والثانية والثالثة فتلقى الزبانية على وجوههم أجمعين وتفر الخلائق كلهم هاربين ، ويتعلق جبريل وميكائيل عليهما السلام بساق العرش وكل ملك ينادى نفسى نفسى لا أسألك اليوم غيرها . ويقول أيضاً كل واحد منهم بحرمة محمد وبقدر محمد صلى الله عليه وسلم نجنى من عذابك لما يرون من حرمته وجلالة قدره وعظيم منزلته عند ربه فاذا هرب الخلائق وجهم تريد أن تأتى عليهم وقد غلا بعضها فى بعض ويقلب بعضها على بعض ولا يبقى غل ولا سربال ولا سلسلة ولا قيد ولا حية ولا عقرب الا ألقت الكل على متنها ٭

بماذا تخمد النار

فعند ذلك يقبل اليها محمد صلى الله عليه وسلم ويلقى يده فى زمامها ويلوح اليها بحلة خضراء فتخمد من نور وجهه المبارك وهو صلى الله عليه وسلم يضرع الى العلى المجيد وهو يقول : يا سلام سلم أمتى من العذاب الشديد . وأنشدوا :

الدمع فى خد من عصى حسن حسب الفتى من دموعه الحزن
يا من شكى حافظاه حلوته لما خلا والعباد ما فطن
قد كان ربي عليك مطلعا وانت لاهي الفؤاد مفتتن
لم تهتك السر إذ خلوت به ولا انقضت من عطائه المنن
النار تسعى إلى العصاة غداً لم يعلم المذنبون ما وسن (١)

ياقوم العجب من القلوب التى بليت بالعباد ، وغفلت عن أهوال يوم المعاد ، وتمادت على معصية الرب الكريم الجواد *

يا أخى كأن المراد بهذا كله غيرنا . ليبعث الجبار الذليل والحقير ، ويسألهم عن الفتيل والنقير ، وعن الذرة والقطمير ، وعن القليل والكثير ، فى اليوم المهول العبوس العسير ، الذى يشيب من فظاعة هوله الطفل الصغير ، رفق الله بنا وبكم في ذلك اليوم إنه على ما يشاء قدير *

ثم يبعث الله تعالى جبريل عليه السلام إلى جهنم فيقول لها : الله تعالى يقول لك الطاعة . فتقول وعزة الله وعظيم جلاله لأنتقمن اليوم ممن لم يعمل بطاعة الله واستعان بنعمته على معصيته . ثم تقول : ياجبريل هل خلق الله خلقاً يعذبنى به ؟ فيقول جبريل : لا ما خلقك الله تعالى إلا نقمة لمن عصاه . فتقول جهنم عند ذلك : الحمد لله الذى جعلنى نقمة لمن عصاه ولم يجعل من خلقه من ينتقم منى . عند ذاك والله تعظم الخطوب ، وتظهر القبائح والعيوب ، ويندم أهل المعاصى والذنوب . وأنشدوا :

ليس فى الدنيا لمن أمن بالبعث سرور

فانالله وإنا اليه راجعون على من باع نفسه فى سوق الخسران ، وترك العز ورضى بالهوان وبذل مهجته لعذاب النيران ، وبارز بالخطايا الملك الديان .

من أسباب غفران الذنوب

حكى عن بعض العارفين رحمه الله أنه قال : حضرت سنة من السنين الوقوف بعرفات فاذا

(١) كذا بالاصل وقد أشرنا فيما سبق أن جميع الاشعار الواردة فى الكتاب هى للزجر والترغيب لم يراع فيها دقة الوزن والمقاطع

بضجة الناس ، فتذكرت يوم القيامة وذكرت رحمة الله فأردت أن أحلف أن الله قد غفر لكل من فى الجمع فذكرت أنى فيهم فأمسكت . وأنشدوا :

يا كثير الذنوب أقصر قليلا   قد بلغت المدي من الاسراف

فاذا اشتد بالخلائق الهلع ؛ وكثر منهم الخوف والجزع ، وبلغت القلوب الحناجر ، من خوف من يعلم الظواهر والسرائر ، نادى الملك الرحمن ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون . فاذا سمع الخلائق هذا النداء طمع كل منهم فيه . فيقول سبحانه (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) فعند ذلك ييأس من الرحمة جميع الكفار والمنافقين والفجار ، ويطمع فيها من آمن بالواحد القهار ، واتبع سنة محمد المختار . عند ذلك تنشر الدواوين ، وتوضع الموازين وتتطاير الصحف فى الالف (١) فكل امرىء بما اكتسب معترف ، فندم الظالم ، وخسر الآثم ، وظهرت فى الصحائف الفضائح ، وكثر الخجل واشتد الوجل وبدت الفضائح ، وشهدت على كل امرىء حفظته والجوارح . وأنشدوا :

طال والله بالذنوب اشتغالى   وتماديت فى قبيح فعالى
ليت شعرى إذا أتيت فريداً   والموازين قد نصبن حيالى
والدواوين قد نشرن وجئنا   والنبيون يشهدون سؤالى
ما اعتذارى وما أقولى لربى   فى سؤالى وما يكون مقالى
أورثتنى الذنوب دار هموم   لست أبقى لها ولا تبقي لى
يا عظيم الجلال مالى عذر   بل حقيق أنا بنار السفالى (٢)
غير أن الرجاء فيك مكين   فارحم العبد يا جميل الفعال
وتفضل على عبيد مسىء   ليس يرجو سواك يا ذا الجلال

(١) كذا بالاصل ، ولعلها محرفة عن الاكف أو عن الموقف . وقد جاء فى القرآن الكريم (وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) وقال بعض المفسرين : إن الصحف تتطاير يوم القيامة مثل ورق الشجر وكل صحيفة تقع على صاحبها وتلتصق بعنقه

(٢) كذا وردت بالاصل ، ولعله يريد بأسفل دركات النار فاضطرته القافية لهذا اللفظ على غير قياس

هذايوم الدين

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال . « إذا جمع الله تبارك وتعالى الاولين والآخرين نادى مناد هـذا يوم الدين ، هـذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون » فانظر لنفسك يا مسكين ، يا ضعيف الايمان واليقين ، يامن يقول إنه من المؤمنين المصدقين . وهو يعمل أعمال المكذبين المخالفين ، التاركين لسنن سيد المرسلين وخاتم النبيين . ما أجرأك أن تكون عند الله من الكاذبين ، لو خفت من عذاب يوم الدين ، لعملت بالقرآن المبين ، ولو كنت من المؤمنين المصدقين ، لاطعت رب الاولين والآخرين . فسل مولاك أن يفرج عنك ماقد نزل بك من داءالذنوب ، وهتك سترك من القبائح والعيوب . وأنشدوا:

يا طبيب الذنوب والآثام ... هل دواء أبرأ به من سقامى ؟
إن داءالذنوب أضعف جسمي ... ومشيبي موكل بحمامى
وشفائى أعيا الاطباء إنى ... قد تغذيت مدتى بالحرام
وركبت الذنوب سرا وجهرا ... وتباعدت من محل الكرام
كيف بالطب أن يعالج سقمى ... وكلامى يزيد قرح كلامى (١)
أيها الناس قد علمتم ذنوبي ... واغترارى وشقوتي واجترامى
وأنا أرغب الدعاء فجدوا ... فى فكاكى من الذنوب العظام
واشتياقى إلى الطواف شديد ... وإلى الركن والصفا والمقام
وإلى يثرب يحن فؤادى ... كى أزور النبى خير الانام
فسلوا الله فى الوصول فانى ... ذو اشتياق لحج بيت حرام
فلعل الاله يغفر جرمى ... وينجى من هول يوم القيام
ويفك ذو الجلال عبدا ضعيفا ... مات خوفا من العذاب الغرام (٢)

(١) الاولى كلامه أى ألفاظه بفتح الكاف ، والثانية بكسرها أى جروحه .

(٢) كذا وردت بالاصل ، ولعله يريد العذاب الغريم أى الملازم فاضطرته القافية لذلك وقد سبق أن نبهنا على أن هذه الاشعار هي ألفاظ عامية يلاحظ فيها المعنى لا التركيب البديعى .

موعظة كعب الاحبار

روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب : يا كعب خوفنا . فأطرق برأسه ثم رفع رأسه وعيناه تذرفان دموعا فقال : يا أمير المؤمنين والذى نفس كعب بيده إن جهنم لتزفر زفرة فتقطع السلاسل التى بأيدى الزبانية الذين يمسكونها بها حتي تفيض على أهل الجمع وتلقي الزبانية على وجوههم وينهزم مالك خازنها من بين يديها ، فلو كان لكل آدمى عمل مائة ألف نبي ومائة ألف صديق ومائة ألف شهيد ، لحقر عمله ولظن أنه لا ينجو منها . فعند ذلك يعرض لها النبي صلى الله عليه وسلم وقد أشرقت القيامة من نور وجهه فيأخذ بزمامها ويقول لها : كفى عن أمتى ، كفى عن أمتى ، ثلاثا . فتقول له : ياأيهاالنبى الكريم والرسول الرءوف الرحيم ، ماجعل الله لى عليك ولاعلى أمتك من سبيل . فعند ذلك يتعلق العبد المذنب إذا رأى الاهوال العظام بالنبي عليه الصلاة والسلام فيقول : يا رسول الله أنقذنى من عذاب الله . فيقول له ألم أبلغك رسالة ربى فلم عصيت ؟ فيقول له العبد المذنب : يا رسول الله غلبت على شقوتي . فيقول صلى الله عليه وسلم : لا شقوة على أحد من أمتى ، ولا على من قال فى الدنيا مخلصا : لا إله إلا الله محمد رسول الله . فيشفع له إلى الله تعالى فيشفعه فيه . وأنشدوا :

ألا أكرم بأحمد ذى الايادى — شفيع الناس فى يوم التنادى
إذا نشر الخلائق من قبور — عراة يبتغون ندا المنادى
وقربت الجحيم لمن يراها — فيا لله من خوف العباد
وقد زفرت جهنم فاستكانوا — سقوطا كالفراش وكالجراد
وقد بلغت حناجرهم قلوب — وقد شخصوا بأبصار حداد
فياجبار عفوا منك فالطف — ويا رحمن رفقا بالعباد
ونودوا للصراط ألا هلموا — فهذا ويحكم يوم المعاد
تسوقكم اليه سوق عنف — مقامع من زبانية شداد
ألا يا معشر الاسلام هبوا — من الاغفال فى غمر الرقاد

حديث فى الترهيب

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « كل عين باكية يوم القيامة الاعين بكت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله، وعين باتت تحرس فى سبيل الله »

فقدموا عباد الله فى اليسير من الأيام، مايقيكم الأهوال العظام، والخطوب الجسام، والزلازل والطوام، والعذاب الغرام، فان العمر يسير، والأجل قصير، والزاد قليل، والهول جليل، والعذاب طويل، واليوم مهول ثقيل. فانا لله وإنا إليه راجعون على من قطع أيامه فى العصيان، واستبدل الجنة بالنيران، والربح بالخسران، وترك العز ورضى بالهوان، وعوض عن الزيادة النقصان، ففكر فيما تسمع أيها الانسان، وأنا وأنت وكلنا ذلك الانسان وأنشدوا :

مقام المذنبين غداً ذليل   وقدر الطائعين غداً جليل
إذا مد الصراط على جحيم   تصول على العصاة وتستطيل
ونادى مالك أخذ من عصاني   فانى اليوم لست لهم أقيل

سجود جهنم

ذكر فى بعض الأخبار أن جهنم أعاذنا الله منها، وزحزحنا برحمته عنا، تستأذن يوم القيامة فى السجود فيأذن لها فتسجد ماشاء الله من ذلك ثم يقال لها ارفعى رأسك فترفع رأسها وهى تقول : الحمد لله الذى خلقنى لينتقم بي ممن عصاه، ولم يجعل شيئا من خلقه ينتقم به منى *

آلهي قد اشتد بلائى وأخمدت ناري، وغلا حميمي وزقومى، وكثر نتنى وغسلينى (١) وأكل بعضى بعضا. الهى عجل على بأهلى فوعزتك لأنتقمن لك ممن عصاك واتبع هواه وجحد آياتك وكذب رسلك وجعل معك إلها غيرك لا إله إلا أنت. فتنادى نداء يسمعه أهل الموقف جميعا ثم تغتاط على أهل المعاصى فترمى بشرر (٢) كعد النجوم فى السماء وزبد البحر ورمل البر ونبات الأرض على رؤس الخلائق فيقع على رؤس العصاة فمن كان له عمل صالح صار حجابا بينه وبين شرر جهنم، ومن لم يكن له عمل صالح صار رأسه غرضاً لشرر جهنم أعاذنا الله منها وزحزحنا عنها برحمته . يارب العالمين آمين *

(١) الغسلين : هو ما انغسل من لحوم أهل النار ودمائهم وزيد فيه الياء والنون

(٢) وفي القرآن الكريم (إنها ترمى بشرر كالقصر) وفسره ابن عباس بأعناق النخل . وقال الزمخشرى : أعناق النخل وأعناق الابل . وقال الهروى : أعناق الابل *

- ٣ - مجلس فى ذكر الميزان والصراط

قال الله سبحانه وتعالى (ونضع الموازين القسط (١) ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً) الآية عباد الله مالقلوبكم لا تخشع ، وما لآذانكم لا تسمع ، ومالدعائكم لا يسمع ، وما لعيونكم لاتدمع ، ومالبطونكم من السحت (٢) والحرام لاتشبع ، وما لعملكم المحمود لايرفع إخوانى من شغل نفسه بخدمة المعبود المحمود؟ من خاف من ورود النار وبئس الورد المورود ؟ *

افتخار الوحوش على بنى آدم

ذكر فى بعض الأخبار أن الوحوش تجتمع يوم القيامة فتخر ساجدة فيقال لها ماهذا يوم السجود ، فتقول إنما سجدنا شكرا لله الذى لم يجعلنا من ولد آدم وجعلنا ممن يشهد فضائح بنى آدم *

فالله الله يا إخوانى اقبلوا النصيحة ، قبل يوم الخجل والفضيحة *

فاذا كان يوم القيامة وجاءت جهنم بأهوالها يضرب الصراط على متنها طوله خمسمائة عام ، وقد قيل طوله ستة وثلاثون الف سنة من سنين الدنيا ، أرق من الشعر ، وأحد من الموسى ، وقيل أحد من السيف وأحر من الجمر . وقد قيل إنه شعرة من جفن مالك خازن جهنم يمدها على متن جهنم عليه حسك (٣) وكلاليب قد تعلق بكل كلوب منها عدد نجوم السماء من الزبانية لو أن واحداً منهم أذن الله له أن يتنفس فى الدنيا لاحرقها بانسها وجنها وجميع ماذرأ الله فيها ولأذاب جبالها وجفف بحارها *

صفة الصراط

والصراط أسود مظلم من شدة سواد جهنم فلا يجوز يومئذ إلا من كان له نور، ولا يكون النور يومئذ إلا من الاعمال الصالحة ، فمن عمل عملا صالحاً نجاه من النار ، وجاز إلى دار الراحة والقرار . ومن لم يقدم فى الدنيا عملا صالحاً حجب عن النظر إلى وجه الجبار ، وهوى

(١) القسط : العدل ، والقسط أيضاً الحصة والنصيب (٢) السحت : بسكون الحاء وضمها الحرام وأسحت فى تجارته إذا اكتسب السحت . (٣) الحسك شوك السعدان ، والحسك أيضاً مايعمل من الحديد على مثاله للمحاربين . والكلاليب آلة من الحديد كالخطاف *

فى دار الندامة والبوار . فى دار عذابها سموم، وشرابها حميم(١) وظلها لا بارد ولا كريم ، وطعامها الزقوم(٢) يتردى والله فى دار عذابها أليم ، ومسكنها جحيم ، وساكنها أبدا فى العذاب مقيم يتردى والله فى نار قعرها بعيد ، وعذابها شديد ، وشرابها صديد ، ومقامعها حديد ، وما هى من الظالمين ببعيد . وأنشدوا :

أما آن يا أخ أن تستفيقا ... وأن تتناسى الحمى والعقيقا
وقد ضحك الشيب في عارضيـ ... ـك وبانت مساويك فيه بروقا
وركب أتاهم وقد عرضوا ... على أتباع المنايا طروقا (٣)
أدارت عليهم كؤوس الحمام ... صبوحا (تلازمهم) أو غبوقا(٤)
وما زال فيهم غراب الحمـا ... م فيسمعهم للمنايا نعيقا
ويحجل فى عرصات القصو ... ر حتى أعاد الفسيحات ضيقا
ألا فازجر النفس عن غيها ... عساك تجوز الصراط الدقيقا
مقام به تذهل المرضعا ... ت وتلقى الحوامل وعدا صدوقا
وتبرز للناس نار الجحيم ... لها عنق تترامى حريقا
شرابهم المهل فى قعرها ... تقطع أمعاءهم والعروقا
إذا طبقت فوقهم لم يكن ... لتسمع إلا البكا والشهيقا
أذلك خير أم القاصرا ... ت تخال مباسمهن البروقا
قصرن على حب أزواجهـ ... ـن فمشتاقة تتلقى مشوقا
لقد فاز من كان للمصطفى ... بدار المقامة يوما رفيقا

حسن العمل والصراط

فمثل لنفسك يا مسكين وقد جئت إلى الصراط وقد رأيت العاملين ، وقد جازوا وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، ورأيت البطالين فى ظلمات البطالات وغمرات الجهالات . فالله الله ياجماعة الضعفاء ، يامن قطع عمره فى الخلاف والجفاء ، خذوا لانفسكم بالاحتياط ،

(١) الحميم : الماء الحار (٢) الزقوم : اسم طعام للعرب فيه تمر وزبد . قال الله تعالى (إن شجرة الزقوم طعام الاثيم إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) (٣) كذا ورد هذا البيت فى الاصل ولم أقف على معناه (٤) لفظة (تلازمهم) لم تكن بالاصل وزدتها للوزن

واحذروا الاهوال الصعبة عند جواز الصراط . لان الصراط لايجوزه آثم ، ولا ينجو منه ظالم . والصراط حق رقيق ، لاينجو منه من خالف التحقيق ، وترك السنة ومنهاج الطريق (١) الصراط طويل بعيد ؛ لايجوزه إلا من أخذ نفسه بالحزم الشديد ، واستقام على طاعة الولى الحميد . الصراط مهول مخوف ، لايجوزه إلا من أغاث الملهوف ، وأطاع الرحيم الرؤف الصراط صعب مهول ، لايجوزه إلا من اتبع سنة محمد الرسول ، وأطاع ربا لايحول ولايزول . الصراط كثير الزبانية (٢) لايجوزه إلا من أطاع مولاه فى الفانية ، وراقب الله فى السر والعلانية .

ذكر فى بعض الاخبار أنه لايجوز الصراط العبد والأمة إلا من بعد نشر الدواوين ، ووضع الموازين *

الموازين يوم القيامة

ذكر أن لكل إنسان ميزانا يوزن به عمله فمن عمل عملا سيئاً خفت ميزانه وهوى فى النار وقد قيل : إن الميزان هو منصوب بين يدى عرش الرحمن يوزن به أعمال العباد *

وكان الحسن رضى الله عنه يقول : لكل إنسان ميزان يوزن به عمله من خير وشر ، واستدل على ذلك بقوله تعالى (ونضع الموازين القسط (٣) ليوم القيامة) الآية . وأما قوله تعالى (وأما من ثقلت موازينه ، وأما من خفت موازينه) فهو ميزان الحسنات وميزان السيئات وقوله (ثقلت وخفت) فقوله (ثقلت) بقول لا إله إلا الله بالاخلاص ، و(خفت) من الحسنات بالشرك والنفاق والرياء والسمعة . لان العبد قد يقول : لاإله الا الله على معصية و يقول لاإله الا الله والله أكبر على أخذ مال مسلم ، فانما ذلك نفاق لان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قال لااله الا الله مخلصا رجح ميزانه ونجا من النار ودخل الجنة » فقيل يارسول الله وما إخلاصها ؟ فقال : « أن تزحزحكم عما حرم الله عليكم »

(١) المنهاج: الطريق الواضح (٢) الزبانية عند العرب الشرط وأصل الزبن الدفع لانها تدفع العصاة الى النار (٣) القسط : العدل ، والحصة والنصيب أيضا

وزن الاعمال

ذكر فى بعض الأخبار انه يقدم عبد يوم القيامه للحساب فيخرج له تسعة وتسعون سجلا (١) مملوءة بالسيئات فتوضع فى كفة الميزان فيشتدهم العبد وكربه فيقول الجبار جل جلاله : لعبدى عندى ذخيرة ادخرتها له ، فيأمر الله تبارك وتعالى أن يخرج له رقعة صغيرة فيها مكتوب ، مات فلان وهو يشهد ويقول لا إله إلا الله مخلصا *

كلمة التوحيد

فيقول الله تعالى ضعوها فى ميزان عبدى فتوضع فى ميزانه فتميل الميزان بها وترجح على جميع سيئاته فعند ذلك يفرح العبد فيأمر الله تبارك وتعالى به إلى الجنة وأنشدوا :

أعددت لله حين ألقاه ... أشهد أن لا إله إلا الله
أقولها للاله خالصة ... يرحمنى فى القيامة الله
عل يوم الحساب أنج بها ... يوم العقوبة يوم بلواه
يوم يفوز التقي قائلها ... ويخسر الجاحدون نعماه
فهى لدار الخلود قائدة ... ومن عصى فالجحيم (٢) مأواه
من قالها للاله مخلصة ... فهو الذى قد أتاه تقواه
وهو الذى فى الجنان مسكنه ... الله قد خصه وأرضاه
قد فاز عبد يكون ذاكرها ... بدار عدن جوار مولاه
يحظى بدار الخلود قائلها ... طوبى لمن قالها وطوباه (٣)
من كان عند الممات قائلها ... فاز بدنياه وأخراه

فالله الله عباد الله ارغبوا الى مولاكم أن يثبتكم على الكلمة المباركة الخفيفة فى اللسان الثقيلة فى الميزان ، المزينة للديوان ، بها يرضى الملك الرحمن ، وبها يسخط اللعين الشيطان ، وبها ينجو العبد المذنب من النيران ، وبها يصل العبد إلى نعيم الخلد والآمان.

---

(١) السجل : الصك وسجل عليه الحاكم أى أثبت أقواله فى الصحيفة
(٢) فى الاصل : ومن عصى ثم فالجحيم ولا يستقيم (٣) طوبى فعلى من الطيب واسم شجرة فى الجنة *

فضل الصدقة

ذكر أن العبد اذا قدم إلى ميزانه وأخرجت سجلات سيئاته أعظم من جبال الدنيا فاذا وجدت له صدقة طيبة تصدق بها لم يرد بها إلا وجه الله تعالى ، ولم يطلب بهاجزاء من مخلوق ولا رياء ولا سمعة ولا محمدة ولاشكر ، فان تلك الصدقة توضع فى الميزان بأمر الملك الخلاق فترجح على جميع سيئاته ولو كانت سيئاته مثل وزن الجبال وأنشدوا :

يا جامع المال يرجو أن يدوم له ... كل ما استطعت وقدم للموازين

ولا تكن كالذي قد قال إذ حضرت ... وفاته ثلث مالى للمساكين (١)

واعلموا عباد الله أن الميزان إذا نصب للعبد فهو من أعظم الاهوال يوم القيامة ، لان العبد اذا نظر إلى الميزان انخلع فؤاده وكثرت خطوبه ، وعظمت كروبه (٢) فلا تهدي روعة العبد حتي يري أيثقل ميزانه أم يخف ، فان ثقل ميزانه فقد سعد سعادة لايشقي بعدها أبدا ، وان خف ميزانه فقد خسر خسرانا مبينا ، ولقى من العذاب أمرا عظيما *

شفاعة الرسول

ذكر في الاخبار أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم إذا قدموا إلى الميزان عظمت كروبهم ، حين أظهرت لهم قبائحهم وعيوبهم ، ووزنت أوزارهم (٣) وذنوبهم ، وضاقت حيلهم ، وتغيرت أحوالهم ، فعند ذلك يأتيهم النبي الشفيع محمد صلى الله عليه وسلم ، فاذا نظر إلى أمته قد تحيروا عند الميزان دعا الله أن يثقل موازينهم ، فيأمره الله تعالى أن ينظر إلى موازين أمته فينظر صلى الله عليه وسلم اليها فترجح موازينهم من نظره ونور وجهه صلى الله عليه وسلم *

ذكر أن الميزان بيد جبريل عليه السلام وله كفتان أحدهما بالمشرق والاخرى بالمغرب ، وأن الذرة (٤) والخردلة والحبة من أعمال العباد من الخير والشر لتوضع فى الكفة فتميل بها

---

(١) لانه فى هذه الحالة لاتقبل منه الصدقة لانه تراث الوارث واختلف الفقهاء فى جواز ذلك اختلافا كثيرا . والمراد أنه تصدق بعد أن أشرف على الهلاك (٢) الكرب الغم الشديد الذى يأخذ بالنفس (٣) أوزارهم آثامهم وأثقالهم وسلاحهم (٤) الذرة أصغر النمل ، والخردلة حب صغير جدا

بقدرة الله تعالى ، فالله أعلم بحقيقة ذلك . فلا يحقرن أحدكم حسنة يعملها وإن صغرت فى عينه فربما ثقلت الميزان ، ولا يحقرن أحدكم سيئة يعملها وإن صغرت فربما خففت الميزان . لان الذنب الصغير فى عين محتقره يأتى يوم القيامة وهو فى الميزان أعظم من الجبال الرواسى *

مايثقل الميزان

قال الله تعالي (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا) الآية . روى أبو هريرة رضى الله عنه. قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان الى الرحمن ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » وقيل جاء رجل الى رسول الله فقال . يارسول الله جئتك تعلمنى علما يدخلنى الجنة وينجينى من النار . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم . « ألا أدلك (١) على كلمتين ثقيلتين فى الميزان ، خفيفتين على اللسان ، ترضيان الرحمن ؟ وتسخطان الشيطان ، تقول سبحان الله والحمد لله فانهما المقربتان يقربان من الجنة ، ويبعدان من النار » فكل من زعم أن الميزان ليس هو حق ، فقد رد على الله فى كتابه ، وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم فى سنته *

الرأس فى الخير والرأس فى الشر

روى عن الحسن رضى الله عنه أنه قال . يؤتى يوم القيامة بالميزان فتوضع بين يدى الله تبارك وتعالى ثم يدعى العباد للحساب فاذا كان العبد أو الامة رأسا فى الخير (٢) يدعو اليه ويأمر به دعى باسمه ، ثم يقرب من الميزان فتوزن حسناته وسيئاته ولو كانت حسنة واحدة ولو كانت سيئاته أكثر من حسناته وأثقل من جبال الدنيا ، لان الله تبارك وتعالى إذا تقبل من العبد أو الامة حسنة واحدة غفر له جميع ذنوبه وإن كثرت ذنوبه *

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة . « ياعائشة لو قبل الله تعالى من العبد سجدة واحدة لادخله بها الجنة » فقالت يارسول الله فماذا يصنع بأعمال العباد ؟ فقال رسول الله

---

(١) كذا بالاصل وفيه نظر . (٢) يريد الرأس فى الخير من سن سنة خير فانتشرت وعمل الناس بها كما أن رأس الشر من سن سنة سوء فانتشرت وعمل الناس بها . وفى الحديث « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » والسنة الطريقة والسيرة .

صلى الله عليه وسلم : « يأكلها الرياء والسمعة كما تأكل النار الحطب » وإذا كان العبد أو الامة رأسا فى الشر يأمر به ويدعو اليه دعى باسمه فقدم الى الميزان فتوضع حسناته وسيئاته فترجح سيئاته على حسناته ولو كانت سيئاته سيئة واحدة ولو كانت حسناته أكثر وأثقل من جبال الدنيا لان الله تعالي أحبطها ولم يتقبل منها حسنة واحدة ، ويأمر بهم ذات الشمال الى النار . فقال أصحابه رضى الله عنهم : يا رسول الله أما كانوا مسلمين ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « كانوا يصلون كما تصلون ، ويصومون كما تصومون ، ويزكون كما تزكون، ويقومون من الليل برهه ، ولكن كانوا اذا عرض لهم درهم حرام وثبوا عليه كالذئاب فأحبط الله أعمالهم بذلك ولم يتقبل منهم حسنة واحدة ، وإذا لم يتقبل الله من العبد حسنة واحدة فأحرى أن لا يؤثر فى الميزان، لان الحسنات لا تنفع ولا تثقل الميزان إذا لم يتقبلها الله تعالى لانه تعالى لايقبل الا ما كان لوجهه خالصا» . فالله الله عباد الله اذا عملتم عملا فاخلصوا لله فان الله لا ينفعكم ولا يتقبل منكم الا ما كان لوجهه خالصا . وأنشدوا :

من كان يعلم أن الله باعثه يوم الحساب لدي نشر الدواوين
فلا يرد بفعال البر أجمعها الا الحساب وتثقيل الموازين

فقدموا عباد الله للميزان بلزوم طاعة الرحمن . قدموا للموازين بطاعتكم لسلطان السلاطين إخوانى وأعظم مصيبة وحسرة من خفت موازينه من الحسنات ، وأمر به الى العذاب والعقوبات . الويل ثم الويل (١) لمن خفت موازينه من صالح الاعمال ، وغضب عليه ذو الجود والافضال ، وأمر به الى العذاب والنكال ، وإلى السلاسل والاغلال *

وزن أعمال العباد

يا إخوانى فاذا وزنت أعمال العباد ، وخف من خف وثقل من ثقل ؛أمروا أن يمضوا إلى الصراط فيجيء كل إنسان إلى الصراط فيقحم الصراط فمن الناس من يضع عليه قدمه ، فيزل من أول قدم يضعها فيهوي فى النار ، ومن الناس من يمشى القليل منه ويزل فى النار ، ومنهم من يجوزه كالبرق الخاطف ، ومنهم من يجوزه كالريح الهبوب ، ومنهم من يجوزه كالطير السريع فى طيرانه ، ومنهم من يهرول (٢) ، ومنهم من يكون كالضعيف إذا مشى ، ومنهم من

(١) الويل : كلمة مثل ويح ، وهي كلمة عذاب . وقال عطاء بن يسار : الويل واد فى جهنم لو أرسلت فيه الجبال لماعت من حره. (٢) هرول ، الهرولة ضرب من السير بين المشى والعدو

يكون كالمبطون (١) الذى يمشى على يديه ورجليه ، ومن الناس من يأتى إلى الصراط فتخرج النار فتأخذه فتهوي به . كل هـذا على قدر أعمال العباد وأنوارهم ورتبتهم ، وعلى قدر القبول من الله تبارك وتعالى بها ، وعلى قدر تثقيل الموازين وتخفيفها . فاذا أتي العبد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى الصراط فمن كان من أهل الذنوب ولم يكن له عمل يجوز به على الصراط بقى متحيراً لايقدر على الجواز . فبينماهم فى شدة الفزع من هول الصراط إذ أقبل محمد صلى الله عليه وسلم *

نور الرسول على الصراط

فاذا نظر صلوات الله وسلامه عليه اليهم كساهم نور وجهه صلى الله عليه وسلم مايجوزهم الصراط ، فيأخذ كل واحد من نور وجه المصطفى صلى الله عليه وسلم على قدر صلاته عليه فى الدنيا ، فيستبق العباد فى الجواز على قدر ما أخذوا من النور الذى أخذوا من نور وجه المصطفى وكلما أخذ الخلق من نور وجهه صلى الله عليه وسلم زاد الله تبارك وتعالى فى النور فى وجه الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم فأكثروا من الصلاة على نبيكم صلى الله عليه وسلم فان صلاتكم عليه مبلغة اليه *

فضل الصلاة على النبي

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أنجاكم من أهوال يوم القيامة ومواطنها أكثركم على صلاة وأولاكم بشفاعتى أكثركم على صلاة » فأكثروا من الصلاة عليه يامعشر المذنبين ، فهو شفيعكم يوم الجزاء والدين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، وجعلنا بالصلاة عليه من الآمنين من عقابه ، والفائزين برحمته من عذابه ، إنه منعم كريم . وأنشدوا :

ألا أكرم بأحمد ذى المعالى — شفيع الناس فى يوم السؤال
إذا مد الصراط على جحيم — تصول على العباد باستطال (٢)
إذا كان النبي لنا شفيعا — سننجوا من سلاسلها الطوال

---

(١) المبطون : العليل البطن . ولا أدرى لماذا يمشى على يديه ورجليه !!

(٢) هكذا بالاصل ولم أقف على معناها ولعله يريد باستطالة فالجأه الوزن إلى هذه اللفظة . وقد سبق أن نبهت على أن أكثر الاشعار هنا لم يراع فيها المؤلف رحمه الله دقة الوزن والمعنى بل كان يرتجلها بحسب المقام تحلية لمجالس الوعظ والانشاد .

ولو كانت خطايانا جساما تشبه بالثقال من الجبال

لجزنا فى الصراط بغيرحزن إلى داز الخلود مع الجلال

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال · « يمر الناس على الصراط فالزالون والزالات كثير وأكثر ما تزل النساء » ذكر أن الصراط عليـه زبانية ينظرون إلى وجوه العباد فمن رأوا فى وجهه نورا تركوه أن يتحول ويجوز ، ومن لم يروا فى وجهه نورا كبكبوه فى النار ، ولا يكون النور يومئذ إلا من العمل الصالح *

جسور جهنم

روي بعض العلماء عن التابعين وعن بعض الصحابة أنهم قالوا : إن جهنم أعاذنا الله منها عليها سبعة جسور وهى القناطر ، ثلاثة دون الرب سبحانه وتعالى، الرابعة الوسطى عليها الرب جل جلاله لاحد ولا كيف تسليما وإيمانا وتصديقا *

القنطرة الاولى

والصراط أحد من السيف فيقول الله تبارك وتعالى حين يبلغون القنطرة الاولى : وقفوهم إنهم مسئولون، مالكم لا تناصرون ، فيحبسون فيحاسبون على الصلاة فمن وجدت صلاته تامة نجا من تلك القنطرة ومن لم توجد له صلاة تامة هوى فى النار فينجو من نجا ويهلك من هلك

القنطرة الثانية

ثم يحبسون على القنطرة الثانية فيحاسبون على الامانة وهى أمانة الخالق وأمانة الخلق. وإذا أراد الله بعبده خيرا جعل الغنى فى قلبـه وجعله أمينا لله وأعانه على أداء الامانات التي افترض عليـه جل جلاله من الوضوء والاغتسال والصلاة والصيام والزكاة وإعطاء كل ذى حق حقه والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والحفظ لحدود الله فذلك العبد الذي ألهمه الله تعالى رشده ، وبصره عيوب نفسه وجعل غناه فى قلبه *

تأدية الامانة وتضييعها

وإذا أراد بعبده شرا جعل فقره بين عينيه وفى قلبه وكسله عن أداء الامانات من المفترض الذى افترض عليه وعلى جميع عباده ، وغيب عنه رشده ، وسلط عليه الشيطان فزين له سوء عمله وحبب اليه عيوبه . فاذا كان العبد كذلك فلا يبالي عما قال ولا عما قيل فيه ، ولا يكون همه إلا

في دنياه وإصلاحها ولا يبالى بتلاف دينه فذلك العبد الذى قد سخط عليه مولاه وأبعده عن أبواب الخير كلها، وقربه من أبواب الشر كلها . قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) *

تضييع الامانة

ذكر في بعض الاخبار أنه يؤتي بمضيع الامانة فيقال له أد ماضيعت فيقول : يارب ذهبت عنى الدنيا فمن أين أؤديها ؟ فيخلق له مثلها فى قعر جهنم أعاذنا الله منها فيقال انزل اليها وأخرجها الى صاحبها ، فينزل العبد المسكين اليها فيرفعها على كتفه فهى أثقل من جبال الدنيا كلها ، فاذا صار الشقى المسكين إلى أعلا جهنم وقعت من كتفه الى قعر جهنم ، فيقال له انزل اليها فينزل مرة أخرى ويرفعها، فاذا صار الى أعلا جهنم وقعت منه ، فلا يزال هذا عذابه الى ماشاء الله تعالى من ذلك . هذا كله عند جواز الصراط والله أعلم . وهذا العبد والله أعلم الذي ضيع أمانات الناس . وأنشدوا :

خرجت من الدنيا وقد خنت أهلها   وصرت الى النيران بالوزر والاثم
وطالبنى الجبار بالصدق والوفا   وبان لأهل الجمع ما كان من جرمى (١)
وقيل لكل الخلق هذا مضيع   أمانة رب العرش والذكر والحكم

القنطرة الثالثة

ثم يحاسبون على القنطرة الثالثة وهى أدني من الرب جل جلاله - بلا تكييف ولا تحديد - فيحاسبون على صلة الرحم كيف وصلوها *

صلة الرحم

ولم قطعوها والرحم (٢) يومئذ تنادى اللهم من وصلنى فصله ، ومن قطعنى فاقطعه. فينجو من نجا ويهلك من هلك *

---

(١) الجرم والجريمة الذنب واكتساب الاثم ، وذلك أن الحساب سيكون امام جميع الخلق وهم وقوف بين يدى الجليل الرحيم، فتظهر الفضائح وتنكشف الاستار الامن رحم ربى

(٢) الرحم القرابة وصلتها التعطف على الاقربين وفى القرآن (قل لاأسألكم عليه من أجر الا المودة فى القربى)

القنطرة الرابعة

ثم يمرون على القنطرة الرابعة فيحاسبون على بر الوالدين فينجو من نجا ويهلك من هلك وهو السؤال العظيم لان الله تعالى قد قرن شكره بشكر الوالدين فقال جل اسمه وعز وجهه (أن اشكر لى ولوالديك الي المصير) فالله تعالى يقول فى بعض كتبه المنزلة *

شكر الوالدين

أرض والديك فان رضائى فى رضا الوالدين وسخطى فى سخط الوالدين ، فلو أن عبدا جاء يوم القيامة بعمل الف صديق وكان عاقا لوالديه ما نظر الله تبارك وتعالى فى شىء من عمله وكان مصيره الى النار وما من عبد مسلم أو أمة مسلمة ضحك في وجه والديه أو أحدهما الا غفر الله له ما كان منه من الذنوب والخطايا وكان مصيره الى الجنة . وأنشدوا :

الوالدان الى شكر الاله وصول (١) والوالدان الى دار السلام سبيل
صل والديك ولا تقطع حبالهما ليجزينك فى دار البقاء جليل

القنطرة الخامسة

ثم يحبسون على القنطرة الخامسة فيحاسبون علي حفظ اللسان من الغيبة والنميمة وشهادة الزور فينجو من حفظ لسانه ويهلك من سرح لسانه بما لا يعنيه لانه ليس من جوارح العبد أشد ذنبا من اللسان ، لان كلمة يتكلم بها العبد أو الامة تكون سببا لدخول النار *

ترك الغيبة والنميمة

وقد كان بعض الخائفين إذا أصبح أخذ لوحا ودواة وجعلهما بجواره فاذا تكلم كلمة كتبها فى اللوح ويقول لنفسه: هكذا أثبتها عليك الملك بامر الملك، فاذا غربت الشمس وصلى صلاة المغرب وضع اللوح بين يديه وجعل يقرأ ويبكي ويقول فى بكائه ونحيبه وتقريره لنفسه : يا نفس كأنى بك وقد سئلت عن هذا عند جواز الصراط، يا نفس تراك بأي كلمة من هذه تدخلينى النار ؟ فلا يزال يبكي حتى لا يجد بكاء وتفرغ دموعه فيغشى عليه ، فاذا أفاق

(١) وصول : أى بسبب برهما ودعائهما تصل الى رضاء الله تعالى ورحمته كما أنهما طريق الى الجنة وهي دار السلام .وقد أمرنا الله تعالى ببرهما فى القرآن عند قوله (فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما) الآية .

مما هو فيه أخرج اللوح وكتب مافيه بقرطاس وهو يقول متضرعا : يا ألله عفوا ورفقا ولطفا بعبدك . فلم يزل هذا دأبه حتى مات ، فرآه بعض الصالحين فى المنام فى حالة حسنة فسأله عما لقي من الله تعالى فقال : مايلقى من الكريم الا الكرم ، جعل محاسبتي لنفسى فى الدنيا بدلا عن الحساب فى الآخرة ، وجعل دموعى التى بكيت في الدنيا أنهارا تروينى يوم العطش الاكبر ، وتفضل الكريم علي بدخول الجنة وبجواز الصراط، ومن علي بالفضيلة العظيمة والزيارة الكبري الى وجهه الكريم *

كلمة الشر وعذابها

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة فينزل بها فى النار بعد مابين المشرق والمغرب ، فاذا أراد الله تبارك وتعالى بعبده خيراً أعانه على حفظ لسانه وشغله بعيوب نفسه عن عيوب غيره» (١)

قيل مر رجل على رجل فسلم عليه ، فقال له الرجل الذى سلم عليه : ياأخى لو كشفت لك عن حالى ماسلمت علي! فقال له الرجل الذي سلم عليه : ياأخي لو كشفت لى عيوبك لكان فى عيوبي مايشغلنى عن جميع عيوبك . فجلس كل منهما يبكى فى ناحية حتى بل كل واحد منهما الارض بدموعه ثم تفرقا *

شهادة الزور

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من شهد شهادة زور على ذمى أو مسلم أو من كان من الناس ، علق بلسانه فى الدرك الأسفل من جهنم » *

وفى بعض الاخبار أن شهادة الزور من أعظم الكبائر عند الله تعالى ، وشاهد الزور يعلق بلسانه بكل كلمة في شهادة الزور ، وبكل حرف كتب فيها شهادته ألف عام على الصراط عند القنطرة الخامسة . ولو أن شاهد الزور جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبياً مانظر الله اليه . وكذلك صاحب الغيبة والنميمة لايجوز من هذا الصنف الصراط إلا أن يعفو الله أوتدركه الشفاعة. وأنشدوا:

---

(١) ليت كثيراً من الناس يستمعون لهذه النصيحة الذهبية ويعملون بها ، فلقد يصادفك أحدهم وأنت مشغول بأمر من أمورك الخاصة فيتداخل حتى ليتغلغل إلى صميم أسرارك بأسئلته المملة الطويلة ، وكلما زدته إعراضا زادك إلحاحا لا لفائدة تعود عليه من ذلك بل لأن نفسه جبلت على ذلك والعياذ بالله .

اذا ازدحم العباد لكى يجوزوا   تساقط كل جبار أثيم
بقعر النار ليس لهم مغيث   ولا للعاصى يوما من حميم
ومن يطع الآله فسوف ينجو   من التعذيب فى قعر الجحيم
اذا نصب الصراط على جحيم   فيالله من هول عظيم
ألا يا معشر الاسلام توبوا   من العصيان للرب الرحيم

إخوانى أطيعوا الله فى السر والاعلان ، واعملوا بالسنة والقرآن ، واتركوا الاوزار والعصيان ، واحذروا من هول الصراط المنصوب على سموم النيران *

القنطرة السادسة

ثم يحبسون على القنطرة السادسة فيحاسبون على حفظ الجار، فينجو من حفظ جاره وأكرم ضيفه ، ويهلك من خان جاره ولم يكرم ضيفه *

اكرام الضيف

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » وكرامته أن يكرمه لوجه الله وتكون ضيافته من حلال ، وأما من أنفق على ضيفه من حرام فانه لاثواب له . فما أنفق على الضيف فى الخمر أو مما لايرضى الله تعالى به فان ذلك الضيف يأتي يوم القيامة يتعلق هذا بهذا ويلعن هذا بهذا ، ثم يأتيان إلى الصراط وكل واحد منهما يلوم صاحبه ويقول له لعنك الله الذى ساعدتني على الانفاق فى غير الله ، ثم يقال لهما جوزوا الصراط ففى أول قدم يضعان على الصراط يهويان فى النار *

البركة مع الضيف

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الضيف إذا دخل بيت المؤمن دخلت معه الف بركة والف رحمة ، ويكتب الله تعالى لصاحب المنزل بكل لقمة يأكلها الضيف حجة وعمرة » *

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « درهم ينفقه الرجل على ضيفه أفضل من الف دينار ينفقها فى سبيل الله ، ومن أكرم الضيف لوجه الله أكرمه الله تعالى يوم القيامة بالف كرامة وخلصه من النار وأدخله الجنة » *

وقد جاء فى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول لها:

« ياعائشة لاتتكلفي للضيف فتمليه (١) » وإنما أراد صلى الله عليه وسلم مداومتها على اكرام الضيف »*

وفى حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه.قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياعلى اذا جاءك الضيف فاعلم أن الله تعالى قد من عليك إذبعثه اليك ليغفر لك ذنبك بذلك» *

ينزل الضيف برزقه

وفى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه.قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس لاتكرهوا الضيف فانه اذا نزل نزل برزقه ، واذا رحل رحل بذنوب أهل المنزل » (٢)*

وفي حديث معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه : مامن منزل ينزل فيه ضيف الا بعث الله تبارك وتعالى الى ذلك المنزل قبل نزول الضيف به باربعين يوما ملكا على صورة طائر ينادى يا أهل المنزل فلان بن فلان ضيفكم فى يوم كذا وكذا والخلف من الله من باب كذا وكذا فتقول الملائكة الذين وكلوا بأهل الدار . و بعد الخلف مايكون ؟ فيخرج لهم ذلك الملك كتابا فيه مكتوب ، قدغفر الله لاهل المنزل ولوكانوا فى الف *

وفى حديث آخر أنه قال . مامن عبد من عباد الله المؤمنين أكرم ضيفا لوجه الله الكريم الانظر الله اليهم إن كانوا جماعة ، فان كان الضيف من أهل الجنة وكان رب المنزل من أهل النار،جعله الله تعالى من أهل الجنة باكرامه ضيفه *

وفي حديث آخر . إن الضيف ورب المنزل — وارباب المنزل إن كانوا جماعة — يأتون الصراط فيأخذ كل واحد منهم بيد صاحبه فيجوز الصراط أسرع من البرق اللامع ، فان لم يكن فيهم من له عمل يجوز به الصراط أمر الله الملك الموكل بنفقة الضيف أن يأخذ بيدهم ويجوز الصراط ولوكانوا مائة الف *

---

(١) ولذلك ندب أن يقدم الانسان للضيف ماوجد سواء أكان قليلا أم كثيراً ، لا كما يفعله الناس الآن من الاقتراض (ليبيضوا وجوهم أمام الضيف) وليس ذلك من السنة فى شىء فغاية الجود بذل الموجود ، وعلى الضيف أن لايقترح بل يأ كل مايجد ويشكر عليه

(٢) ليس المراد أنه يحمل ذنوبهم، بل أن الله تعالى يغفر لهم ذنوبهم باكرامهم للضيف

اطعام الطعام

وإطعام الطعام ينقسم على ثلاثة أوجه ، مخلوف ومسلوف ومتلوف ، فالمخلوف الذى يطعم لوجه الله لا يريد به غير الله تعالى ولا يطلب به جزاء من مخلوف ، والمسلوف الذى تضيفه مرة ويضيفك أخرى . والمتلوف كل ما كان إطعامه على المعاصى . والمخلوف والمسلوف فيهما الأجر إلا أن المخلوف أعظم أجرا ، والمتلوف هو حسرة وندامة يوم القيامة . وأنشدوا :

يا مكرم الضيف للرحمن خالقنا عند الصراط ستلقى الخير موفوراً
أكرم ضيوفك كى ترجو الجواز غدا على الصراط وترجو الخلد(١) مجبورا

حفظ الجار

وأما حفظ الجار فان العبد أو الامة يسأل عن حفظه ، فمن حفظ جاره جاز الصراط ونجا من العذاب الاليم ، وصار الى جنة الخلد ودار النعيم *

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعان وجاره جيعان ، أو بات ريان وجاره عطشان » ومن كرامة حفظ الجار أن توقظه من الغفلات تلهمه الى الطاعات ، وتأمره باقامة الصلوات *

تعلق الجار بالجار

ذكر فى بعض الاخبار أن الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول : يارب جاري هذا خانني فى الدنيا . فيقول الله تبارك وتعالى : لم خنت جارك ؟ فيقول وعزتك وجلالك ماخنته لا فى مال ولا فى أهل وأنت أعلم بذلك . فيقول له جاره: مافعلت ذلك ولكن رأيتنى على المعاصى فلم تزجرنى عنها فيؤمر به وبصاحبه الى النار وليغفر الله لهما . ومامن عبد مسلم أو أمة مسلمة حفظ جاره وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر الا جوزه الله تبارك وتعالى على الصراط قبل العباد بخمسمائة عام *

(١) الخلد : دوام البقاء ، ويريد الجنة لان نعيمها دائم لانفاذ له .

الوصية بحفظ الجار

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال . « لقد أوصاني ربي ليلة أسري بي بحفظ الجار حتى ظننت أنه سيورثه » وبعض العلماء يرى شفاعة الجار . فكل من حفظ الجيران ، فقد أطاع الرحمن ، واسخط الشيطان ، وعمل بالسنة والقرآن . روى أن الرجل الصالح والمرأة الصالحة يشفعان يوم القيامة في سبعين من جيرانهما ويجوزانهم على الصراط . عباد الله من حفظ الجار نجا من النار ، وجاز الصراط الى دار القرار ، ومن حفظ الجار فقد عمل بالسنة والكتاب ، وأطاع الملك الوهاب ، وأسخط الشيطان اللعين الكذاب ، ومامن جار يلقى جاره المسلم فيسلم عليه الا غفر الله لجاره ولو كان له الف جار . حفظ الجار قربة ووسيلة ، ودرجة عند الله وفضيلة . وأنشدوا :

ياحافظ الجار ترجو أن تنال به — عفو الاله وعفو الله مذخور (١)
الجار يشفع للجيران كلهم — يوم الحساب وذنب الجار مغفور

القنطرة السابعة

ثم يحبسون على القنطرة السابعة فيسألون عن الصدق ، فمن حفظ لسانه عن الكذب نجا من الصراط ونجا من النار وصار إلى الجنة مع الابرار *

الصدق والكذب

ومن كذب فقد خالف الكتاب والسنة ، وقد حرم نعيم الجنة *

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا كذب المؤمن كذبة من غير عذر تباعد منه الملكان مسيرة سنة من نتن ماجاء به ، وكتب الله تبارك وتعالى عليه بكذبة ثمانين خطيئة أقلها كمن يزنى بأمه » (٢)

(١) مذخور : أى رأيته عند الله ذخيرة لك يوم القيامة . ولقد حكى عن المهلب بن أبي صفرة أنه كان يتكفل باربعين بيتا من كل جهة من بيته بالخبز والطعام والكسوة حتى لايتكلفوا أن يصنعوا طعاما فى جواره أو يوقدوا تنورا . (٢) لان ذلك من أصعب الكبائر فضلا عن استحالته عقلا .

كذبة المؤمن بثمانين خطيئة

واذا كذب المؤمن من غير عذر يخرج من فيـــه شيء منتن حتى يبلغ العرش فتلعنه حملة العرش ويلعنه ثمانون الف ملك ، ويكتب عليه ثمانون خطيئة أقلها مثل جبل أحـد . (١) الكذب نفاق ، والكذب من الكبائر ، وإذا استحل العبد الكذب فقد استحل المحارم كلها وإذا لم يستحل العبد الكذب لم يقـدر أن يباشر شيئا من محارم الله ، وان الصادق إذا جاء الصراط سبقه نور وجهه مسيرة مائة عام ـ يعني على الصراط ـ ومن صدق عمل بكتاب الله واتبع سنة رسول الله والصادق أسرع جوازا على الصراط وأسرع الناس دخولا الجنـــة . والكاذب في أول قدم يضعها على الصراط يهوى فى النار ، فلا ينجو من الجسر السابع ـ وهو أصعبها ـ الا من صدق ويهلك من كذب جعلنا الله واياكم برحمته ممن صدق فنجا وأنشدوا:

أصدق بربك(٢) اله العرش جنته ... يوم المعاد ولاتولع بتكذيب
إن الصدوق لدى الرحمن منزله ... دار الخلود بلا موت وتعذيب
يوم الجزاء على متن الصراط الى ... دار النعيم بلاحزن وتكئيب(٣)

ذكر فى بعض الاخبار أن الصادق يجوز على الصراط وهو لايشعر به ولايهوله فالله الله عباد الله كونوا من الصادقين، ولا تكونوا من الكاذبين، وتأسوا بخاتم النبيين وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين *

نجاة الصادقين

ذكر فى بعض الاخبار أن الناس الذين ينجون من الصراط وهو له يحبسون بقنطرة بين الجنة والنار ، يتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا ، حتى اذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «والذى نفسي بيده إن أحدهم مسكنه فى الجنة أدل منه لمسكنه الذي كان فى الدنيا » يالها من كرامة ، ويالها من نعمة ، ويالها من منة ، ويالها من فرحة . فقدموا عباد الله فى اليسير من الاوقات ، والقليل من الساعات، مايجوزكم الصراط ، ويقيكم الآفات .

---

(١) جبل بالمدينة كانت عنده واقعة أحد الشهيرة (٢) فى الاصل: بربك وهو خطأ كما ترى
(٣) فى الاصل : وتبكيت . وهو تحريف لان الابيات بائية بالباء الموحدة .

الصراط على متن جهنم ممدود ، لايجوزه الا من خاف من أهوال اليوم الموعود ، وأطاع الملك المعبود ، الغفور الودود *

الصلاة تجوز على الصراط

ذكر فى بعض الاخبار أن من صام ثلاثة أيام من كل شهر وقام في ليلة من لياليها يصلى عشر ركعات يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثلاث مرات ، فاذا فرغ من صلاته صلى على محمد صلى الله عليه وسلم عشر مرات ثم يقول : سبحان من كان ولا مكان ، سبحان الموجود بكل حين وأوان ، سبحان المعبود فى كل أوان ، سبحان المسبح بكل لسان ، سبحان المنجي من الهلكات ، سبحان خالق الارضين والسموات ، جوزه الله تبارك وتعالى على الصراط أسرع من البرق الخاطف ، ولا يؤذيه حر النار ويمضى الى الجنة مع أول زمرة من الصحابة والتابعين ، ويشفعه الله تعالى فى سبعين من أهله وجيرانه . وهي أفضل مايصام من الشهر وهي يوم ثلاثة عشر وأربعة عشر وخمسة عشر *

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «يمر الناس على الصراط فالزالون (١) والزالات كثيروأ كثر مايزل النساء ، وجبريل عليه السلام آخذ بحجزتى (٢) إذا عصفت الريح بامتى فصاحوا يامحمداه فلولا أن جبريل عليه السلام آخذ بحجزتى لاغثت أمتى ، فيبادرون جوازا فلا يجوزه ظالم ، فيبقون متحيرين ثم يتداركهم الله برحمته وبفضل دعائي لهم فيقول جوزوا على الصراط بعفوى فيجوزوا » اللهم اغفر لنا جميعا برحمتك . وأنشدوا :

لو علم الخلق مايراد بهم … وأيما مورد غد يردوا
مااستعذبوا لذة الحياة ولا … طاب لهم عيش اذا رقدوا
خوفا من العرض والصراط على … نار تلظى وحـرها يقد
والناس فى هول موقف عسر … قد عاينوا هوله الذي وعدوا
يالك من موقف يفوز به … قوم هم للجنان قد وفدوا
مع النبي اصطفاه خالقنا … صل عليه المهيمن الصمد(٣)

---

(١) فى الاصل : فالزايلون والزايلات ، وهو خطأ لان زل يزل زللا فهو زال يقال زل فى الطين وزل فى منطقه أي أخطأ (٢) حجزة الازار معقده وحجزة السراويل محل التكة
(٣) الصمد السيد لانه يصمد اليه فى الحوائج أى يقصد

عباد الله اشتروا أنفسكم من مولاكم باليسير من الاعمال ، وبالقليل من الافعال ، وبالطيب من الاقوال ، من قبل حبسكم على الصراط لشدة الاهوال ، يوم لابيع فيه ولاخلال ، بين يدى الكبير المتعال *

كيفية الجواز على الصراط

ذكر فى بعض الاخبار أن الناس ينقسمون فى جواز الصراط سبعة أقسام ، فيجوز أول قسم من الرجال والنساء كطرفة عين ، والقسم الثانى كالبرق الخاطف ، والقسم الثالث كالريح العاصف ، والقسم الرابع كالطير الجد ، والقسم الخامس كالخيل فى جريها ، والقسم السادس كالماشى ، والقسم السابع كالمهرول *

أقسام الناجين على الصراط

فاما القسم الاول فهم أصحاب الصدقات وقوام الليل والعلماء يقدمونهم ،

والقسم الثاني هم الذين استقاموا علي أداء الفرائض ولم يفرطوا فيها وأدوها فى أوقاتها ،

والقسم الثالث هم الذين أدوا الزكاة ولزموا صحبة العلماء وأحبوهم ،

والقسم الرابع هم الذين وصلوا أرحامهم وطلبوا بصلتها رضاء مولاهم *

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أوصى عند موته بصلة الرحم ، وما من عبد وصل رحمه بنفسه أو ماله إلا جعله الله تعالى يوم القيامة على الصراط كالذى يمشى فى رياض الجنة ، ولا يرى من أهوال الصراط شيئا ، ويدخل الجنة مع أول زمرة تجوز الصراط وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم *

والقسم الخامس هم الذين غضوا أبصارهم عن محارم الله ، وصانوا فروجهم عن الفواحش ، وحفظوا أزواجهم عما لا يحل لهن ، وحجبوهن ولاطفوهن ورفقوا بهن كما قال صلى الله عليه وسلم (١) *

---

(١) وفي هذا رد على من قال بان المرأة الشرقية كانت مستعبدة من الازل ، فقد أمرت الشريعة الاسلامية فى غير ماموضع باكرامها واعزازها وأباحت لها التصرف بمالها وتجارتها وساوتها بالرجل فى كثير من الامور . هذا فى الوقت الذى كانت فيه المرأة الاوربية تحسب كالمتاع في المنزل

حديث فى العناية بالنساء

« النساء ودائع الاحرار ، ولا يعزهن إلا عزيز ، ولا يذلهن إلا ذليل ، والذليل عند الله فى النار » وكذلك المرأة إذا عزت زوجها وأطاعتـــه فيما يرضى الله تعالى .

والقسم السادس هم الذين تجنبوا الربا والحرام ، وتجنبوا الخيانة فى المكيال والميزان . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مال خالطه الربا فهو زاد صاحبه إلى النار » *

آكل الربا

وقد ذكر أن آكل الربا يأتي الصراط فيجعل الله تبارك وتعالى كل درهم وكل حبة وكل ثوب وكل لقمة وكل شيء أكل أو اكتسبت يداه من الربا ثعبانا من نار يخطفه من على الصراط ويهوى به فى قعر جهنم مع اليهود ، ومن تاب تاب الله عليه وغفر له ماجنى ،

والقسم السابع هم الذين بروا الوالدين وبروا الازواج وبروا الجيران وبروا الاخوان ولزموا المساجد وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وحفظوا حدود الله ولم تأخذهم فى الله لومة لائم وعملوا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وأنشدوا :

أتطمع بالنجاة وكيف تنجو ولست علي نجاتك بالحريص
ولو فى نيلها أعملت حرصا لنلت الفوز بالثمن الرخيص
ولكنى أراك تريد عزاً وحالك حال ممتهن نقيص
وليس لمن تعرض للمعاصى ـ هديت ـ عن الضلالة من محيص

المتصدقين سراً وعلانية

يا أحبابى إذا جاز الناس الصراط وجدوا خلقا كثيراً نساء ورجالا قد سبقوهم إلى الجنة فيقولون من هؤلاء الذين سبقونا ؟ فتقول لهم الملائكة : هؤلاء الرجال الذين تصدقوا فى السر ابتغاء وجه الله ، وتصدقوا فى العلانية ليحببوا الصدقة إلى عباد الله ، هؤلاء الذين فرجوا عن المكروبين . وهؤلاء النسوة (١) اللواتى أطعن أزواجهن ، وحفظن فروجهن ، وحفظن

(١) فى الاصل : النسوة الذين ترون لازواجهن وحفظ فروجهن الخ .

ألسنتهن عن أذى الزوج وعن أذى الجيران،وتصدقن فى السر والاعلان ، تسبق هـــذه الزمرة (١) جميع الناس إلي الصراط وجوازه بخمسمائة عام . ومن كان من إخوانهم من أهل الذنوب جازوا فى شفاعتهم ، فاذا جازت أول زمرة من الاولين السابقين،وزمرة المتأخرين يبقى رجل واحد فيضع قدمه الواحدة فتزل فيبقى بالقدم الاخرى ،فيركب الصراط علي بطنه والنار تصيبه على قدر ذنوبه *

آخر من يبقى على الصراط

فلا يزال يحبو ويتدرج ويبكى ويتضرع إلى الله تعالى حتى يجوز ،فاذا جاز ونجا رد رأسه ونظر إلى الصراط وأهواله وأهوال أهل النار وعواء (٢) أهل النارفى النارفيقول : سبحان الذي خلصنى منك ونجانى من أهوال النار . فبينما هو ينظر الى الصراط ويقول هـذا القول يبعث الله تعالى اليه بلطفه ملكا من ملائكته فيأتيه فيأخذ بيده ويقول له : قم ياعبدالله فينطلق الى غدير (٣) من ماء على باب الجنة فيقول له الملك اغتسل من هذاالماء واشرب منه،فيغتسل العبد ويشرب كما أمره الملك فيعود كالقمر الطالع ليلة التمام ،وتعود رائحته كرائحةأهل الجنة ولونه كالوان أهل الجنة ، ثم ينطلق به الى قرب جهنم فيقول له قف هاهنا حتى يأتيك اذن من ربك ، فينظر الى أهل النار ويسمع عواءهم كعواء الكلب يستغيثون من شدة العـذاب، فاذا سمع العبد أهل النار وما هم فيـه بكى وقال:يارب اصرف وجهى عن أهل النار حتى لا أنظر اليهم ولا أسمع صوتهم ولا أسألك غير هذا ، فيأتيه ذلك الملك من عنـد رب العالمين فيحول وجهه عن أهل النار الى أهل الجنة ، فينظر الى ناحية أهل الجنة فيري بينه وبين باب الجنة روضة خضراء مارأى أحدقط مثلها ، ثم ينظر الى باب الجنة وجماله وعرضه مسيرة أربعين يوما للطير المسرع والله اعلم من أى الاعوام، يقول يارب قد أحسنت الى الاحسان كله جوزتنى الصراط وأنجيتنى من النار وأدنيتني من باب الجنة هذه الروضة أسألك أن تبلغني اليها ولا أسألك غير ذلك فيأتيه ذلك الملك فيقول له ياابن آدم ماأكذبك ألست قد عزمت أنك لاتسأل غير هذا المقام ؟ فيأخذ بيده وينطلق به للروضة فيدخله فيها *

---

(١) الزمرة : الجماعة والزمر الجماعات (٢) عواء أهل النار صياحهم . والعواء صياح الكلب والذئب وابن آوى . (٣) الغدير : القطعة من الماء يغادرها السيل أي يتركها .

باب الجنة

فينظر الى باب الجنة والى بهجة تلك القصور وأطرافها من الجندل (١) الاخضر ، وحصباؤها من الياقوت ، الاحمر فيستنشق نسيم طيب الكافور والمسك ويسمع حسن تغريد الاطيار وخرير تلك الانهار ومالا تصفه ألسنة الواصفين ولا يخطر ببال المتفكرين ، فاذا سمع العبد ذلك كله استخفه الطرب فيقول : يامولاى لقد أنعمت على نعما أكمل النعم جوزتني الصراط وأنجيتني من النار وصرفت وجهى عن أهل النار حتى لا أراهم ، ولكن أسألك ياسيدى ومولاى أن تدخلنى الجنة فاجعل هذا الباب بينى وبين أهل النار حتى لا أسمع حسيسهم (٢) ولا أري عذابهم ؟ فيأتيه ذلك الملك فيقول له ياابن آدم ما أكذبك ألست قد زعمت أنك لاتسأل غير ماقد سألت ، فيقول وعزتك يارب لا سألتك غيره . فيأخذ الملك بيده فيدخله الباب فينظر العبد عن يمينه وعن شماله مسيرة سنة ، فلا يري إلا الشجر المثمر مارأى قط مثلها ولا خطر على قلب آدمي ولا جنى ، فينظر إلي أدنى شجرة فيرى عندها روضة فيها شجرة أصلها ذهب وأغصانها فضة وورقها حلى مارأى مثلها قط آدمي ولا جنى ولا خطر على قلب بشر ، وثمرها ألين من الزبد وأحلا من العسل ، فيقول العبد يارب لقد أنعمت على عبدك وتفضلت نجيتنى من النار وأدخلتنى الجنة وأعطيتني وأرضيتنى ، وإنما بينى وبين هذه الروضة قليل فبلغنى اليها فوعزتك لاسألتك غيرها . فيأتيه ذلك الملك فيقول له : ياابن آدم ما أكذبك ألست قد زعمت أنك لاتسأل غير ماسألت ؟ يا ابن آدم أين ماأقسمت به أما تستحى من الله ؟*

منازل الجنة

فيأخذ بيده فينطلق به إلى أدنى منزل من منازلها فاذا هو بقصر من لؤلؤة بيضاء بين يديه فلا يملك نفسه حين ينظر اليه ، فيقول يارب أسألك هذا المنزل ولا أسألك غيره . فيأتيه الملك من عند الله سبحانه فيقول له يا ابن آدم ما أكذبك ألست أنك قد زعمت أنك لا تسأل غير ماأنت فيه؟ فينظر بين يديه فاذا بمنزل كأنما المنزل الاول والثاني وجميع ماخلق(٣) ، ورآه حلم

(١) الجندل : الحجارة الكبيرة والحصباء هى الحصا الصغير (٢) الحسيس الصوت الخفي ومنه قوله تعالى (لايسمعون حسيسها) (٣) كذا بالاصل ولعله : وجميع ماخلفه بتشديد اللام ى تركه وراءه من المناظر العجيبة

فيسأله فيعطى فلا يزال كذلك حتى يعطي مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر، فلو نزل فى أدنى قصر من قصوره الجن والانس لكان عنده من الكراسى مايجلسون و يتكئون عليها، ولكان عنده من الموائد مايفضل عنهم ، ولكان عندهم من الطعام والشراب مايأكلون ، وإذا أكلوا وشربوا لم ينقص من الطعام والشراب إلا بقدر ماأصاب رجل واحد (وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) وأنشدوا :

مقام المتقين غدا جليل يطيب لهم مع الحور (١) المقيل
وأنوار عليهم مشرقات إذا ناداهم الملك الجليـــل

فائدة للجواز على الصراط

ذكر فى بعض الاخبار أن العبد أو الامة اذا ذكر الصراط وهوله وصعوبته ورقته وطوله وبعد مسافته ، ثم بكى ثم قام فصلى عشر ركعات يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة ، وقل هو الله أحد ثلاث مرات ، ويسلم عن كل ركعتين ، فاذا فرغ من العشر ركعات صلى على النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم مائة مرة ثم قال : سبحان الله من خلق ماشاء وقضى بما شاء والحمد لله على كل شيء ثلاث مرات ، ثم يقول: اللهم جوزنى الصراط ونجنى من هوله الله لا إله إلا أنت لاشريك لك وصلى الله على سيدنا محمد وآله . فمن صلى هذه الصلاة وقال هذا القول جوزه الله تبارك وتعالى الصراط وهو لايشعر به ولا يهوله مع أول زمرة تمر الى الجنة .فاغتنموا رحمكم الله هذا الثواب ، وتحصنوا به من أليم العذاب ، يا أولى العقول والالباب (٢) لان الصراط حاد رقيق ، وطريقه أبعد الطريق ياله من طريق ، مايعين على جوازه أخ ولا صديق ، الا عمل صالح ورب رفيق .

واعلموا وفقنا الله واياكم أن العمر يذهب، والدنيا تفنى وتخرب، والنفس تموت والمرد الى الحى الذى لايموت. فاستعدوا بكثرة الانوار، وبالصلاة وفعل الخير فى الليل والنهار، وبالطاعة للنبي السيد المختار ، وبالعمل بكتاب الملك الواحد القهار ، وأبكوا على هول الصراط المنصوب على متن النار ، يسره الله لنا وهونه علينا آمين رب العالمين إنه قريب مجيب .

(١) الحور جمع حوراء وهي التى اشتد بياض عينها واشتد سوادها (٢) اللب العقل أيضا

شفاعة الناس بعضهم لبعض

ذكر أن العبد اذا جاوز الصراط وخلص ذكر في ذلك الموقف أباه وابناءه وإخوانه وجيرانه فعند ذلك يسأل الصديق فى صديقه، والوالد فى ولده، والجار فى جاره، والرجل فى زوجته، والمرأة فى زوجها ، والامام فى جماعته التى كان يصلي بها ، فيشفع كل واحد منهم على قدر عمله ومنزلته عند ربه

روى قتادة عن الحسن البصرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له بعض أهله يارسول الله هل يفكر الرجل يوم القيامة فى حميمه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ثلاثة مواطن لايذكر فيها أحد أحدا ، عند الميزان حتي ينظر أيثقل ميزانه أم يخف ، وعند الصراط حتى ينظر أيجوز أم لا ، وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ الصحيفة أم بشماله » فهذه ثلاثة مواطن لايذكر فيها أحد حميمه ولا صديقه ولا حبيبه ولا قريبه ولا بنيه ولا والديه وذلك قول الله تبارك وتعالى (لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه) هو مشغول بنفسه عن غيره من شدة الاهوال العظام أسأل الله أن يسهلها لنا برحمته، ويهونها علينا بمنه ولطفه . وأنشدوا

بكيت على هول الصراط وذكره ... وهول زفير النار من أعظم الذكر
وكيف يطيق الصبر من كان عاصيا ... لخالق كل الخلق فى السر والجهر
ومن يك ذا خوف شديد لهوله ... فان له أمنا من الهول فى الحشر
فليس لمن يبكى لهول صراطه ... جزاء سوى دار النعيم مع الفخر
فياله من هول فظيع يجوزه ... رجال أطاعوا الله فى سالف العمر

عباد الله تفكروا فى هول الصراط الرقيق البعيد ، وأشفقوا من الهول العظيم الشديد ، وأطيعوا الجبار الولى الحميد.

لاتقبل صلاة شراب الخمر

ذكر أن شراب الخمر اذا أتوا على الصراط تخطفهم الزبانية فتهوي بهم الى عين الخبال، وهى قيح أهل النار، فيسقون بكل كأس شربوا من الخمر فى الدنيا شربة من الخبال لو أن تلك الشربة تصب من السماء السابعة لاحرقت السموات والأرضين بمن فيهن ومن عليهن . والأصل فى شارب الخمر أنه يختطف من على الصراط لانه ليس في وجهه نور لان النور لايكون الا من العمل الصالح وشارب الخمر ليس له عمل صالح ، والاصل فيه أن الاعمال كلها لاتقبل إلا ممن صلى ،

لأن الصلاة هى رأس الأعمال، وشارب الخمر لاتقبل منه صلاة مادام مصراً على شرب الخمر فاذا لم تقبل منه صلاة فلا يقبل منه سائر عمله، فيأتى إلى الصراط ووجهه أسود، وقد عهد إلى الزبانية الذين على الصراط أن لايتركوا أن يجوز إلا من له نور ومن ليس له نور أن يكبوه فى النار إلا من تاب وترك الخمر ورجع إلى الله تعالى

التوبة من الخمر وثوابها

يا إخواني اعلموا أن شارب الخمر إذا تاب وترك الخمر لوجه الله تعالى كان يوم القيامة أفضل وأكثر نوراً على الصراط وأسرع جوازاً ممن لم يشربها (١) فالله الله يامعشر المذنبين، توبوا إلى مولاكم أسرع الحاسبين، يغفر لكم ذنوبكم أجمعين.

فضل المؤذنين

ذكر فى بعض الاخبار أن المؤذنين إذا أتوا الى الصراط يجدون نجائب من نور مسرجة بسرج الياقوت والزبرجد فيركبونها فتطير بهم على الصراط، ويشفع كل واحد منهم عند جواز الصراط فى أربعين الفا كلهم قد استوجبوا النار، ويجوز فى نور المؤذن الف رجل وألف امرأة. وفى حديث آخر: أن المؤذن إذا جاء الى الصراط سبقه نور الآذان ونور لا إله إلا الله ونور محمد رسول الله ونور الدعاء الذى يدعو الناس إلى توحيد الله تبارك وتعالى، فيجوز الصراط فى نور المؤذن أربعون الفا ممن ليس لهم نور وهم أهل الذنوب والخطايا (٢)

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « مامن عبد مسلم حان عليه وقت الصلاة فى أرض قفراء أو موضع ليس فيه جماعة، فقام فأذن ثم أقام فصلى إلا وأم من جنود الارض مالا يحصى عددهم إلا الله تبارك وتعالى، ويكتب الله له بعددهم حسنات، ويمحو بعددهم سيئات، ويرفع له بعددهم فى الجنة درجات، لودخل فى أدنى درجة من درجاته الجن والانس لوسعتهم، ولكان فيها من الفرش والاسرة والموائد والطعام والشراب والخدم مايفضل عنهم

(١) يريد بذلك أنه من انقطع عن هذه العادة السيئة خشية من الله تعالى فقد بذل من المجهود مالم يبذله من لم يشربها، لان عادة شرب الخمر اذا تمكنت من انسان صار الاقلاع عنها صعبا جدا، ويلحق بالخمر جميع مايشبهها (٢) لأن المؤذن غالبا اذا أذن ابتغاء مرضاة الله وذكر عباده بأوقات الصلاة وأقامها وصلاها وواظب على ذلك انقطعت علائق نفسه السيئة عن ملاذ الدنيا، ووجد اللذة كل اللذة فى ماهو بصدده.

وإن لم يؤذن واقتصر على الاقامة وحدها لم يصل خلفه إلا ملكاه اللذان يكتبان عمله » وفى حديث آخر «إذا أذن العبد المسلم فى فلاة من الأرض ثم أقام فصلى جعل الله تبارك وتعالى خلفه سبع صفوف من الملائكة المقربين ، أحد طرفى الصف بالمشرق والآخر بالمغرب ، فاذا فرغ من صلاته ودعا أمنوا على دعائه ويكتب الله تبارك وتعالى له بعددهم حسنات ، ويمحو عنه جل وعلا بعددهم سيئات ، ويرفع له تعالى بعددهم درجات ، كل درجة أعظم من الدنيا سبعون الف مرة ، فيها من النعيم مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر . فاذا جاء يوم القيامة الى الصراط جاء معه أصحابه من الملائكة الذين صلوا خلفه كل ملك منهم معه نور من نور الجنة فيأخذون بيده وبأيدى أهله وبأيدى اخوانه الذين صحبوه وأحبوه فى الله فيفرقون عليهم من تلك الانوار ويجوزونهم الصراط فى شفاعته ويمضون معه الى الجنة ولا يرون من هول الصراط ولامن حره ولاصعوبته شيئا» *

فضل العلماء

ذكر فى بعض الأخبار أن العلماء إذا أتوا إلى الصراط تكون وجوههم كالشمس الضاحية وأنوارهم بين أيديهم وبيد كل عالم منهم لواء من نور الجنة يضيء له مسيرة خمسمائة عام ، وتحت لواء العالم كل من اقتدى بعلمه وكل (١) من أحبه فى الله ومناد ينادي هؤلاء أحباء الله ، هؤلاء أولياء الله ، هؤلاء الذين خلفوا الانبياء ، هؤلاء الذين علموا عباد الله ، هؤلاء الذين دعوا إلى الله ، هؤلاء الذين حفظوا حدود الله ، هؤلاء مصابيح الدجى ، هؤلاء أئمة الهدى . فاذا دنوا من الصراط يوضع على رأس كل واحد منهم تاج من نور الجنة لو وضع ذلك التاج فى السماء السابعة العليا لخرق نوره إلى الارض السابعة السفلى ، ويكسى كل واحد منهم حلة من حلل الجنة لو نشرت تلك الحلة بين السماء والارض لغطي نورها نور الشمس ، ولمات الخلائق كلهم عشقا إلى رؤيتها ، ولملأت الارض والبحار من رائحة المسك ، وينزل على رأس كل واحد منهم غمامة من نور تقيه من حر شرر جهنم ومن حر الشمس . وأنشدوا :

يا طالب العلم ترجو أن تنال به   عفو الاله وعفو الله موجود
أطلب بعلمك وجه الله خالقنا   إن الصراط على النيران ممدود
عفو الاله لأهل العلم نائلهم   وعفوه عند أهل الجهل مفقود
فاحرص هديت على التعليم مجتهدا   وأنت عند اله العرش محمود

(١) فى الاصل : وكان : وهو تحريف ، وفى الخبر : المرء مع من أحب .

فاعمل بعلم رسول الله سيدنا وأنت بين عبـــاد الله مسعود

واعلموا أن الله تبارك وتعالى لا يقبل عملا بلا علم . قال الله تبارك وتعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) فالعلماء قد أثبت لهم الجبار الخشية والتقى . قال الله تعالى (إنما يتقبل الله من المتقين) ومن لا يعلم لا يتقى، وكيف يتقى من لا يدرى ما يتقى (١) . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، به يعرف الله ويعبد ، وبه يحمد الله ويوحد ، هو إمام العمل والعمل تابعه ، يرفع الله بالعلم أقواما فيجعلهم للخير قادة وأئمة يقتدى بهم وينتهى إلى رأيهم . فقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن العبادة لا تكون إلا بالعلم لقوله صلى الله عليه وسلم « به يعرف الله ويعبد» ويستوفى ذكر فضل العلم فى قول الله تبارك وتعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) (٢) والمقصود فى هذا الموضع ذكر الصراط والجواز عليه .

فضل حملة القرآن

ذكر فى بعض الاخبار أن حملة القرآن يحشرون يوم القيامة على كثبان من مسك أسود وأنوار وجوههم تغشى بالأبصار فاذا أتوا إلى الصراط تلقتهم الملائكة الذين وكلوا بحملة القرآن فتأخذ بأيديهم وتضع التيجان على رؤسهم والحلل على أجسامهم وتقرب إليهم خيل من نور الجنة عليها سرج من المسك الاذفر والعنبر الأشهب أجلها من اللؤلؤ والياقوت يركبونها فتطير بهم على الصراط ويجوز فى شفاعة كل واحد مائة ألف ممن قد استوجب النار ، ومناد ينادى : هؤلاء أحباب الله ، هؤلاء أولياء الله الذين قرءوا كتاب الله وعملوا به فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون . وهم أهل الله وهم أحباب الله من أحبهم فى الدنيا أحبه الله ، فجاوزوا الصراط وخلفوه بلا هول ولاهم ولا حزن ولا غم . وهذا إذا عملوا بالقرآن ، ووقفوا عند أوامره ونواهيه وأحلوا حلاله وحرموا حرامه وآمنوا بمحكمه ووقفوا عند متشابهه ، وسارعوا اليـه (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ، أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) أولئك أولياء الله الصالحون ، أولئك الذين رضى الله عنهم ووفقهم وهداهم وآتاهم تقواهم

(١) في الاصل : من لا يتقى (٢) لانه لاخفاء في كون العلماء أعرف بالله تعالى وقدرته من غيرهم لما امتلأت به صدورهم من خشيته ولما شاهدوه من بدائع قدرته وحكيم صنعته ، وأنه سبحانه الفعال فى كل صغيرة وكبيرة ، وهذه المعرفة هى ثمرة كل العلوم وخلاصتها وزبدتها .

من لم يعمل بالقرآن

وأما حامل القرآن إذا لم يعمل به فانه يأتي الى الصراط فتستقبله الزبانية بمقامع الحديد وأرازب النار وتسود وجوههم على قدر ماضيعوا من العلم، فمن تعلم علما للتجبر والمباهاة أو الرياء أو السمعة ولم يرد به وجه الله تعالى وطلب عليه الرشا والبراطيل ، وكتمه ولم ينصح به عباد الله ، وطلب به الرياسة وصحبة الملوك ، ومشى به إلى أبواب أبناء الدنيا وإلى دور الظلمة وأهل الجور وحكم به بغير العدل ألجم بلجام من نار جهنم وكان عمله عليه حجة وغمة ومحنة وحسرة وندامة وظلمة على الصراط . ثم يكون العلم للعامل نورا وفرحة وسرورا وجنة وحبورا ينظر المغرور المسكين إلى وفود العلماء وزمر الأولياء وألويتهم على رؤسهم منشورة ، وقلوبهم مما بشروا به من الفوز بالجنان مسرورة وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، والملائكة تنادى ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون ، وأنت فى ظلمك حيران ، أيقنت بالحلول فى سموم النيران ، إلا أن يتداركك بعفوه الملك الديان . وقد أخذ الملك بيدك وهو ينادى عليك ولجام النار فى فمك لو كان ذلك اللجام فى الدنيا لاحرقها من مشرقها إلى مغربها وينادى عليك هذا الذى ضيع حدود الله ، هذا الذى خالف أوامر الله ، هذا الذى بدل عهد الله ، وخالف كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآثر حب الدنيا على ما عنده وهو لاه .

يامسكين أخذت على العلم أجرة وبرطيلا (١) ، واشتريت به ثمنا قليلا ، ولم تراقب مولى كريما جليلا وتركت وراءك يوما هائلا ثقيلا ، وخسرت يامغرور ملكا كبيراً دائما جزيلا .

فسقة حملة القرآن

ذكر فى بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الزبانية أسرع إلى فسقة حملة القرآن منهم إلى عبدة الاوثان والنيران ، فيقولون ويبدأ بنا قبل عبدة الاوثان والنيران ؟ فتقول لهم الملائكة ليس من يعلم كمن لا يعلم » وفى حديث آخر «إن الملائكة الذين جعلهم الله على الصراط إذا نظروا الى حملة القرآن الفساق أخذوهم وزجوا فى أقفيتهم وألقوهم

(١) ليس المراد هنا أن يأخذ المدرس على التدريس جعلا يعيش به ، ولكن المراد من جعل العلم وسيلة لكسب السحت من المال بأن أعان به ظالما ، أو مدح به جبارا غاشما .

فى جهنم أو يعف الله تعالى عنهم . اللهم اعف عنا وعن جميع إخواننا المسلمين ، واجعل القرآن حجة لنا ولا تجعله حجة علينا يا أرحم الراحمين . وأنشدوا :

عظمت مصيبة حامل القرآن إن كان ملجأه إلى النيران
فهو الجزاء لمن عصى رب العلا دار العذاب وموقف الخسران
عظمت خسارته وجل مصابه عند الصراط بظلمة وهوان
يا رب عفوا عن قبيح فعالنا أنت الدليل لجنة الرضوان

فاتقوا الله معشر أهل القرآن في كتابه ، واشفقوا من أليم عـــذابه ، واعملوا بالقرآن وارغبوا فى جزيل ثوابه ، لان القرآن هو لكم وهو عليكم إن لم تعملوا به ويل وثبور (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) *

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عرضت على الذنوب كلها فلم أر فيها ذنبا أعظم من ذنب حامل القرآن وتاركه » ، ومعنى تاركه تارك العمل به ، العمل مع قلة العلم أفضل من كثرة العلم وقلة العمل . *

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يسأل حامل القرآن عما يسأل عنه الانبياء » وإذا غضب حامل القرآن يقول له القرآن أما تستحى أنا معك وأنت تغضب ، اقتد بي تنجو وأكرمنى بالطاعة أكرمك وانجيك من الاهوال وأجوزك الصراط وأدخلك الجنة *

ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «ما من شفيع أفضل منزلة عند الله من القرآن نبي ولا ملك ولا غيره » فانا لله وإنا اليه راجعون على من لا يعمل بالسنة والقرآن كيف اختار النار على الجنان ، وعصى مولاه وأطاع الشيطان ، لقد ضل ضلالا بعيدا ، وتبوأ عذابا شديدا . وبقى من الخير فريدا وحيدا . فيالها من مصيبة ما أعظمها ، ومن حسرة ما أدومها *

ما خلف الصراط

روى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خلف الصراط جسر عليه الامانة ، وجسر عليه الرب جل جلاله، وجسر عليه الرحمة » فياأيها السامع لماجاء من أحاديث الصفات والآثار المشكلات ، سلم الامور لباريها ، واترك تأويلها إن كنت تاليها وقاريها ، وعليك بخويصة نفسك ، واعمل ليوم رمسك (١) وذلك الجسر عليه السؤال ، ذلك الوقت يقول الله جل جلاله وتقدست أسماؤه ، عبدى عملت كذا فى يوم كذا ؟ فيقول العبد نعم يارب فلايزال الرب جل جلاله يعرف العبد والعبد يعترف ويقول نعم حتى يقول العبد : لارسالك بى الى النار أهون على من هذا التوبيخ . فيقول له جل وتعالى يا عبدى بعينى إذا كنت عملت ذلك وكنت عليك شهيدا وملائكتى وارضى ، ولكن سترت عليك بحلمى وجودى ، ياعبدى أناسترتها فى الدنيا عليك وأنا أغفرها اليوم لك . غفر الله لنا أجمعين ، وأماتنا برحمته مسلمين تائبين على السنة والجماعة على شهادة أن لا إله إلاالله وحده لاشريك له وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم *

-٥- مجلس فى قوله سبحانه وتعالى وتقدست أسماؤه

وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم (٢)

هؤلاء الذين ذكرهم المولى جل جلاله بقوله (وعلى الأعراف رجال) هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحبسوا على الأعراف ، والأعراف هى مواضع مرتفعة على الصراط لأن الصراط سبع قناطر وهي الجسور بعضها أصعب من بعض ، وبعضها أشد سؤالا من بعض ، وبعضها أكثر ارتفاعا من بعض ، وعند كل جسر يسأل العبد فيها عن عبادته التى افترضها الله عليه فى الدنيا . فنسأل الله التوفيق فى الدنيا والتسهيل فى الآخرة فى تلك المقامات .

---

(١) الرمس تراب القبر ورمس الميت دفنه . (٢) قيل إن الأعراف سور بين الجنة والنار وسمى أعرافا لمعرفة العباد أحوالهم عنده فمنهم شقى وسعيد

سؤال العباد يوم القيامة

فاول ما يسأل عنه العبد الصلاة ، ثم الزكاة ، ثم الصيام ، ثم الحج ، ثم الأمانة ، ثم بر الوالدين ، ثم حفظ اللسان ، ثم حفظ الجار ، ثم صلة الرحم ، وكذلك جميع ما أمر الله عز وجل به وجميع مانهى عنه ، فكل من جاء إلى جسر من جسور الصراط سئل عن عبادته فان أجابها جاز وصار إلى الجنة ونور الايمان يسعى بين يديه وعن يمينه وعن شماله ، وإن لم يأت بها نقص نوره وهو نور الايمان لأن الايمان يزيد وينقص ، يزيد بطاعة الله وينقص بمعصية الله ، فكل من نقص ثوابه بالمعصية نقص نوره على الصراط . فمن أراد مولاه أن يعذبه أتم له النور فى بعض جسور الصراط وطفأ النور عنه فى بعضه (١) والصراط أسود مظلم من شدة سواد جهنم ، لو ان قطرة من ظلمة الصراط وضعت فى الدنيا لاظلم مشرق الدنيا ومغربها ولمات الخلق من شدة الظلمة ، وإنما حبس الله تعالى هؤلاء القوم على أعراف الصراط ليبين لأهل الجنة والملائكة والجن والانس ولجميع ماخلق الله تبارك وتعالى فضل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ليظهر فخره وجاهه وقدره وحرمته عندر بنا جل جلاله وذلك أن الله تبارك وتعالى يأمر العباد يمضون على الصراط والصراط منصوب على متن جهنم ، وتأتي الخلائق إلى الصراط المؤمنون والكافرون ، فأما المؤمنون فيمضون وأنوارهم تسعي بين أيديهم وبأيمانهم أى عن أيمانهم

ظلمات الكفر والمعصية

وأما الكافرون فانهم يمضون فى ظلمات الكفر وظلمات أعمالهم التى عملوا فى حال الكفر فى دار الدنيا فاذا أتوا إلى الصراط فأول قدم يضعونها على الصراط يهوون (٢) فى النار وتخطفهم الملائكة بالكلاليب فتلقيهم فى قعر جهنم ، فاذا مضى المؤمنون بنورهم مضى المنافقون في آثارهم يتبعونهم وينادونهم أنظرونا نقتبس من نوركم فنمشي فى ضوئكم ، فيقال ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا . وهو قوله تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) وذلك أنهم كانوا فى الدنيا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وأظهروا لهم الايمان بألسنتهم واعتقدوا الكفر بقلوبهم ، والله تعالى يعامل العباد على عقائد قلوبهم ، والمنافقون كانوا يتربصون بالمؤمنين الدوائر ، فاذا كانوا على الصراط على آثار المؤمنين ليمشوا فى نورهم قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس

---

(١) لفظة : فى بعضه لم توجد بالأصل وزدتها للسياق . (٢) يهوون يسقطون إلى أسفل

من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ، فيظنون أن وراءهم نورا يلتمسونه فيرجعون وراءهم فيرفع لهم سرداب (١) فيظنون أن فى السرداب نورا يجوزهم على الصراط فيقتحم بهم إلى أبواب جهنم ، فاذا رأى المؤمنون المنافقين قدتساقطوا وتهافتوا فى النار فزعوا مما حل بالمنافقين ، فعند ذلك يقال لهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، وهذا العذاب الذى فزعتم منه هو للمنافقين الذين عصوا الله ورسوله وجحدوا بآيات الله وخالفوا كتابه ، فعند ذلك يضرب بينهم بسور له باب *

السور الحاجز بين الجنة والنار

والسور هو الحائط له باب إلي الجنة وهو حائط بين الجنة والنار ، باطن ذلك الحائط فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب — يعنى جهنم — والباطن فيه الرحمة — يعنى الجنة — فاذا رأى المنافقون المؤمنين لم يعرجوا (٢) عليهم ولم يلتفتوا إليهم ، ورأوهم فى حال السلامة والفوز . فيقول لهم المنافقون ألم نكن معكم فى الدنيا على التوحيد وكنا نصلى معكم ؟ فيقول لهم المؤمنون . بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم — أى عذبتم — وأحرقتم أنفسكم بالنار بخلافكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقولكم بألسنتكم ماليس فى قلوبكم ، وتكذيبكم بلقاء الله تبارك وتعالى ، وكذبتم بهذا اليوم وتربصتم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين الدوائر ، وغرتكم الأماني حتي جاء أمر الله ، وغركم بالله الغرور فيما فعلتم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين ، فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا — يعنى لا يؤخذ من كافر ولا منافق فداء *

صفة المنافق

فالكافر هو الذى كفر فى السر والاعلان ، والمنافق الذى كفر فى السر وآمن فى الاعلان وآمن بلسانه وكفر بقلبه ، وقوله مأواكم النار ، أى مرجعكم اليها ومستقركم فيها ، هذا كله غرور الشيطان بكم حتى جاءكم الموت ومتم على النفاق ، فاذا رجعوا وراءهم ليلتمسوا النور (٣) رأوا سرداباً (٤) فيدخلون ذلك السرداب ويظنون أن النور فيـــه فيهجم بهم على أبواب جهنم فتخطفهم الملائكة بالكلاليب فتقذفهم فى جهنم حتي يجاوزون الباب الاول من جهنم ، ثم

(١) فى الأصل فيرفع لهم شراب وهو خطأ (٢) يعرجون : يرتقون ، وعرج فى السلم ارتقى (٣) فى الاصل : النار . وهو خطأ (٤) فى الاصل : رأوا سرابا وهو خطأ وقد سبق فى الاصل شرابا وصححتها لان ذلك هو الذي يقتضيه سياق الكلام

يلقون فى الباب الثانى حتى يجاوزونه ، فلا يزالون من باب إلى باب حتي ينتهوا إلى الدرك الاسفل من النار فينتهى بهم إلي جب (١) يقال له جب الحزن فى ذلك الجب بئر يقال لها الهبهب فيها توابيت من نار وعليها أقفال من نار *

بئر الهبهب

على تلك البئر صخرة من كبريت فى تلك البئر باب إذا رفعت تلك الصخرة استغاثت نيران جهنم من تلك النار التي تخرج منها ، فتأكل تلك النار التى تخرج من تلك البئر نيران جهنم وما فيها أسرع من طرفة العين ، فيؤتى بالمنافقين فيلقون فى تلك البئر وتوضع عليهم تلك الصخرة فلا يخرجون منها أبدا ، كلما أكلت تلك النار لحومهم جدد الله لهم لحوماً غيرها ، فلا يخرجون من تلك البئر أبدا ، فذلك قوله عز وجل: (إن المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا) وقوله (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) يعني بقوله ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا . وأما المؤمنون الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم فانهم يمشون على الصراط وأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم حتى إذا كانوا على جسر الصراط ، وهو أعلا الجسور من الصراط وهي الاعراف ، وهى المواضع المرتفعة واحدها عرف ، وتسمى النشز من الارض وهو الموضع المرتفع عرفا ، ومنها عرف الديك *

أهل الاعراف

فاذا صار على تلك المواضع من الصراط نقص نورهم وبقوا على أطراف أنامل أرجلهم ورأوا أن ذلك ظلمة ، وذلك أن الخلق على الصراط على قدر أعمالهم فى الدنيا ، فمن الناس من يكون له من النور مايضيء على الصراط مسيرة مائة عام ، ومنهم من يعطى من النور مايضيء له مسيرة سنة ، وما يضيء مسيرة شهر ، ومسيرة جمعة ، ومسيرة يوم ، ومسيرة ساعة ، ومن الناس من يعطى من النور ما يضيء له موضع قدميه . على قدر منازلهم عند الله تبارك وتعالى وعلى قدر أعمالهم فى الدنيا ، فيستبقون فى الجواز على قدر أنوارهم التى معهم فمن كان له نور كثير جاز فى السعة ، ومن كان له نور قليل جاز في الضيق ، على قدر ماأعطي الله لكل عبد ، فاذا ثبت أصحاب الاعراف على أنامل أرجلهم في ذلك ولا ينظرون إلي موضع أقدامهم من شدة الظلمة ، والظلمة هى من شدة سواد جهنم أعاذنا الله وإياكم منها وسهل لجميعنا

(١) الجب البئر التى تبنى بالحجارة .

شدائدها وظلمتها ، وثبت على الصراط أقدامنا بمنه وفضله . والصراط أحـــد من السيف وأرق من الشعرة وأحر من الجمر ، عليه من الحسك (١) والكلاليب أكثر من عدد الانس والجن قد تعلق بكل كلوب من الزبانية عدد نجوم السماء. إذا تكلم واحد منهم تناثر النار من فيه،لو أن واحدا منهم بصق فى البحار الزاخرة لجففها ، وإذا تكلم واحد منهم فزع صاحبه منه ، ولو سمع أهل الدنيا صوت واحد يتكلم بالكلام لمات كل من فيها من إنسها وجنها وجميع ماخلق الله تبارك وتعالى فيها من برها وبحرها من فظاعة كلامه ، ومن شدة صوته . وإذا صاح مالك (٢) خازن جهنم على خزنة جهنم يغشى عليهم من شدة صوته . والصراط مع دقته ورقته يضطرب كما تضطرب السفينة بأهلها إذا كانت الريح عاصفة ، فاذا ثبت القوم على أناملهم من أرجلهم ولا يستطيعون الجواز وهم ينظرون الى أهل النار كيف يعذبون فى النار ، قال الله تعالى: (واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين) وهم يستغيثون ويتضرعون الى مولاهم جل جلاله ويسألونه النجاة من النار ومن هول ماهم فيه من صعوبة الصراط ، فيمكثون كذلك ما شاء الله تبارك وتعالى مغمومين مكروبين محزونين لايدرون أينجون أم يهلكون !! مع كل إنسان منهم حافظاه اللذان كانا يكتبان عليه عمله فى الدنيا ، فبينما هم كذلك إذ يلقى الله تبارك وتعالى ذكرهم فى قلوب إخوانهم من أهل الجنة وعلى ألسنتهم ، فيقول بعضهم لبعض ياليت شعرنا ما فعل إخواننا من أهل الاعراف ؟ فيقولون مالنا علم بما صنعوا ولكننا نسأل الحفظة ومن معهم حتى يخبرونا مافعلوا فينادون من قصورهم يامعشر الملائكة الذين مع أصحاب الاعراف مافعل اخواننا من أصحاب الاعراف ؟ ٭

شفاعة أهل الجنة فى أصحاب الاعراف

فيقول الملائكة :يامعشر أهل الجنة أصحاب الاعراف لم يدخلوها وهم يطمعون بدخولها قد قل نورهم وطفىء سراجهم وبقوا على أطراف أناملهم وأرجلهم وهم وقوف ينتظرون رحمة ربهم فذلك قوله تعالى : (ونادوا أصحاب الجنة) يعنى نادت الملائكة أصحاب الجنة (أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون)

---

(١) الحسك : الشوك مثل حسك السعدان ، والحسك ما يعمل من الحديد على مثاله للحرب(٢) مالك هو الملك الموكل بالنار ، وجميع الكتب مملوءة بوصف شدته وغلاظته .

حياء آدم

فعند ذلك يلبس أهل الجنة الحلى والحلل ويضعون التيجان على رؤسهم ثم يمضون بأجمعهم حتى يأتوا آدم (١) عليه الصلاة والسلام وهو في قصره فينادون بأجمعهم ياأبانا أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك كرام ملائكته وأسكنك جنته ، إن ناساً من ولدك محبوسون على الصراط قل نورهم وطفيء سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين فيقول آدم عليه السلام : لست هنالك أنا الذى عصيت ربى وأكلت من الشجرة فغفر لى وأنا أستحى أن اسأله بعد المغفرة شيئاً ولكن عليكم بابني نوح الذى حمله الله فى الفلك *

حياء نوح

فيأتون نوحا عليه السلام فينادون بأجمعهم يانوح فيشرف عليهم من قصره فينظر الى جماعتهم فيقول لهم نوح : يا أهل الجنة ماالذى أزعجكم من منازلكم وما الذي جاء بكم ؟ فيقولون له يانوح أنت الذى حملك الله فى الفلك إن ناساً محبوسون على الصراط قل نورهم وطفيء سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين ، فيقول لهم نوح لست هنالك أنا الذي خاطبت ربي فيما ليس لى به علم فغفر لى وأنا أستحى أن أسأله بعد المغفرة شيئا ، ولكن عليكم بابراهيم الذى اتخذه الله خليلا ، وجعل النار عليه برداً وسلاماً ، فيأتون ابراهيم عليه السلام وهو فى قصره فينادون بأجمعهم يا إبراهيم أنت الذى اتخذك الله خليلا إن ناساً محبوسون على الصراط قل نورهم وطفيء سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين ،فيقول لهم لست هنالك ، أنا الذى كذبت كذبتين ـ وقيل ثلاث ـ فغفر لى وأنا استحى أن أسأله بعد المغفرة شيئا ولكن عليكم بموسى بن عمران كليم الله ونجيه *

حياء موسى

فيأتون موسى عليه السلام فينادونه فيشرف عليهم فيقولون له ياموسى أنت الذى كلمك الله بغير ترجمان وأنزل عليك التوراة وضرب لك طريقا يبسا فى الارض وأراك العجائب من

(١) يتأمل المطالع هذه القصة التى أبدع فيها المؤلف أى إبداع وعمل فيها الخيال الغريب حتى انها لتؤلف وحدها رواية خيالية بديعة منسقة التركيب وتلك طريقة معروفة عند القصاص فى الترغيب والترهيب لايخلو منها كتاب .

قدرته ، إن ناسا من إخواننا محبوسون على الصراط قل نورهم وطفىء سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين ، فيقول لهم موسى : لست هنا لك أنا الذى وكزت الرجل فقتلته فغفرلى وأنا أستحى أن أسأله بعد المغفرة شيئاً ولكن عليكم بعيسى ابن مريم العذراء البتول (١) البكر

حياء عيسى

فيأتون عيسى وهو صلى الله عليه وسلم فى قصره فينادونه بأجمعهم ياعيسى ، فيشرف عليهم من قصره فيقول لهم يا أهل الجنة ما الذى أزعجكم من منازلكم ، وما الذى جاء بكم ؟ فيقولون له ياعيسى أنت الذى خلقك الله من غير بشر وأنت الذى جعلك الله آية للناس ، وأنت ابن الطاهرة البكر العذراء البتول ، إن ناساً محبوسون على الصراط قل نورهم وطفىء سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين ، فيقول لست هنالك أنا الذى زعمت النصارى أنى قلت لهم اتخذونى وأمي إلهين من دون الله فأستحى منه أن أسأله شيئاً ولكن عليكم بالذى كان آخر المرسلين وهو اليوم أولهم ، عليكم به فهو إمام المتقين ، وسيد العالمين ، وخاتم النبيين ، محمد صلى الله عليه وسلم *

شفاعة محمد

فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى قصره خير قصور الجنة ، فيقفون (٢) حول القصر والقصر قد أشرف (٣) نوره وبهجته على جميع قصور أهل الجنة ، فينادون بأجمعهم يا محمد يا أبا القاسم يا أحمد ياسيد العالمين يا إمام المتقين ياخاتم النبيين ، فيشرف عليهم صلى الله عليه وسلم من قصره والنور من وجهه قد أشرق على قصور الجنة كلها ، فيقول لهم صلوات الله وسلامه عليه : ما الذى أزعجكم من منازلكم وما الذى جاء بكم ؟ فيقولون له أنت الذي جعلك الله خاتم النبيين وسيد العالمين وإمام المتقين ، إن ناسا من أمتك على الصراط محبوسون قل نورهم وطفىء سراجهم فاشفع لهم عند ديان يوم الدين *

دخوله جنة عدن

فيقول النبي صلى الله عليه وسلم أنا لها ، فيلبس صلوات الله وسلامه عليه الحلى والحلل

---

(١) البتول من النساء العذراء المنقطعة من الازواج الدائمة للعبادة (٢) فى الاصل : فيقولون حول القصر وهو خطأ (٣) لعلها قد أشرق نوره بالقاف

ويضع على رأسه (التاج) (١) صلوات الله وسلامه عليه ، ويتبعه أهل الجنة حتى ينتهى الى باب جنة عدن فيستفتح فيقال من هذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم فأقول أنا أحمد فيفتح لى ، فاذا خلف السرادق(٢) ملك يتلألأ نور فيهولنى ما أرى منه فيؤنسني ويمسحني فيقول يا أحمد أنت عبد وانا عبد مثلك ، ثم أمضى فانتهى الى سرادق ثان فأستفتح فيقال من هذا ؟ فاقول أنا أحمد فيفتح لى ، فاذا خلف السرادق ملك عظيم أعظم خلقا وأشد نورا من الذى رأيت فيهولنى ما رأيت من عظمه ، فيؤنسنى ويمسحنى ويقول ياأحمد أنت عبد وأنا عبد مثلك فلا أزال أمشى في عظم الملائكة وبعضهم أشد نورا من بعض حتى انتهى الى السرادق السابع فأستفتح فيقال من هذا ؟ فأقول أنا أحمد فيفتح لى فاذا خلف السرادق جبريل عليه الصلاة والسلام فيقول مرحبا بهذا الصوت لقد كنت اليه مشتاقا فأمضى حتى أنتهي الى الحجب فترتفع الحجب فيتجلى لى رب العالمين جل جلاله وعظمت قدرته فاذا نظرت اليه خررت له ساجداً فأحمده بتحميد ماحمده بمثله ملك من حملة العرش ولا من حملة الكرسى ولا نبى مرسل حينئذ فى ذلك المكان ، حتى يقول الكروبيون والروحانيون وأصحاب السرادقات ، إن هذا لأهل أن يشفعه الله فيمن يشفع

سجوده بين يدى الله تعالى

فيقول الجبار جل جلاله وعظمت قدرته يا أحمد ارفع رأسك وسل تعط و اشفع تشفع ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأرفع رأسى من السجود فاذا نظرت إلى ربى جل جلاله خررت ساجداً وأحمده وأثني عليه بمثل ماحمدته به فى المرة الاولى ، فأفعل ذلك ثلاث مرات وربي جل جلاله يقول لى فى كل مرة ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع، فأقول يارب إن ناسا من أمتي محبوسون على الصراط قل نورهم وطفئ سراجهم فأتمم لهم نورهم وأضئ سرجهم وهم الذين يقولون عند ذلك (ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شىء قدير) حتى نمضى كما مضى إخواننا الى الجنة ، فيبعث الله تبارك وتعالى الملائكة فيأتون بالنور من جنة عدن ، ثم يغمسون غمسا فيحيي الله نورهم ويضىء سراجهم ، ثم تقبل الملائكة على أهل جهنم

(١) لفظة التاج ساقطة من الأصل (٢) السرادق واحد السرادقات التى تمد فوق صحن الدار وكل بيت من قطن فهو سرادق مثل الخيم التى تصنع الآن فى احتفالات الافراح والمآتم

فيقولون لهم (هؤلاء الذين أقسمتم لاينالهم الله برحمته ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون) وذلك أن أهل جهنم لما نظروا الى أصحاب الاعراف محبوسين على الصراط قال بعضهم لبعض : والله ماحبسوا هؤلاء إلا ليدخلوا معنا فى جهنم ، فمن أجل ذلك قالت لهم الملائكة (أهؤلاء الذين أقسمتم لاينالهم الله برحمته) ثم تقبل الملائكة على اصحاب الاعراف

جاه المصطفى العظيم

فيقولون لهم (ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولاأنتم تحزنون) أى لاتحزنون ولاتموتون فى الجنة أبداً ، فيمضون والنور الذى جاءتهم به الملائكة فى جنة عدن يسعى بين أيديهم وبأيمانهم حتي يجوزوا الصراط ويدخلوا الجنة ويلحقوا بمنازلهم وإخوانهم ونبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما حبسهم الجبار جل جلاله وعظمت قدرته ليظهر جاه محمد صلى الله عليه وسلم وفضله وحرمته ودرجته ومنزلته ومكانه عند الله تبارك وتعالى من الشفاعة صلى الله عليه وسلم صلاة تشرف بها عقباه ، وتبلغه بها من الشفاعة العظمى رضاه آمين يارب العالمين صلاة دائمة منتهي الآباد طيبة باقية بلا انقطاع ولانفاد ، صلاة تنجينا بها من حرجهم وبئس المصير ، وتدخلنا الجنة مع صحابته الأبرار الطيبين آمين يارب العالمين ❋

ـ ٦ ـ مجلس فى قوله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها
(وفى حساب الملائكة والرسل واللوح المحفوظ)

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تقف للعرض الأكبر بين يدى رب العالمين فيغرقون (١) على قدر أعمالهم »

وروي عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة يابنى آدم انصتوا فطالما نصت لكم وفى رواية أخرى فقد نصت لكم من يوم خلقتكم الى يومكم هذا أسمع قولكم وأنظر أعمالكم ، فانظروا اليوم أعمالكم تعرض عليكم فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه ، احشروا على عبادي فوعزتى وجلالى لايجوزنى ظلم ظالم . فكيف بك يامسكين يامغرور ياتارك الحق والصواب ، يامخالف السنة والكتاب ، ياظالما لنفسه ياغافلا عن الحساب يامن بذل نفسه لأليم العذاب ، يامن تمادى فى معصية رب الارباب ، ونسي الجنة وحسن المآب . وأنشدوا :

(١) كذا بالاصل ولعلهم يغرقون فى عرقهم كما جاء فى كثير من الاخبار

الى كم لا تفيق من التصابى وهذا العمر يؤذن بالذهاب
ويرضى بالقليل المرء حظا ويزهد فى الكثيرمن الثواب
فقد ماغرت الدنيا أناساً كما غر المحين (١) بالشراب
تمنيهم غرورا باطلات وتخدعهم بآمال كذاب
كانك لا تري فى كل يوم جنائز تستحث الى الخراب
خلقت من التراب وعن قريب ستلحق - غيرشك - بالتراب
وتحي بعد موتك كى تجازي بما قدمت فى يوم الحساب
فان تك بالمسيء بقبح فعل فحسبك بالعقاب مع العذاب
وإن كنت الذى قدمت خيرا جزيت به غداً حسن المآب

تبكيت الله تعالى للجبابرة

ذكر فى بعض الاخبار أن الجبار جل جلاله إذا اجتمع الاولون والآخرون فى عرصة القيامة نادى سبحانه وتعالى ، أين الجبابرة وأبناء الجبابرة ؟ أين الملوك وأبناء الملوك قصمت(٢) الجبابرة بسلطانى ، وأفنيت الملوك بعظمتي *

ذكر فى الخبر أن الجبابرة يحشرون يوم القيامة على صور الذر أصغر الخلائق خلقة لتجبرهم على العباد ، والجبابرة هم الذين تجبروا على الخلق وعن اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل الجبابرة هم الذين جبروا المساكين والضعفاء على مالم يطيقوا وهذا الاسم قد اشترك فيه الخالق والمخلوق ، فالخالق جل جلاله هو جبار على الحقيقة *

تفسير الجبار

وتفسير الجبار فى حق الله تعالى الذى جبر عباده علي ما أراد ، وقيل الذى يجبر عن ظلم العباد إن الله تعالى جل اسمه لا ينسب اليه الظلم لان حد الظلم وضع الشيء فى غير موضعه ، لان الدنيا والآخرة ملك الله تعالى ، والجبار من العباد هو الظالم الذى يضع الشيء فى غير موضعه ، يأخذ ماليس له بحق ويرده الى ماقد ملكه الله تبارك وتعالي ، واذا قضى الله تعالى

(١) كذا وردت بالاصل ، ولعلها : كما غر المحبين السراب أى الوعود الخادعة وعلى الجلة ليس ذلك بكبيرخطر . (٢) قصمهم: كسرهم .

على عبده بقضاء فهو له خيرة . لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يكمل للمؤمن إيمانه حتى يرى أن الذى قضاه الله عليه أو له خير له من الذى أراد لنفسه » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فى قضاء الله تعالى خيرة إلا قضاء النار » (١) وإذا قضى الله تبارك وتعالى على عبده بالنار فهو عبده وهو خلقه لم يعنه أحد على خلقه ولا على رزقه ، وهو يفعل ما يريد لاشريك لهفىملكه . ثم ينادي الجليلجلجلاله (يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) فاذا سمع الخلقهذا النداء رفعوا رءوسهم وطمعوا كلهم فى هذا النداء وقالوا كلهم نحن عباد الله ، ثم ينادي ثانية (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) فعند ذلك ينكس رأسه كل من لم يكن مسلما ، فتبقى أهلالأديانمتحيرين ويفرح المسلمون ، ثم ينادى ثالثة (الذين آمنوا وكانوا يتقون) أى كانوا يتقون الكبائر — فينكس أهل الكبائر من أهل التوحيد رءوسهم ويرفع رءوسهم سائر أهل التوحيداللذين اجتنبوا الكبائر وتابوا عنها توبةنصوحا *

فكيف بك يا مغرور يا مسكين قد ارتكبت الكبائر والصغائر ، وعصيت مولاك فى الخفيات والظواهر ، وأيقنت أنك مسئول يوم تبلى السرائر ، ولاق من العقوبة على ذلك الحظ الجزيل الوافر . وأنشدوا :

عصيت الله ألوان المعاصى كأني لستأوقنبالقصاص
فمالى لا أنوح على ذنوبي وأبكى يوميؤخذ بالنواصى

نصيحة

فانظر لنفسك يامسكين ياضعيف الايمان واليقين،قبل حلول الندم ، وزوال النعم ، ونزول النقم ، حيث لا ينفع الندم . فاستعد للسؤال ، وتهيأ للجدال ، قال الله الكبير المتعال (يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفي كل نفس ماعملت وهم لا يظلمون) *

السائق والشهيد

فاذا سمع العباد النداء وعلم كل عبد وأمة منزلته من جميع أهل الاديان ، نشرت الدواوين ووضعت الموازين ، وجيء بالنبيين ، ونصبت المنابر بالانبياء والرسل فيجلس كل نبي على منبره وأمته قد أحدقت به ، ونصبت الكراسى للصديقين والشهداء (وجاءت كل نفس معها

(١) أي كل مايقضى به تعالى خير إلا قضاؤه بالنار فهو بحسب مايصيب العبد ليس فيه خير له البتة وإن كان عدل عقابه *

سائق وشهيد) سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها ، فالناس ينقسمون في السياقة على قسمين : قسم تسوقه الملائكة ببر وإكرام ، ورق (١) وإجلال ، وتؤمنهم وتهدى روعاتهم كلما نظر العبد الي من يعذب أو ينكل يقول له سائقه من الملائكة : ياعبد الله ما أنت مثل هذا ، هذا عصى الله وأنت أطعته . والقسم الثاني يساقون بالانتهار والسطوة والاغلاظ ، يسوقه سائقه وهو يروعه ويقول له يا عدو الله هذا الحساب سوف تدرى ، كلما نظر المسكين الى من يعذب أو ينكل (٢) قال له سائقه : الساعة تكون أنت مثل هذا ، هذا عصى الله وأنت عصيته ، أما علمت ياعدو الله أن الحساب والحشر أمامك ؟ وأنشدوا :

كأني بنفسي قد بلغت مدى عمرى ... وأنكرت ماقدكنت أعرف من دهرى
وطالبنى من لا أقوم بدفعه ... وحولت من داري الى ظلمة القبر
وفاز بميراثى أناس فشتتوا ... بافسادهم ماكنت أجمع من أمري
وأغفلني من كان يبدى محبتى ... فأخلصه ودى ويغمره برى
فلم يسخ لى منهم صديق بدعوة ... إذا ما جري يوما بحضرته ذكرى
وأضحى لبيتى ساكن مبهج به ... وفى اللحد بيتى لا أقوم الى الحشر
فيا شقوتى إن لم يجد بنجاته ... الهى ولم يجبر برحمته فقرى
فقد أثقلت ظهرى ذنوب لو انها ... على ظهر طور (٣) أثقلته من الوزر

فما أعظم مصيبتكم ، وما أطول حسرتكم إن لم يعف عنكم مولاكم وجعل النار مأواكم ، فاغتنموا التجارة فى دار الفناء والذهاب ، يجازيكم بها مولاكم عند مناقشة الحساب ، فالحساب عظيم عسير ، والهول والله جليل كبير ، والناقد مميز بصير ، واليوم عبوس قمطرير *

اللوح المحفوظ

ذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : اذا جمع الله تبارك وتعالى الاولين والآخرين فى صعيد واحد ونشرت الدواوين ، ونصبت الموازين ، وأحضرت الانبياء بأممها ، وحضر الصديقون والشهداء ، وحشر وحوش الارض ، وهوامها وطيورها وأنعامها ، وسكان جبالها وبحارها .

---

(١) كذا بالاصل والصحيح رقة . (٢) النكل : بوزن الطفل القيد ، ونكل به جعله عبرة لغيره (٣) الطور : الجبل العظيم

ينادي مناد من قبل العرش أين اللوح المحفوظ ؟ (١) فيؤتى باللوح المحفوظ فيوقف بين يدى الجبار جل جلاله خاضعاً ذليلا ، فيقول له تبارك وتعالى ما صنعت بالوحى الذى أنزلت فيك ؟ واللوح من درة بيضاء ، صفحتاه من ياقوتة حمراء ، عرضه كما بين السماء والارض ينظر الله تبارك وتعالى فيه فى كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة ، فيخلق فى كل نظرة ، ويحى ويميت ويعز ويذل ، ويرفع أقواما ويفعل بهم الخير ويوفقهم بفضله ، ويخفض أقواما ويصدهم عن منهاج الهدى بعدله ، لايسأل عما يفعل وهم يسألون يوم القيامة لانهم ماقدروا الله حق قدره ولا عبدوه حق عبادته ، لانه جل جلاله أجل وأعظم من أن يوفى فى العبادة والطاعة والمعرفة حقه ، ماقدر على هذا نبى مرسل ولا ملك مقرب . فسبحان من لا سبيل إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته . قال فيقف اللوح بين يدى الجبار جل جلاله وعظمت قدرته فيقول له أيها اللوح المحفوظ ما صنعت بالذى أنزلته فيك ؟ فيقول اللوح المحفوظ سيدي ومولاي بلغته عبدك ميكائيل *

رسالة ميكائيل

فينادى أين ميكائيل فيؤتى به صلى الله عليه وسلم وهو ملك عظيم له ستة عشر الف جناح لو نشر منها جناحا واحداً فى الدنيا لما وسعته ، فيقف بين يدى الله تبارك وتعالى خاضعا ذليلا قد بلغت نفسه الى حنجرته فلا هى تدخل ولا هى تخرج خوفا وجزعا وهيبة من الجبار جل جلاله ، فيقول الله له ماصنعت بالوحى الذى بلغ اليك اللوح المحفوظ ، وهل تشهد له بالتبليغ ؟ وأنا أعلم بذلك منك ولكن سبق فى علمى أنى أسأل اليوم عبادى وجميع خلقي واستشهد بعضهم على بعض ، فيقول ميكائيل : يارب بلغنى اللوح المحفوظ وبلغتـــه عبدك إسرافيل وأنت أعلم *

رسالة إسرافيل

فيبرأ اللوح المحفوظ بشهادة ميكائيل له ، ثم ينادي أين إسرافيل ؟ فيؤتي به صلى الله عليه وسلم وهو ملك عظيم له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب ورجلاه تحت تخوم الارض السابعة

---

(١) أنظر رعاك الله إلى هذه الرواية العجيبة وما فيها من دليل على الخيال السامى عند المؤلف فقد ركبها تركيبا محكما استخلص منه الى عظيم جاه المصطفى ومنزلته العالية عند الله تعالى وتقديمه على سائر الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

السفلى والعرش على رأسه فيقف بين يدى الله تبارك وتعالى وجل مع عظم خلقه خاضعا ذليلا قد ذهلت نفسه وتغير لونه، وارتعدت فرائصه واضطربت أوصاله واصطكت ركبتاه، وقد بلغت نفسه إلى حلقه فلا هى تدخل ولا هى تخرج خوفا وجزعا وهيبة من الله تبارك وتعالى . فيقول له الجبار جل جلاله: ماصنعت بالوحى الذى بلغك ميكائيل ، وهل بلغك وهل تشهد له بالتبليغ ؟ وأنا علام الغيوب . فيقول إسرافيل عليه السلام نعم ياسيدى ومولاي قد بلغنى وأنت أعلم وقد بلغته عبدك جبريل (عليه السلام) ، فيبرأ ميكائيل بشهادة إسرافيل عليهما السلام*

رسالة جبريل

ثم ينادى أين جبريل ؟ فيؤتى بجبريل صلى الله عليه وسلم وقد تغير لونه وتبلبل لبه وارتعدت فرائصه واضطربت أوصاله واصطكت ركبتاه ، وقد بلغت نفسه إلى حلقه فلا هى تدخل ولا هى تخرج جزعا وخوفا من الجبار جل جلاله ، فيقول الله تبارك وتعالى : ياجبريل ماصنعت بالوحى الذي بلغك عبدى إسرافيل وهل تشهد له بالتبليغ ؟ فيقول جبريل عليه السلام نعم يا سيدى ومولاى بلغنى وبلغته نبيك نوحا (١) عليه السلام وأنت أعلم. فيبرأ إسرافيل بشهادة جبريل *

شهادة نوح

فيؤتى بنوح عليه السلام حتى يوقف بين يدى الجبار جل جلاله وقد ذهبت نفسه وتغير لونه وقد مات فزعا وخوفا من الجبار جل جلاله، فيقول الجبار جل جلاله: يانوح ما صنعت بالوحى الذى بلغك عبدى جبريل (عليه السلام) وهل تشهد له بالتبليغ ؟ فيقول عليه الصلاة والسلام نعم ياسيدى ومولاى قد بلغنى عبدك جبريل (عليه السلام) وقد بلغته قومى وأنت أعلم من جميع عبادك بذلك. فيقول الله تبارك وتعالى: صدقت أنا أعلم من جميع خلقى ولكن قد سبق فى علمي أن أسأل جميع خلقى وأستشهد بعضهم على بعض وأنا الحاكم الجبار الذى لا أجور فى حكمى . ثم يدعى بقوم نوح عليه السلام فيقول لهم ماصنعتم بالوحى الذى بلغكم نوح (عليه السلام) وهل بلغكم وهل تشهدون له بالتبليغ؟ فيقول قوم نوح : ربنا ماجاءنا من نذير ولا رأيناه يوما قط ولا سمعنا به ولا بلغ الينا رسالة ، فاذا سمع نوح

(١) لا أدرى الحكمة التى خص بها المؤلف نوحا عليه السلام فى إسناد هذه القصة اليه إلا إن كان يريد (فكذبه قومه) وذلك لعمرى اقتباس عجيب .

عليه السلام كلام قومه ذهبت نفسه وود لو ابتلعته الارض ، ولو قضى الله تبارك وتعالى بالموت لمات نوح حين جحده قومه حياء من الله تبارك وتعالى ، فيقول الله تبارك وتعالى : يا نوح هل تجد من يشهد لك أنك قد بلغت قومك الرسالة ؟ فينظر نوح عليه السلام فى الموقف يمينا وشمالا ومشرقا ومغربا يتضح ويتبصر من بين سائر الانبياء والمرسلين ، وبين كراسى الشهداء والصديقين ، فلا يرى فى المنابر أعلا ولا أنور ولا أحسن ولا أزهى من منبر محمد صلى الله عليه وسلم ٭

جاه الرسول الاعظم

ولا يرى فى الانبياء أحسن وجها من وجه محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يرى نوح في الكراسى أنور ولا أحسن من كراسى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يرى أبهى ولا أنور ولا أحسن من كرسى أبي بكر الصديق رضى الله عنه · ولا يرى فى الوجوه أحسن وجها من وجوه أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يرى فى الصديقين والشهداء أحسن ولا أبهى ولا أنور من وجه أبي بكر الصديق رضى الله عنه ٭

فضل أبي بكر الصديق

فيقول له نوح : قد أصبت من يشهدلى يا مولاى وسيدى ، فيقول الله تبارك وتعالى - وهو أعلم - من يشهد لك يا نوح ؟ فيقول نوح عليه السلام : يشهد لى محمد صلى الله عليه وسلم وأمته بأني قد بلغت قومى الرسالة ، فينادى منادٍ أين النبى الامى العربي التهامى ؟ أين احمد أين سيد العالمين ، أين خاتم النبيين والمرسلين ، أين إمام المتقين ؟ فعند ذلك يقوم محمد صلى الله عليه وسلم ، وعند ذلك يرفع أهل الجمع رءوسهم اذا رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمضى صلوات الله عليه حتي ينتهى الى ربه عز وجل ، فيقول له ربه يا أحمد — ونوح قائم ينظر — ما تقول (١) هل بلغ نوح الرسالة الي قومه ؟ فيقوم محمد صلى الله عليه وسلم : نعم يا سيدى ومولاي قد بلغ وأقام يدعوهم الى الايمان ألف سنة الا خمسين عاما . فيقول الجبار

(١) فى الاصل : ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد ورد كثيرا عند الكلام المسند الى الله تعالى ؛ جبريل عليه السلام ، ميكائيل عليه السلام ، محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك — كما أرى — زيادات من النساخ على الاصل كما جرت العادة عند ذكر هذه الاسماء

جل جلاله : صدقت يا أحمد . فعند ذلك يفرح نوح عليه السلام ويتهلل وجهه : ثم يقول الله تعالى : يامحمد هلم أمتك الى الحساب والشهادة ، فبينما الخلائق فى الموقف إذ يموج بعضهم فى بعض ويفزعون فزعة عظيمة ، فتجتمع كل أمة حول نبيها وتنظر أمة محمد صلى الله عليه وسلم يميناً وشمالا فلا يرون النبي صلى الله عليه وسلم ، والأمم قد أحدقت بأنبيائها وينظر الأنبياء والأمم إلى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خاليا ٭

منبر الرسول والمحشر

فيقول بعضهم لبعض : لمن هذا المنبر الذي لايرى فى الموقف مثله لحسنه وجماله ، ولا يرى أنور منه ولا أعلا ولا أبهى منه ، ونراه خاليا ولانرى له صاحبا ؟ فبينما هم ينظرون إلى منبر النبي صلى الله عليه وسلم إذ ينادى المنادى ، ألا أن هذا المنبر منبر محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم يناجى ربه فى المذنبين من أمته يشفع لهم الى الله تعالى . فبينما هذه الامة وقوف مغمومون محزونون بما يأتي النبي صلى الله عليه وسلم من عند ربه عز وجل ، إذ يخرج اليهم صلوات الله وسلامه عليه من عند ربه جل جلاله حتى ينتهى اليهم فيقوم بينهم فيرفعون رؤسهم وينظرون اليه ، فاذا رآهم صلوات الله وسلامه عليه أرسل عينيه بالبكاء ، فاذا نظروا (تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً) الآية . ذلك يوم مهول عبوس يوم تشيب فيه الرؤس ، وتذهل فيه النفوس ، وتبلو كل نفس ما أسلفت ، وتقدم كل أمة على ماقدمت ، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت (١) يجد والله كل عبد وأمة ما عمل وقدم من خير ثوابا ونعيما ، وسروراً مقيما ، وربا كريما ، رؤفا بعباده رحيما. ويجد كل عبد وأمة ما عمل من شر خزيا جسيما ، وناراً وجحيما ، وعذابا مقيما ، ونكالا أليما ، وربا غضبانا عظيما (يوم تجد كل نفس ماعملت)

الثواب والعقاب

يجد الطائع الثواب ، ويجد الفاسق العذاب . يجد المؤمن لذة الوصال ، بالنظر إلى الكبير المتعال ، فى دار الخلد والجلال ، ويجد الكافر العذاب والنكال ، والسلاسل والاغلال ، والجحيم

---

(١) اقتبس المؤلف رحمه الله تعالى هذا من القرآن الكريم من قوله تعالى (يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وترى الناس سكارى وماهم بسكاري ولكن عذاب الله شديد) وكثيراً ما كان يرتب مجالس وعظه على الفقرة الاخيرة من الآية ويتدفق فى بلاغة موعظته .

والخبال ، وفظاعة الاهوال ، يوم تجد كل نفس ماعملت ، يجد المؤمن النعيم والكرامة ، والأمن فى القيامة ، والعافية والسلامة ، والحلول فى دار المقامة ، ويجد الكافر الخزى والندامة ، والعذاب والملامة (يوم تجد كل نفس ماعملت) يجد المؤمن الدرجات ، ويجد الكافر العقوبات ، يجد المؤمن السرور ، ويجد الفاجر الثبور ، يجد المؤمن النعيم والخلود ، ويجد الفاجر عذابا غير مردود ، ويجد المؤمن ماقدم من الاحسان ، فى درجات الجنان فى جوار الرحمن ، مع الخيرات الحسان ، ويجد الفاجر ماعمل من العصيان فى سموم النيران ، فى جوار الشيطان ، مع الذل والهوان . يوم تجد كل نفس ما عملت ، فى يوم هائل عظيم ، يوم تكثر فيه العموم وتعظم فيه الهموم ، ويفصل الرب بين عباده وهو الحى القيوم (يوم تجد كل نفس) يوم تندم على القبائح ، وتتأسف عند معاينة الفضائح ، وتوجد الاعمال فى الصحائف الصحائح . يوم تجد كل نفس يوم يندم الظالم ويخسر الآثم ، ويكون الجبار جل جلاله فى ذلك اليوم العدل الحاكم ، ذلك يوم الندامة والحسرة ، والاهوال والعبرة . وأنشدوا :

ياواحدا صمدا بغير قرين ارحم ضراعة عبدك المسكين
واعطف على إذا وقفت مروعا حيران بين يديك يوم الدين
ياحسرتي بين العباد إذا هموا خافوا الحساب نخف عنهم دونى
ماحيلتى فى (يوم (١)) نشر صحيفتي إذ قيل لى خذها بغير يمين
ماحيلتى عند الحساب وهوله إذ قصرت بي قوتي ويقيني
لاحيلة عندى ولا (لى (٢)) موئل إن خانني طمعى وحسن ظنوني
يارب لاتترك عبيدك هالكا وارحم بفضلك عبرتى وشئوني (٣)

(يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا) أى تجده حاضرا عتيدا (٤) وتسأل عن أعمالك سؤالا شديدا (وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيدا)

قيل الأمد (٥) البعيد الذي يود من عمل سوءا و عصى مولاه أن يكون بينه وبين عمله السوء كما بين المشرق والمغرب *

وقيل الامد البعيد الغاية فى البعد الذي يتمنى أنه تاب فى الدنيا وتبدل الشر بالخير حتى يمحى

---

(١) لفظة (يوم) لم ترد بالاصل ، وزدتها للوزن (٢) لفظة (لى) لم ترد بالاصل أيضا
(٣) الشئون هى ملتقي عروق الرأس ومنها تجىء الدموع وأطلقت مجازا على الدموع نفسها كما في البيت (٤) العتيد الحاضر المهيأ (٥) الأمد الغاية كالمدى

عنه السوء بالتوبة فلا يراه ولا يسمعه ولا يعاقب عليه إذا رأي التائبين غفر لهم بالتوبة ، وبدلت سيئاتهم بالحسنات والأوبة ، كما قال تعالى (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون) الآية ٭

فائدة التوبة

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » فاذا رأى المسكين الذي عمل السوء وقد أحاطت به الكروب وترادفت عليه الهموم والخطوب ، واسود وجهه من ظلمات الذنوب ، وقد غضب عليه علام الغيوب ، ورأى الذين تابوا من إخوانه وأهله وأصحابه وجيرانه قد فازوا بالملك الكبير ، والحساب اليسير ، ولباس السندس والحرير ، والنظر إلى وجه السميع البصير (١) ورأى نفسه قد خسر وخاب ، وحرم الثواب ، ونوقش الحساب ، وحجب عن رب الارباب ، وصار إلى أليم العذاب . يود لو كان تائبا ، ولم يكن من الرحمة خائبا ، يود لو كان السوء عنه بعيداً ، ولم يكن حاضراً عتيداً ، ولم يكن العذاب عليه شديداً . يود لو كان من التائبين ، ولم يكن من المحرومين ، يود لو كان من الآمنين ، ولم يكن من الخالفين ، يود لو كان من الطائعين ، ولم يكن من العاصين ، يود لو كان من المحسنين ولم يكن من الظالمين ، يود لو كان من أهل الجنان ، ولم يكن من أهل النيران ، يود لو كان من اهل الثواب ولم يكن من اهل العقاب ، يود لو كان من أهل النعيم ، ولم يكن من أهل الجحيم ، يود لو كان من الاولياء ، ولم يكن من الاشقياء . يود لو كان من أهل الوفاق ، ولم يكن من أهل النفاق . يود لو كان من أهل الفوز بالجنة ، ولم يكن من أهل العذاب والمحنة . يود لو كان سعيداً رشيداً ، ولم يكن عن الله بعيداً . لا أبعدنا الله وإياكم من رحمته ، وقربنا وإياكم بالفوز لجنته ٭

عمل العبد يلازمه

ذكر في بعض الأخبار أن العبد اذا مات أحضر عمله كله عند رأسه حين يغسل خيرا كان أو شرا فاذا صلي عليه ومضى الى قبره وانصرف الناس عنه بقي عمله معه فى قبره ولا يزال معه فى قبره إلى يوم يخرج من قبره فاذا خرج خرج معه ، فاذا قدم إلى الحساب اجتمع عمله كله

(١) قد جاء فى القرآن الكريم (وجوه ناضرة الى ربها ناظرة) وفى الحديث « سترون ربكم كالقمر عند تمامه لا تضارون شيئاً من رؤيته » ورؤية الله تعالى يوم القيامة لا شك فيها وتلك أفضل الكرامة . وقد ايدها الامام احمد بن حنبل بأحاديث صحيحة

خيره وشره حتى حركاته وأنفاسه ووفاقه وخلافه ، يجد الكل مجموعا لم ينس منه شيء من الكبائر ولا من الصغائر ، ولا من الظواهر ولا من السرائر *

الحض على التوبة

فالله الله معشر المذنبين مثلي أبعدوا عن عمل السوء بالتوبة الى الرحمن، ولا تغرنكم الحياة الدنيا فانها غرور الشيطان ، واعلموا أن الله تبارك وتعالى يمحو عنكم سيئاتكم بترك الذنوب والعزم على التوبة ، ويرحمكم يوم الحساب بحسن الأوبة . ياأخى ياأخى وما عسى أن أقول لك من كرم مولاك الجليل جل جلاله لو ان الذنوب التي عملت فى أيام طغيانك وعصيانك كانت مثل جبال الدنيا برمالها وبحارها وأنهارها ، وتبت توبة واحدة بصدق وحرقة وندامة، ليغفرها لك مولاك الكريم بكرمه وفضله ، ولا تسأل عنها يوم القيامة (١) وأنشدوا :

نهاك الطبيب محيلا على ... مطاعم لو نلتها لم تمت
وخاطبك الله جل اسمه ... بترك الذنوب التى حرمت
فأعرضت عن أمره لاهيا ... وأمنت نفسك ما خوفت
فأطمعتها أن تنال الرضا ... بجهلك فى فضل من قدعصت
فماذا تقول إذا أزعجت ... لتخرج بالكره فاستسلمت
فلا ندم حط أوزارها ... ولا توبة غسلت ماجنت
وأفردت وحدك فى ملحد ... بكت فيه نفسك ما أسلفت

ما تحويه الآية

يا أهل الذنوب تدبروا هذه الآية فان فيها بلاغة لمن تذكر ، وزجرا لمن اعتبر ؛ وتخويفاً لمن تدبر ، ونهيا لمن تفكر . فالفكرة عبادة ،وخير وزيادة . لان مولاكم الكريم قد خوفكم وهددكم وزجركم بها زجرا شديدا فقال(يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً وماعملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) ثم قال (ويحذركم الله نفسه) أى يحذركم عقابه وعذابه اذا عصيتموه ، ويجزل لكم ثوابه اذا أطعتموه ، فلا يحقرن أحدكم من الذنوب شيئا وإن صغر فربما كان فيه شدة العذاب والعقاب ، ولايحقرن أحدكم حسنة يعملها وإن قلت فربما كان فيه الرضا من الملك الوهاب . واعلموا أن الذنب الذى يحقره صاحبه يكون يوم

(١) قال الله تعالى (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء)

القيامة فى ميزان فاعله أثقل من جبال الارض، فازجر نفسك عن غيها وقدم فى حياتك ليوم فقرك . والاصل فى الذنب الصغير أن يكون سببا لدخول صاحبه فى النار . إن العبد المغرور يعمل الذنب ويحقره ولا يفكر فى من قد عصاه وهو الجبار جل جلاله ، فعندذلك يغضب عليه مولاه ويقول له : عبدى حقر ذنبه واستخف بحقى ، وعزتى وجلالى لأعذبنه عليه بالنار ومن تاب تاب الله عليه وغفر له بالتوبة *

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إياكم ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا» قال الله سبحانه (يوم تجد كل نفس ماعملت) الآية . وأنشدوا :

قد ذهب الحى الى عرسه(١) وعذب الميت فى رمسه
مرتهن النفس بأعمالها لا يأمن الاطلاق من حبسه
لنفسه صالح أعمالها وما سوي هذا على نفسه

حكاية عن أحد الصالحين

حكى أن المنصور بن عمار رحمه الله دخل على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك : يامنصور مسألة ؟ وقد أمهلتك سنة كاملة ، من أعقل الناس ، ومن أجهل الناس ؟ قال فخرج منصور إلى بعض الفضاء من القصر ليخرج فاذا الجواب قد حضره ، فرجع الى عبد الملك ، فقال له عبد الملك يامنصور ماالذى ردك إلينا ؟ قال : ياأمير المؤمنين أعقل الناس محسن خائف وأجهل الناس مسيء آمن . فبكى أمير المؤمنين حتي بل ثيابه بدموعه ثم قال أحسنت والله يامنصور ثم قال له اقرأ على شيئا من كتاب الله فهو الشفاء لما فى الصدور ، وهو الدواء والنور . فقرأ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا) الآية . فقال عبد الملك : قتلتنى يامنصور ثم غشى عليه ، فلما أفاق قال له يامنصور مامعنى (ويحذركم الله نفسه) قال منصور عقوبته ياأمير المؤمنين . فبكى عبد الملك ثم أفاق فبكى مرة أخرى ثم قال يامنصور ومامعني (رؤف بالعباد)قال رحيم غفار لمن تاب وأناب قال ومامعنى (ماعملت من سوء محضرا) قال كل صغيرة وكبيرة يجدها العبد يوم القيامة لم يغفر الله منها شيئا . فبكى عبد الملك حتى غشى عليه ، فلما أفاق قال :

---

(١) الضمير راجع الى عرس الميت أي أن زوجته سوف تتزوج بحي خلافه وامواله يتمتع بها الوارث وليس له بعد موته الا رمسه يعذب او ينعم فيه ولا يدفع عنه العذاب ماترك من مال بلغ مابلغ ان لم يؤد حق الله فيه ، وهو الزكاة والصدقة وصلة الرحم .

رقة عبد الملك بن مروان

إن والله من فكر فى هذه الآية وعصى مولاه بعد ذلك لقد ضل ضلالا بعيدا . وأنشدوا:

بكيت على عظم الذنوب وغزرها (١) وما قل من يبكى لعظم سؤاله
تفكر في عظم السؤال وهوله وتندب دهرا زاد قبح فعاله
لعل إله العرش يرحم عبده ويمنحه فى الحشر طول وصاله
ويغفر ماقد كان فى طول جهله ويسكنه بالعفو دار جلاله
وإن نظر الرب العظيم جلاله فذاك جسيم من جزيل نواله

(يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا) تجد والله كل نفس ماقدمت فى الايام ، من الطاعات والاجرام . ذلك يوم المصائب ، ويوم النوائب ، ويوم العجائب . يوم هتك الاستار ، يوم تسعر فيه النار ، يوم يفوز فيه الابرار ، ويندم فيه الفجار ، وتعرض العباد على الواحد القهار . فالعجب كل العجب ممن قطع عمره فى الاغفال ، وضيع أيامه فى المحال ، وأفنى شبابه فى الضلال ، ولم يعمل بما فى كتاب ذى المجد والجلال ، قال الله الكبير المتعال (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا) يقول الله تعالى يا ابن آدم تطلب موعظة ساعة وتقيم على الذنب سنة ؟ ! وأنشدوا :

مابال قلبك باللذات قد شغفا وعن فوات صواب الفعل ما أسفا
وقد توعده الجبار خالقنا وبالذنوب وبالعصيان قد كلفا

توبيخ الله تعالى للعباد

ذكر فى بعض الاخبار أن الله تبارك وتعالى يقول فى بعض كتبه المنزلة على أنبيائه : ياعبدى ما الذى زهدك فى ورغبك فى غيري ؟ عبدى أنا أتقرب اليك وتهرب عني وأطلبك وتفر مني ! عبدى بسطت لك غرور الدنيا فاشتغلت بها عنى ، وآثرتها على وزهدت فى سعة رحمتى ! أهكذا يفعل المطيعون بأربابهم المحسنين اليهم ؟ عبدى من الذى سترك وكلأك وحفظك ووقاك ؟ هل كانت لك شركة فى نفسك معى ، أم هل كانت لك قوة بنفسك على ؟ عبدى ما الذى قصرك عن

(١) كذا بالاصل ولعله يريد غزارتها أى كثرتها فألجأه الوزن الى ذلك

عبادتی ؟ ما الذی زهدك فی طاعتی ؟ أين أنت من هادم اللذات ، أين أنت من نواح (١) الآباء والامهات ، أين أنت من المفرق بين البنين والبنات، أين أنت ممن لايستأذن على اصحاب القصور ،ولا يستأمر أرباب الدور ، أين أنت من قاصم الجبارين الموكل بأرواح المخلوقين ؟ عبدى أليس قد اضمحلت آثار الماضين ، ودرست معالم السالفين، واتبع آثارهم الباقون . ومن ذا الذى يقوم بخلود الدهر غيري ،ومن ذا الذى ينفع دوام الابد غيرى ،عجزت عن الخلود الجبال الراسيات والاطواد العاليات ، والبحار الطاميات . أنا الذي تفردت بالبقاء، وحكمت على عبادى بالفنا ، انا الله لااله إلا أنا لاشريك معى فى ملكى ، ولا نظير لى فى حكمى، ولا ضد لى فى سلطانى. وانشدوا :

أما والذى لاخلد الا لوجهه ومن ليس فى العز المنيع له كفو
لئن كان هذا العيش مرا مذاقه لقد يجتني من غثه الثمر الحلو

السؤال لا يدع ذرة

واعلموا أن الله تبارك وتعالى مسائلكم عن الكبيرة والصغيرة ، والخفية والسريرة ، وعن كل ماقل، وما دق وماجل ، لايغفل عن شيء ، يجد العبد ماعمل حاضرا ، ويجزى به وافرا ويسأل عما عمل سرا وظاهرا (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا) تجد والله القليل والكثير ؛ والنقير والذرة والقطمير. وانشدوا :

والله لو بكينا طول الايام بدمع هامل سجام
وفررنا من الاهل والاوطان الى الجبال والآكام (٢)

خوفا من ذلك المقام ، لكان ذلك لنا قليلا خوفا من سؤال الملك العلام . فكيف ونحن لانفيق من الغفلات ، ولا ننتبه من السكرات ، ولا نخاف يوما نجد فيه الحسنات والسيئات ، ونسأل عن المظالم والتبعات ؛ كما قال الذى فطر الارض والسموات (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا)

(١) في الاصل : واج الامهات ، وأظنها تحريف من النساخ لذلك أصلحتها بما يقاربها فى الرسم : نواح (٢) الآكام جمع أكمة وهى التل المرتفع من الرمل أو الحجارة وهذا الكلام ليس بشعر ولكني وجدته فى الاصل كذلك فتركته على رسمه.

سؤال الله تعالى للعباد

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إن الله تعالى يخلو بعبده يوم القيامة ليس بينه وبينه حجاب ويقول له: عبدي عملت كذا وكذا في يوم كذا، أما علمت أني مطلع عليك ياعبدي افجعلتني أهون الناظرين اليك؟ أما استحيت مني، أما استحيت من ملائكتي، أما خفت من عقابي، عبدي أرويتك من الماء البارد (١) وقويت جسمك ووسعت عليك من سعة رفدي فعصيتني! حتى أن العبد ليذوب حياء من الله ويغمره العرق حتى يكاد يموت من الفزع، ثم يقول العبد يارب النار أهون علي من حيائي منك ومن العباد. فيأمر الله تعالي به إلى النار، فيمضي العبد وهو يرد رأسه ويقول: يارب وعزتك وجلالك ما عصيت بهذا كله استخفافا بحقك، وماظننت بك إلا أن تغفر لي كما سترت علي في الدنيا، وقد أيقنت أن عصياني ذلك لايضرك، وأن رحمتك لي لاتنقصك. فيقول الله تبارك وتعالى: عبدي صدقت لم تقطع رجاءك من رحمتي. فوعزتي وجلالي لأغفرنها لك اليوم، يا ملائكتي مروا بعبدي الى الجنة. ومن العباد من يقول: يارب العذاب علي أهون من توبيخك لي، أرسل بي الى النار كما يفعل بالعبد الآبق (٢) عن مولاه. فيقول الله تبارك وتعالى: عبدي ماوبختك إلا لأعرفك أن ذنوبك بعيني إذ عصيتني بها، وجعلت توبيخي لك كفارة لذنوبك، وقد غفرتها لك وقد رحمتك وأنا أرحم الراحمين. مروا بعبدي الى الجنة. جعلنا الله وإياكم من اهل الجنة أجمعين، وتوفانا برحمته مسلمين، وختم لنا عندفراق الدنيا بحسن الخاتمة وكلمة التقوى قول لااله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وشرف وكرم، وحشرنا معه في المقام الاعظم، مع أصحابه وأزواجه الكرام أمهات المؤمنين آمين يارب العالمين *

---

(١) جاء في بعض التفاسير عند قوله تعالى (لتسألن يومئذ عن النعيم) أن النعيم هو الماء البارد في الصيف. (٢) أبق العبد بفتح الباء هرب

- ٧ - مجلس ثانى فى قوله سبحانه وتعالى

(يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً) الآية

قال الله سبحانه وتعالى:(يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا) يجد المؤمن الحسنات فى قرار الجنـات ، والقصور العاليات ، والحور والدرجات ، والنظر إلى رب الارضين والسموات ، يجد الطائع البشرى ، ويجد الفاجر النـار الكبري ، يجد المؤمن الامان ، مع السرور والرضوان ، ويجد الفاجر الهوان ، مع الذل والخسران ، يجد المؤمن الملك الجزيل ، مع الثواب والتفضيل ، وأنهـار السلسبيل ، والنظر الى وجه الملك الجليل ، ويجد الفـاجر النوح والعويل ، والحزن الدائم الطويل ، والعـــذاب الشديد الثقيل ، يجـد المؤمن الخلاص ، والتبجيل والاختصاص ، ويجـــد الفاجر العذاب وشدة القصاص . المؤمن يوم القيامة مرحوم ، والفاجر باللعنـة مرجوم ، المؤمن عنـد الحساب مستور ، والفاجر عند السؤال مشهور . المؤمن عنـد الحساب يلاطف ، والفاجر عنـد السؤال يكاشف . المؤمن حسابه عتاب ، والفاجر سؤاله عذاب . المؤمن يجد من مولاه الرحمة ، والفاجر يجـد من الله النقمة . المؤمن حسابه يسير ، والفاجر حسابه عسير . المؤمن يجـد لباسه حرير الجنـان ، والفاجر لباسه سرابيل القطران . المؤمن يجد عمله سروراً ، والفاجر يجـد عمله ويلا وثبورا . المؤمن يجـد الاتصال ، والفاجر يجد الانفصال . المؤمن يجد الخلاص والفكاك ، والفاجر يجد الهوان والهلاك . المؤمن مع محمد النبي ، والفاجر مع الشيطان الغوى . المؤمن فى وجهه نضرة النعيم ، والفاجر فى وجهه ظلمة الجحيم ، المؤمن في الحساب ريان ، والفاجر فى الموقف عطشان. وأنشدوا:

أنت المخاطب أيهـا الانسـان فأصخ (١) إلى يلح لك البرهان
أودعت ما لو قلته لك قلت لى هـــذا لعمرك كله هذيان
فانظر لعقلك من بيانك واعتـبر إتقان صـــنعته فثم الشان (٢)

(١) أصاخ له استمع . (٢) أى إذا نظرت بعين فكرك وتدبرت بسديد رأيك صنع الله تعالى وإتقان هذا الصنع فى الذرة الصغيرة وفى الفيل الكبير لعلمت أنه هناك الشأن أو الدلالة على قدرته ووحدانيته . وفى كل شيء له آية تدل على انه الواحد

وجزا محاسن فعلهم فى حشرهم عند الاله وعنــــده الرضوان
هـــذا لعمرى ظاهر لا يختفى نطق الرسول وبين الفرقان

حكم قدسية

ذكر فى بعض الحكم التى أنزلت على الانبياء عليهم الصلاة والسلام : عجبا لمن لا يرحم نفسه كيف يرحم ، وعجبا لمن يدوم على المعصية كيف يرجو حسن المآب ، وعجبا لمن يعمل أعمـــال النيران وهو يطلب نعيم الجنان ؟ كأنك يا أخى قد قربت من العرض والحساب ، ووقفت بين يدى الملك الوهاب، فيأمر بك الى الجنة وحسن المآب ، أو إلى النار وأليم العذاب تفكر فى هـذا كله يا مغرور لعل القسوة تنجلى من قلبك ، والوقر أن يزول عن سمعك ، والغطاء أن يرتفع عن بصر قلبك ، فانها لاتعمي الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور. فانظر يا أخى بنور فكرتك ، وأطلق الموعظة على بحر عبرتك ، فلعل العين أن تدمع ، ولعل القلب أن يرق ويخشع ، فاذا جرت الدموع وخشعت القلوب محيت الذنوب ، وبلغت المنا والمرغوب ، ويسر حسابك علام الغيوب . وأنشدوا :

تذكرى المكث فى التراب حتى أنادي إلى الحساب
هون كل البلاء عنــــدى وهكذا الفقد للشباب (١)
فليت شــــعرى وكم مقامى تحت الثرى أو متى ايابى
لو كان لى عقل ما هنــــانى نومي ولا ساغ (٢) لى شرابي
ولا ضحكت ولست أدري مالى لدى الله من حساب

النداء بأسماء الخلائق

ذكر فى بعض الاخبـار أن الخلائق إذا وقفوا فى أرض القيامة فيقف كل عبد وأمة إذ نادي المنادي باسمك يامغرور على رءوس الاولين والآخرين أين فلان بن فلان ، أو أين فلانة بنت فلان ، هلم إلى الحساب بين يدى رب العالمين ، فاستقر فى سمعك يا مسكين انك أنت المنادى من جميع الخلق ، فقمت على قدميك قد تغير من الفزع لونك ، وانخلع من الجزع

(١) أى وهون أيضا فقـدى للشباب وهو حقا أشد ما يحزن عليـه الشيخ . وقيل ان الشباب علة التصابى ! روائح الجنة فى الشباب (٢) ساغ الشراب سهل مدخله فى الحلق .

قابلك ، واضطربت من الهلع مفاصلك ، وقد سمع من كان حولك حسيس قلبك بالخفقان ، وأوصالك قد اشتدت في الطيران ، فكادت نفسك أن تزهق من خوف الرحمن ، فاذا نظر الملك الموكل بسوقك وقدتغير لونك وتحير لبك، علم أنك أنت المنادى باسمه فاذا كنت من أهل النفاق ، والعصيان للملك الخلاق ، نظر على وجهك ظلمة الذنوب ، فعلم أنك عدولعلام الغيوب ، فجمع بين ناصيتك وقدميك ، غضبا لغضب الله عليك *

أهل الرشاد والتوفيق

قال الله تبارك وتعالى (يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والاقدام) وإن كنت من أهل الرشاد ، والتوفيق والسداد ، الذين وفوا الله بالميعاد ، وخافوا مولاهم رب العباد ؛ أخذ بيدك الملك وقادك،يجوز بك بالرفق ورفع الخلائق أبصارهم اليك ، وتمنوا مثل ما من الله عليك ، وأنت سائر الى ربك ليجازيك بسعيك ، ويعدل عليك بكسبك . فلما انتهى بك الملك الى سلطان العظمة ،فان كنت من أهل السير الصالح فى الدنيا ستركجل جلاله بالنور ، وأبدى لك البشرى والسرور ، وقربك وأدناك ، وفضلك وحاباك ، فلم يطلع على حسابك ملك ولا نبي ولارسول، إلا الملك الجبار الذي لا يحول ولا يزول ، فيقول لك عبدى أنت الذىكنت تسهر والعبادنائمون ، وتصوم والعباد يشبعون ،وتبكى والعباد يضحكون ، وتحزن والعباد يفرحون ، وتخافنى والعباد آمنون ، أنتالذى كنتتجتهد فى عبادتى والعباد بطالون ، وتتصدق والعباد يبخلون ، وتبذل المعروف بين عبادى والناس يمنعون .

يقول المولى جلجلاله : فوعزتى وجلالى وملكى ومجدى وكبريائي وعظيمسلطانى وقدرتى على جميع العباد لأومنن روعك ، ولابيحنك جنتى ، ولأوسعنك مغفرتي ورحمتى ، ولاعطينك من جزيل ثوابى وحسن مآبى مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطرعلى قلب بشر . ولأبيحنك النظر الى وجهى ، ولأرفعن قدرك وجاهك ، ولأشفعنك فى إخوانك وأهلك وأحبابك وجيرانك منأهل الذنوب والخطايا .

شفاعة العبد المؤمن

يقول المولى جل جلاله يا عبدى اخرج الى موقف الحشر فانظر الى من لقيني من أهل الذنوب على التوحيد قد شفعتك فيه خذ بيده وانطلق به الى الجنة بلاخوف ولا حزن ، والله تعالى أعلم . وأنشدوا :

عنى اليك (١) فماللذات منشغلى ولا سبيل الصبا واللهو من سبلى
حال التقى دون ما قد كنت تعرفه فلست منه على زيغ ولازلل(٢)
فى الحشر لى شغل عن كل مشتغل بلذة وعن الالحاظ والمقل
هذاأطارالكرى عنمقلتىوزوى٣ عنىالمني وطويالمبسوط منأملى
كم ليلة بت فيهـا ساهرا أرقا أخشىالعقابوأخشىسرعةالاجل

قال الله تعالى (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لوأن بينها وبينه أمدا بعيـدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد) رءوف والله بالمؤمنين ، ذو نقمة على الظالمين ، رءوف بأهل الاحسان ، وذو انتقام من أهل العصيان ، رءوف بأهل السداد ،وذوا انتقام منأهل العناد ، يا مغرور تفكر فى هـذه الآية ،فلك فيها من التخويف غاية ، ومن الزجر والتقريع نهاية ، فازجر نفسك عن هواها ، عساك تبلغها يوم العرض مناها

حكاية عنذى النون المصرى

حكى عن ذي النون المصرى بن ابراهيم الاخميمى (٤) رحمة الله تعالى عليـــه أنه قال : خرجت مرة من المرات إلى ناحيـة الاردن من أرض الشام ؛ فلمـا علوت الوادى فاذا أنا بسواد قد أقبل وهو يقول (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) فلمـا قرب منى السواد

(١) كذا ورد بالاصل وصحتها : اليك عنى ، بمعني كف عنى . (٢) الزيغ الانحراف عن السبيل السوى ، والزلل الخطأ والوقوع فى المعصية . (٣) زوى الشيء يزويه زيا جمعه وقبضه وفي الحديث « زويت لى الارض فاريت مشارقها ومغاربها » وهى هنا بمعني منع وحجب .

(٤) إخميم بلدة من صعيد مصر مشهورة وهي الآن مركزا مهما يصنع فيه قماش جيد . وذي النون المصرى من أعلام المتصوفين القدماء اشتهرت عنه ألفاظ من الحكمة العاليـــة والفلسفة الاسلامية وربى كثيرا من المريدين . وله ترجمة وافيةفي تاريخالخطيب البغدادي

إذا هو شخص، فتأملته فاذا هو امرأة عليها جبة صوف وخمار من صوف ، وبيدها ركوة (١) وبيدها الاخرى عكاز ، فقالت لى غير فازعة منى : من أنت ؟ فقلت لها رجل غريب ، فقالت يا هذا وهل يوجد مع الله غربة وهو مؤنس الغرباء ، ومعين الضعفاء ، فاجعله أنيسك إذا استوحشت ، وهاديك إذا ضللت ، وصاحبك إذا احتجت . قال ذو النون : فبكيت من كلامها فقالت مم بكاؤك ؟ قلت لها وقع دواؤك على دائي وأنا أرجو أن يكون سببا لشفائى ، قالت فان كنت صادقا فى مقالتك فلم بكيت ؟ قلت لها رحمك الله والصادق لا يبكى ! ! قالت لا ، قلت لها لم لا يبكى الصادق ؟ قالت لان البكاء راحة القلب وملجأ يلجأ اليه ، وما كتم القلب أحر من الزفير والشهيق وذلك ضعيف عند أوليائه . قال ذو النون : فبقيت والله متعجبا من قولها فقالت لى مالك ؟ قلت أنا والله متعجب من قولك ، قالت وهل نسيت القرحة التى ذكرتها ؟ قال قلت لها رحمك الله إن رأيت أن تمني على بالزيادة . فقالت وما أفادك الحكيم فى مقامك بين يديه من الفوائد ما يستغنى به عن طلب الزوائد ! قال قلت لها رحمك الله ما أنا بمستغن عن طلب الزوائد ، قالت صدقت يامسكين حب مولاك واشتق اليه فان له يوما يذيق فيه أولياءه كأسا لا يظمئون بعده أبدا . ثم علا شهيق ثم قالت : ياحبيب قلبي إلى كم تخلفنى فى دار لا أجد فيها صادقا بريا من الدعاوى الكاذبة يسعدنى على البكاء أيام حياتي . ثم تركتنى وانحدرت فى الوادى وهي تقول : اللهم اليك لا الى النار ، حتى غاب شخصها عن بصرى ، وانقطع صوتها عن سمعى . قال ذو النون : فو الله ماذكرت كلامها قط الا كدر على أحشائي وعيشى . قال ذوالنون : فلقد أدبتنى واستقام حالى مذ رأيتها . وأنشدوا :

أريد وأنت تعلم ما مرادي   وتعلم ما تلجلج فى فؤادى
فهب لى ذلتي واغفر ذنوبي   وسامحنى بها يوم التنادى

---

(١) الركوة وعاء للماء يحمله المتزهدون ويصنع من الخشب غالبا . وترى كثيرا مع المتمشيخين

رجع الى الموعظة

يا أخي ؛ مالك لا تفكر في قول مولاك الذى لم يزل عليك شهيدا ، وهو يسمعك ويراك قوله تعالى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) الآية . اقرع يامسكين بهذا الكلام باب قلبك فعساك تزيل عنه الاقفال ، وترده عن الغي والمحال ، وتوقظه عن السهو والاغفال ، قال الله الكبير المتعال (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) يوم يظهر الخفى من أعمالك ، يوم تبكى على قبيح أفعالك ، يوم يحزن المسيء من أقوالك ، يوم تنوح على خطاياك وضلالك *

جهنم وشدتها

ذكر أن الخلق اذا اجتمعوا فى الموقف وضاق المتسع ، وعظم الفزع ، واشتد الجزع ، واختلفت الاقدام ، وكثر الازدحام ، وجاءت جهنم بالهول الاعظم ، والعذاب المقيم الالزم (١) ووقفت بين يدي الجبار خاضعة للملك القهار ، أمر الجبار جل جلاله أن تفتح أبوابها ، وترفع كل جلال (٢) عليها ، وهى سبعة أبواب على كل باب سبعمائة الف جلال وهى الحجب ، ولولا تلك الاجلال لاحترقت السموات ومن فيها والأرضون ومن عليها ، غلظ كل جلال خمسمائة عام ، فاذا فتح منها الابواب رفعت تلك الحجب من عليها ورمت النفط والقطران وحجارة الكبريت (٣) ويخرج منها عنق من نار اسود فيلتقط من الموقف كل ذهب وفضة وياقوتة وزبرجدة (٤) ولؤلؤة استعدت لزينة الدنيا *

(١) فى الاصل الاردم ولم أقف لها على معنى (٢) الجلال جمع جل وهو يصنع للدواب وهنا بمعني الحجاب أي الستار الموضوع على جهنم (٣) لاغرابة فى هذا الوصف فأنا نشاهد بأعيننا البراكين الأرضية عند التهابها وهى تقذف هذه المواد بعينها حتى تعفى على مدن برمتها .
(٤) الزبرجد جوهر ثمين معروف لونه أميل الى الزرقة واللؤلؤ مايخرج من الاصداف .

زينة الدنيا الزائلة

فيأخذ الكل ويجمعه والجبار جل جلاله يقول لها : أترى مالم يكن لنا فكل ما كان من زينة لم يرد به وجه الله تعالى أخذته النار ، ومناد ينادى أصحابها هذه زينتكم التى اشتغلتم بها عن طاعة الله عز وجل وآثرتموها على ماعند الله ولم تتبعوا سنن النبيين ، ولاسير الصالحين . ثم ينادى المنادى أتبعوا زينتكم ، فتخرج عنق من النار مرة أخرى فتلتقط أصحابها إلا من رحم الله

صاعقة جهنم

فعند ذلك يقول كل عبد وأمة ياليت هذا كله جعلته فى جنب الله ، ياليته لم يكن معى ، ياليته بعد عنى ، ثم يأمر الله تعالى أن ترتفع صاعقة من جهنم سوداء فتسود وجوه أقوام من الرجال والنساء ، وتعمى أبصار قوم من الرجال والنساء ، وتختم على أفواه قوم من الرجال والنساء ، فذلك قول الله عز وجل (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) يا أخي يامسكين ياضعيف اليقين مثلى أتراك من أي الفريقين تكون ؟ ! أمن الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الملك الرحيم ، أو من الذين اسودت وجوههم فى العذاب الأليم ؟ أفهل تكون من الذين ابيضت وجوههم بالرحمة ، أم من الذين اسودت وجوههم بالنقمة ؟ فكل من اسود وجهه قد أيقن بالنار ، وكل من ابيض وجهه قد أيقن أنه من أهل دار القرار ، فيالها من فرحة ماأعظمها . ويالها من مصيبة ماأدومها ، فاذا نزل السواد فى وجه من شاء الله تبارك وتعالى صار ذلك السواد حجابا بينه وبين النظر الى وجه مولاه ، واذا نزل البياض فى وجه من أراد الله تبارك وتعالى بيبض وجهه رفع ذلك النور حجاب الذنوب الذى يحجب العبد عن النظر الى وجه علام الغيوب

من ابيض وجهه

وذلك أن البياض نور المغفرة ؛ وهو نور الرحمة، وهو نور القرب ، وهو نور الوصال والسواد أيضا هو سواد البعد؛ وهو سواد الانفصال ؛ وهو سواد النكال ؛ وهو سواد النقمة ، وهو سواد الحجبة قال الله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فالحجاب يامسكين يامغرور فى الدنيا وقع على قلبك باكتساب السيئات ، ودوامك على الخطيئات واشتغالك عن رب الأرضين والسموات ، قال الله تبارك وتعالى : (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) فيامعشر المذنبين ابعدوا السوء وأبدلوه بالاحسان ، وارغبوا فى نعيم الجنان وارجعوا عن الأوزار والعصيان ، فانها تزيدكم من عذاب النيران . ياأخى أبعد السوء وابغضه بغضاً شديداً ، وكن على إبعاده بالتوبة جلداً جليداً ، من قبل أن يأتي يوم تود أن لو كان السوء عنك بعيداً ، ولم تتبع شيطانا غويا مريدا. وأنشدوا :

يامن إليه جميع الخلق يبتهلوا وكل حي على رحماه يتكل
يامن نأى فرأى مافى الغيوب وما تحت الثرى وحجاب الليل منسدل
يا من دنا فنأى عن أن تحيط به الـأفكار طرا أو الأوهام والعلل
أنت الملاذ اذا ما أزمة شملت وأنت ملجأ من ضاقت به الحيل
أنت المنادى به فى كل حادثة أنت الآله وأنت الذخر والأمل
أنت الغياث لمن سدت مذاهبه أنت الدليل لمن ضلت به السبل
إنا قصدناك والآمال واقعة عليك والكل ملهوف ومبتهل
فان غفرت فعن طول(١) وعن كرم وإن سطوت فأنت الحاكم العدل

(١) في الاصل : حول وهو خطأ . والطول بالفتح المن والتفضل

حكاية ذى النون عن الراهب الصامت

قال ذو النون رحمه الله : ذكر لي عن راهب بالشام أنه لم يكلم أحدا مدة اربعين سنة ، فنهضت اليه فلم أزل أنادى تحت صومعته (١) وأقسم أن يشرف على حتى أشرف من أعلا صومعته ، فراودته على الكلام فأبى على ، فقلت له بالذي سكت من أجله ومن خوفه إلا أجبتنى عما أسألك عنه ، فقال لى قل ولا تطيل الكلام على ، قلت له منذ كم أنت فى هـذا الموضع ؟ فقال : منذ يوم واحد ، فقلت له وكيف ذلك ؟ قال سمعت الناس يقولون أمس واليوم وغدا ، فأما أمس فقد فات ، وأما اليوم فلى ، وأما الغد فلا أدري أبلغه أم لا ، ثم أدخل رأسه فما كلمني وهو يبكى ويقول لا صبر لى على النار . وأنشدوا :

أيا نفس لاصبرا على النار فاعلمي وكونى على خوف من النار ماعشت
ودومى على الأحزان مادمت حية عسى تذهب الأحزان عنك إذا مت
يقولون فى طول الكلام بلاغة وقد علموا أن البلاغة فى الصمت(٢)
اذا العبد لم يلعب هواه بعقله عصي ربه وازداد مقتا على مقت

تقسيم العمر على الاعمال

معشر المذنبين اجعلوا أعماركم ثلاثة أيام ، يوم مضى ويوم أنتم فيه ويوم تنتظرونه لا تدرون بما يأتيكم من صلاح أوفساد ولعلكم لاتبلغونه ، فاصلحوا اليوم الذى مضى بالندم على مافاتكم فيه من الطاعة والاحسان ، وما اقترفتم فيه من الذنوب والعصيان ، واليوم الذى مضى إنما تصلحونه في اليوم الذى أنتم فيه بالبكاء والندامة، وذم النفس مع الملامة . وأنشدوا:

حتى متى نحن والايام نحسبها وإنما نحن فيها بين يومين
يوم تولى ويوم أنت تأمله لعله أجلب الأيام للحين (٣)

آنس الله روعتى وروعتكم يوم النشور ، وآنس وحشتى ووحشتكم فى القبور ، إنه على ذلك قدير ، وهو عليه يسير ، وأماتنا وإياكم على هذه الكلمة ؛ شهادة أن لا إله الا الله محمد

(١) الصومعة بناء صغير دقيق الرأس يسكنه رهاب النصاري . وهى أشبه بفلا صغيرة لسكنى فرد أو اثنين (٢) وقيل فى المعني : رب صمت أبلغ من كلام . (٣) الحين بالفتح الهلاك وحان الرجل هلك .

رسول الله غير مبدلين ولا مغيرين ولا مبتدعين آمين رب العالمين .

- ٨ - ﴿مجلس فى قوله تعالى فأما من أوتى كتابه بيمينه﴾

الآية

يا أخي يا مسكين يا حيران ، من الذنوب والعصيان ، يا من تعرض لسخط الملك الديان ، يا من أقر عين عدوه الشيطان ، بتماديه على الخذلان ، والضلال والبهتان ، والاوزار والطغيان ، يا مغرور إنك آخذ كتابا ، ووارد حسابا ، ونازل ثوابا ، أو عذابا . فقدم يا غافل فى دار الغرور ، ما تجده في الكتاب المنشور ، من الثواب والحبور ، والفرح والسرور ، والضياء والنور ، من رحمة العزيز الغفور *

أين الكتب يوم القيامة

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الكتب كلها تحت العرش فاذا كان يوم القيامة بعث الله تبارك وتعالى ريحا تطيرها بالأيمان وبالشمائل (١) ، أول حرف فى الكتاب» (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) ما أعدل الملك الوهاب ، إذ جعل الانسان حسيب نفسه فى قراءة الكتاب . يا مسكين يا مغرور إن أخذت الكتاب بالشمال فحسبك العذاب والنكال ، والمحن والاهوال ، والسلاسل والأغلال ، والحميم والخبال ، واللعنة والانفصال ، من ذي الجود والجلال . وإن أخذت الكتاب باليمين ، فحسبك المقام الأمين فى أعلا عليين ، مع الولدان والحور العين ، والاتصال برب العالمين ، وبمحمد خاتم النبيين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . وإن أصررت فى الدنيا على جرمك ، ولم تتب الى مولاك عن قبيح ذنبك ، فسوف تأخذ كتابك من وراء ظهرك ، فتجد فيه ما يحزن قلبك ، ويعظم حزنك ، ويكثر كربك ، فيامعشر المذنبين اعلموا أنما جعل الله الدنيا ابتلاء واختبارا ، وأوجب عليكم فيها حقوقا كبارا ، فمتي ضيعتموها فقد اودعتم كتبكم آثاما وأوزارا ، ومتى وفيتم بها فقد ملأتم كتبكم سرورا وأنوارا . وما من عبد ولا أمة إلا وله كتاب يقرؤه يوم العرض والحساب ، وإنما مثل الناس عند قراءتهم الكتاب ، كمثل الزارع إن زرع طيبا رفع

(١) الشمائل جمع شمال على غير قياس كأنهم جمعوا شمالة مثل حمالة وحمائل .

طيبا ، وإن زرع خبيثا رفع خبيثا . يا أخي فكانك أنت كتبته بأقوالك ، وملأته بأفعالك ، وسودته بالقبائح من أعمالك . وأنشدوا :

كانى بنفسى فى القيامة واقف وقد فاض دمعى حين أعطى كتابيا
لعلى بأفعالى وسوء مناقبي وأن كتابى سوف يبدى المساويا

فيا أهل الذنوب مثلى اعلموا أن الأعمال قد أثبتت عليكم في الديوان ، من الاحسان والعصيان ، والزيادة والنقصان ، والنفاق والايمان ، وأنت غافل فى سكرة الغرور ، وكتابك مملوء بالويل والثبور (١) ، فبادروا إلى الصحائف وامحوا ما فيها من القبائح ، ومحصوا (٢) ماقد ثبت عليكم من الفضائح ، وذلك با كتساب الحسنات ، كما قال رب الأرضين والسموات (إن الحسنات تذهبن السيئات) .

أول الناس حسابا

ذكر فى بعض الأخبار أن أول ما يحاسب الله من الامم أمة محمد صلى الله عليه وسلم فاذا اجتمع الأولون والآخرون فى أرض القيامة وقفت أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فأول من يدعي منهم إلى الحساب رجل من قريش من بنى مخزوم يقال له عبد الله بن عبد الأسد ، وله أخ يقال له الأسود بن عبد الأسد وفيهما نزلت هاتان الآيتان (فأما من أوتى كتابه بيمينه) إلى قوله (فى الايام الخالية) نزلت هذه الآية فى عبد الله بن عبدالاسد (وأمامن أوتى كتابه بشماله) وهو الاسود بن عبد الاسد ، فأما عبد الله وهو المؤمن فيدخل من وراء الحجب فيوقف بين يدى الله عز وجل ، فترعد فرائصه ، وتنفك أوصاله ، وتذهل نفسه من شدة الخوف من الله تعالى ، فبينما هو على أشد الاحوال من الخوف بين يدى الجبار جل جلاله إذ يأتيه ملك من عند الله تعالى وبيده صحيفة بيضاء مختومة بخاتم الخلد ، فيقول له الملك :

كتاب الحسنات

هذا كتابك فيتناول الكتاب بيمينه ، وكل من كان من أهل الشقاوة إذا أوتى كتابه يروم أن يمد اليمين لاخذه فلا يقدر لانه يجد يمينه كانما علق فيها جبال الدنيا ، فلا يطيق أن يرفعها من الثقل ، وقيل إنها تغل يده ، وقيل إنها تلصق بجسده ، وقيل إن الملك يقول له :

(١) الثبور الهلاك والخسران . (٢) التمحيص الابتلاء والاختبار

ياعدو الله خذ كتابك بشمالك فانك من أصحاب الشمال ، جعلنا الله وإياكم من أصحاب اليمين . فيتناول عبد الله أخو الاسود كتابه بيمينه ويقال له اقرأ ماعملت من خير وشر ولا تلومن إلا نفسك ، فيفض خاتم الكتاب فينشر كتابه فاذا هو مكتوب بخط أبيض ، فى باطن الكتاب السيئات ، وفى ظاهره الحسنات فيقال له اقرأ سيئاتك فأول حرف يجد فى الكتاب أصغر ذنب عمله في الدنيا ، فاذا رأى ذلك الذنب ميل رأسه ونكسه حياء من الله تعالى وسال منه من العرق مالو أن مائتين من الابل أكلت حمضا (١) والتهبت عطشا ووردت على عرقه لشربت كلها ورجعت وقد رويت ومانقص من عرقه شيء .

كيفية السؤال

هذا كله حياء من الله عز وجل ، فيقول الجبار جل جلاله : عبدى فيقول لبيك ربى وسعديك ، فيقول ارفع رأسك أتعرف ذنبك هذا ؟ فيقول مولاى وسيدى وعزتك وجلالك إنى لأعرفه ، فيقول عبدى أتذكر يوم كذا وكذا فى موضع كذا وكذا وأنت على هذا الذنب؟ فيقول نعم وعزتك وجلالك . فيقول له الجبار جل جلاله عبدى إنك إذا أخفيت ذلك من الخلائق لقد علمت أنى كنت مطلعا عليك ، فيقول بلى ياسيدي ومولاى وعزتك وجلالك لقد علمت ذلك ، فيقول له جل جلاله أما استحيت منى ؟ أما راقبتنى ؟ أما علمت أن مرجعك الى . والعبد فى هذا التوبيخ قد علاه العرق ، وذاب من شدة الغرق (٢) فيقول مولاي وسيدي لان ترسل بى الى النار أهون على من هذا التوبيخ . فيقول الله تبارك وتعالى عبدي أليس قد سترتها عليك فى الدنيا ؟ فيقول العبد مولاى لقد فعلت ذلك بي ، فيقول جل جلاله عبدى وعزتى وجلالى ومجدى وجودى وكرمى لقد محوتها من قلوب الملائكة وقلوب الآدميين ، وابقيتها بينى وبينك حتى تعلم نعمتى عليك وأفضالى لديك فى الدنيا والآخرة *

(١) الحمض والحماض نبت ينبت فى الصحارى تأكله الابل فيورث عندها عطشا شديدا

(٢) الغرق الخوف

غفران الذنوب

فلا يزال جل جلاله يفعل به ذلك فى كل ذنب حتى يقرأ جميع ما في كتابه من الذنوب فاذا أتى على آخر الكتاب وجد فيه ، عبدى هذه سيئاتك قد غفرتها لك . فعند ذلك يبيض وجهه وتحسن بشرته ويذهب عنه الحزن والهم والجزع . ثم يقول الله جل جلاله قلب كتابك فاقرأ حسناتك فيقلب العبد كتابه فيقرأ حسناته كلما مر على حسنة ازداد قلبه فرحا وسرورا ، وازداد بياضا وحسنا ونورا ، ثم يؤتى بتاج من نور فيوضع على رأسه لو أخرج ذلك التاج إلى الدنيا لكسف نوره ضوء الشمس والقمر *

لباس المكرمين

ويؤتى بحلتين من حلل الجنة شبر منها خير من الدنيا ومافيها مائة ألف مرة، فليبسها ويحلى كل مفصل منه بحلى الجنة ، ويقال له اخرج على الناس واخبرهم وبشرهم أن لكل عبد وأمة من المؤمنين مثل ذلك . فعند ذلك يخرج عبد الله بن عبد الاسد وكتابه بيمينه وقد أشرق وجهه نورا ، وقلبه قد امتلأ سرورا . قد جرت على وجهه نضرة نعيم الجنان ، وتلك علامة لاهل الايمان . والملك آخذ بيمينه وهو ينادي عليه نداء البشرى ألا إن فلانا قد سعد سعادة لا يشقي بعدها أبدا ، والخلائق قد رفعوا أبصارهم اليه وتمنوا مثل ما من الله به عليه وهو يقرأ (هاؤم اقرؤا كتابيه) ليس فيه سيئة واحدة قد غفر الله تبارك وتعالى جميع ذنوبى ومحاها عنى (إني ظننت أني ملاق حسابيه) إنى أيقنت فى الدنيا أنى ألقي هذا اليوم وكنت خائفا من هوله (١) ومن قراءتي كتابى ومن حساب ربى جل جلاله فلا يزال كذلك حتى ينتهى إلى أصحابه فيقولون من هذا العبد الذى أكرمه الله ورضى عنه ؟ اللهم اجعله من أحبابنا وقربه منا حتى تنظر الى ما قد فضله مولانا به ، فاذا قرب منهم سلم عليهم فيقولون له من أنت ياعبد الله ؟ فيقول أوما تعرفونى ؟ فيقولون له ياعبد الله لقد زينتك كرامة المولى جل جلاله حتى

---

(١) هكذا أورد المؤلف رحمه الله تعالى تفسير هذه الآية على طريقته الوعظية وللمفسرين وراء كثيرة تخالف تفسيره فليراجعها من شاء

لانعرفك فمن أنت ؟ فيقول لهم أنا عبد الله بن عبد الاسد ،ألا وإن لكل واحد منكم مثل هذا ،وهكذا يفعل الله تبارك وتعالى بكل مؤمن يكون رأسا في الخير يدعو اليه ويأمر به، ثم يشفعه الله تبارك وتعالى فى كل من شاء من أهل الذنوب ، فعند ذلك يفرح أصحابه بما قد بشرهم به من المغفرة والفوز بالجنة والنجاة من النار (فهو فى عيشة راضية) قد رضي ورضيت نفسه ورضي مولاه عنه وهو راض بتلك العيشة والعيشة الجنة (فى جنة عالية) فى غرفة ارتفاعها مسيرة مائة عام من لؤلؤة بيضاء أو من ياقوتة حمراء ملاطها المسك الاذفر ، والعنبر الاشهب ، والكافور الابيض (قطوفها دانية) يعنى ثمارها دانية منهم إذا اشتهوها نزلت عليهم حتي تدخل عليهم فى منازلهم فتدنو منهم فيأكلون من ثمارها مايشتهون وهم نيام أو قعود أو قيام على أى حال أرادوا ، ثم ترجع إلى أماكنها وذلك قوله تعالى (كلوا واشربوا هنيئا) لاموت فيها ولا حزن (بما أسلفتم فى الايام الخالية) يعنى الايام الماضية وهى أيام الدنيا التي أطاعوا الله تبارك وتعالى فيها ، واستقاموا ولم يزوغوا عن طاعته . وأنشدوا :

ببابك عبد من عبيدك مذنب كثير الخطايا جاء يسألك (١) العفوا
فأنزل عليه العفو يا من بمنه على قوم موسى أنزل المن (٢) والسلوى
أنا عبدك المسكين فارحم تضرعي ولا تجعل النيران يارب لى مثوى
وخفف من العصيان ظهرى إننى بلغت من الاوزار غايتها القصوى

فهذا عبد الله بن عبد الاسد الذى أنزل الله تعالى فيه هذه الآية ، وعلى سيرته فى الحساب تجرى سير المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على قدر أحوالهم واجتهادهم فى الدنيا فى الخير والاستقامة على طاعة الله *

اشد الناس عذابا

وأما قوله تعالى (وأما من أوتى كتابه بشماله) فهو الاسود بن عبد الاسد المخزومى وهو أخو عبد الله بن عبد الاسد وذلك أن الله تعالى يدعو به على أثر أخيه عبد الله فيدخل الاسود حتى يوقف وبينه وبين الله عز وجل حجاب السخط فيكون من وراء الحجاب لان الله تبارك

(١) فى الاصل : يسأل العفو ولايستقيم . (٢) المن كالترنجبين ، وفى الحديث « الكمأة من المن » وكان يسقط على بنى إسرائيل بلا تعب ولا عناء حلوا باردا . والسلوي طائر قيل هو السمان والسلوى أيضا العسل .

وتعالى لايراه إلا المؤمنون وأما الكفار فلا يرونه قال الله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فيوقف الاسود بين يدى الملائكة يرعد من خوف العذاب ، والملائكة الذين معه هم ملائكة العذاب ، فبينما هو كذلك إذ يأتيه ملك من ملائكة السخط فيأخذ بيده اليمنى ثم يهزها فيخلعها من موضعها فيعلقها من صلبه (١) بجلده ، ثم يأخذ برأسه فيلوى عنقه فيحول وجهه فى قفاه .

كتاب السيئات

ثم يأتيه ملك من وراء ظهره فى يده صحيفة سوداء فيها كتاب بخط أسود فى باطن الكتاب حسناته وفي ظاهره سيئاته والكتاب مختوم ، فيقال له هذا كتابك خذه فلا يقدر أن يتناوله بيمينه لان يمينه مخلوعة من منكبه ، فيتناول كتابه بشماله فيقال له فض خاتم الكتاب فيفضه ويقال له انشر كتابك واقرأه ، فينشر الصحيفة وهى سوداء فيبدأ بباطن الكتاب فتستقبله حسناته فيقرؤها ويفرح ويظن أنه سينجوا من عذاب الله تبارك وتعالى حتى إذا بلغ آخر الصحيفة وجد فيها هذه حسناتك قد ردت عليك لانك لم ترد بها وجه الله تعالى والدار الآخرة ، وذلك قوله تعالى: (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون) أى لاينقصون ، تعجل لهم فى الدنيا أجور أعمالهم ولايثابون فى الآخرة بشىء من أعمالهم ولايتجاوز عنهم فى شىء من أعمالهم السيئة حتى يعذبهم الله تعالى عليها ، وأعمالهم الحسنة أحبطها الله عز وجل بالكفر ، والاعمال الصالحة التى يراد بها وجه الله تبارك وتعالى يجازى الله تعالى عز وجل أصحابها بالثواب الباقى وهو نعيم الجنة والنظر إلي وجه الله الكريم ، فوجه الله باق ونعيم الجنة باق ، لان الله تعالى خلق الجنة ثوابا لاهل الاعمال الصالحة التي يراد بها وجه الله تعالى (كل شىء هالك إلا وجهه) وكل عمل يراد به وجه الله لايهلك ، يبقى ثوابه لصاحبه وثوابه الجنة ، فان الله تبارك وتعالى يثيب على العمل الباقى بالنعيم الدائم الباقى ، ويثيب على العمل الفانى ، وهو ما يعمل للدنيا وزينتها بالعرض الفانى وهو حطام (٢) الدنيا ، والمؤمن لايرضى الله عز وجل أن يثيبه على عمله الصالح بعرض من الدنيا وأن وسع عليه فى الدنيا (٣) فانما يعطيه ذلك زيادة ومعونة يستعين بها على طاعته ، وأجر عمله ادخره له ليوم فقره

(١) كذا بالاصل ، ولعلها من خلفه بجلدة ، فحرفها النساخ صلبه وليس لها معنى . (٢) الحطام ما تكسر من اليبس والمراد به هذا المتاع القليل الفائدة (٣) أى بالمال والجاه والقوة

إذا احتاج اليه . ثم يقال للاسود بن عبد الاسد ؛ اقلب كتابك فأقرأ فيقلب ظاهره فتستقبله سيئاته مثل الجبال الرواسى وهى سود بخط اسود ، لانها محوطة بالكفر غير مقبولة ، فأول سيئة يقرؤها يسود وجهه ويسمج (١) لونه كلما قرأ سيئة ازداد سماجة وقبحا ، فاذا بلغ آخر الصحيفة وجد فيها هذه سيئاتك قد أضعفت ، إنى قد أضعف عليك العذاب بعملك السيئات .

صفة العذاب للكافر

فيرجع وجهه أشد سوادا من القار — وهو الزفت — ويعظم جسده للنار حتى يكون مابين منكبيه مسيرة شهر ، وغلظ كل فخذ من فخذيه مسيرة ثلاثة أيام ، ومابين شفتيه العيا والسفلى اربعون ذراعا وقد خرجت أنيابه وأضراسه من بين شفتيه بادية وعيناه زرق وحدقتاه قد وقعتا على وجهه من شدة ماهو فيه من العذاب ، وكل ضرس من أضراسه أعظم من جبل أحد ، شعره كآجام القصب ، وله سبعة جلود غلظ كل جلد منها أربعون ذراعا مابين الجلد إلى الجلد مسيرة ثلاثة أيام فيها ديدان لها جلبة كجلبة الوحوش فى البرية ، في جسده من الشعر مالا يحصى عدده إلا الله تعالى ، فى أصل كل شعرة من الآلام والوجع والعذاب مالو قسم على أهل الدنيا من يوم خلقهم الله تعالى الى يوم يبعثهم لماتوا كلهم فى أسرع من طرفة عين . ثم يؤتى بسلسلة ذرعها سبعون ذراعا فتغل بها يداه وعنقه ويدخل طرفها فى فيه وتخرج من دبره ثم يلف مابقى منها على عنقه يتوقد ويشتعل نارا ، ثم يؤتى بصخرة من كبريت أعظم من الجبل العظيم لو وضعت على جبال الدنيا لذابت من حرها فتعلق فى عنقه وهى تشتعل نارا ، ثم يؤتي بتاج من نار فيوضع على رأسه فيصعد حر الصخرة الى وجهه وينزل حر التاج إلى وجهه ويجتمع مع حر الصخرة ولا يقدر أن يرفع عن وجهه بيديه لأنهما مغلولتان الى عنقه قال الله تعالي (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة) وقال عز وجل (وتغشي وجوههم النار) تغشى وجوه الكفار . ثم يؤتى بسربال (٢) من قطران وهو نحاس (٣) جهنم قد انتهى فى شدة الحر فيلبسه ، لو ان ذلك السربال القى فى الدنيا لصارت الدنيا من مشرقها الى مغربها جمرة واحدة أسرع من لمح البصر ، ثم يقرن مع شيطان يكون ذلك الشيطان عليه

(١) سمج قبح ، والسماجة القباحة (٢) السربال القميص (٣) كذا بالاصل ولعله تحريف وهو نفاية جهنم أو ما يشبهها لان القرآن الكريم ذكر القطران والنحاس فلوكان شيئا واحدا لماعدده.

أشد من كل عذاب يعذب به ، ثم يقال له اخرج على الناس واخبر أصحابك أن لكل واحد منهم مثل هذا العذاب . فيخرج الاسود على أقبح الاحوال وكتابه بشماله ليس فيه حسنة واحدة وسيئاته ظاهرة للخلق والملك ينادى على الاسود بن عبد الاسد : يا أهل الموقف قد شقى الاسود شقاوة لايسعد بعدها أبدا . العنوه فان الله تعالى قدلعنه وسخط عليه ، فينادى بأعلا صوته نداء يسمعه أهل الجمع (ياليتنى لم أوت كتابيه) أى ياليتنى لم أعط كتابي بشمالى ولا يحل بى هذا البلاء الذى أنا فيه (ولم أدر ماحسابيه) أى ياليتنى تبت وآمنت ولم أحاسب بهذا الحساب ، ولا نزل بى هذا العذاب . (ياليتها كانت القاضيه) أى ياليت الموت عاد الى حتى يريحنى من هذا العذاب (ماأغنى عني ماليه) يعنى المال الذى كان معه فى الدنيا وكان ينفقه فى غير الله ويبخل به فى ذات الله تبارك وتعالى (هلك عنى سلطانيه) أى انقطعت عنى حجتى واضمحلت . ثم يأمر الله تبارك وتعالى أن يخرج له منبر من جهنم من نار فينصب له ويصعد عليه وتبدو كل قبيحة عملها فى الدنيا ويلعنه كل من فى الموقف ويعيره حتي يود لو أمر به الى النار ، ثم يقول الله تبارك وتعالى للملائكة (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه)فيبتدره سبعون الف ملك خلقوا من نار السموم مع كل ملك منهم من العذاب خلاف ما مع الآخر فيأخذونه بينهم فيلقونه فى الهاوية من النار الحامية ، ويدخلون بسلسلة فى فيه ويخرجون طرفها من دبره كما تصنع الخرزة فى السلك ، ثم يطعم الغسلين وهو شيء أسود نتن — لو أن قطرة من الغسلين (١) أخرجت الى الدنيا لمات جميع أهلها من النتن .

---

(١) الغسلين : هو ما انغسل من لحوم أهل النار ودمائهم . ويقال هو صديدهم .

طعام أهل النار

وإنما يطعم أهل النار الغسلين لانهم كانوا فى الدنيا لايرون أن يغتسلوا من الجنابة ولا يتوضؤا للصلاة فيحرق الغسلين مواضع الوضوء والاغتسال وما سقط منه أطعموه إياه جزاء بما ضيعوا فى الدنيا من حقوق الله تعالى ، وهذا العذاب كله للاسود بن عبد الأسد ، وكذلك لكل من كان فى الشر رأسا يأمر به ويدعو اليه ، يفعل به كما فعل بالاسود بن عبد الأسد ، وكل من كان فى الدنيا فى الخير رأسا يأمر به ويدعو اليه يفعل به كما فعل بعبد الله بن عبد الأسد ، يجرى الله تعالى الناس كلهم على هذا المنهاج فى الخير والشر والله يفعل مايشاء لا إله إلا هو وهو حسبنا ونعم الوكيل ، فنعوذ بالله من أعمال أصحاب الشمال

-٩- ﴿ مجلس فى قوله تبارك وتعالى ووضع الكتاب ﴾

الآية

يا أهل الذنوب مثلى ، يا أهل العيوب مثلى ، يامن يعصى ولا يتوب ، يا من الغى والمحال له صحوب ، يامن ضيع غاية المنى والمرغوب ، يا من سود كتابه بمعصية علام الغيوب . اعلموا عصمنا الله وإياكم أن للعباد غدا صحائف يقرؤون فيها الحسنات والقبائح ، فمن كتب له حافظاه خيرا فى الدار الفانية فهو خير لهفي الدار الباقية ، ومن كان خائفا فى الدنيا من العذاب ، متحفظا مما يثبت عليه فى الكتاب ، متجنباً لمعصية رب الارباب ، وفقه الله مولاه للحق والصواب ، وييسر عليه برحمته الحساب ، ومحيت أوزاره من الكتاب ، ورضى عنه الملك الوهاب ، وأمر به الى الجنة وحسن المآب . ومن علم أن عمله يثبت عليه فى الديوان ، وهو يقرؤه لا محالة بين يدى الرحمن ، فكيف يألف العصيان ، وكيف يتحرك منه اللسان ، بالزور والبهتان ، ومخالفة كتاب الملك الديان ❊

الفرق بين الحسنة والسيئة

ذكر فى بعض الحكم أن رجلا كان يسوق دابته فعثرت فقال الرجل : تعست الدابة — يعنى عثرت (١) — فقال ملك اليمين لملك الشمال ليست بحسنة فأكتبها ، فأوحى الله تعالى لملك الشمال ماترك صاحب اليمين فاكتبه أنت ، فكتب صاحب الشمال قول الرجل تعست الدابة . وأعظم من هذا أنه مامن عبد ولا أمة يتنفس نفساً إلا أثبت عليه فى الكتاب ، فان خرج النفس فى طاعة الله أثبته صاحب اليمين ، وإن خرج النفس فى غير طاعة الله تعالى أثبته صاحب الشمال حتى يحكم الله تبارك وتعالى يوم الحساب فيه بحكمه ، فمن علم هذا يقيناً فلا يحتاج أن تمر عليه ساعة من ساعاته ، ولا وقت من أوقاته ، ولا لحظة من لحظاته إلا فى ذكر الله وفى الفكرة فى عظمة الله *

النجاة فى ذكر الله

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس شىء أنجى للمؤمن من عذاب الله من ذكر الله ، وأكثر ما يجد المؤمن في صحيفته يوم القيامة الاستغفار في الليل والنهار » فكل من كان فى الدنيا من قراءة كتابه خائفا مشفقا ، كان الله تبارك وتعالى به عند قراءته إياه رحيما مرفقا . ومن كان فى الدنيا من الغافلين ، كان (عند) (٢) قراءته من النادمين . فلو رأيتم يا أهل الذنوب ماقد أثبت عليكم فى الديوان ، من الخطايا والعصيان ، والزور والبهتان ، والزيادة والنقصان ، والغفلة والنسيان ، لعظمت منكم المصائب ، وكثرت منكم النوائب ، ولسارعتم الى الثواب والرغائب ، ولتبتم الى رب المشارق والمغارب . وأنشدوا :

ما بال عينك لا تبكى لما سلفا ذكر الذنوب وخوف النار والتلفا
يا أيها المذنب المحصى جرائمه لاتنس ذنبك واذكر منه ماسلفا
من الذنوب التي لم تبل جدتها وكيف تبلى وقد أودعتها صحفا
أما تخاف أما تخشى فضائحها إذا الغطاء انجلى عنهن وانكشفا

(١) كذا وردت بالاصل ولعلها لغة ، والتعس الهلاك وهو ضد الانتعاش .
(٢) لم ترد في الاصل لفظة عند فزدتها لاستقامة المعنى .

اعلموا معاشر المذنبين لو أن الله تعالى أطلع بعضنا على صحائف بعض ، وكشف له مافيها من الذنوب لكان الناس يشتغلون عن معايشهم بتعيير بعضهم لبعض، ولعنة بعضهم لبعض (٢) فانا لله وإنا اليه راجعون

حكاية عن رقة ابن واسع

حكى عن محمد بن واسع رحمه الله أنه ما رآه أحد قط ضاحكا ، وإن كان ليبكى حتى ترحمه الناس ، فذكر له ذلك فقال : يا أحبابي وكيف يضحك من لا يدرى ما أثبت عليه فى كتابه ولا يدرى بما يختم له *

اللهم اختم لنا بخير . وكان رجل يكلم محمد بن واسع فى حاجة فقال له محمد بن واسع : أدن مني فلو كانت للذنوب رائحة لما قدرت أن تدنو مني . فيامعشر المذنبين مثلي ونفسى أعني وكلنا مذنب لاتغتروا بستر الله تعالى عليكم فان له يوماً يهتك فيه الاستار ويحاسب عباده على ماعملوا فى الليل والنهار ، فقوم إلى الجنة وقوم إلى النار . فالخير والشر قد حصل عليكم فى الكتاب ، الذي يوضع لكم يوم العرض والحساب ، بين يدى رب الأرباب ، قال الملك الوهاب (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه) وضع الكتاب للمؤمنين ، ووضع الكتاب للمجرمين . وضع الكتاب لأهل الايمان ، ووضع الكتاب لأهل الضلال والطغيان . وضع الكتاب لأهل الجنان ، ووضع الكتاب لاهل النيران . وضع الكتاب لاهل الثواب ووضع الكتاب لأهل العقاب . وضع الكتاب للطائعين ، ووضع الكتاب للعاصين ، وضع الكتاب لأهل الاخلاص والوفاق ، ووضع الكتاب لأهل الرياء والنفاق ، وضع الكتاب لاهل الوفاء ، ووضع الكتاب لاهل الجفاء ، وضع الكتاب للعاملين ، ووضع الكتاب للبطالين (٢) وضع الكتاب للقائمين ، ووضع الكتاب للنائمين ، وضع الكتاب للمستغفرين ، ووضع الكتاب للغافلين . وضع الكتاب للسعداء ، ووضع الكتاب للاشقياء . وضع الكتاب لأهل الجنة ، ووضع الكتاب لأهل المحنة . وضع الكتاب للأبرار

(١) وجاء فى الحديث « لو تكاشفتم ما تدافنتم » وتلك والله حكمة بالغة من الله تعالى فقد ستر على كل إنسان سيئاته وأودع المحبة والمودة فى قلوب الناس بعضهم لبعض رغما من تطاحنهم على العيش وما في طباعهم من الأثرة (٢) فى الأصل : للباطلين والسياق والتطابق يقتضى للبطالين أزاء العاملين كما صححناها .

ووضع الكتاب للفجار . وضع الكتاب لأهل التوبة ، ووضع الكتاب لأهل الحوبة وضع الكتاب لأهل الكرامة ، ووضع الكتاب لأهل الندامة . وضع الكتاب لأهل الرشاد ، ووضع الكتاب لأهل الفساد . وضع الكتاب لأهل الحسنات . ووضع الكتاب لأهل السيئات . وضع الكتاب لأهل النعيم والسرور ، ووضع الكتاب لاهل الويل والثبور

فكتب تبشر بالجنة، وكتب آخرها باللعنة والمحنة . جعلنا الله وإياكم ممن يبشره كتابه بالجنة برحمته *

إحاطة الكتاب بكل شيء

واعلموا يامعشر المذنبين أن الله تعالى لم يدع شيئاً من القول إلا وقد فسره لعباده وأنزل بذلك كتابه العزيز فقال فيه تبارك وتعالى (مافرطنا فى الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون) وقد أعلمنا الهنا ومولانا أن (كل إنسان ألزمناه طائره) وأن كل إنسان لابد له من السؤال ولابد له من حساب ، ولابد له من ثواب أو عذاب ومولانا عز وجل قد أمرنا بالعمل الصالح ، ووعدنا عليه بالجنة ، ونهانا عن المعاصى وتوعدنا عليها بالنار . وما قدمتم من خير وشر قد أثبت عليكم فى كتاب مكتوب ، بالحسنات والذنوب *

حكاية فى كتابة الكتب

روى عن الحسن (١) رحمه الله أنه قال : ما من عبد ولا أمة يدفن إلا دخل عليه ملك فى قبره معه دواة وقرطاس، فيأخذ الملك برأس الميت ويقعده ويرفع اليه ذلك القرطاس ويناوله قلما ويقول له اكتب جميع ماعملت فى عمرك الذى وجبت عليك فيه الحدود من خير وشر فيأخذ الميت القلم فيكتب وإن لم يكن فى الدنيا كاتباً ، فان كان العبد من اهل السعادة فأول مايجري القلم بيده باذن الله تبارك وتعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ، لأن بسم الله الرحمن الرحيم لاتكون فى كتاب أهل الشقاوة وإنما تكون فى كتاب اهل الايمان والسنة والأمان والغفران . لأن بسم الله الرحمن الرحيم هى آية الايمان وهي إخبار عن رحمة الله ولطفه جل جلاله .

(١) تكرر ذكر الحسن رضى الله تعالى عنه وهو الحسن البصرى العابد الزاهد فريد عصره فى الزهد والبلاغة كان إماما عظيما ومحدثا كبيرا لم يكن فى عصره مثله . وكانت مجالسه الوعظية مشهورة فى الآفاق.

يا أهل السنة من هذه الأمة،فإذا ثبت العبد فى كتابة بسم الله الرحمن الرحيم فقد أمن فى قبره من العذاب والضيقة ❁

البسملة وبركتها

وإذا لم يثبت فى كتابة بسم الله الرحمن الرحيم فقد حل به العذاب فى قبره .فإذا كتب العبد ماعمل من خير وشر شقيا كان أو سعيداً ، يطوى الملك الكتاب ويعلقه فى عنقه . فإذا خرج العبد من قبره يوم القيامة جاءه ذلك الملك فأخذ الكتاب وناوله إياه وقال : ياولى الله أو يا عدو الله أتعرف هذا ؟ فيقول نعم أنا كتبته ، وأنا عملته ، فيقول له فاقرأه فيستقبله منه ماسبق له من سعادة أو شقاوة ❁

فالله الله معشر المذنبين مثلى المؤمنين لاتضيعوا أيامكم بالقبائح ، ولاتهملوا أعماركم فى الذنوب والفضائح ، فان جميع أعمالكم قد حصلت عليكم فى الصحائف الصحائح ، وستقرؤوها بين يدى مولاكم وتشهد عليكم الجوارح ، بالقبيح والحسن من أعمالكم .وأنشدوا :

سوف يأتى عليك ساعة خوف حين تعطى صحائف الأعمال
وكأنى أرى فضائح قوم قد تجلى لكشفها ذو الجلال
ليت شعري إذا قرأت كتابى بيمينى أعطاه أم بشمالى

حكاية عن عيسى عليه السلام

روى عن محمد بن اللباد رحمه الله أنه قال : دخل عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا محمد مدينة خربة فدخل قصراً من قصورها فنادى ، ياخراب الآخر بين اين أهلك وعمارك؟ فأجابه شيء من آخر القصر : يا ابن مريم بادوا وسيعودوا .فاجتهد يا أخى لاتفرط فان العظام قد بليت وبقيت أعمالهم فى رقابهم . وأنشدوا :

لاتحقرن من الذنوب صغيرها إن الصغير غدا يعود كبيرا
كل الذنوب وإن تقادم عهدها عند الاله مسطرا مسطورا

أيها الرجل المقنع بالمشيب ، الملبس حلة المعاصى المريب ، قدخسرت أيام الشباب ، وبذلت مهجتك للعذاب ، بغفلتك عما فى الكتاب ، واتباعك اللعين الكذاب ، وتهاونك بالحساب وصدودك عن الصواب ، ومعصيتك لرب الأرباب . ماحيلتك يامكروب مثلى سودت

كتابك بالذنوب ، وعصيت مولاك علام الغيوب ، و بعت الحظ الجزيل بالكذب المشوب ، وضيعت الجنة التي ليس فيها نصب ولا لغوب (١) واعلموا معشر المذنبين أن العبد اذا وفقه مولاه وأعطاه الفكرة فى قراءة كتابه كان عند مولاه مستجاب الدعاء *

حكاية فى الاعتماد على الله

حكى : عن مطرف بن الشخير رحمه الله أنه أرسل رسولا عن عوذ ماء (٢) وكان فى زمان الحر ، فأبطأ عليه الرسول وكان عنده جماعة قد عطشوا وكان معه قليل ماء ، فقام فتوضأ بذلك الماء ثم صلى ركعتين دعا فيهما مولاه سبحانه ، فأرسل الله تبارك وتعالى سحابة حتى شرب هو وأصحابه ، فقيل له بم بلغت هذه المنزلة ؟ فقال : جعلت كتابي نصب عيني فى ليلى ونهارى حتى كأنى أقرؤه بين يدى ربى جل جلاله *

حكاية عن مالك بن دينار

قال عبد الواحد بن زيد رحمه الله : كنا عند محمد بن واسع ومعه مالك بن دينار فجاء رجل فكلم مالكا وأغلظ عليه فى الكلام فى قسمة قسمها وقال وضعتها فى غير حقها وفضلت بها أهل مجلسك ليكثروا جمعك ولتصرف وجوه الناس اليك ، قال فبكى مالك بن دينار وقال : ما أردت بهذا هذا الذي تقول ، قال بلى والله لقد أردته ، فلما أكثر على مالك الكلام رفع جيب يديه وقال : اللهم ان هذا قد شغلنا عن ذكرك فارحنا منه كيف شئت . فسقط الرجل ميتا باذن الله *

---

(١) النصب بالفتح شدة التعب واللغوب الاعياء (٢) أي عن شدة عوذهم واحتياجهم للماء كما يحصل غالبا فى البلاد التى لم يكن بها نهر جارى .

دعاء بن واسع

وكان محمد بن واسع اذا جن عليه الليل يبكي ويقول فى بكائه : ويلى من ذنوب قد أحصيت ، ومن صحيفة قد ملئت ، وربي قد علم ذلك ولم يخف عليه من ذلك شيء . فأورثه الله تعالى بكائه على كتابه ، وعلى حيائه من ربه الاستجابة في الدعاء وتنور القلب .وأنشدوا :

أرى المشيب بالعذار قد ألم ... كأن موتى عن قريب قد هجم
خط المشيب أسطرا فى مفرق ... فراعنى ما خطـه وما رقم
هل الفتي اذا انقضى شـبابه ... الا كزرع هاج (١) سوف ينحطم
شاب الفؤاد قبل شيب لمتى (٢) ... واعتادنى ضعف القوي قبل الهرم (٣)
ويحى من التوبيخ من ربى غدا ... من ذلك الأمر الشديد المستهم (٤)
ويحى اذا نادى المنادى بى ألا ... قم عبـد سوء مسرع للعرض قم
ويحى اذا ما قال لى مقررا ... وخص شيئا بعـد شيء ثم عم
ماقد صنعت فى فروضي والذى ... قضيت منها هل صفا لى هل سلم
فجئت ربي خاسرا قد أثقلت ... ظهرى ذنوب كالسحاب المرتكم (٥)

قال الله تبارك وتعالى (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه) وضع الكتاب لفصل القضاء ، ووضع الكتاب للحزن والبكاء . وضع الكتاب لتبدو الفضائح ووضع الكتاب لتظهر القبائح . وضع الكتاب لتصح الصحائح . الله الله يامعشر المذنبين حاسبوا أنفسكم قبل يوم الحساب ، وارحموا أنفسكم قبل نزول العذاب ، وبادروا بالتوبة قبل غلق الباب ، واجتهدوا فى بقية أعماركم قبل وضع الكتاب ، وسارعوا إلى المغفرة من ربكم قبل الخجل بين يدى رب الأرباب ، وقبل أن تطلبوا برد الجواب ، وتحبس الألسنة عن النطق والخطاب ، وتشهد الجوارح بما عملت من عصيان أو ثواب . وأنشدوا :

---

(١) هاج النبت يبس وجف (٢) اللمة الشعر الذي يجاوز شحمة الاذن فاذا بلغ المنكبين سمى جمة (٣) الهرم كبر السن ، والهرم مشهور بمصر (٤) يريد الامر الشديد المهم (٥) أصله المتراكم أى المجتمع بعضه على بعض

أبكى لذنبك طوال الدهر مجتهدا   إن البكاء معول (١) الاحزان
لاتنس ذنبك فى الكتاب وعظمه   إن الذنوب تحيط بالانسان

مساكين أهل الذنوب ، أطاعوا الشيطان ، وعصوا الرحمن . مساكين أهل الذنوب جلت كروبهم وعظمت خطوبهم، وكبرت عيوبهم، وأحصيت عليهم فى الكتاب ذنوبهم . مساكين أهل الذنوب عصوا الجبار فى الليل والنهار ، وبذلوا مهجتهم لعذاب النار ، وسودوا صحفهم بالخطايا والاوزار ، مساكين أهل الذنوب غفلوا عن الطاعة ، وخالفوا السنة والجماعة ، وخسروا أنفسهم قبل قيام الساعة . وأنشدوا :

(من كان) يخشى الله (٢) جل جلاله   فليكثر العبرات فى الخلوات
فلعله بعد التذكر والبكا   بدلت له العبرات بالحسنات
وتخفف الاوزار عن منشوره   يوم الحساب وموقف الحسرات

عجائب الكتب

قال الله تعالى: (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه) عباد الله عند وضع الكتاب عجائب ، وأحزان ومصائب ، وكروب ونوائب . فواحد يوضع له الكتاب فيبكى ، وآخر يوضع له الكتاب فيفرح ويبكى . وآخر يوضع له الكتاب فتجرى على وجهه نضرة النعيم (٣) وآخر يوضع له الكتاب فتعلو وجهه ظلمة الجحيم . وآخر يوضع له الكتاب مختوما بسخط الرب الجواد . وآخر يوضع له الكتاب مختوما بالتوفيق والسداد *

اللهم وفقنا للطاعة ، وأمتنا على السنة والجماعة ، ونجنا من أهوال يوم الساعة ، وأدخلنا فى جملة أهل الشفاعة . واعلموا معشر المذنبين أن الماء يمحو الكتاب من الواح الصبيان ، والدمع يمحو من كتبكم الأوزار والعصيان ، والهموم والغموم والاحزان . فاجتهدوا فى البكاء معشر الاخوان ، وأكثروا الندامة فانها توجب الغفران . وأنشدوا :

دعونى على نفسى أنوح وأندب   بدمع غزير واكف يتصبب

---

(١) كذا ورد بالاصل ولعله يريد به معول الاحزان والمعول الفأس العظيمة . أو هو المعول عليه أي المحمول عليه (٢) سقط فى الاصل : من كان وزدناها (٣) النضرة الحسن والرونق والنضار الذهب

دعوني على نفسى أنوح فانى ... أخاف على نفسى الضعيفة (١) تعطب
وإنى حقيق بالتضرع والبكا ... اذاماهدا (٢) النوام والليل غيهب (٣)
وجالت دواعى الحزن من كل جانب ... وغارت نجوم الليل وانقض (٤) كوكب
كفى ان عينى بالدموع بخيلة ... وإنى بآفات الذنوب معذب
فمن لى إذا نادى المنادى بمن عصى ... إلى أين الجانى إلى اين أهرب؟
وقد ظهرت تلك الفضائح كلها ... وقد قرب الميزان والنار تلهب
فياطول حزنى ثم يا طول حسرتى ... لئن كنت فى قاع الجحيم أعذب
فقد فاز بالملك العظيم عصابة ... تبيت قياما فى دجي الليل ترهب
إذا أشرف الجبار من فوق عرشه ... وقد زينت حور الجنان الكواعب
فناداهم سهلا وأهلا ومرحبا ... أبحت لكم داري وما شئتم اطلبوا

فبادروا رحمكم الله فى هذه الايام الشريفة ، إلى محو السيئات من الصحيفة *

ضرب مثل فى رقة القلب

يا أخى الخشبة اليابسة إذا دخل طرفها الواحد فى النار عرق طرفها الآخر ، وكذلك القلب إذا كانت فيه حرقة ندامة الذنوب التي حصلت فى الكتاب المكتوب الموضوع ، جادت العينان بواكف الدموع ، ولانت الجوارح بالخضوع ، والقلب بالانابة والخشوع . وانشدوا :

كتبت بأدمعي فى صحن خدى ... كتابا بالتذلل والخضوع
فقالوا قد عفونا عنك لما ... محوت قبيح فعلك بالدموع

---

(١) فى الاصل · الضيعة وهو تحريف . (٢) هدأ سكن ويريد إذا نام الناس وسكنت الحركات والأصوات (٣) الليل غيهب شديد الظلام (٤) انقض الكوكب سقط وهوى

حكاية عن التوبة

ذكر عن بعض الخائفين أنه قال : رأيت رجلا واقفا على صبي من الصبيان في المكتب وهو يمحو لوحا ، وكان اللوح قد كتبه بالحبر ، وكانت الكتابة قد ثبتت ولا تزول بالماء ، فجعل الصبي يحك اللوح بالحبل والتراب ، فقال الرجل الواقف عليه : يا بني مالك تحك اللوح بالحبل فقال ليزول الحبر الذي ثبت فيه ، فقال له الرجل والحبل يا بني يزيل الحبر ؟ قال نعم ألا ترى أن الحبل إذا حك في تنور البئر يؤثر فيه وهو حجر فيصير فيه من أثر الحبل شبه الخنادق ! فقال الرجل ذلك بطول المدة ، فقال الصبي لا يانعم الرجل إلا بالحزم والاجتهاد واياك يانعم الرجل بعيد الذهن، قال الرجل كيف ذلك يابني ؟ قال : لأني قد دققت لك إشارة لو ألقيتها على قلبك لأفاق وامتحي الحبر الذي عليه ، فقال الرجل : يابني كان على قلبي حبراً ؟ قال يا عم وأي لون هو الحبر ؟ قال : هو أسود . قال الصبي : ياعم ألم أقل لك إنك بعيد الذهن ، وأي سواد أشد من سواد الذنوب على القلوب ! فصاح الرجل صيحة وخر مغشيا على وجهه ثم أخذني البكاء . فقال له الصبي أما الآن فقد وجدت الدواء لذنوبك ومحوها من كتابك وقلبك . فقال الرجل : يابني وما الدواء ؟ فقال له : البكاء . فقال : يا بني والبكاء يمحو الذنوب من الكتاب والقلب ؟ قال له : نعم والدليل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم « إن الدموع تطفيء بحار النار يوم القيامة عن الباكي »*

الدموع تمحو الذنوب

فاذا محت الدموع : بحار النار فأحرى أن تمحو من الكتاب القبائح والأوزار ، وإذا زالت من الكتاب الفضائح والأوزار ، رضي عنك الملك الغفار ، وأمر بك إلى دار الراحة والقرار ، وخلصت من عذاب البوار . فابكوا يا جماعة المسلمين على ما أذنبتم في الشهور والأعوام ، وفي الساعات والأيام ، من الخطايا والاجرام ، واكتساب الربا والحرام ، وظلم الضعفاء والأرامل والأيتام ، وما فرطتم فيه من أداء حقوق الملك العلام . وأنشدوا :

وددت أن دموعي بحر فاسفحها (١) من مقلتي على ما فات من زمني

(١) في الاصل : وددت أن دموعي يجري فأسفحه ، ولايستقيم ذلك . وأسفحها أهريقها

واها على أسف منى على وهل يجنى التأســف الاغلة الشجن
والله لوصح تحقيق التأسف ما ألفيت إلا مع النوام فى الحزن(١)
ياليت لى عينا فى كل جارحة تبكى على بدمع مانع الوسن

فضل البكاء

فالواجب ــ والله ياأهل الاسلام ــ على كل مسلم علم من نفسه ذنبا أن يكثر البكاء عليه عساه يمحوه من كتابه مولاه ، ويتفضل عليه ويغفر له ماقد جناه ، فهو المنان الكريم ، المتفضل العظيم. اللهم يا أكرم الاكرمين ، ويا آخر الغافرين تفضل علينا بتوبة وعلى جميع المذنبين ، تنقلنا بها من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، وثبتنا عليها حتى تخرجنا من الدنيا بلا ذنب ولاتباعة(٢) على منهاج أهل السنة والجماعة ، الذين أوجبت لهم الرحمة والشفاعة . اللهم إن الطاعة والمعاصى بقدرك ، وفى يدك القلوب والنواصى ، فطهر قلوبنا بماء التوبة ، واغسلها من دنس الحوبة ، ومتعنا بالسلامة فى ديننا ودنيانا ، وفى أسماعنا وأبصارنا ، وجميع جوارحنا ما أبقيتنا ، ولاتردنا على أعقابنا بعد إذ هديتنا ، فانك على كل شىء قدير ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم *

ــ ١٠ ــ ﴿ مجلس فى ذكر الجنة وأوصافها ﴾

﴿ وماأعد الله لاوليائه من النعيم فيها ﴾

أيها المريد إنه ينبغى لك أن تشغل قلبك وتعمل فكرك بالتطلع إلى ما أعد الله عز وجل لأوليائه فى جنته ، والاشتياق إلى ماوصف الله لنا من نعيمها فمن اشتغل بذكرها ، واشتاق إلى نعيمها ، لهى عن الرغبة فى الدنيا والحرص عليها والترجح بأمانيها ، وترك طلب العلو فيها

آيات فى الجنة

وقد قال الله عز وجل (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايرون علوا فى الأرض ولافسادا والعاقبة للمتقين) وقال عز من قائل (مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها) وقال عز من قائل (جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب

(١) كذا وردت بالاصل ولعله يريد مع المقيمين أبدا فى الحزن (٢) التباعة والتبعة ماتبع به

ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير) وقال (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور) الآية . الى لغوب . وقال عز من قائل (فى جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين) الآية . الى مكنون . وقال عز وجل (يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب) الآية . الى خالدين*

أحاديث فى الجنة

روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مارأيت مثل الجنة نام طالبها ، ولا مثل النار نام هاربها »*

روى عن على بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ، ومن أشفق من النار لهى عن الشهوات ، ومن ترقب الموت هانت عليه المصيبات » *

روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما خلق الله الجنة قال لجبريل إذهب فانظر اليها ، فذهب فنظر اليها ثم رجع فقال يارب لايسمع بها أحد إلا دخلها ، ثم حفها بالمكاره (١) فقال الله اذهب فانظر اليها ، فذهب فنظر اليها فقال يارب وعزتك لقد خشيت أن لايدخلها أحد ، فلما خلق الله النار قال ياجبريل اذهب فانظر اليها ، فذهب فنظر اليها فقال جبريل يارب لايسمع بها أحد فيدخلها ، ثم حفها بالشهوات فقال ياجبريل اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها فقال يارب وعزتك لقد خشيت أن لايبقى أحد إلادخلها » فيامعشر المشتاقين جاهدوا عدوكم اللعين بترك الشهوات ، ونافسوا فى أفعال الخيرات ، وتحملوا في طاعة مولاكم المكروهات ، يسكنكم مولاكم الجنات ، ويبوئكم أعلا الغرفات ، ويرفع لكم الدرجات *

شجرة طوبى

روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن فى الجنة شجرة يقال لها طوبي لويسير الراكب فى ظلها مائة عام لم يقطعها »(٢)بطحاؤها ياقوت

(١) وفى الحديث « حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » وذلك أن الطاعات تشق على النفس والشهوات تخف عليها الامن عصم الله سبحانه وقليل ماهم (٢) وقدأخرجه مسلم ولم يسمها طوبى بل قال شجرة فقط

وترابها مسك ابيض ، ووحلها عنبرأشهب ، وكثبانها كافور اصفر ، وبسرهازمرد أخضر ، وأفناؤها سندس واستبرق ، وزهرها رياض أصفر ، وورقها برود خضر ، وثمرها حلل صفر ، وسقيها زنجبيل وعسل ، وعبقهازعفران مبهج ، والالنجوج (١) يتأجج من غير وقود يتفجر من أصلها أنهار السلسبيل والرحيق ، وظلها مجالس أهل الجنة يألفونه ، ومتحدث يجمعهم تحتها *

وصف الجنة

فبينما هم ذات يوم يتحدثون فى ظلها إذ جاءتهم الملائكة بنجائب مزمومة بسلاسل من ذهب كأن وجوهها المصابيح نضارة وحسنا ، وبرها خز أحمر ، وعبقرى أبيض مختلطان الحمرة بالبياض والبياض بالحمرة لم ينظر الناظرون إلى مثله حسنا وبهاء ، ذللا من غير محنة ، نجب من غير رياضة (٢) رحالها من الياقوت الاخضر ؟؟ ملبسة بالعبقري والأرجوان ، ولجمها ذهب وكسوتها سندس واستبرق ، فأناخوا اليهم تلك الرواحل وحيوهم بالسلام من عند الرب السلام وقالوا لهم أجيبوا ربكم جل جلاله فانه يستزيركم فزوروه وليسلم عليكم وتسلموا عليه ، وينظر اليكم وتنظروا اليه ، ويكلمكم وتكلموه ، ويحييكم وتحيوه ، ويزيدكم من فضله فانه ذو رحمة واسعة ، وذو فضل عظيم *

رواحل الجنة

فيتحول كل رجل منهم على راحلته ثم يسير بهم صفا واحداً معتدلا الرجل الى جنب أخيه عن يمينه لايفوت ركبة ناقة ركبة صاحبتها ولاتعدو أذن ناقة أذن صاحبتها ، يمرون بالشجرة من أشجار الجنة فتميل لهم عن طريقهم كراهية أن يفرق بينهم ، فاذا وقفوا بالجبار تبارك وتعالى أسفر (٣) لهم عن وجهه الكريم ، وتجلى لهم فى عظمته العظيمة ، فيسلمون عليه ويرحب بهم وسلامهم وتحيتهم أن يقولوا ربنا أنت السلام ومنك السلام ولك حق الجلال والاجلال فيقول لهم الرب جل جلاله عبادى عليكم السلام منى وعليكم رحمتى ومحبتى مرحبا وأهلا بعبادي

(١) أظنه نوع من الطيب يتبخر به . (٢) يريد أن هذه النجائب ذات اللون العجيب لم تذلل بالرياضة والتعليم وانما خلقة (٣) أسفر الصبح أضاء ، وفي الحديث « أسفروا بالفجر فانه أعظم للاجر »

الذين أطاعونى بالغيب والذين حفظوا وصيتي ورعوا عهدى وكانوا منى على كل حال مشفقين (١) فيقولون وعزتك وجلالك وعظمتك وعلو مكانك ماقدرناك حق قدرك ولا أدينا اليك كل حقك فأذن لنا بالسجود لك ، فيقول لهم ربهم عز وجل إنى قد رفعت عنكم مؤنة العبادة فهذا حين أرحت لكم أبدانكم ، وهذا حين أفضيتم إلى روحى ورحمتى ، وجنتى وكرامتى ومبلغ الوعد الذى وعدتكم فاسألونى ماشئتم وتمنوا على أعطكم امانيكم فانى لن اجزيكم اليوم بقدر اعمالكم ولكن اجزيكم بقدر رحمتي وكرامتي ورأفتى وعزى وجلالى وعلو مكانى وعظمة شأنى فاسألوني ماشئتم ، فما يزالون فى الأمانى حتى ان المقصر فى امنيته يقول : ربنا تنافس اهل الدنيا فى دنياهم ، وفخر بعضهم الى بعض فاجعل حظى من الجنة كل شىء كان فيه اهل الدنيا من يوم خلقتها الى يوم افنيتها ، فانا رفضناها وزهدنا فيها وصغرت فى اعيننا تشاغلا بأمرك وإعظامالك وإجلالاوإعزازا.

اكرام الله تعالى

فيقول لهم ربهم لقد قصرتم فى أمنيتكم ورضيتم بدون حظكم وبأقل من حقكم فقد أوجبت لكم ماسألتم وتمنيتم حتي تعرفه انفسكم ؛ والحقت بكم ماقصرت عنه امانيكم فانظروا الى ماأعددت لكم والى مالاتبلغه أمانيكم ولم يخطر على قلوبكم فيؤتون ذلك ، فيقولون ربنا انت احق بالامن والرحمة ولو وكلتنا الى انفسنا وامانينا لضيعنا حظنا واذا بقباب فى الرفيع الاعلى قد نصبت وغرف من الدر والمرجان قد رفعت ابوابها من ذهب ، ومنابرها من نور وسررها من ياقوت ،وفرشها من سندس واستبرق يفور من اعراصها وافواهها ماء . نور شعاع الشمس عنده كنور الكوكب الدرى فاذاهم بقصور شامخة فى اعلا عليين من الياقوت يزهر نورها فلوانها متخذة اذا لامتعت الابصار من شدة صفائها وعتق جوهرها فما كان منها ابيض فمن الياقوت الابيض مفروشا بالحرير الابيض . وما كان منها احمر فمن الياقوت الاحمر مفروشا بالعبقرى الاحمر . وما كان منها اخضر فمن الياقوت الاخضر مفروشا بالسندس الاخضر .وما كان منها اصفر فمن الياقوت الاصفر مفروشا بالارجوان الاصفر ،مبوبة بالذهب الاحمر والفضة البيضاء قواعدها من جوهر واركانها من ذهب، وشفوفها قباب من لؤلؤ وبروجها غرف من مرجان

(١) الاشفاق الخوف

براذين الجنة

فهم كذلك وإذا براذين مقربة من الياقوت الاحمر مصنوعا فيها الروح (١) بجنبها الولدان المخلدون وبيد كل وليد حكمة برذون من تلك البراذين على كل أربعة منها مرتبة من مراتب الجنة كالرحالة أسفلها سرير من ياقوتة وعلى كل سرير منها قبة من ذهب مفرغة فى كل قبة منها فراش من فرش الجنة مظاهرة ، فى كل قبة منها جاريتان من الحور العين على كل جارية منهما ثوبان من ثياب الجنة ليس فى الجنة لون حسن الا وهو فيهما ولا ريحة طيبة الا عبق بهما ينفذ ضوء وجوههما غلظ القبة حتى يظن من ينظر اليهما أنهما من دون القبة ، يتبين مخها فى عظامها كما يتبين السلك الابيض فى الياقوتة الصافية ، ثم يأمر الله عز وجل رجلا منهم فيتحول فى مركبه مع صاحبته فتعانقه وتقبله وتمنيه بكرامة الله عز وجل ، والقبة إما لؤلؤة وإما زمردة ، واما ياقوتة واما درة واذا فى قبة من تلك القصور منابر من نور عليها ملائكة قعود ينتظرونهم ليهنئوهم ويحيوهم ، فيتحول كل رجل منهم على مركبة تزف تلك البراذين وبجنبها الولدان المخلدون ، تشيعهم الملائكة المقربون يقطعون بهم رياض الجنة . فلما رفعوا الى قصورهم نهضت الملائكة فى أعراضهم فاستنزلوهم وصافحوهم وشبكوا أيديهم فى أيديهم ثم أجلسوهم بينهم ثم أقبلوا على الضحك والمداعبة حتى علت أصواتهم *

مصافحة الملائكة

تقول الملائكة أما وعزة ربنا وجلاله ماضحكنا منذ خلقنا الا معكم ، ولاهزلنا الامعكم ، فهنيئا لكم هنيئا بكرامة ربكم . فلما ودعوهم وانصرفوا عنهم دخلوا قصورهم فليس أحد منهم الا وقد وجد الله عز وجل قد جمع له فى قصره أمنيته التى تمنى ، واذا على كل قصر منها باب يفضى الى واد أفيح (٢) من أودية الجنة ، محفوفة تلك الاودية بجبال من الكافور الابيض وكذلك جبال الجنة وهى معادن الجوهر والياقوت والفضة فارغة أفواهها فى بطون تلك الاودية ، فى بطن كل واحد منها أربع جنات ، (جنتان ذواتا أفنان فيهما عينان تجريان

---

(١) كذا وردت هذه العبارة ولعله يريد براذين بجنبها الولدان وبيد كل وليد لجام برذون منها . والحكمة فى البراذين انها موطأة الظهور مريحة جدا للراكب حتى قيل إن راكبها يشرب فوق ظهرها القهوة ولا تندفق منه (٢) أفيح أى عبق الريح متسع يقال فاحت ريح المسك فوحانا وفيحانا

فيهما من كل فاكهة زوجان ، وجنتان مدهامتان ، فيهما عينان نضاختان ، وفيهما فاكهة ونخل ورمان ، وحور مقصورات في الخيام لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان ، كأنهن الياقوت والمرجان) . فلما تبوؤا المنازل واستقر قرارهم زارهم ربهم تبارك وتعالى في ملائكته فيقول لهم (هل وجدتم ماوعدكم ربكم حقا) قالوا نعم ، قال كيف وجدتم ثواب ربكم ؟ قالوا ربنا رضينا فارض عنا . فيقول لهم الجليل جل جلاله برضائي عنكم نظرتم إلى وجهي وسمعتم كلامي وحللتم داري وصافحتم ملائكتي. فهنيئا هنيئا عطائي لكم ليس فيه نكد ولا تكدير فقالوا (الحمد لله الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) *

عدد الجنات وأسماؤها

روى عن وهب بن منبه عن ابن عباس قال : لما خلق الله تبارك وتعالى الجنات يوم خلقها وفضل بعضها على بعض فهى سبع جنات ؛ دار الخلد ، ودار السلام ، وجنة عدن — وهى قصبة الجنة وهى مشرفة على الجنان كلها وهى دار الرحمن تبارك وتعالى ، ليس كمثله شيء ولا يشبهه شيء ولباب جنات عدن مصراعان من زمرد وزبرجد من نور كما بين المشرق والمغرب (١) — وجنة المأوى ، وجنة الخلد ، وجنة الفردوس ، وجنة النعيم . سبع جنات خلقها الله عز وجل من النور كلها مدائنها وقصورها ، وبيوتها وشرفها وأبوابها ودرجها ، وأعلاها وأسافلها ، وآنيتها وحليها ، وجميع أصناف ما فيها من الثمار المتدلية ، والأنهار المطرزة بألوان الاشربة ، والخيام المشرقة ، والاشجار الناضرة بألوان الفاكهة ، والرياحين العبقة ، (٢) والازهار الزاهرة والمنازل البهية المعجبة *

الحور العين

فيها الازواج المطهرة ، والعين الغنجات ، بريط النور (٣) معتجرات بوشح الكرامة ، متزينات، بالمسك متزملات ، حدق أعينهن كاحلات ، وأطرافهن خاشعات ، وفروقهن مكللة بالدر، مركبة بالياقوت ، ينادين بأصوات غنجة رخيمة لذيذة يقلن : نحن الخالدات فلا نموت

---

(١) كذا وردت ولعله يريد أنهما من زمرد وزبرجد منير ، لأنه يستحيل أن يكونا من جوهر ومن نور . (٢) عبق به الطيب لزق وهو هنا فاح طيبه (٣) الريطة الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين .

أبدا ، ونحن الغانجات فلا نبأس أبدا ، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا ، ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا ، ونحن الحور الحسان أزواج أقوام كرام ، ونحن الابكار السوام للعباد المؤمنين ، طوبي لمن كان لنا وكنا له . فذلك قوله عز وجل (إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً عربا) عاشقات لازواجهن (أترابا) مستويات فى الاسنان (حور عين) حسان جمال (كأمثال اللؤلؤ المكنون) كأنهن الياقوت والمرجان . مشيها هرولة ، ونغمتها حالية شهية بهية فائقة وامقة لزوجها عاشقة وعليه محبوسة وعن غيره محجوبة فذلك قوله عز وجل (فيهن قاصرات الطرف) يقول قصرت أطرافهن عن الرجال فلا ينظرن إلى غير أزواجهن (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) وكلما أصابها زوجها وجدها عذراء عليها سبعون حلة مختلفة الوشى والالوان ، حملها أهون عليها وأخف من شعرها *

صفة الحور

فى نحرها مكتوب ، أنت حبي وأنا حبك لست أبغى بك بدلا ولا عنك معدلا . كبدها مرآته وكبده مرآتها يرى مخ ساقها من وراء لحمها وحليها كما ترى الشراب الاحمر فى الزجاجة البيضاء ، وكما يرى السلك الابيض فى جوف الياقوتة الصافية *

دار السلام

وخلق دار السلام من الياقوت كلها أزواجها وخدمها وآنيتها وأسرتها وحجالها وقصورها وخيامها ومدائنها ودرجها وغرفها وأبوابها . وثمارها من اللؤلؤ والياقوت *

جنة عدن

وخلق جنة عدن من الزبرجد كلها على هذه الصفة . وخلق جنه المأوى من الذهب الاحمر بجميع مافيها على هذه الصفة *

جنة الخلد

وخلق جنة الخلد من الفضة البيضاء بجميع مافيها على هذه الصفة . والجنات كلها مائة درجة مابين الدرجتين خمسمائة عام . حيطانها لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، ولبنة من ياقوت

ولبنة من زبرجد . ملاطها (١) المسك ، وقصورها الياقوت ، وغرفها اللؤلؤ ، ومصارعها الذهب ، وأرضها الفضة ، وحصباؤها المرجان ، وترابها المسك . أعدها الله عز وجل لأوليائه ، يقول الله تبارك وتعالى يا أوليائى جوزوا الصراط بعفوي ، وادخلوا الجنة برحمتى واقتسموها بأعمالكم ، فلكم صنعت ثمار الفردوس ، ولكم نصبت شجرة الخلد ، ولكم بنيت القصور التى أسست بالنعيم ، وشرفت بالملك والخلود ٭

درجات أهل الجنة

قال ابن عباس رضى الله عنهما : فأسفل أهل الجنة درجة من له من الجنة مسيرة خمسمائة عام ، ويزوج خمسمائة حوراء ، وأربعة بكر ، وثمانية آلاف بيت ، وإنه ليعانق الزوجة عمر الدنيا فلا يتأخر واحد منهما عن صاحبه ، وإنه لتوضع المائدة بين يديه فلا ينقضى شبعه عمر الدنيا ، وإنه ليوضع الاناء على فيه فلا ينقضى ريه عمر الدنيا ، وإنه ليأتيه ملك بين أصبعيه مائة حلة تحية من ربه تبارك وتعالى فيلقيها على بدنه فيقول العبد : الحمد لله وتبارك ربي وتعالى فما عجبت كاعجابى بهذه الهدية . فيقول الملك : أعجبتك ؟ فيقول نعم ، فيبادر الملك أدنى شجرة من جنة الخلد فيقول أنا رسول ربك إليك تكونى لولى الله ما أحب فتتلون له على ما يشتهى ٭

طعام الجنة

ويبلغ غداؤه سبعين الف صفحة من ألوان لحوم الطير كأنها البخت لا ريش لها ولا زغب ولا عظم ، فلا تطبخ بالنار ، ولا تقليها القدور ولذتها لذة الزبد ، وحلاوتها حلاوة العسل ، ورائحتها رائحة المسك . يأكل من كلها يجد لآخرها من الطعم كما يجد لأولها (٢) . وفى عشائه مثل ذلك ٭

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يأكلون ويشربون ويتفكهون يصير طعامهم

---

(١) الملاط هو المادة التى توضع بين الاحجار وبعضها ويقال لها الآن : المونة . وتصنع من رمل وجير وجبس وغيره

(٢) يريد أن طعمها لا يتغير فى فمه من الشبع فى آخر الطعام لأنه يأكل حينئذ للذة وليس لسد خلة الجوع لانها انتفت هناك .

وشرابهم رشحا كرشح المسك يخرج من أجسادهم .ويبعث الله تبارك وتعالى اليهم الملائكة بهدية من لدن العرش*

دلال الحور

روى عن الحسن رضى الله عنه أنه قال : بينما ولى الله فى الجنة مع زوجته من الحور العين على سرير من ياقوت أحمر وعليه قبة من نور ، إذ قال لها : قد اشتقت إلى مشيتك ، قال فتنزل من سرير ياقوت أحمر إلى روضة مرجان أخضر ، وينشىء الله عز وجل لها في تلك الروضة طريقين من نور ، أحدهما نبت الزعفران ، والآخر نبت الكافور ، فتمشى فى نبت الزعفران ، وترجع فى نبت الكافور ، وتمشى بسبعين الف لون من الغنج *

وروي عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يسطع نور فى الجنة فيرفعون رءوسهم فاذا هو نور حوراء ضحكت في وجه زوجها » *

وروي عن جابر بن عبد الله أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتمخطون ولايتغوطون ولايبولون ولكنه رشح كرشح المسك ، قد ألهموا التسبيح والتقديس والتكبير والتحميد »*

لباس أهل الجنة

وروى عن بعض العلماء أنه قال : بلغني أن ولى الله فى الجنة يلبس حلة ذات وجهين يتجاوبان بصوت مليح ، تقول التي تلى جسده أنا أكرم على ولى الله منك أنا أمس بدنه وأنت لا تمسين بدنه ، فتقول التى تلى وجهه بل أنا أكرم على ولى الله منك أنا أرى وجهه وأنت لا ترين وجهه *

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نبعث أهل الجنة على صورة آدم عليه السلام فى ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جرداً مردا مكحلين ، ثم يذهب بهم الى شجرة فى الجنة فيلبسون منها ثيابا ، لا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم » *

أول من يدخل الجنة

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة

القمر ليلة البدر ، والذين على آثارهم كأشد كوكب درى فى السماء إضاءة ، قلوبهم على قلب واحد ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض يسبحون الله بكرة وعشيا ، لا يسقمون فيها ولا يموتون ، ولا ينزفون (١) آنيتهم من الذهب والفضة ، وأمشاطهم الذهب ، ووقود مجامرهم الالوة (٢) ورشحهم المسك » *

مساكن الجنة

وقال الحسن رحمه الله فى قوله عز وجل (ومساكن طيبة فى جنات عدن) قيل سأله ابن أخيه فى ذلك فقال : يا ابن أخى على الخبير وقعت ، سألت عنها أباهريرة وعمران بن حصين فقالا على الخبير وقعت ، سألنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتنا فقال : « هى قصر فى الجنة من لؤلؤة بيضاء فيها سبعون دارا من ياقوتة حمراء ، فى كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء ، فى كل بيت سبعون سريرا على كل سرير فراش لون على لون ، على كل سرير امرأة من الحور العين . فى كل بيت مائدة على كل مائدة سبعون قصعة ، وعلى كل مائدة سبعون وصيفا ووصيفة يعطى الله المؤمن فى غداة واحدة ما يأكل ذلك الطعام ، ويطوف على تلك الازواج » *

طيور الجنة

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنه لينظر إلى الطير فى الجنة فيخر بين يديه مشويا والطير أمثال الابل ، فيقول الطير منها يا ولى الله أما أنا فقد رعيت فى وادي كذا وكذا ، وأكلت من ثمار كذا وكذا ، وشربت من ماء عين كذا وكذا ، وسنى كذا وريحى كذا فكل منى ، فاذا اشتهى حسن الطير واشتهى صفته فوقع فى نفسه وقع الطائر على

---

(١) لا ينزفون أي لا يسكرون . يريد لا تنزف عقولهم ، ونزف معناها نزح كما تقول نزف ماء البئر نزحه كله ، ولما كانت الجنة دار نعيم وراحة وتكريم اقتضت حكمته تعالي أن خمرها وإن حصلت منه نشوة الخمر وفيها طعم الخمر إلا أنها لا تذهب بعقول شاربيها هناك .

(٢) الالوة . عود الطيب ، ولقد أخرج أصحاب السنن هذا الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه بألفاظ مختلفة تؤدى هذا المعنى إلا أن فيه : بدل قلوبهم على قلب رجل واحد ، على خلق رجل واحد بفتح الخاء وبعضهم رواها بضمها . وكلاهما يصح .

ما يريد قبل أن يتكلم ، نصفه قديداو نصفه شواء ، كلما شبع ألقى الله عليـــه الف باب من الشهوة فى الأكل ، ثم يؤتى بالشراب على برد الكافور ـــ وليس بهـذا الـكافور ـــ وطعم الزنجبيل ـــ وليس بهذا الزنجبيل ـــ وعلى ريح المسك ـــ وليس بهذا المسك ـــ فاذا شرب هضم ما أكل من الطعام ، ويأكل مقـدار أربعين عاما ، ويعطي قوة مائة شاب فى الجماع ، ويجامع مقدار أربعين سنة ، له في كل يوم مائة عذراء ، بذكر لايمل ولاينثنى ، وفرج لايحثي ولا يمنى » ٭

أنهار الجنة

قال وهب بن منبه رضى الله عنه : إن في رياض الجنة نهر من أنهارها فهو أصل أنهار الجنة كلها أظهره الله عز وجل حيث ما أراد ، وأن النيل نهر العسل ، ودجلة نهر اللبن فى الجنـة ، والفرات نهر الخمر فى الجنة وسيحان نهر المـاء فى الجنة ، وجيجان كذلك ، وهمابارض الهند ، وهما نهرا المـاء فى الجنة ، وصفهم الله عز وجل فى الدنيا حتى يصيرهم إلى الجنة . (١)

وذكر وهب عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال : « مكتوب على باب الجنة إنى أنا الله لاإله إلا أنا لاأعذب من قالها ، إنى أنا الله لاإله إلا أنا محمد رسول الله لا أعذب من قالها »٭

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لشبر فى الجنة خير من الدنيا وما فيها » قال الله عز وجل (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة عين جزاء بما كانوا يعملون)٭

سرر الجنة

قال ابن عباس رضى الله عنـه : وذلك أن ولي الله فى الجنـة على سرير والسرير ارتفاعه خمسمائة عام وهو قول الله عز وجل (وفرش مرفوعة) قال والسرير من ياقوت أحمر وله

(١) سيحان نهر بالشام ، وساحين نهر بالبصرة ، وسيحون نهر بالهند ، وفى غالب الـكتب الاسلامية لا يذكر إلا هذه الانهار التى ذكرها المؤلف رحمه الله وإن كان يوجد كثير من الانهار العظمي فى قارة أوربا واستراليا وفى أمريكا ولـكن تلك الانهار وإن كانت أنهارا عظيمة الا أنها لم تـكن معروفة عند عامة المسلمين فى الصدر الاول ، فلذلك لم تذكر ضمن هذه الانهر المشهورة عندهم . اللهم الا اذا استثنينا نهر الـكنج المقدس فى الهند فقد ذكر من ضمنها .

جناحان من زمرد أخضر ، وعلى السرير سبعون فراشا حشوهاالنور ، وظواهرها السندس ، وبطائنها من استبرق ، ولو دلى أعلاها فراشا ماوصل إلى آخرها مقدار أربعين عاما ※

أرائك الجنة

وعلى السرير أريكة وهى الحجلة وهى من لؤلؤة عليها سبعون سترا من نور وذلك قوله عز وجل (هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون) يعني ظلال الاشجار ، على الارائك يعنى الاسرة في الحجال ، فبينما هو معانقها لا تمل منه ولا يمل منها والمعانقة أربعين عاما فاذا رفع رأسه فاذا هو بأخرى متطلعة عليه تناديه : يا ولى الله أما لنا فيك من دولة ؟ فيقول حبيبتى من أنت ؟ فتقول أنا من اللواتيقال اللهفيهن (ولدينامزيد) قال فيطير سريره ، أو قال كرسي من ذهب له جناحان فاذا رآها فهي تضعف على الاولى بمائةالف جزء منالنور فيعانقها مقدار أربعين عاما لا تمل منه ولا يمل منها ، فاذا رفع رأسه رأى نورا ساطعا فى داره ، فيعجب فيقول سبحان الله أملك كريم زارنا ، أم ربنا أشرف علينا ؟ فيقول الملك وهوعلى كرسى من نور بينه وبين الملك سبعون عاما ، والملك فى حجبته فى الملائكة : لم يزرك ملك ولم يشرف عليك ربك عز وجل ، فيقول ماهذا النور ؟ ※

زوجة الدنيا

فيقول الملك لزوجتك الدنيوية وهى معك فىالجنة ، وإنها اطلعت عليك ورأتك معانقا لهذه فتبسمت فهذا النور الساطع الذى تراه فىدارك هو نور ثناياها ، فيرفع رأسه اليها فتقول : ياولى الله أما لنافيك من دولة ؟ فيقول حبيبتي من أنت ؟ فتقول له ياولى الله أما أنا فمن اللواتى قال الله عز وجل فيهن (.فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين) الآية . قال فيطير سريره اليها فاذا لقيها فهى تضعف عنهذه الاخرى بمائة الف جزء من النور ، لأن هذه صامت وصلت وعبدت الله عز وجل ، فهى اذا دخلت الجنة أفضل من نساء الجنة ، لان أولئك أنبتن نباتا ، فيعانق (١) هذهمقدار أربعين عاما لاتمل منه ولايمل منها ، ثم انها تقوم بين يديه وخلاخلها من يواقيت ، فاذا وطئت يسمع من خلاخلها صفير كل طير فىالجنة ، فاذا مس كفها كان ألين من المخ ويشم من كفها رائحة كل طيب فىالجنة وعليها سبعون حلة

(١) كناية عنالملامسة .

من نور لو نشر الرداء منها لاضاء ما بين المشرق والمغرب ، خلقت من نور والحلل عليها أسورة من ذهب وأسورة من فضة (١) وأسورة من لؤلؤ ، وتلك الحلل أرق من نسج العنكبوت وهو أخف عليها من النقش ، وأنه يري مخ ساقها من صفائها، ورقتها من وراء العظم واللحم والجلد ، والحلل مكتوب علي ذراعها اليمين بالنور (الحمد لله الذى صدقنا وعده) وعلى الذراع الآخر مكتوب بالنور (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) *

تبادل الحب

ومكتوب على كبدها بالنور حبيبي أنا لك لا أريد بك بدلا، وكبدها مرآته ، وهى على صفاء الياقوت وحسن المرجان وبياض البيض المكنون (عربا أترابا) العرب العاشقات لازواجهن ، والاتراب بنات خمس وعشرين سنة ، مفلجة لو ضحكت لأضاء نور ثناياها ولو سمع الخلائق منطقها لافتتن كل بر وفاجر ، فهي قائمة بين يديه فساقها يضعف على قدمها بمائة الف جزء من النور ، وفخذها يضعف على ساقها بمائة الف جزء من النور، وعجزها يضعف على فخذها بمائة الف جزء من النور ، وبطنها يضعف على عجزها بمائة الف جزء من النور وصدرها يضعف على بطنها بمائة الف جزء من النور ، ووجهها يضعف على نحرها بمائة الف جزء من النور ، ولو تفلت فى بحار الدنيا لعذبت كلها ، ولو اطلعت من سقف بيتها الى الدنيا لأخفى نورها نور الشمس والقمر ، عليها تاج من ياقوت أحمر مكلل بالدر والمرجان على يمينها مائة الف قرن من قرون شعرها *

ضفائر الجمال

وتلك القرون قرن من نور وقرن من ياقوت وقرن من لؤلؤ وقرن من زبرجد وقرن

---

(١) رب معترض يقول : كيف يجمع بين اللؤلؤ والفضة فى الاساور ولو كانت من ذهب ولؤلؤ وما شابهها لكان أجمل وانما يوضع بينهما أساور فضة فذلك مالا يقره الذوق السليم . فردا عليه أقول : إن الفضة المذكورة هنا ليس كالمتعارف بيننا وانما كل ما يكون فى دار الكرامة فشيء خالد لا يفنى ولا يصدأ ولا يتفتت ، فالفضة هناك وإن سميت فضة الا أنها تكون مشابهة لما يليها من الجواهر ، وفى القرآن (وأ كواب كانت قوارير قوارير من فضه قدروها تقديرا) والقوارير الزجاج فتقدير الفضة مثل الزجاج أمر تعجز عنه البشر

من مرجان، وقرن من در مكلل بالزمرد الاخضر والاحمر، مفضض بألوان الجوهر، موشح بألوان الرياحين ليس فى الجنة طيب الا وهو تحت شعرها، الواحدة تضيء مسيرة أربعين عاما، وعلى يسارها مثل ذلك، وعلى مؤخرها مائة الف ذؤابة من ذوائب شعرها، فتلك القرون والذوائب الى نحرها ثم تتدلى الى عجزتها ثم تتدلى الى قدميها حتى تجره بالمسك، وعن يمينها مائة الف وصيفة كل قرن بيد وصيفة، وعن يسارها مثل ذلك ومن ورائها مائة الف وصيفة كل وصيفة آخذة بذؤابة من ذوائب شعرها

الوصائف

ومن بين يديها مائة الف وصيفة معهن مجامر من در فيها بخور من غير نار ويذهب ريحه فى الجنة مسيرة مائة عام، حولها ولدان مخلدون شباب لايموتون كأنهن اللؤلؤ المنثور كثرة، فهى قائمة بين يدى ولى الله ترى اعجابه وسروره بها وهى مسرورة عاشقة له، فتقول له ياولى الله لتزدادن غبطة وسرورا، فتمشى بين يديه بمائة الف لون من المشى (١) فى كل مشية تجلى فى سبعين حلة من النور، وان الماشطة معها فاذا مشت تمايل وتنعطف وتتكاسر وتدور، وتبتهج بذلك وتبتسم فاذا مالت مالت القرون من الشعر معها ومالت الذوائب معها ومالت الوصفان معها، فاذا دارت درن معها، فاذا أقبلت أقبلن معها، خلقها الرحمن تبارك وتعالى خلقة اذا أقبلت فهي مقابله واذا ولت فهى مقبلة الوجه لاتفارق وجهه ولا تغيب عنه، ويرى كل شيء منها، اذا جلست بعد مائة الف لون من المشى خرجت عجزتها من السرير وتدلى قرونها وذوائبها فيضطرب ولى الله لولا أن الله سبحانه قضى أن لاموت فيها لمات طربا، فلولا أن الله تبارك وتعالى قدرها له مااستطاع أن ينظر اليها مخافة أن يذهب بصره فتقول له يا ولى الله تمتع فلاموت فيها. وأنشدوا:

بحسبك يا عمار من دار بلغة   جنان بها الخيرات(٢) يزلفن فى الحلل

(١) لعله يريد بالمشى هنا أنواعا من الرقص لكمال الرفاهية والتمتع بأجمل المناظر كما يفهم من السياق، والمشي ليس فيه شيء من اللذة لمن يراه، وقد كان المؤلف رحمه الله كثيرا ما يكنى عن الشيء بما يشابهه لانه كان يلقي دروس وعظه بمنزل الخليفة تحت نوافذ حرمه، فكان يحترس جدا فى أقواله وتشبيهاته وتلميحاته.

(٢) الخيرات هن الحور العين، قال الله تعالى (فيهن خيرات حسان) ويزلفن يريد يتقربن والزلفة والزلفى بمعنى وهي القربة والمنزلة

ويمشين هونا في الجنان أمامهم خيام من الدر المجوف فى الـكلل
إذا برزت حوراء حف بها البها وأشرقت الفردوس والقوم فى شغل
يعانقن أزواجا لـكل مطهر على فرش الديباج والعيش قد كمل
وطاف بها الولدان من كل جانب ونودي ولى الله يجزى بما فعل

وقال غيره

ياخاطب الحوراء فى خدرها وطالبا ذاك على قـدرها
انهض بعزم لاتـكن دانيا وجاهد النفس على صبرها
وجانب الناس وارفضهم وحالف الوحدة فى ذكرها
وقم اذا الليل بدا وجهه وصم نهارا فهو من مهرها
فلو رأت عيناك إقبالها وقد بدت رمانتا صدرها
وهى تمـاشى بين أترابها وعقـدها يشرق فى نحرها
لهان فى نفسك هـذا الذى تراه فى دنياك من زهرها (١)

ضيافة الله

روي أنس بن مالك رضى الله عنه ان الله تبارك وتعالى اذا سكن أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، هبط ربنا الجليل جل جلاله بلا تكييف ولا تمثيل يتعالى ربنا ذلك ، الى مرج أفيح فمد بينه وبين خلقه حجابا من لؤلؤ وحجابا من نور ثم وضعت منابر النور وسرر النور وكراسى النور ثم أذن لرجل كريم على الله عز وجل بين يديه أمثال الجبال من النور يسمع دوى تسبيح الملائكة معه وصفق (٢) أجنحتهم فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل من هذا الذى قد أذن له الله عز وجل ؟ فقيل هذا المجبول بيده والمعلم الاسماء ، والذى أمرت الملائكة فسجدت له والذي أبيحت له الجنة آدم صلى الله عليه وسلم أذن له على الله عز وجل ، قال ثم أذن لرجل آخر على الله عز وجل بين يديه أمثال الجبال من النور يسمع تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل من هذا الذى أذن الله عز وجل ؟ فقيل هذا الذى اتخذه الله خليلا وجعل النار عليه بردا وسلاما ابراهيم عليه الصلاة والسلام قد أذن له على الله عزوجل ، قال ثم أذن لرجل

---

(١) يريد من زهرة الدنيا ، أى ما تراه فيها من النعيم الزائل المزيف . (٢) الصفق الضرب الذى يسمع له صوت ، ومنه التصفيق باليدين . والريح تصفق الاشجار فتصطفق أي تضطرب .

آخر على الله عز وجل بين يديه أمثال الجبال من النور يسمع دوى تسبيح الملائكة معه وصفق أجنحتهم، فمد أهل الجنة أعناقهم فقيل من هذا قد أذن له على الله عزوجل؟ فقيل هذا الذى اصطفاه الله عز وجل برسالته وقربه نجيا وكلمه تكليما موسى عليه الصلاة والسلام قد أذن له على الله عز وجل ، ثم أذن لرجل آخر معه مثل جميع مرا كب (١) النبيين قبله بين يديه أمثال الجبال من النور ويسمع دوى تسبيح الملائكة وصفق أجنحتهم ، فقيل من هذا الذى قد أذن له على الله عز وجل ؟ فقيل هذا أول شافع وأول مشفع وسيد ولد آدم وأول من تنشق عنه الارض وصاحب لواء الحمد احمد صلى الله عليه وسلم قد أذن له على الله عز وجل . قال فيجلس النبيون على منابر النور ، والصديقون على سرر النور ، والشهداء على كراسي النور وجلس سائر الناس على كثبان من المسك الابيض الاذفر *

وفد الله

ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحجب مرحبا بعبادي وزواري وجيراني ووفدى ، ياملائكتى انهضوا الى عبادى فاطعموهم ، قال فتقرب الملائكة اليهم لحم طير كأنها البخت لاريش معها ولاعظم ، فأكلوا ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحجب مرحبا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى ، أكلوا اسقوهم ياملائكتى ، قال فنهض اليهم غلمان كأنهم اللؤلؤ المنثور بأباريق الذهب بأشربة مختلفة تجد لذة آخرها كلذة أولها (لايصدعون عنها ولا ينزفون) ، قال ثم ناداهم الرب تبارك وتعالى من وراء الحجب مرحبا بعبادي وزوارى وجيراني ووفدى ، أكلواوشربوا فكهوهم ، فقربت اليهم أطباق مكللة بالياقوت من الرطب الجنى الذى أسماه الله ، أشد بياضا من اللبن ، وأطيب من عذوبة الشهد ، فطعموا وشربوا وفكهوا ثم ناداهم الرب جل جلاله من وراء الحجب مرحبا بعبادى وزواري وجيرانى ووفدى ، أكلوا وشربوا وفكهوا أكسوهم *

كرامة الله لعباده

قال ففتحت لهم أشجار الجنة بحلل مصقولة بنور الرحمن فألبسوا ، ثم ناداهم الرب من وراء الحجب مرحبا بعبادى وزوارى ووفدى أكلوا وشربوا وفكهوا وكسوا ، طيبوهم ، قال

(١) كذا بالاصل ، ولعلها تحريف موا كب أى الحاشية أو الامة كما يفهم من سياق الحكاية

فهاجت عليهم ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة بأنابيب المسك الأبيض الأذفر فنضحت على وجوههم من غير غبار ولاقتار (١) ثم يناديهم الرب تبارك وتعالى من وراء الحجب مرحبا بعبادى وزوارى وجيرانى ووفدى أكلوا وشربوا وفكهوا وكسو وطيبوا ، وعزتى وجلالى لأتجلين لهم حتى ينظروا إلى فذلك منتهي العطايا وفضل المزيد ، فيتجلى الرب تبارك وتعالى فيقول السلام عليكم عبادى أنظروا إلى فقد رضيت عنكم ، قال فتداعت قصور الجنة وأشجارها واهتزت تقول سبحانك سبحانك أربع مرات وخر القوم سجداء فناداهم الرب جل وعز عبادى أرفعوا رؤسكم فانها ليست بدار عمل ولابدار نصب وإنما هى دار جزاء ودار ثواب ، وعزتى وجلالى ماخلقتها إلا لأجلكم وما من ساعة ذكرتمونى فيها فى دار الدنيا الا ذكرتكم فوق عرشى ☼

سوق الجنة

وروى عن سعيد بن المسيب أنه أتى أباهريرة رضى الله عنه ، فقال له أبو هريرة أسأل الله أن يجمع بينى وبينك في سوق الجنة ، فقال له سعيد : أوفيها سوق ؟ قال نعم أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة إذا دخلوها فنزلوا بفضل أعمالهم فيؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله عز وجل ، ويبرز لهم من عرشه تبارك وتعالى فى روضة من رياض الجنة وتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ياقوت ومنابر من ذهب ومنابر من فضة يكون أدناهم - ومافيهم أدنى - على كثبان المسك والكافور ومايرون أصحاب المنابر أفضل منهم مجلسا ☼

رؤية الله تعالى

قال أبو هريرة رضى الله عنه : فقلت يارسول الله هل نري ربنا عز وجل ؟ قال : « نعم هل تضامون فى رؤية القمر ليلة البدر ؟ » فقلنا لا قال « فكذلك لاتضامون فى رؤية ربكم تبارك وتعالى » ولايبقى فى ذلك المجلس أحد الاحاضره الله عز وجل محاضرة حتى انه ليقول عز وجل لرجل يافلان أتذكر يوم عملت كذا وكذا ؟ يذكره عذلاته فى الدنيا فيقول يارب ألم تغفرلى ؟ قال بلى فبسعة مغفرتي نلت منزلتك هذه ،قال فبينما هم علي ذلك إذ غشيتهم سحابة

(١) كذا وردت بالاصل ، والصحيح : قتر بدون الف وهو الغبار أيضا . وأما القتار فأظنه ريح القدر عند استوائها بالطعام

من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط فيقول ربنا عز وجل قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة ، قال فنأتى سوقا من أسواق الجنة قد حفت به الملائكة لم تسمع به الآذان ، ولم تنظر اليه العيون ، ولم يخطر على القلوب ، قال فيحمل لنا فيها ما اشتهينا ليس يباع فيها شيء ولا يشترى وفى ذلك السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضا ، قال فيلقى الرجل ذو المنزلة المرتفعة من هودونه فيروعه ماعليه من اللباس فما ينقضى حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه ، وذلك أنه لاينبغى لأحد أن يحزن فيها . قال ثم ننصرف إلى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا بحبيبنا لقد جئت وأن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه فنقول إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار جل جلاله ويحق لنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا *

المتحابون فى الله

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المتحابون فى الله في الدنيا هم فى الجنة على عمود من ياقوتة حمراء فى رأس العمود سبعون الف غرفة يشرفون على أهل الجنة إذا اطلع أحدهم ملأ حسنه بيوت أهل الجنة نوراً كما تملأ الشمس بيوت أهل الدنيا ، قال فيقول أهل الجنة اخرجوا بنا ننظر إلى المتحابين فى الله فيخرجون فينظرون فى وجوههم مثل القمر ليلة البدر عليهم ثياب خضر مكتوب فى جباههم بالنور هؤلاء المتحابون في الله » *

حلل الجنة

وقال عليه الصلاة والسلام : « إن أهل الجنه إذا زاروا (١) ربهم وأروادوا الانصراف يعطى كل رجل منهم رمانة خضراء فيها سبعون حلة لكل حلة سبعون لونا ليس منهم حلة تشبه الأخرى ، فاذا انصرفوا من عند ربهم مروا في أسواق الجنه ليس فيها بيع ولا شراء ، وفيها من الحلل والسندس والاستبرق والحرير والرفرف والعبقري من در وياقوت وأكاليل معلقة فيأخذون من تلك الاسواق من هذه الاصناف ماشاؤا ولا ينقص من تلك الاسواق شيئا وفيها صور كصور الناس من أحسن مايكون من الصور مكتوب فى نحر كل صورة منها من تمنى أن يكون مثل صورتى جعل الله حسنه على صورتي ، فمن تمنى أن يكون حسن وجهه مثل حسن تلك الصورة جعله الله على تلك الصورة . قال ثم ينصرفون الى منازلهم *

(١) فى الاصل إذا أرادوا ، وهى تحريف ، لان الذى يفهم من الحديث الزيارة لا الارادة

خواتم الجنة

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن أهل الجنة يعطيهم الله خواتم من ذهب يلبسونها وهى خواتم الخلد ، ثم يعطيهم خواتم من در وياقوت ولؤلؤ وذلك إذا وأوا ربهم فى داره دار السلام » *

نوق الجنة

وروى عن بعض العلماء أنه قال : بينا أهل الجنة يتحدثون فى ظل طوبى إذ يأتيهم الملائكة بنوق مزمومة (١) بسلاسل الذهب كأن وجوهها المصابيح من حسنها ، ذلك من غير تهيئة (٢) نجب من غير رباية عليها رحائل (٣) الذهب وكسوتها سندس واستبرق حتى ترفع اليهم ، ثم يسلموا عليهم فيقولون : إن ربكم بعث اليكم بهذه الرواحل لتركبوها فتزوروه وتسلمون عليه ، قال فيتحول كل واحد منهم على راحلته ثم يسيرون بها صفا فى الجنة الرجل منهم إلى جنب صاحبه لايجاوز أذن ناقة منها أذن صاحبتها ولاركبة ناقة منها ركبة صاحبتها ، وإنهم ليمرون بالشجرة من شجر الجنة فتتأخر من مكانها ، فاذا وقفوا بين يدى الرحمن تبارك وتعالى أسفر لهم عن وجهه الكريم وتجلى لهم فيسلمون عليه ويرحب بهم ويقال إن سلامهم عليه أن يقولوا : ربنا أنت السلام ومن عندك السلام ولك حق الجلال والاكرام ، فيقول لهم الجليل جل جلاله وعليكم سلام مني وعليكم رحمتى وكرامتى ، مرحبا واهلا بعبادي الذين أطاعونى بالغيب وحفظوا وصيتى ، فيقولون : لا وعزتك ما قدرناك حق قدرك وما أدينا إليك كل حقك ، إئذن لنا أن نسجد لك ، فيقول إنى قد رفعت عنكم مؤنة العبادة وأفضيتم إلى كرامتى *

أمانى أهل الجنة

وبلغ الوعد الذى وعدت لكم فتمنوا فان لكل إنسان منكم ما تمنى ، فيتمنون فيعطى

---

(١) الزمام: خيط يشد فى البرة التي فى أنف البعير (٢) فى الاصل : من غير مهنية وهو تحريف . (٣) الرحائل جمع رحل وهو كالسرج للفرس، وقد تأيدت هذه الرواية بجملة أحاديث فى زيارة المؤمنين لله تعالى وضيافتهم .

كل واحد منهم ما يمني ، ثم يزيدهم تبارك وتعالى من فضله وكرمه مالم تبلغ اليه (١) أمانيهم ، وأنشدوا :

يا راغب الحور الجمم (٢) والدل (٣) والشكل وحسن الشيم
الناعمـــات الدائمات الرضى في جنـة الفردوس مأوى النعم
ارفض بدار زهرهـــا زائل واغتنم الصحة قبـــل السقم
وابدر إلى الرؤية مستبصرا واعتنق التشهيد (٤) عنـد الظلم
واســـتغفر الله لما قد مضى واستشعر الخوف وطول النـدم
تفز بما تطلب من لذة وتأمن البلوى وعقبي النقم (٥)

- ١١ - ﴿ مجلس فى قوله تبارك وتعالى ﴾

(كل نفس ذائقة الموت)

قيل لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة : متنا وعزة الله ، فعنـد ذلك أيقن كل ذى عقل وروح أنه هالك . وأنشدوا :

أيضحك من للموت فيـه نصيب و ينعم عيشـا إن ذا لعجيب
ويأ كل والايام تأ كل عمره وليس له جسم لذاك يذوب
ومن عرف الرحمن لم يهن قلبـه نعيم ولم ينفك عنـــه نحيب
بعـــدت عن الورد الرضى بزلة وبي قطعت دون الوصول ذنوب

قال الله تعالى: (كل نفس ذائقة الموت) يموت كل صغير وكبير ، يموت كل أمير ووزير ، يموت كل عزيز وحقير ، يموت كل غنى وفقير ، يموت كل نبي وولى ، يموت كل نجى وتقى ، يموت كل زاهد وعابد ، يموت كل مقر وجاحد ، يموت كل صحيح وسقيم ، يموت كل مريض وسليم ، كل نفس تموت غير ذى العزة والجبروت . وانشدوا:

(١) فى الاصل اليهم . (٢) كذا فى الاصل ولعله يريد الحور ذوات الجمم ، والجمة مجتمع شـعر الرأس . (٣) الدل هو الدلال والتثني في القول والمشى . (٤) كذا فى الاصل وهي تحريف وإنما صحتها التسهيد أى السهر والقيام للعبادة (٥) يشير إلى قوله تعالى (تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار) .

ألا كل مولود فللموت يولد ولست أري حيا عليها يخلد
تجرد من الدنيا فانك إنما خرجت من الدنيا وأنت مجرد
وأنت و إن خولت مالا وكثرة فانك فى الدنيا على ذاك أوحد
وأفضل شيء نلت منها فانه متاع قليل يضمحل وينفد
فكم من عزيز أعقب الذل عزه فأصبح مذموما وقد كان يحمد
فلا تحمد الدنيا ولكن فذمها وما بال شيء ذمه الله يحمد

ذكر الموت

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أكثروا ذكر هازم اللذات (١) ومفرق الجماعات ، وتوسدوه إذا نمتم واجعلوه نصب أعينكم إذا قمتم ، واعمروا به مجالسكم فانه معقود بنواصيكم » يعنى بما وكل به منكم ، يفسد نعيمكم ، ويخرب مصانعكم (٢) ويفنيكم كما أفنى من كان قبلكم فلا تنسوه فانه لاينساكم ، ولا تغفلوا عنه فانه ليس بغافل عنكم . وأنشدوا :

يا جار أحبابه شهورا وجار أمواته دهورا
ليس سرورا يعود حزنا إذا تأملته سرورا

وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال : مامن مولود يولد إلا وفى سرته من تراب الارض التي يموت فيها . وأنشدوا :

أمر على المقابر كل حين ولا أدرى بأى الارض قبرى
وأفرح بالغنى إن زاد مالى ولا أبكى على نقصان عمري

ما أحسن حال من ذكر الموت فعمل لخلاصه قبل الفوت ، وأشغل نفسه بخدمة مولاه ، وقدم من دنياه لأخراه ، ورغب فى دار لايزول نعيمها ولا يهان كريمها . وأنشدوا :

الموت لا شك آت فاستعد له إن اللبيب بذكر الموت مشغول
فكيف يلهو بعيش أو يلذ به من التراب على عينيه مجعول

روى عن أبي ذر رضى الله عنه أنه قال : يا رسول الله أى المؤمنين أكيس ؟ قال :

---

(١) هازم اللذات هو الموت شبهه بالجيش يظفر بعدوه فيهزمه ، لأن الموت إذا حضر انهزمت أمامه جميع اللذات . (٢) المصانع : الحصون والقلاع ، والمصنعة بفتح الميم وضم النون كالحوض يجمع فيه ماء المطر .

« أكثرهم للموت ذكرا ، وأحسنهم له استعداد » *

حكاية عن الربيع

وقيل للربيع رحمه الله ألا تجلس معنا نتحدث؟ فقال : إن ذكر الموت إذا فارق قلبي ساعة فسد على قلبي . وأنشدوا :

ما أغفل الناس عن وعيد قربه الليل والنهار
والعار ماجرت المعاصى وليس فى النائبات عار
ويحك ما تصنع المنايا تأتى فتخلى لها الديار
فلا قلوب لها عيون ولا عيون لها اعتبار

عباد الله اسعوا فى فكاك رقابكم ، واجهدوا أنفسكم في خلاصها قبل أن تزهق ، فوالله مابين أحدكم وبين الندم ، والعلم بأنه قد زلت به القدم ؛ إلا أن يحوم عقاب (١) المنية عليه ، ويفوق سهامها اليه ، فاذا الندم لا ينفع ، وإذا العذر لا يصنع ، وإذا النصير لا يدفع ، وإذا الشفيع لا يشفع ، وإذا الذي فات لا يسترجع ، واذا البائس المحابى به فى النجاة لا يطمع . فكأني بك يا أخى وقد صرخ عليك النسوان ، وبكى عليك الاهل والاخوان ، وفقدك الولدان ونفخ لفرقتك الجيران ، ونادى عليك المنادى قد مات فلان بن فلان . ثم نقلت عن الاحباب ، وحملت الى أرماس التراب ، وأضجعوك فى محل ضنك ، قصير السمك ، مهول منظره ، كثير وعره ، مغشى بالوحشة . عرفته مهول الصريح ، مطبق الصفيح ، على غير مهاد ولا وداد ، ولا مقدمة زاد ولا استعداد . وأنشدوا :

المرء يخدعه مناه والدهر يسرع فى بلاه
يا ذا الشبيه لا تكن ممن تعبده هواه
واعلم بأن المرء مر تهن بما كسبت يداه
والناس فى غفلاتهم والموت دائرة رحاه
الحمد لله الذي يبقى ويهلك ما سواه

---

(١) العقاب من كواسر الطيور ولا يسكن إلا قمم الجبال وهو فيها بمنزلة الاسد من الوحوش . ولمخلبه خاصية فينقض على الذئب فيقده نصفين ، وهو طويل العمر بعيد السفر يتغدى بالعراق ويتعشى باليمن وهو حاد البصر جدا . ويأكل الحيات إلا رءوسها .

سكرات الموت

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما احتضر جعل يقول : « لا إله إلا الله إن للموت لسكرات » وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول — وعنده قدح ماء — عند موته وكان يدخل يده فيه ويمسح بالماء على وجهه ويقول مرة بعد مرة : « اللهم هون على سكرات الموت » *

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو أن ألم شعرة من شعر الميت وضع على أهل السموات والارض لماتوا أجمعين » لان فى كل شعرة ألم الموت ، ولا يقع الموت ولا يحل فى شيء إلا مات *

وروى أنه قال : « لو أن قطرة من الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لزالت » وأنشدوا:

تيقظ للذى لا بد منـــه ... فان الموت ميقات العباد
يسرك أن تكون رفيق قوم ... لهم زاد وأنت بغير زاد ؟!

آلام الموت

روي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنــه قال لكعب يا كعب حدثنا عن الموت ، فقال يا أمير المؤمنين هو غصن كثير الشوك ، ادخل فى جوف رجل حتى إذا أخذت كل شوكة بعرق ، ثم جذبه رجل شديد الجذب فقطع ماقطع وأبقى ماأبقى . وأنشدوا :

ألا أيها المغرور والموت نحوه ... خلقت له تحدو(١) اليه الركائب
أغرك حلم الله أم لست موقنا ... بأنك مبعوث غـــدا ومحاسب
بأيسر من مثقال حبة خردل ... وإنك مجزى بمـــا أنت كاسب

روى عن الحسن رحمه الله أنه قال : لما مات خليل الرحمن اجتمعت إليه أرواح الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فقالوا . إن الله تعالى اتخذك خليلا من بين سائر الانبياء

(١) أى تسير اليه مسرعا ، والحادى هو الذى يحدو للابل فى السفر أى يغنى لها بصوت شجي لتنسى ألم السير وتصغى إليه فتقطع شوطا بعيدا ، ومن ذلك أخذ قواد الجيوش الحديثة سير الموسيقى فى مقدمة الجيوش تصدح بأنغامها فيتبعها الجيش نشطا سريعا .

والرسل ، فان كان الموت خفف عن واحد فأنت هو ، فأخبرنا كيف وجدت طعم الموت ؟

طعم الموت

فقال : أواه ، وجدته والله شديدا ، والذى لا اله غيره هو أشد من الطبخ فى القدور ، والقطع بالمناشير ، أقبل ملك الموت نحوى بكلوب من حديد فأدخله فى كل عضو منى ثم استل الروح من كل عضو حتي جعله فى القلب ، ثم طعن فى القلب طعنة بحربته المسمومة بسم الموت فلو أنى طبخت فى القدور سبعين مرة لكان أهون على . فقالوا يا ابراهيم لقد هون الله عليك الموت فاذا كان هذا حال الانبياء فما يصنع بالمخطئين !! كفى بالموت طامة . واذا بجبريل صلى الله عليه وسلم عندهم يسمعهم فقال لهم : ياأرواح الطيبين مابعد الموت أشد وأطم وأعظم من الموت . وأنشدوا :

وما الناس الا هالك وابن هالك   وذو نسب فى الهالكين عريق
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت   له عن عدو فى ثياب صديق

داود والذرة

ذكر فى بعض الاخبار أن داود عليه الصلاة والسلام كان فى محرابه فاذا بدودة كالذرة ، فقال داود فى نفسه مايعبأ الله بهذه الدودة فأنطقها سبحانه وقالت : والله ياداود إنى أعبد الله سبحانه وتعالى وأخافه وأسأله أن يهون على الموت . وأنشدوا :

يحب الفتى طول البقاء وإنه   على ثقة أن البقاء فناء
زيادته فى الجسم نقص حياته   وليس على نقص الحياة نماء
اذا ماطوى يوما طوى اليوم بعضه   ويطويه من بعد الصباح مساء
جديدان لايبقى الجميع عليهما   ولا لهما بعد الجميع بقاء

ذكر فى بعض الأخبار أن الله سبحانه وتعالى قال لابراهيم صلى الله عليه وسلم لما مات ياخليلى مت ؟ قال يا الهى مت ! قالها ورددها عليه ثلاثا قال ياخليلى كيف وجدت طعم الموت ؟ قال كسفود (١) محمى جعل فى صوف رطب ثم جذب . قال أما أنت فقد هونا عليك

(١) السفود كتنور الحديدة التى يشوي عليها اللحم ، ويطلق عليها الآن السيخ . ومن عادة الصوف المبلول أن يكون كثير التعقيد لاينحل إلا بصعوبة شديدة

الموت . وأنشدوا .

أرى المرء يبكى للذى مات قبله ... وموت الذى يبكى عليه قريب
وما الموت إلا فى كتاب مؤجل ... الى ساعة يدعي لها فيجيب

موسى وموعظته

وروى أن موسى صلوات الله وسلامه عليه لما صارت روحه إلى الله سبحانه قال يا موسى كيف وجدت الموت ؟ قال : وجدت نفسى كالعصفور حين يقلى على المقلاة ، لايموت فيستريح ، ولا ينجو فيطير . وفى رواية أخرى قال : وجدت نفسى كشاة حية تسلخ بيد القصاب . وأنشدوا :

الموت لا والدا يبقى ولا ولدا ... هو السبيل إلى أن لا ترى أحدا
مات النبى فلم يخلد لامتـــه ... لو خلد الله حيا قبــله خلدا
للموت فينـــا سهام غير مخطئة ... من فاته اليوم سهم لم يفته غدا
ماضر من عرف الدنيا وغدرتها ... الا ينافس فيهـا أهلها أبدا

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو علمت الطير والبهائم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينا » *

نوح وخوفه

وروي عن وهب بن منبه أنه قال : قام نوح عليه السلام خمسمائة عام لايقرب النساء وجلا من الموت ، وهو المطلع *

وروى أن عيسى صلوات الله وسلامه عليه قال للحواريين: أدعوا الله أن يخفف عنى سكرات الموت . وأنشدوا :

قد سقاك الهوى شراب الأماني ... فاستطبت المقام تحت التداني
وتصاممت عن نداء الأماني ... لاهيا عن وقائع الحدثان
واذا عارضتك خطرة ذكر (١) ... بادأتك الطباع بالنسيان

---

(١) فى الاصل: عاضتك خطوة ذكر ، وهو تصحيف . وعارضتك خطرة ذكر أى تفكرت فى الموت وما بعده والقيامة والشدة فيها ، وعزمت على التوبة والندم ثم رجعت ثانيا ناسيا لاهياً

سكرات الموت

وفي بعض الاخبار ، للموت ثلاثة آلاف سكرة ، كل سكرة منها أشد من الف ضربة بالسيف وفى بعض الاخبار أن الدنيا كلها بين يدى ملك الموت كالمائدة بين يدى الرجل يمد يده الى ماشاء منها فيتناوله ويأكله . بل الدنيا كلها مشارقها ومغاربها برها وبحرها وكل ناحية منها أقرب لى ملك الموت من الرجل على مائدته وإن معه أعوانا الله أعلم بعدتهم ليس منهم ملك إلا لو أذن الله له أن يلتقم السموات السبع والارضين السبع فى لقمة واحدة لفعل ، وما تقرب ملك الموت من حملة العرش إلا ازدادوا فزعا منه حتي يرعدوا ، وإن غصة من غصص الموت أشد من الف ضربة بالسيف ، وفى كل ماخلق الله عزوجل البركة الا في الأجل فانه مؤقت لوفاء العدة وانقضاء المدة . وأنشدوا :

للمنايا رحي عليك تدور   كلنا جاهل بها مغرور
رحم الله من بكى للخطايا   كل باك فذنبه مغفور

يا ابن آدم ما أغفلك وعن الصواب ما أبعدك ، كانك بالموت قد فاجأك وملك الموت قد وافاك ، فيئس منك الطبيب ، وفارقك الحبيب ، وتفجع لفقدك كل قريب . فوقعت فى الحسرة ، وجفتك العبرة ، وبطل منك اللسان ، بعد الفصاحة والبيان ، وأدرجت فى الاكفان. وأزعجت عن الاوطان ، وصار القبر مأواك ، وإلى يوم القيامة مثواك . وفارقك الاهل والاخوان ، ووقع بهم عنك السلو والنسيان ، فان كان لك منزل سكنوه، أو كنت ذا مال اقتسموه . وأنشدوا :

ياعجبا للارض ما تشبع   وكل حى فوقها يفجع
ابتلعت عادا فأفنتهم   وبعد عاد أهلكت تبع
وقوم نوح أدخلت بطنها   فظهرها من جمعهم بلقع
ياأيها الراضى بماقد مضى   هل لك فيماقدمضى مطمع

اذكر الموت

ياهذا أذكر ماوصفته ، واحفظ ماحكيته ، وعليك بالصوم والاجتهاد ، والطاعة لرب العباد. ومراقبته فى الليل والنهار ، والتضرع اليه فى ظلمات الاسحار . ياهذا عمرك أنفاس معدودة ،

وعليك رقيب يحصيها ، . لاتنس الموت فانه لاينساك . المبادرة المبادرة انما هى أنفاس لوحبست عنك لانقطع عنك عملك آخر الابد ، وخروج نفسك آخر الامد وفراق أهلك آخر العدد. وأنشدوا :

اذا ما الموت جر على أناس كلاكله (١) أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

فاذكر حالك أيها الغافل ، يوم تقلبك على المغتسل يد الغاسل ، قد زال عزك عنك ، وسلب مالك منك ، وأخرجت من بين أحبابك وجهزت لترابك ، وأسلمت إلى الدود ، وصرت رهنا بين اللحود ، وبكى عليك الباكون قليلا ، ثم نسوك دهرا طويلا ، فتغيرت منك المحاسن والحلى ، وتحكم فى أعضائك البلى ، وقطعت فى الاكفان ، وسعى اليك الديدان، فبلى منك اللسان ، وسالت الحدق كانك لم تكن قط من رأى ولا نطق . وأنشدوا :

فلو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حى
ولكنا إذا متنا بعثنا ونسأل بعدها عن كل شى

ابن آدم كانك بالموت قد حل بساحتك، وحال بينك وبين ماتريد ، وأنت فى النزع والكرب الشديد ، لاوالد يدفع عنك ولا وليد ، ولا عدة تنجيك ولا عديد ، ولا عشيرة تحميك ولا قصر مشيد . أليس ذلك نازل بك على كل حال ، أي وعزة الكبير المتعال ، فانك الآن حين ينفعك البكاء والاستكانة ، قبل حلول الحسرة والندامة . وأنشدوا :

يامن يموت ويسأل عما يقول ويفعل
إن الموكل بالنفو س اذا أتى لايمهل
والنار منزل من عصى والنار بئس المنزل

موعظة حسنة

يا ابن آدم بادر إلى حسن العمل ، بينا أنت فى فسحة ومهل ، وتب إلى مولاك من قبيح الخطايا والزلل ، قبل أن يقال فلان عليل ، أو مدنف ثقيل ، فهل إلى دوائه سبيل ، أو على طبيب من دليل ، فتدعى لك الاطباء ، ويجمع لك الدواء فلا يزيدك ذلك إلا بلاء . وقد اجتمع عندك الاخوان والاحباء ، والاهل والاقرباء ، وكثر حولك البكاء ، ثم يقال

(١) الكلكل والكلكال: الصدر ، وذلك كناية عن ان الموت تعدى قوما الى قوم وسيرجع اليهم ثانيا

حشرج(١) ونفسه توشك أن تخرج ، وأنت تعاين الأمر العظيم بعد اللذة والنعيم ، وعدلت ببصرك عن القريب والحميم ، وحل بك القضاء ، وخرجت الروح من الأعضاء ، ثم عرج بها إلى السماء ، فيالها من سعادة أو شقاء . وأنشدوا :

فلو يكن شيء سوي الموت والبلي ... وتفريق أعضاء ولحم مبدد
لكنت حقيقا يا ابن آدم بالبكا ... على نائبات الدهر مع كل مسعد

فاستعذ من ذنوبك يا مسكين ، قبل عرق الجبين ، وانتشار العرقين ، وقبل مد الشمال وقبض اليمين ، وتضعيف قوتك بالأنين ، ويكثر حواليك البكا والحنين ، وجرت دموعك لمفارقة الأهل والبنين ، ولا ينفعك ما جمعت من الاموال فى الشهور والسنين ، ثم أنت فى قبرك لعملك رهين ، إلي يوم عرضك على أسرع الحاسبين . قد تغير جسمك فى الجنادل والتراب ، بعد تنعمك بدقائق الشباب . وأنشدوا :

من لم يطأ منا التراب برجله ... وطىء التراب بنضرة الخد
لو كشفت للناس أغطية البلى ... لم يعرفوا المولى من العبد
من كان بينك فى التراب وبينه ... شبران كان بموضع البعد

اسماء العباد

ذكر فى بعض الاخبار أن الله سبحانه وتعالى شجرة فرعها تحت العرش مكتوب على كل ورقة من أوراقها اسم عبد من عبيده ، فاذا جاء أجل العبد سقطت تلك الورقة التي فيها اسمه فى حجر ملك الموت فأخذ روحه فى الوقت . وأنشدوا :

إنى لعبت وحادى الموت فى طلبي ... وإن فى الموت شغل لى عن اللعب
لو شمرت مهجتى فيما خلقت له ... ما اشتد حرصى على الدنيا ولا كلبي
سبحان ربى فلا شيء يعادله (٢) ... إن الحريص على الدنيا لفي تعب
لا تغترر بديار لا مقام بها ... واقصد لدارك إن الموت فى الطلب٣

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من يوم إلا وملكان يناديان ، ياأهل

(١) أى أصبح فى وقت طلوع الروح وحشرجت نفسه إذا تهيأت روحه للطلوع ، وذلك عند الاحتضار (٢) فى الاصل . سبحان من لا شيء يعدله ، وصححناه لاستقامة الوزن والمعنى.
(٣) الاصل : إن الموت في طلب

الدنيا ولدتم للموت ، وتبنون للخراب ، وأنتم محاسبون ومعذبون عند ربكم . وأنشدوا :

عجبت لجازع باك مصاب   بأهل أو حميم ذي اكتئاب
شقيق الجيب داعى الويل جهلا   كأن الموت كالشيء العجاب
وسوى الله فيه الخلق حتى   نبي الله فيه لم يحابي
له ملك ينادي كل يوم   لدوا للموت وابنو للخراب
لمن نبنى ونحن إلى تراب   تعود كما خلقنا من تراب
ألا يا موت لم أر منك بدا   أتيت فلا تحيف ولا تحابى(١)
كانك قد هجمت على مشيبي   كما هجم المشيب على الشباب

قيل مر رجل على خراب فسمع إنسانا ينشد هذه الابيات .

قل للذين بنوا ديارا عاليه   وتنافسوا والموت منهم دانيه
شيدتموها راغبين وأنتم   تردوا القبور وتتركوها خاليه
أين الملوك وأين ماقد جمعوا   وجيوشهم وعبيدهم وزبانيه
تحت التراب تقطعت أوصالهم   وأكفهم بعد الاعنة باليه

ثم قرأ (قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون)

نوح وزهده

ذكر في بعض الاخبار أن جبريل عليه السلام هبط على نوح عليه السلام ، قال فوجده قد عمل خصا (٢) على البحر ، فقال ايش هذا يانوح ؟ فقال : ياجبريل هذا لمن يموت كثير ، فقال له جبريل عليه السلام . لتأتين أمة أعمارهم من الستين الى السبعين يبنون بالحصى والآجر والحجر ، فقال نوح عليه السلام . ماكان على هؤلاء انهم يستفون الرماد حتى يموتوا . وأنشدوا :

لو كنت تعقل يامغرور مابرقت   عيناك للناس٣ من خوف ومن حذر
مابال قوم سهام الموت تخطفهم   يفاخرون برفع الطين والمدر

---

(١) لاتحيف لا تظلم ، ولا تحابي الحباء العطاء وحباه يحبوه حبوة أعطاه

(٢) الخص هو ماوى بسيط كالذى يصنعه الفلاحون وسط المزارع من سعف النخل وغيره ويسع انسانا واحدا . ويدخل ضمن ذلك الصومعة التى يصنعها الرهاب والزهاد فى البرية المنقطعة والصحارى الشاسعة (٣) لم ترد في الاصل نقطة للناس.

عيسى والجمجمة

روى أن عيسى عليه السلام مر بجمجمة فقذفها برجله وقال تكلمي باذن الله تعالى : قالت يا روح الله أنا مالك زمام كذا وكذا ، بينا أنا جالس في ملكي وعلى رأسي تاجي وحولي جنودي وحشمي ؛ اذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ، ثم خرجت نفسي فياليت ما كان من ذلك الجمع كان فرقة ، وما كان من ذلك الانس كان وحشة ، فما ظنك يا عاصي بصفحة ملك الموت اذا بدت وعاينتها عند كشف الغطاء فتنظر اليها بطرف كليل وقلب وجل ، ثم تسل الروح للخروج فلا تخرج حتى تسمع نغمة ملك الموت باحدى البشارتين : ابشر يا عدو الله بالنار ، أو أبشر ياولي الله بالجنة . وأنشدوا :

يخيل لي بكاء القوم حولي وقولهم ألا أزف الرحيل
وما يغني البكاء اذا تقضى لدى عمري وإن كثر العويل
فخذ للموت أهبته فاما نجاة بعد أو هول طويل

عمرو بن العاص عند موته

روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال لابنه عند الموت :

ليتني ألقى رجلا عاقلا عند نزول الموت يخبرني بما يجد ، فقال له ابنه : قد نزل بك الموت فصف لي الذي تجد ؟ فقال لي يابني كأن جنبي في تخت وكأن غصن شوك يخرج من قدمي الى هامتي وكأني أتنفس من سم إبرة . ثم مد يده وقال : اللهم لا قوي فانتصر ، ولا بريء فاعتذر ، اللهم إني مقر مذنب مستغفر . ثم مات رضي الله عنه . وأنشدوا :

للموت فاعمل بجد أيها الرجل واعلم بأنك من دنياك مرتحل
الى متى أنت في لهو وفي لعب تمسي وتصبح في اللذات مشتغل
كانني بك ياذا الشيب في كرب بين الأحبة قد أودي بك الاجل
لما رأوك صريعا بينهم جزعوا وودعوك وقالوا قد مضى الرجل
فاعمل لنفسك يامسكين في مهل مادام ينفعك التذكار والعمل
إن التقي جنان الخلد مسكنه ينال حورا عليها التاج والحلل
والمجرمين بنار لاخمود لها في كل وقت من الأوقات تشتعل

سليمان وملك الموت

روى أن ملك الموت كان صديقا لسليمان عليه السلام وكان يزوره أبداً ،فدخل عليه يوما وعنده رجل يكلمه سليمان ، فجعل ملك الموت ينظر الى الرجل الذى مع سليمان نظراً منكراً فقال الرجل لسليمان بعد خروج ملك الموت : يانبي الله من هذا الداخل عليك آنفاً؟ فقال ملك الموت،فقال له لقد رأيته يحد النظر الى، ولـكن لى اليك حاجة ،قال وماهى؟ قال تأمر الريح أن تحملنى الى الهند.فأمر سليمان الريح فحملته الى الهند،ثم قال سليمان بعد أيام لملك الموت : وجدت عندى مذ أيام رجلا فنظرت اليه نظراً منكراً ؟ فقال ملك الموت كنت أعجب منه ، أمرت بقبض روحه فى ذلك اليوم بجزائر الهند وهو عندك بالشام . فقبض روحه فى ذلك اليوم بالهند . وأنشدوا :

الموت بحر يهاب المرء مورده وكل يوم له من كأسه جرع
لا صحة المرء فى الدنيا تؤخره ولا يقدم يوماً موته الوجع
وكل يوم علينا فى فجائعه طير يحوم فلا ندرى بمن يقع

سعيد بن المسيب والجنى

روى أن سعيد بن المسيب (١) دخل يوماً مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يلتفت فى أركان المسجد يتفكر فيمن أدرك من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم بكى وجعل يقول:

ألا ذهب الحماة وأسلموني فوا أسفا على فقد الحماة
تولوا للقبور فأسقمونى فوا أسفا على فقد الثقاة

فأجابه هاتف من ركن المسجد بصوت محزون ، من كبد مشجون ، وهو يقول :

فدع عنك الثقاة فقد تولوا ونفسك فابكها حين الممات
فكل جماعة لا بد يوماً يفرق بينهم وقع الشتات

(١) كان رضى الله عنه من كبار الصحابة واصحاب الصفة، وروى فا كثر عن النبي صلى الله عليه وسلم ،وكان من الذين إذا ذكر الله تعالى فاضت أعينهم ورقت قلوبهم وخشعت أبصارهم .

فقال سعيد : من أنت فقد زدتني حزنا ؟ فقال : أنا من مؤمني الجن ، كنا فى هذا المسجد سبعين رجلا فأتى الموت على جماعتنا كما أتى على جماعتك ، ولم يبق منهم غيرى كما لم يبق من الانس غيرك ، وإنا بهم لاحقون ، فانا لله وإنا اليه راجعون . وأنشدوا :

جرت الرياح على جميع ديارهم   فكأنما كانوا على ميعـــاد
فأري النعيم وكل ما يلهى به   يوما يصير الى بلى ونفـــاد

صلحاء الجن

وذكر عن بعض العباد أنه كان يصلى فقرأ هـذه الآية (كل نفس ذائقة الموت) وجعل يتدبرها ويرددها ، فسمع قائلا يقول : يا هذا كم تردد هذه الآية ؟ فوالله لقد قتلت بها أربعة من الجن مارفعوا رؤسهم الى السماء قط حياء من الله تعالى ، ولقـد ماتوا من ترديدك هذه الآية . وأنشدوا :

ليس ينجو المقصوص من ملك المو   ت اذا جاءه ولا الطيار (١)
للنـايا وإنمـا للنـايا   خلق الطفل والشيوخ الكبار
كم رأينـا من سادة وملوك   ما على الارض منهم ديار

العبد وربه

حكى عن بعض العارفين أنه قال : إن الله سبحانه يسر الى عبده سرين يخبره ذلك بالهـام يلهمه ، أحـدهما اذا ولد وخرج من ظلمـة بطن أمه ، يقول له عبدى قد أخرجتك الى الدنيا طاهرا نقيا نظيفا ، وسر عند خروج روحه ، يقول له عبدي ماصنعت في أمانتى عندك ؟ هل حفظتها حتى تلقانى على الوفاء والعهد والرعاية فألقاك بالوفاء والجزاء ، أو ضـيعتها فألقاك بالمطالبة والعذاب ؟ وأنشدوا :

يا من تقـدم جـده وأبوه   وصديقه سكن الثرى وأخوه
وغدا الى دار البلى أترابه   ومضى الى حفر القبور بنوه

---

(١) يريد الطير المقصوص الريش والطير الذى يطير بجناحيـه ، وذلك كناية عن أن الموت لا يترك عظيما ولا حقيرا . وفى القرآن (فاذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون) . ولعمرى من طالع هذا ولم يرعوى فلا رحمه الله

ورأى مصارع إخوة وقرابة بين الثرى فى برزخ سكنوه
ألا أتيت قبورهم فسألتها عنهم وعن مافى القبور لقوه
فلتخبرنك أن أحكام البلى تجرى عليهم مذهم وطنوه
وليخبرنك أنهم وجدوا الذى عملوه مكتوبا كما عملوه
ما زادت الحفظاء فى أعمالهم مثقال خردلة ولا نقصوه
يامعشر الاخوان إن سبيلكم كسبيلهم فى كل ما سلكوه
ولكم نصيب فى البلى كنصيبهم وكأنه قد حل فانتظروه
ومحجب قد غره حجابه لما أتاه الموت ما حجبوه
لكنهم سجوه فوق سريره وتكفلوه بأربع حملوه
ساروا به حتي الى دار البلى بيت له تحت الثري قبروه
حتى اذا ما غيبته أكفهم بين الجنادل فى الثري تركوه
وتفرقوا عن بابه وتبدلوا بابا سواه وغيروا ونسوه

عمر بن الخطاب وعظته

روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : أكثروا من ذكر هازم اللذات فانكم لاتذكرونه فى قليل إلا كفى وأجزى، ولا في كثير إلا قلله *

فالله الله عباد الله أجتهدوا واستعدوا للموت ، وبادروا آجالكم قبل الفوت ، تفوزوا بالجنان فى دار الرحمن . وأنشدوا :

لملك الموت فى الدنيا ديون تحل فليس يمطلها المطول
وكل العالمين بها ملى (١) فليس له على أحد جميل
سواء إذ يحل على غريم عليه ذوو التعزز والذليل (٢)

فالله الله معاشر المسرفين لاتفتروا بالعز والمال ، فان الموت لايهاب الكبير الجليل ، ولا يرحم الحقير الذليل ، فكونوا منه على حذر وأعدوا له صالح الاعمال ، من قبل أن يأتى يوم لاحيلة فيه لمحتال . بالإخوانى الى كم هذه الغفلة ؟ الى كم هذا التمادى في البطالة والاغترار

(١) ملى أي جدير ، يريد أن كل العالمين يحمل فى عنقه للموت دينا لابد أن يؤديه طائعا أو مرغما (٢) أي العزيز ذو التعزز كما يقال للقوي ذو القوة ، وللجبار ذو الجبروت .

بالمهلة ؟ وأنشدوا :

يا أيها الناس كان لى أمل قصر عن بلوغه الاجل
ما أنا وحدي نقلت حيث تروا كل الى مثله ينتقل
فليتق الله ربه رجل أمكنه فى حياته العمل

حث النبي أصحابه على ذكر الموت

روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان فى بيت بعض نسائه إذ سمع صوتا فى مجلس من مجالس أصحابه وقد استعلى على حديثهم الضحك ، فخرج عليهم صلوات الله وسلامه عليه حتي قام على رؤسهم فقال : «أرى الضحك قد غلب على مجلسكم هذا ، أفلا تذكرون مكدر اللذات فى أثناء حديثكم ؟ » قالوا وما مكدر اللذات يانبي الله ؟ قال : « ذكر الموت » فبكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأجمعهم *

فاذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصابيح الاسلام ، وقادة الانام ، السادة الكرام ، رجع ضحكهم بكاء من هول يوم الحمام (١) وقد أفنوا أعمارهم فى طاعة ذي الجلال والاكرام ، وقطعوا أيامهم فى العمل بالسنة والأحكام ، فكيف بمن تمادي فى المعاصى والاجرام والطغيان والآثام ، وأكلوا الربا (٢) والحرام ، وأموال الضعفاء والايتام ؟ وأنشدوا :

الموت فى كل حين ينشر الكفنا ونحن فى غفلة عما يراد بنا
لاتطمئن الى الدنيا وزهرتها وإن توشحت من أثوابها الحسنا
أين الاحبة والجيران مافعلوا أين الذين هموا كانوا لنا سكنا
سقاهم الدهر كأسا غير صافية فصيرتهم لاطباق الثرى رهنا

فالله الله معاشر المذنبين لاتشغلوا عمن يطلبكم ، ولا تنسوا من لا ينساكم ، وقد خلقكم الله تعالى وخلق آجالكم من قبل أن تأتى ساعة السكرات ، والندم على مافات، فهيهات هيهات ثم

(١) الحمام الموت . (٢) قال الله تعالى (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) والربا مايتعامل به أكثر الناس الآن وهو أن يقترض ديناراً وله عليه ربح يبلغ فى أكثر الاحايين النصف بحجة أنه تجارة ، أو مايصنعه بعض النساء المشهورات بالدلالات من أنهن يشترين ماترغبه المقترضة منهن ثم يضفن عليه أرباحا لهن أو بأى شكل من ذلك فكله ربا . وكل فائدة ينالها المقرض وإن قلت

هيهات هيهات . وأنشدوا:

إسمع فقد أسمعك الصوت إن (لم) تبادر فهو الفوت
بل كل ماشئت وعش سالما آخر هذا كله الموت

يا أخي اذا جاءك الموت لاينفعك ماجمعته ، ولا ينجيك ما ا كتسبته ، فامهدلنفسك قبل مفارقة الاحباب ، والجيران و الاصحاب ، والخروج من الديار إلى منازل الدود والتراب وبيوت الوحشة والعذاب ، إلا أن يعفو الملك الوهاب ، فتفكروا ياأولى الالباب ، يامعشر الشيب والشباب . وأنشدوا :

مضى أمسك الماضى شهيداً معدلا وأعقبه يوم عليك شهيد
فان تك بالأمس اجترحت إساءة فبادر باحسان وأنت حميد
ولا تبق فعل الصالحات إلى غد لعل غدا يأتى وأنت فقيد
إذا ماالمنايا أخطأتك وصادفت حميمك فاعلم أنها ستعود (١)

ذكر الموت والعمل

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ماأ كثر رجل ذكر الموت إلا زاد ذلك فى عمله » فياإخوانى أ كثروا ذكره لعل الله أن يهونه عليكم ، ويرحمكم عند نزوله بكم . واجعلوا الموت عند منامكم (مهادا) وعند قيامكم سهادا . واستعدوا بكثير الحسنات ، واجتناب الاوزار والسيئات . فرحم الله أمرأ رحم نفسه ، ونظر اليها وذكر رمسه . وأنشدوا :

نغص الموت ويحكم كل طيب ودهانى بفقد كل حبيب
كم وكم قد رأيت من حدث السن عزيز كغصن بان رطيب
حس بالموت فانثنى بانكسار واضعا خده بذل عجيب
قائلا إخوتى سلام عليكم إذ دنت شمس مدتى بالمغيب

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ماأ كثر رجل ذكر الموت إلا ترك الفرح والحسد والرغبة» ياأخى لو كان عندنا علم أنه لايموت منا إلا رجل واحد لايعلم من هو فينا ، لكان الواجب علينا أن لاترقأ لنا دمعة خوفا من الموت ، فكيف ونحن على

(١) أى اذا لم تمت أنت اليوم ومات حميمك أي صديقك وصفيك فاعلم أنها لابد ستعود اليك فلست بناج منها أنت ولا حميمك .

يقين أنه لايبقى منا أحد . وأنشدوا :

يلتى الفتى حذر المنية كارها　　منها وقدحدقت به لو يشعر
نصبت حبائلها له من حوله　　فاذا أتاه يومه لاينذر
إن امرأ أمسى أبوه وأمه　　تحت التراب لواجب يتفكر
تعطي صحيفتك التى أمليتها　　فتري الذى فيها اذاماتنشر
حسناتها محشوة قدأحصيت　　والسيئات فأي ذلك أكثر

فابكوا معاشر المذنبين على ساعة لابد منها ، أما ترون الموت قد أفنى الامم الماضية ، وقتل القرون الخالية ، وهدم القصور العالية ، عطل عشارهم ، وخرب ديارهم ، وهدم منازلهم ، وقطع آثارهم ، وقطف أعمارهم ، ولم ينفعهم ماجمعوا ، ولم يحصنهم مابنوا وصنعوا قد صاروا فى القبور رميا ، ولقوا من الموت والاهوال أمراً عظيما ، فهذا دليل على أن الموت لايترك أحداً من المخلوقين ، حتى يتوفاهم وينقلهم إلى التراب أجمعين*

حكاية فى الزهد

روي عن عمرو بن مرة أنه قال : ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فأثنوا عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف زهده فى الدنيا وتركه لما يشتهى منها ؟» قالوا إنه ليصيب منها . قال « فكيف ذكره للموت » قالوا ماسمعناه يكثر ذكره . قال « ليس صاحبكم هناك » فمن لايكثر ذكر الموت ، ولايترك الرغبة فى حطام الدنيا ؛ فلا خير فيه والله أعلم . وأنشدوا :

إنما الدنيا بلاغ　　ليس فى الدنيا ثبوت
إنما الدنيا كبيت　　نسجته العنكبوت
ليس للطالب فيها　　كل يوم غير قوت
كل من كان عليها　　عن قليل سيموت

فالله الله بادروا العمر اليسير ، والأجل القصير ، قبل نزول ملك الموت بالهول العظيم الكبير فالموت يقصم الاصلاب ، ويذل الرقاب ، ويرد كل مخلوق إلى التراب ، ويقرب المؤمن الطائع إلى الجنة وحسن المآب ، ويسوق الفاجر العاصى إلى أليم العذاب ، فتفكروا فى الموت ياأهل الفناء والذهاب . وأنشدوا :

هل للفتى من عثار الدهر من واق　　أم هل له من حمام الموت من راق
قد رجلونى(١) وما بالشعر من شعث　　ولبسونى ثياباً غير أخلاق
وكفنونى وقالوا أيما رجل　　وأدرجونى كأنى طى مخراق
هون عليك ولاتولع باشفاق　　فانما مالنا للوارث الباقى

عظة ابن مسعود

روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : ليس بغافل ولا ذا كرا للموت من عد غداً من أجله ، فرب مستقبل يوما لايستكمله ، ومؤمل غدا لايبلغه، لو أبصرتم الأجل ومروره لابغضتم الأمل وغروره. فياعجباً للفروع ذهبت أصولها ، وللنجوم قد آن أقولها *

الداء والدواء

روى أن رجلا جاء إلى عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فقال : ياأم المؤمنين إن بى داء فهل عندك دواء ؟ قالت وماداؤك ؟ قال القسوة ، قالت بئس الداء داؤك، عد المرضى واشهد الجنائز وتوقع الموت . فالله الله ياأعراض المنية، وياأبواب الرزية، لاتنسوا الموت الذى كتبه الله على العباد، المخرب الاقطار والبلاد، وكونوا منه على حذر واستعداد، ياأبدان الاسقام، وياأعراض الحمام . وأنشدوا :

من كان يعلم أن الموت مدرجه　　والقبر منزله والبعث مخرجه
وأنه بين حيات تنهشه　　يوم القيامة أو نار تنضجه
فكل شيء سوي التقوى به سمج　　وما أقام عليه منه أسمجه
ترى الذى اتخذ الدنيا له وطنا　　لم يدر أن المنايا سوف تزعجه

عظة عمر بن عبد العزيز

روى عن عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه أنه كان يقول: أيها الناس ما الجذع مما لابد منه، وما الطمع فيما لايرجى ، وما الحيلة فيما لايزول ، وإنما الشيء من أصله ، وقد مضت من

(١) رجل الشعر مشطه وساواه ، يريد ساعة أن يموت الميت فيمشطون شعره ، ويقلمون فى بعض الاحيان أظفاره ، ويغسلونه ويطيبونه ويدرجونه فى الكفن كأنه شيء لاقيمة له .

قبلنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفروع بعد الاصل ، فكل ماهو آت قريب . أيها الناس إنما أنتم فى الدنيا أغراض تنتصل فيكم المنايا ونهب للمصائب، ومعدن للنوائب ، مع كل أكلة غصص ، ومع كل شربة شرق ، الاتنالون نعمة الا بفراق أخرى ، ولا يعمر فيكم معمر لابهدم آخر من أجله ، (١) وأنتم أعوان الحتوف على أنفسكم ، فأين المهرب مما هو كائن فالله الله ياإخوانى لاتركنوا الي طول الامل ، ولاتنسوا اقتراب الاجل ، فالموت لابد منه . وأنشدوا :

آه على سفرة بغير أياب آه من حسرة على الاحباب
آه من سكرة بغير شراب آه من ركبة (٢) بغير ركاب
آه من مضجعي وحيدا فريدا بين فرش من الحصى والتراب

ياإخواني هل رأيتم أحدا خلد فى الدنيا حتى تكونوا مخلدين ، أم أنتم من الرحيل الى الآخرة على شك فتكونوا بالقرآن كافرين ، فو الله لوكان الامر كذلك لخلد خاتم النبين ، لقد رانت على قلوبكم سترة الغافلين ، واستحوذ على نفوسكم كيد الشيطان اللعين ، حتى نسيتم الموت المفرق لجمع الجامعين . وأنشدوا :

ليس دوام البقاء للخلق لكن دوام البقاء للخلاق
غلب الموت حيلة كل محتا ل وداعي بدائه كل راق
عطفت شدة الزمان فادته الى فاقة وضيق خناق
لايغرنك الغرور من الدنيـ ـا فمنها شدائد بسياق

القرآن والموت واعظان

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تركت فيكم واعظين ناطقا وصامتا ، فالناطق القرآن والصامت الموت » مساكين فلا بالقرآن عملتم ، ولا فى الموت تفكرتم ، تمسون وتصبحون وقلوبكم معلقة بعلائق الدنيا ماعندكم من الموت خبر ، ولاأنتم منه على حذر قلوبكم خالية من خوف الرحمن ، عامرة بخدوع الشيطان ، كأنكم قدأمنتم الموت وطوارق

(١) كذا بالاصل ، ولعلها تحريف الا بهدم آخر من أصله (٢) فى الاصل : آه من رقدة بغير ركاب ، ولامعني لهافصححناها : ركبة ليستقيم المعني ، والمقصود بذلك حين يحمل الى القبر فوق الاعناق .

الحدثان . وأنشدوا :

ركبت جموح الغي فى سبل الصبا ... ولم تدر أن النائبات تنوب
وجررت أذيال البطالة لاهيا ... كأنك لم يكتب عليك ذنوب
وأمليت كتاب الشمال صحائفا ... بكثرة ماتأتى ولست تتوب
ومهما يغب عنك الحمام لمدة ... ستبلغها حتما ، أنت كئيب
فقل لى اذا وافى على غير أهبة ... بأى جواب إن دعيت تجيب

فالله الله عباد الله عظوا أنفسكم بآبائكم وأحبابكم ،وجيرانكم واخوانكم،فان فى ذلك بلاغا لمن تذكر ، وعبرة لمن تفكر ، إخوانكم كانوا بالامس معكم يأكلون مما تأكلون، ويلبسون مما تلبسون ، فأصبحوا اليوم وقد صارت القبور لهم بيوتاً ، وصاروا بين أطباق الثرى خفوتاً قد قسم الوارث أموالهم ،ونكح العدو والصديق عيالهم ، وأهان العدو أطفالهم . قدهتكت منهم الاستار ، واستوحشت منهم الديار،وتحدثت عنهم الاخبار . وانشدوا :

رأيت الموت لا يبقى خليلا ... على خل وإن عاشا (١) زمانا
فكن منه علي حذر فانى ... رأيت الموت لايعطى أمانا
أنسنا غرة منه كأنا ... بما نعنى به يعنى سوانا
وكم للموت من دار ودار ... اىان عميرها عنها فبانا (٢)
فكم ذى نخوة وعزيز قوم ... أذل الموت عزته فهاناً
كأنا قد نظرنا عن قريب ... الى ما قد وعدناه عيانا

شدة الموت

روى عن رسول اللهصلى الله عليه وسلم أنه ذكر الموت وغمه وكربه فقال : « هو أشد من ثلاثمائة ضربة بالسيف » فيامعشر الموقنين بنزوله ماهذه الفترة،وما هذه السكرة ؟ من ذكر الموت قل فرحه وحسده ورغبته ☆

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا رأى فترة أوغفلة من الناس وقف

(١) فى الاصل : وان عاش زمانا للمفرد وصححناها اذ السياق يقتضى ذلك . (٢) أبان عميرها ، أى أبعد عنها عامرها فبعد،وخربت داره بعد أن كانت عامرة به .

بباب المسجد فأخذ بأعضاد (١) الباب ثم صاح باعلا صوته : « يا أيها الناس الموت الموت جاءكم الموت بالوحية (٢) سعادة أو شقوة ، جاءكم الموت بما جاء به بالروح والراحة،والكرامة الرابحة،فى جنة عالية ، لأولياء الله من أهل دار الخلود الذين سعيهم لها ورغبتهم فيها ، ألا إن لكل ساع غاية وغاية كل ساع الموت ، جاءكم الموت بما جاء به بالخزى والندامة ، والمكرمة الخاسرة فى نار حامية لأولياء الشيطان من أهل دار الغرور الذين سعيهم لها ورغبتهم فيها ، إلا إن لكل ساع غاية وغاية كل ساع الموت ، فسابق ومسبوق » *

فالله الله يا إخوانى كونوا من السابقين ولا تكونوا من الخاسرين ، وكونوا من الموت على تحقيق ويقين . وأنشدوا :

أراك بما ترضى به النفس (٣) والهوى ويغضب منه الله صرت تدين
وقلبك لا يزداد الا قساوة فداركه بالذكرى عساه يلين
فان كنت فى شك من الموت فاعتبر بمن قد مضى يزداد منك يقين
كأنى بك استغرقت فى غمراته وجاءك من بعد الحراك سكون
وقد حشرجت فى الصدر منك وأسبلت بأدمعها تجري عليك عيون
فقل لى اذا وسدت ويحك فى البلى وهيل عليك الترب كيف تكون؟!

تمنى الموت

عباد الله تذاكروا أعماركم قبل الفوت ، وتأهبوا لأهوال غصص الموت *

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تتمنوا الموت فان هول المطلع شديد ، وإن من سعادة المرء أن يرزقه الله تعالى الانابة اليه ويطيل عمره » فانا لله وإنا اليه راجعون على من طال عمره وساء عمله ولا تنفعه الموعظة ، فمن كان منا كذلك فقد عظمت خسارته ، وما ربحت تجارته . وأنشدوا :

(١) العضد: الساعد وهو من المرفق إلى الكتف ، وعضادتا الباب درفتاه أو المكان الذى فيه يعلق الدرفتان (٢) الموت الوحي السريع ولعل المراد جاءكم الموت بالوصية فحرفت .
(٣) فى الاصل النفوس ولا يستقيم الوزن .

نودى بصوت أيما صوت ما أقرب الحى من الموت
كأن أهل الحى فى غيهم قد أخذوا أمنا من الموت
كم من صحيح عامر بيتــه لم يمس الا خارب البيت
نعم (١) وكم حى بكى ميتا فأصبح الحى مع الميت

دعاء مجرب

اللهم ياأكرم الاكرمين ، تفضل علينا وعلى جميع المذنبين ، بتوبة تنقلنا من ذل المعصية إلى عز الطاعة، وثبتنا عليها حتى تخرجنا من الدنيا بلا ذل ولاتباعة ، على منهاج أهل السنة والجماعة الذين أوجبت لهم الرحمة والشفاعة ، اللهم إن الطاعة بقدرك والمعاصى ، وفى قبضتك القلوب والنواصى ، فطهر قلوبنا بماء التوبة ، واغسلها من دنس الحوبة (٢) ومتعنا بالسلامة فى ديننا ودنيانا ما أبقيتنا ، ولا تردنا على أعقابنا بعد إذ هديتنا ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، وخير المرسلين ، واحشرنا تحت لوائه أجمعين، على منهاجه وسنته غير مبدلين ولا مغيرين موفقين معصومين غير مغضوب علينا ولا ضالين ، ياأرحم الراحمين ، (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . والله أعلم *

- ١٢ - ﴿ مجلس فى موت الانبياء والاولياء والصالحين ﴾

وهو قوله تعالى (كل نفس ذائقه الموت) معاشر الموتى وأبناء الموتى أنتم موتى بلا محاله وإنما سبقكم إخوانكم إلى مناخ القبور ، فاذا استكمل ولد آدم من أولهم وآخرهم قام الكل للعرض والنشور ، على الملك الغفور. فاستعدوا لذلك المقام ، واجتنبوا الاوزار (٣) والآثام وبادروا بالتوبة قبل نزول الحمام *

صفة الموت

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الموت غصن كثير الشوك أدخل فى جوف

(١) فى الاصل : وكم وكم حى بكى ميتا ، ولا يستقيم . (٢) الحوبة الاثم والمعصية .
(٣) الاوزار جمع وزر والوزر الاثم والثقل والسلاح .

رجل أخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب ، فأخذ ما أخذ ، وأبقى ماأبقى » . وأنشدوا :

يامن سينأى (١) مسرعا كما نأى عنه أبوه
مثل بقلبك قولهم جاء اليقين فلقنوه
وتحللوا من ظلمه قبل الفراق وودعوه (٢)

فالله الله عباد الله لا تضيعوا أعماركم فى الباطلات ، ولا تفنوا أيامكم فى الجهالات ، واذكروا الموت مفرق الاحباب ، وقاطع الانساب ، ومذل الرقاب ، وقاصم الجبابرة والأرباب ، مهلك الآباء والأمهات ، وقاتل الأخوة والأخوات ، ومبيد الجيران والقرابات الموت يقطع أموالكم ، ويغير أحوالكم ، ويرمل نساءكم ، وييتم أطفالكم ، فلا يبقى منكم خليلا ولا حبيبا ، ولا جاهلا ولا أديبا . وأنشدوا :

الموت أفنى من مضى والموت يفنى من بقى
والموت يجمع فى الثرى بين المنعم والشقى

يا مسكين أنفقت مالك فى بنيان الدور ، وتشييد القصور ، ونسيت الموت والتحول إلى ظلمة القبور ، ثاويا فيها إلى يوم النشور . وأنشدوا :

ألا للخراب بنى العامرونا وللموت ما ولد الوالدونا
وعما قليل يرى الآخرو ن عجائب ماقد رأى الأولونا
ويشقى أناس بما جمعوا ويسعد بالقلة الزاهدونا
ولا يرحمون إذا ما بكوا ولا يرتجى الرحمة الظالمونا
ويسأل قوم هناك الرجو ع فلا يرجعون ولا يكرمونا

اعلم يا مسكين أن المنية خير من الحياة الدنية ، يا ابن آدم الرقاد والله تحت التراب ، خير لمعصيتك لرب الارباب .

---

(١) النأي البعد ، وينأى يبعد (٢) أى مثل بفكرك قول العائد من حول المحتضر . جاء اليقين أي جاء الموت ودنت ساعته فلقنوه الشهادتين وتحللوا من ظلمه أى واسألوه أن يحلكم من ظلمكم له قبل فراقه الدنيا .

عظة الموت

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كفى بالموت واعظا ، وكفى بالعبادة شغلا ، وكفى باليقين غناء » واعلموا عباد الله أنه لا أمة بعد أمتكم ، ولا نبي بعد نبيكم ، وإنما ينتظر بأولكم أن يلحق آخركم ، ثم يجمعون فى عرصة القيامة ، لوقوع الحسرة والندامة ، عند ذلك لا ينفعكم مال ولا بنون ، ويحال بينكم وبين ما تشتهون ، ويحيق بكم ما كنتم به تستهزؤن . وأنشدوا :

كل حى وإن بقى فمن الموت يستقى
فاعمل اليوم واجتهد بادر اليوم ياشقى

ابو العتاهية الشاعر

ذكر عن أبي العتاهية (١) رحمه الله أنه دخل يوما على الرشيد فقال له الرشيد : أنشدنى ، فقال اجعل لى الأمان ، قال أنت آمن فأنشأ وأنشد :

لا تأمن الموت فى طرف (٢) ولا نفس وإن تسترت بالحجاب والحرس
واعلم بأن سهام الموت قاصدة لكل مدرع منا ومترس
مابال دينك ترضى أن تدنسه وثوبك الدهر مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليبس

فاعلموا يامعشر بنى آدم أن الموت لا يترك (٣) منكم أحدا ، ولا يرحم والدا ولا ولدا ، فاجعلوه بين أعينكم منصوبا ، فانه لا يترك الفرح كئيبا مكروبا ، فيقيننا يقين من يموت ، وأعمالنا أعمال من لا يموت ، كأن يقيننا بالموت مشوبا بالشك ، وكأن إيماننا بالبعث ممزوجا بالافك ، ماهذه حال من أيقن بالحمام ، يعصى مولاه فى الليالى والايام . وأنشدوا :

نحن من العمر فى ظنون وفى يقين من المنون (٤)
ثمت (٥) لا نذكر المنايا أليس ذا غاية الجنون

---

(١) ابو العتاهية شاعر مشهور من شعراء الدولة العباسية تزهد فى آخر عمره وأتي فى الزهد بالعجب العجاب . (٢) أي فى طرفة عين ، أو قبل أن تقلب طرفك (٣) فى الاصل لا يؤخذ منكم وهو خطأ . (٤) المنون الدهر والمنية لانها تقطع المدد . (٥) ثم حرف عطف يدل الترتيب والتراخي وهى هنا بمعني هناك للبعيد بمنزلة هنا للقريب .

مثل الدنيا والموت

ذكر عن بعض الصالحين أنه قال : رأيت في المنام رجلا وهو في برية وأمامه غزالة وهو يجرى خلفها وهي تفر منه ، وأسد كأعظم مايكون خلقة وقد هم أن يلحقه ، والرجل يرد رأسه وينظر إلى الاسد فلا يجزع منه ، ثم يجرى خلف الغزالة حتى لحق به الاسد فقتله . فوقفت الغزالة تنظر اليه وهو مقتول ، إذ جاء رجل آخر قد فعل مافعله المقتول فقتله الأسد ولم يدرك الغزالة ، فخرج آخر ففعل كذلك ، قال فما زلت أعد واحدا بعدواحدحتى عددت مائة رجل صرعي والغزالة واقفة ، فقلت إن هذا لعجب ! فقال الاسد : مم تعجب ؟ أوما تدرى من أنا ومن هذه الغزالة ؟ فقلت لا ، فقال أنا ملك الموت وهذه الغزالة الدنيا ، وهؤلاء أهلها يجدون في طلبها وأنا أقتلهم واحداً بعد واحد حتي آتى على آخرهن . فاستيقظت فزعاً مرعوباً وأنشدوا :

حتى متى وإلى متى نتوانى ... وأظن هذا كله نسيانا
والموت يطلبنا حثيثا مسرعا ... إن لم يزرنا بكرة مسانا
إنا لنوعظ بكرة وعشية ... وكأنما يعنى بذاك سوانا
غلب اليقين على التشكك في الردي ... حتى كأنى قد أراه عيانا
يامن يصير غدا إلى دار البلى ... ويفارق الاخوان والخلانا
إن الاماكن في المعاد عزيزة ... فاختر لنفسك إن عقلت مكانا
وانظر لنفسك إن أردت تعزها ... قبل الممات ولا تكن مهوانا

واعلموا عباد الله أن مامن جماعة وإن كثرت إلا والموت يقللها حتى يفنيها عن آخرها وإنما أعمارها عوار والعارية لاتبقى ، يرجع الكل إلى الله تعالى يفصل بينهم بالحق وهو خير الفاصلين ، فشقى وسعيد ، ومنعم ومعذب . وأنشدوا :

وما أهل الحياة لنا بأهل ... ولا دار الفناء لنا بدارا
وما أموالنا إلا عوار ... سيأخذها المعير من المعار

فالله الله عباد الله إياكم أن يأتى صاحب العارية وقد ضيعتموها *

ملاقاة الارواح

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا عرج بروح المؤمن تلقته أرواح المؤمنين

بالرحمة والبشرى كما يتلقى الغائب فى الدنيا ، ثم يقبلون عليه فيسألونه فيقولون : ما فعل فلان وما حاله ؟ فيقول بخير تركته والله على طريقة حسنة . فيقولون ياربنا أنت هديته لذلك فثبته عليه حتى تقبضه ، وإن سألوه عن إنسان قد مات فيقول قد هلك فيقولون إنا لله وإنا اليه راجعون ، عمل والله بغير عملنا فسلك به غير طريقنا ، ذهب والله به إلى أمه الهاوية (١) بئست الأم وبئست المربية *

أعمال الاحياء والاموات

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعرض على الموتى أعمالكم فان رأوا خيرا استبشروا به وقالوا اللهم هذه نعمتك فأتممها على عبدك ، وإن رأوا سيئة اغتموا لها وقالوا اللهم راجع بعبدك » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فلا تحزنوا أمواتكم بأعمالكم السيئة فان أعمالكم تعرض عليهم » (٢) فالله الله عباد الله اجتهدوا فى اكتساب الحسنات ، واجتنبوا فى ليلكم ونهاركم السيئات ، فان ذلك محزن الأهل والأقربين من الأموات . واعملوا فى صحتكم قبل السقم ، وقدموا فى شبابكم قبل الهرم ، فان الموت إذا جاء لا يرجع ، وسهامه إذا فوقها لاتدفع ، وكأسه إذا أدارها لاتنزع ، حياضه موروده ، وساعاته معدودة ، وأهواله مشهودة والحيلة عند نزوله مفقودة غير موجودة . وأنشدوا :

الموت حتم حوضه مورود | والموت يفنى جمعنا (٣) ويبيد
والموت يحكم فى النفوس بحتفها (٤) | وله على تنفيذ ذاك جنود
والموت يفسد مهجة الملك الذى | قد عززته (٥) عساكر وجنود
وقلوبنا فى كل ذا مشغوفة | حبا لدار زهرها معقود
وإلى متى تهوى الذى هو هلكها | وإلى متى لا تنثني وتعود ؟

(١) هاوية : اسم علم للنار . قال الله تعالى (فامه هاويه) أى مستقره النار .

(٢) وفى بعض الاحاديث تعرض على أعمالكم . وبالجملة فالعمل الصالح يسر الميت لانه يعود عليه من صلاحه لانه يعم بصلاحه ، والعمل السوء وإن كان وزره على صاحبه إلا أنه يمنع عن الميت ثواب العمل الصالح من صدقة أو دعاء .

(٣) فى الاصل: جميعنا ولا يستقيم . (٤) فى الاصل . فى النفس ولا يستقيم .

(٥) فى الاصل : عزته .

الله الله يا أعراض المنية ، ويا أبواب البلية ، ويامعادن الرزية . أفيقوا من هذا الوسن ، قبل أن تزودوا من أموالكم بحنوط (١) وكفن . إذا تبرأ منكم الحبيب ، وأنكر معرفتكم القريب ، وصاركل واحد منكم كأنه أجنبي وغريب . وأنشدوا :

الموت باب وكل الناس داخله فليت شعري بعد الباب ماالدار؟
الدار دار نعيم إن عملت بما يرضى الاله وان خالفت فالنار

المثابرة

يا أخى بالله عليك لو أتاك الحمام ولك ملك الدنيا أما كنت تختار عيش يوم بالجميع ؟ فبادر ما دمت فى فسحة من العمر ، قبل أن يضيق عليك الامر ، لو صيح بك الليلة أجب الداعى أما كنت نادما على ماقدمت ، وباكيا على مافرطت ؟ وأنشدوا :

الموت بحر طامح موجه تذهب فيه حيلة السابح
يا نفس إنى قائل فاسمعي مقالة من مشفق ناصح
ما يعجب الانسان فى قبره مثل التقى والعمل الصالح

فالله الله عباد الله استعدوا للموت ، فكأنه قد نزل بكم فأرمل النسوان ، وأيتم الولدان ، وفرق الاخوان ، فوالله يا أيها الانسان وإنما أنا وأنتم ذلك الانسان ، لو لم يكن ماء ولا ظلال ، ولا جواب ولا سؤال ، ولا نعيم ولا ثواب ، ولاجحيم ولا عقاب ، لكان فى الموت وسكرته ، والقبروظلمته ، واللحد وضغطته ، مايمنع العاقل اللبيب عن كسب الخطايا والذنوب فكيف ومن وراء ذلك هول مهول ، وشرح يطول ، من الصور ونفخته ، والنشوروروعته والصراط ورقته ، ومساءلة الله تعالى للعبد وتوبيخه . فما يكون جوابك أيها المغرور ، إذا وقفت بين يدى العالم الغفور ، الذى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ؟ فأظهر لك قبائحك ، ونشر لك فضائحك ، واستشهد عليك جوارحك ، فان عفا عنك فأنت من الفائزين ، وإن طالبك بما قد مت يداك فأنت من الخاسرين . عفا الله عنا أجمعين ، وغفرلنا ذنوبنا فهوخيرالغافرين آمين رب العالمين . وأنشدوا :

من كان يرجو أن يعيش فانني أصبحت أرجوأن أموت فأعتقا
فى الموت الف فضيلة لو أنها عرضت لكان سبيله أن يعشقا

---

(١) فى الاصل بخيوط وهو تحريف .

قبض أرواح الصالحين

ذكر فى بعض الاخبار عن بعض السلف الاخيار عن النبي المصطفي المختار أن الله عز وجل إذا أراد قبض روح عبده الكريم عليه ، وهوالتقى لانه بالتقوى كرم عليه ،دعا بملك الموت فقال اذهب يا ملك الموت الى عبدي فلان فأتني بروحه ليرتاح عندى فحسبي من عمله أنى قد بلوته فى السراء والضراء فوجدته حيث أحب ، فيذهب ملك الموت فيأخذ من مسك الجنة الاذفر وحريرها الابيض فيهبط به ويهبط فى أثره خمسمائة ملك ليس منهم ملك الاومعه بشارة من الله تعالى إلى ذلك الولى ، وليس منهم ملك يدري ما مع صاحبه من البشارة ، وليس منهم ملك إلا ومعه صبائر (١) من الريحان — يعنى حزما من الريحان — من ريحان الجنة ، فاذا هبطوا أحدقوا بولى الله ، وجلس ملك الموت عند رأسه ونفث فى وجهه سم الموت فصرعه ويقول له : ياولى الله ارتحل من الدنيا فليست لك داروليست لك بوطن ولا بد لك يا ولى الله أن تذوق كما ذاق إخوانك من قبلك ، قال فلك الموت ألطف باستخراج نفسه من الوالدة بولدها . فاذا أذنت نفسه بالخروج وكانت عند ذقنه أكب عليه الذين جاؤا مع ملك الموت وهم خمسمائة ملك يخبرونه بالبشارة التى أرسلهم الله بها اليه ، وليس منهم ملك إلا وهو يضع على كل طائفة من جسده من صبائر الريحان الذى جاؤا به ، فاذا خرجت نفسه لفها ملك الموت فى ذلك الأبيض والمسك الأذفر، ثم يعرج بها إلى السماء وتثبت الملائكة الذين بشروه عند جسده عند أهله *

ملائكة الرحمة

فاذا دنا من السماء تلقاه جبريل عليه السلام فى سبعين الف موكب من الملائكة فأخذ الروح منه جبريل عليه السلام فعرج به حتى يضعه بين يدى الجبار تبارك وتعالى ، فيقول جل جلاله وتعالى — ليس كمثله شىء — لجبريل عليه السلام اذهب فدع ولى الله في سدر مخضود (٢) وطلح

(١) الصبائر: جمع صبرة وهى تجمع على صبر والصبرة من الطعام ولم أجد الضبائر بالضاد المعجمة كما هى بالاصل . (٢) السدرة: شجرة النبق ، والمخضود المقطوع شوكه المشذب . والطلح شجر عظام من شجر العضاه وقال المفسرون المراد به الموز. والمنضود المنضد بعضه

منضود . فاذا حمل الرجل إلى سريره هبط خمسمائة ملك آخرون سوى الذين جاؤا مع ملك الموت فيجلسوا صفين مابين منزله إلى قبره يستقبلون جنازته بالاستغفار ، واذا أدلى فى قبره وحثى عليه التراب وولى القوم جاءته الصلاة فكانت عن يمينه ، وجاءه الصوم فكان عن شماله وجاءه ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فكانا عند رأسه ، وجاءه مشيه إلى الجمع وإلى مجالس العلم وعيادة المرضى واتباع الجنائز والصدقة فكانوا عند رجليه ، وجاءه الصبر على ما يكره وعلى مايحب فلم يجد مجلسا فيجلس فى ناحية من نواحى قبره ، فيخرج له من قبره عنق من العذاب فيأتي عن يمينه ، فتقول له الصلاة اليك عنى لاسبيل لك عليه إنما استراح ولى الله من الاقبال والادبار هذه الساعة ، ثم يأتى عن شماله فيقول الصيام اليك عني لا سبيل لك اليه إنما استراح ولى الله من الاقبال والادبارهذه الساعة ، ثم يأتى عند رجليه فيقول له مشيه الى الجمع والى مجالس العلماء وعيادة المرضى واتباع الجنائز والصدقه اليك عنا لا سبيل لك عليه إنما استراح ولى الله من الاقبال والادبارهذه الساعة ، قال فلما لم ير شيئا انقمع ودخل فى الموضع الذى خرج منه فيقول الصبر لهؤلاء : أما اذا كفيتمونى عذاب القبر فسأ كفيكموه عند الميزان اذا نصب *

سؤال الملكين

قال ثم يخرج الله اليه منكرا ونكيرا وهما ملكا القبر أسودان أزرقان يبحثان (١) القبور بأنيابهما ، ويطآن فى أشفارهما. كلامهما مثل الرعد القاصف ، وأبصارهما مثل البرق الخاطف ، وأنفاسهما مثل لهب النار ، وألوانهما مثل الليل المظلم . فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقول الله ربى ودينى الاسلام ونبيى محمد عليه الصلاة والسلام ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، فيقولان له قد علمنا أنك ستكون مؤمنا فيفتحان له بابا إلى النار فينظر إلى ما أعد الله فيها لاهل المعصية من النقمة والعذاب ، قال فيرفعان ذلك الباب دونه ثم يقولان له لاتخف ياولى الله من هذا الباب أبدا ، ثم يفتحان له بابا إلى الجنة فينظر إلى ما أعد الله لاهل طاعته من الخير الدائم المقيم الذى لا زوال له ولا

فوق بعض وفى القرآن (نضده تنضيدا) للمبالغة فى وضعه متراصعا .

(١) بحث بمعنى فتش والمراد به هنا يخرقان القبور بأنيابهما . وقد وردت جملة أحاديث فى استبشاع صورتهما ومهول خلقتهما وشدة بطشهما ولا إيمان لمن أنكرهما

انقطاع فيقولان له ياولي الله هذا دارك وقرارك ومنزلك *

نعيم القبر

قال فذلك الباب مفتوح إلى قبره إلى يوم القيامة يخرج من ذلك الباب إلى قبره ريح الجنة وروحها وبردها ويوسعان له فى قبره مدبصره، ثم يقولان له ياولى الله نم فينام نومة العروس فى حجالها حتى يبعثه الله تعالى يوم القيامة إلىأزواجه وقهارمته وحرمه ، ألا ترى أيها الغافل عن طاعة ربه المصر على ذنبه إلى هذا الولى الذى صار إلى قبره وخرج عليه نوع من عذاب ربه وأن أعماله الصالحة كانت جنودا حوله فلم يجد العذاب دونها مدخلا اليه ؟ ولولا قيامها حواليه لكان عذاب الله واصلا اليه ، فلو لم يكن بطاعة الله عاملا لم يجعل المولى بينه وبين عذابه حائلا ، ومن لم يكن بينه وبين النارحائل؛فالهلاك والخزى له حاصل ، والعذاب والذل اليه واصل ، فكل من زعم أنه مؤمن بالله عز وجل ورسوله وكتابه ولم يجعل العمل الصالح وقاية بينه وبين عذابه فقد تعرض لهلاكه وعقابه ، لانه لم يجعل حائلا بينه وبين جسده وكل موضع أمر الله سبحانه وتعالى باتقائه فى كتابه ، فانما هو تحذير من عذابه . وأنشدوا :

الموت أهنأ للطيع وأصلح   والموت أطيب للتقي وأنجح
والموتأقرب للجنانطريقة   والعبد يكرمه الاله ويمنح

سليمان وملك الموت

ذكر فى بعض الاخبار أن سليمان عليه الصلاة والسلام دعا الله تعالى وسأله أن يريهملك الموت وأن يلبسه من القوة حتى يكلمه ، فبينماهو قاعدذات يوم على سريره إذ خرجرجل من جنب السرير ليس يراهأحدإلاسليمان لميرسليمان قط أتم خلقا منه ، فقال ياعبد الله ما أدخلك دارى ؟ قال أدخلنيها ربها ، أدخلنى من هو أملك لها منك ومنى ، فعلم عندذلك أنه من ملائكة الله ، فقال له من أنت من ملائكة ربى ؟ قال أنا ملك الموت . قال فسمعوا من كلامه جلبة فصعق(١) سليمان من خوفه ومن كان معه فى البيت ، فقال ملك الموت يارب إن عبدك

(١) صعق: غشى عليه ، ولقد سبق للمؤلف رحمه الله أن ذكر حكاية عن سليمان وأن ملك الموت دخل عليه ونظر إلى رجل عنده نظرة شديدة وأن الرجل حملته الريح إلى الهند ولعل ملك الموت كان يتشكل عنده باشكال لاترعب ، او لعله آنس به بعد ذلك .

سليمان ونبيك سألك أن تأذن لي بالدخول عليه وقد بلغ من خوفه ومن معه ماترى فالبسه من القوة مايطيق النظر الي . فأوحي الله تعالى الى ملك الموت أن ضع يدك فى صدر سليمان ففعل فأفاق سليمان ومن معه باذن الله تعالى ، قال سليمان ياملك الموت أترى خلق الله فى السموات والارض مثلك ؟ فقال ملك الموت يانبي الله والذى بعثك بالحق إن رجلى الساعة على منكبي ملك وذلك الملك هو الموت قد خرق قرناه السموات السبع وارتفع فوق ذلك مسيرة الف عام ورجلاه قد جاوزا الثري بخمسمائة عام فاتحا فاه رافعا صوته بالتهليل والتقديس والتسبيح باسطا يديه لو أذن الله له أن يقبضهما الى صدره لضم السموات ومافيهن وما عليهن ماخلا العرش ، وأن فوقه ملكا قائما قد ادخل رجليه تحت منكبي هذا الملك وهذا من فوقه مسيرة الف عام فاتحا فاه ، وأن شفته العليا ملتصقة بالعرش والسفلى تحت الثرى لو أذن الله تعالى له ان يضع شفته العليا على السفلى لاطبق مابينهما فى جوفه، وأن لله ملكا عنقه مثنى تحت العرش ورجلاه قد جاوزتا رجلى هذين الملكين مسيرة الف عام يخرج الريح من انفه لو أذن الله أن يتنفس لأدخل جميع ماخلق الله فى السموات والارضين فى فيه سوى العرش ، وأن هؤلاء الملائكة الذين وصفت لك يكون خلقهم عند خلق غيرهم من الملائكة الذين فوقهم كجناح ذبابة عند الفيل ، وأن لله ملكا باسطا كفه اليمني منذ خلقه الله تعالى رافعا صوته بالتهليل والتسبيح والتقديس والتحميد لو أذن الله له أن يقبض كفه لقبض جميع الخلائق ماخلا العرش . فقال سليمان صلى الله عليه وسلم :ياملك الموت ا كفف عنى فلقد وصفت أمرا أتخوف أن تطير روحى ولاتثبت نفسى ولا أطيق أسمعه ، فكف ملك الموت ، فعندها قال سليمان عليه السلام يارب متى ألتقي مع الاحبة ، يارب قد أحببت لقاءك والراحة من الدنيا . فهذا كان سبب موت سليمان عليه السلام. وأنشدوا:

الموت مر والعيش هم فأى هذين لزم (١)
وقد تعجبت إذ هنالى عيش وعندى بالموت علم
أنقل رجلى من كل دار خوف المنايا والارض سم
والروح مستوفز٢ بجسمى له على الانتقـــال عزم

فكأنكم والله بالموت قد فاجأكم وأزعجكم عن لذاتكم ، ونغص عليكم شهواتكم ، ونقلكم إلى بيوت الوحشة والضيق ، حيث لاينفعكم حميم ولاصديق ، ولا أخ شقيق ، ولاوالد شفيق

(١) فى الاصل لازم ولايستقيم (٢) مستوفز ومتحفز أي تهيأت للخروج

نداء الموت

روي عن سلمان الفارسى (١) رضى الله عنه أنه قال : مامن يوم إلا وملك الموت ينادى يا أهل الدنيا عجلوا عجلوا لان أهل القبور محبوسون من أجلكم ، اتركوا ما جمعتم ، وخربوا ما بنيتم ، الويل لكم إن أدركم الموت علي هذه الحالة ، زينتم الدور ونسيتم القبور . اذكروا القبر ووحشته ، والموت وسكرته ، والصراط ودقته . الموت سكرة فى سكرة ، وحيرة فى حيرة وجذبة يالها من جذبة . فالمسكين يكابد غصص المنون ؛ داهش العقل كالمحزون . فالله الله عباد الله أفيقوا من سكراتكم . وانتبهوا من نوماتكم ، واستيقظوا من غفلاتكم ، قبل نزول المنيـة ، وحلول الرزية ، ووقوع البليـة . حيث لا مال نافع ، ولا حميم شافع ، ولا فرح واقع ، ولا رجاء طامع ، ولا حسنة تزاد ، ولا حيـاة تعاد ، ويزودك أحبابك بالصراخ ، ويكثرون عليك البكاء والنواح ، فلا عثرة تقال ، ولا رجعة تنال . وأنشدوا :

ألا إن أيام الحيـاة مراحل طريق الفتى منها إلى الموت ساحل ٢
يسر بمـا يمضى لما هو آمل ويأتى الردى (من) دون ما هو آمل
وما يومه إلا غريم محكم إذا ما اقتضاه نفسه لا يماطل
عجبت لمن يبغي السلامة جاهدا ومر الليالى كلهن غوائل
ونحن بنو الايام نظلم نفوسنا ونرجع وهى القاتلات الثواكل
ومن لحظ الدنيا بعين بصيرة رأى عينها فى نفسه وهو شائل (٣)

عظة من الغفلة

أيها الانسان — وكلنا ذلك الانسان — استيقظ من غفلتك ، وهب من رقدتك . قد آن يدعى

---

(١) سلمان الفارسى كان من كبار الصحابة وكان من أبناء فارس واعتنق المسيحية وبحث فعلم بقرب مبعث الرسول فما زال يرتقبه حتى بعث فآمن به وكان رقيقا فاعطاه النبى ذهبا اشترى به نفسه وعاونه بغرس ثلاثمائة فسيلة حتى أعتق . (٢) فى الاصل : سايل وأظنه تحريف ، فانه لا يقال طريق سايل . أو لعلها ساهل وإن كانت غير فصيحة . وأصلحتها ساحل لانه أقرب إلى المعني المقصود . (٣) كذا فى الاصل ، ولعله من شالت نعامتـه كناية عن موته . غير أن الميت لا يلحظ الدنيا بعين بصيرة ولا كليلة . ولعله جاهل

اليك الطبيب بجمع الدواء ؛ فلا يرجى لك مما نزل بك الشفاء . ثم يقال فلان قد أوصى وجميع ماله قد أحصى . قد تبرأ من الدنيا وعلائقها ، وأقبل إلى الآخرة وحقائقها . ثم ضعف جنانك ، وثقل لسانك ، وانقطع كلامك فلا تكلم إخوانك ، وكثرت خطوبك ، وعظمت كروبك ، إذ عرضت عليك عند كشف الغطاء ذنوبك ، واشتدت الاحزان ، وعلا صراخ النسوان ، وحزن الصديق الودود ، وفرح العدو الحسود ، ثم يقال لك هذا ولدك الصغير وهذا الكبير ، وهذه بنتك الكبرى ، وهذه شقيقتها الصغرى ، فلا ترد عليهم جوابا ، ولا يستطيع لسانك خطابا . ثم اشتد بك النزع والسياق ، إذا التفت الساق بالساق ، وانتزع ملك الموت روحك الضعيف ، وعرج به إلى مولاك الرب اللطيف ، يجازيك على ماقدمت فى سالف الايام ، ويسألك عما اكتسبت من الحلال والحرام . وأمر بك إما إلى جنة عالية ، ذات نعيم وخلود ، وإما إلى نار حامية ذات جحيم ووقود ، وزودت من مالك حنوطا وكفنا ونزلت فى رمسك بعملك مرتهنا . وانصرف أهلك لقسمة ماخلفت من الاموال ، وما سعيت فيه من الحرام والحلال . وأنشدوا :

أبقيت مالك ميراثا لوارثه — فليت شعرى ما أبقي لك المال ؟
القوم بعدك فى حال يسرهم — فكيف بعدهم صارت بك الحال ؟
ملوا البكاء فما يبكيك من أحد — واستحكم القيل في الميراث والقال
مالت بهم عنك دنيا أقبلت لهم — وأدبرت عنك والايام أحوال

قال رجل من الصالحين : رأيت رجلا قد مات ووراثه يختصمون فى ميراثه قبل أن تخرج جنازته ، فقلت هذه الابيات المتقدمة *

نداء الملك

ذكر فى بعض الاخبار أن تحت العرش ملكا ينادى كل يوم وليلة ، الويل ثم الويل لمن ترك عياله بخير ، وقدم على الله بشر. فالله الله ارحموا أنفسكم قبل أن لا ترحموا ، وأكرموها قبل أن لاتكرموا . واذكروا الموت ومابعده من عظيم الاهوال ، واستعدوا له بذخائر الاعمال وأنشدوا :

أرى الدهر لايصفى إلى من لايعاتبه — وأعتب دنياه على من يثالبه (١)

(١) كذا فى الاصل ولم أقف على معناه فى المراجع التي راجعتها وهو بالتأكيد محرف .

ونحن نرجي الخلد فى غير دارنا   وأين خلود المرء إن مات صاحبه
كأنا عطاشى والمنية منهل   نسير اليه والليالى ركائبه
كفى سالبا للمرء يوم وليلة   ومن يلبس الايام فهى سوالبه
فلا تأمن الدهر الخؤن فانما   هو اليوم سلم ثم حرب عواقبه

أيها الناس استعدوا لما خلقتم له فان الله لم يخلقكم عبثا ، وإنما خلقكم لتعبدوه وتوحدوه (١) وليميتكم ويبعثكم بعد الموت ، وما رزقكم رزقه إلا لتستعينوا به على طاعته . وما خلق الدنيا إلا للزوال ، وجعلها دار ابتلاء واختبار ، وسجنا لاوليائه ، وجنة لاعدائه . فراحة الاولياء الموت ، وعذاب أعدائه الموت . لان الاولياء إذا ماتوا صاروا إلى جنة النعيم ، والعيش المقيم والاعداء إذا ماتوا صاروا إلى العذاب الاليم . فالله الله عباد الله لا يغرنكم بالله الغرور . وأنشدوا :

ومنتظر للموت فى كل ساعة   يشيد ويبنى دائما ويحصن
له حين تبلوه (٢) حقيقة موقن   وأفعاله أفعال من ليس يوقن
عيان كانكار وكالجهل علمه   بمذهبه فى كل ما يتيقن

حكاية عن واعظ

ذكر أن شيخا من تيماء كان يجلس اليه أصحابه ، فاذا كان عند قيامهم عنه قال : قوموا قيام من قد يئسوا من المعاودة حذرا من القاطف للنفس ملك الموت ، ثم يبكى ويبكوا حوله . وأنشدوا :

وكن مستعدا لداعي المنو   ن فكل الذى هو آت قريب
وقبلك داوى المريض الطبيـ   ـب فعاش المريض ومات الطبيب

---

(١) قال الله تعالى (وما خلقت الانس والجن إلا ليعبدون) وليس المراد أن يتواكل الانسان اعتمادا على رزقه المقسوم بل لا بد من السعى والحركة فى استجلابه كما جاء فى الحديث « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » وقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : لقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ، وكان أكثر الصحابة تجارا أو صناعا . (٢) أى حين تختبره لانه يدعى العلم بكل شىء وعلمه أشبه بالجهل لان ثمرته فى العمل تناقض ادعاءه العلم ، ومذهبه الذى يتيقن به باطل وما أكثر هذا الصنف بيننا .

يخاف على نفسه من يتوب فكيف ترى حال من لا يتوب

إن من الشعر لحكمة !!

خشية عيسى ملك الموت

روى أن عيسى عليه السلام كان إذا ذكر عنده الموت أو ذكره تقطر جسده ماء من خوف هوله ! يا أخى يا غافل مثلى يا مسكين فعيسى صلوات الله عليه يخاف الموت وهو على ما كان عليه من الطاعة لربه فكيف بك يا مسكين على ما أنت عليه من المعصية لمولاك ؟؟ فالله الله يا إخوانى لا تغتروا بصحة الاجسام ، ومداومة الايام ، فان الموت يأتى فى ألهى ما أنت عليه فى الدنيا وألذ ما كنت فيه ، فلا الصحيح يدعه لصحته ، ولا الصغير يرحمه لصغره ،ولا الكبير يهابه لكبره . وأنشدوا :

وكم من صحيح بات للموت آمنا أتته المنايا بغتة بعد ما هجع
فلم يستطع إذ جاءه الموت بغتة فرارا ولا منه بحيلته امتنع
وقرب من قبر فصار مقيله وفارق من قد كان بالامس قد جمع
فلا يترك الموت الغنى لماله ولا معدما فى المال ذا حاجة يدع

حديث فى ملك الموت

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن ملك الموت ينظر لوجه العباد في كل يوم سبعين مرة ، فاذا ضحك العبد الذى بعث لقبض روحه يقول له : يا عجبا لك يا فلان أمرت بقبض روحك وأنت تضحك » فالعجب كل العجب بمن الموت يطلبه ، والمنية تعاجله وهو من ذلك على يقين ، وهو يضحك ويلهو . وأنشدوا :

ضحك الفتى من عجبه (١) جهالة والموت يطلبه حثيثا مسرعا
والموت لا يدع الجهول لضحكه الا رماه بسهمه فتفجعا
فتفلقت (٢) أوصاله لنزوله وتفتت العظم الصليب توجعا
وبكى لفرقة ماله وعياله ومضى إلى دار البلى متضرعا

فالله الله عباد الله لا يغرنكم طول الامل ، وجدوا واجتهدوا وكونوا من الموت على

(١) فى الاصل: من عجب ولا يستقيم . (٢) فلقة يفلقه شقه كفلقه فانفلق وتفلق

وجل ، فان للموت غاد ورائح ، وماس وصابح ، وأنت يا أخى منه على يقين وتحقيق ، فلم تحد (١) عن منهاج الطريق ؟ ☆

نداء للميت

ذكر في بعض الاخبار أن الميت ينادى إذا وضع على المغتسل : أين لسانك الفصيح ما أسكتك ، أين صوتك الشجى ما أخرسك ، أين ريحك العطر ما أنتنك ، أين حركاتك ما أسكنك ، أين أموالك الكثيرة ما أفقرك ؟ الويل لك إن كنت عاصيا ، والبشرى لك إن كنت طائعا ، وتناديه الملائكة إذا وضع فى القبر ياعبد الله أنت تركت الدنيا أم الدنيا تركتك. أنت جمعت الدنيا أم الدنيا جمعتك ، أنت استعددت للمنية أم المنية عافصتك (٢) خلقت من التراب، وأعدت (٣) للتراب. وأنشدوا :

خلقت من التراب بغير ذنب ... وعدت إلى التراب ولى ذنوب
فمالى لا أجاهد فى خلاصى ... بعزم للمعاصي لا أتوب
ومالى أثقلت ظهرى ذنوب ... ومنها لا أمل ولا أنيب
ومالى لا أرق لسوء حالي ... ومن نفسى على غدا رقيب
ومالى مبعد مقصى طريد ... وفي كل القبائح لي ضروب
وكم بالبر تسويفى ومطلى ... ولا أدري متى تأتى شعوب
فيا من ليس لي رب سواه ... عليم بالذى أدعو مجيب
تجاوز يا إلهى عن ضعيف ... بغفران لعل عسي أتوب
وهب لى زلتي وعظيم جرمى ... فأنت الواحد الفرد القريب

عباد الله لاتغفلوا عن ذكر الموت،وتفكروا فيه قبل الفوت ، فوالله ما بين أحدكم وبين طول الاسف ، والندامة على ماقد سلف ، إلا أن تنزل به المنية ، غدوة أوعشية ، فعظ نفسك قبل حلول الرزية . وقيل فى قول الله تعالى (وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب) قيل الاجل القريب عند كشف الغطاء ، يقول العبد عند الموت ، يا ملك الموت أخرني يوما أعمل فيه صالحا لنفسى ، فيقول ملك

(١) تحد : تميل وتنحرف (٢) عفصه يعفصه قلعه ، وفلانا أثخنه في الجراح والصراع ، وعفص يده لواها (٣) أعدت من الاعادة الرجوع .

الموت : فنيت الايام فلا يوم ، فيقول أخرني ساعة ، فيقول فنيت الساعات فلاساعة ، فيقول اتركني أتكلم ، فيقول فرغ كلامك فلا كلام . فتبلغ الروح الحلقوم فيؤخذ بكظمه فتقطع الاوقات والاعمال ، ويبقي عدد الانفاس ليشهد فيها المعاينة عند كشف الغطاء فيحتد بصره ، فاذا كان فى آخر نفس زهقت نفسه فيدركه ماسبقت له من شقاوة أو سعادة *

سؤال الرجوع للدنيا

وقيل أول من يسأل الرجعة من لم يكن أدى زكاة ماله كقوله عز وجل (فأصدق وأكن من الصالحين) فالله الله بادروا قبل حلول الاجل ، وانقطاع الامل من صالح العمل ، وفراغ الانفاس، وورود الارماس (١) ولا ينفعك حبيب ولا حميم ، ولا ولد ولا والد رحيم ، قد أحاطت بك الخطوب ، وكثرت عليك الكروب وأخذ الوارث مالك ، ونكح العدو أو الصديق عيالك . وأنشدوا :

أرى الازواج تنكح إن هلكت ... ويقسم وارثى ما قد تركت
ولا يبقى الوداد بقلب خل ... اذا انقطع الرجا منى ومت
وينسانى الصديق فما يبالى ... أمر به ويعرض إن ذكرت
ويشمت بي رجال من سفاه ... وما قد كنت قط بهم شمت
ولست بحاصل الا علي ما ... من الاعمال فى الدنيا عملت
فياذا العرش عفوا عن ذنوبى ... وعن زللى وما كنت اجترمت
وشفع فى نبيك حين أدعى ... غداة العرض إن تفعل نجوت

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه عرض عليه ما يصيب أمته من بعده فما رؤى ضاحكا مستبشرا حتى قبضه الله تعالى *

٤٨٠٠٠ قبيلة

ذكر فى بعض الاخبار أن الله تعالى خلق فى الارض مما برأ وذرأ ثمانية وأربعين ألف قبيلة ، فجعل في البحر ثمانيـة آلاف قبيلة ، وجعل بين السموات والارض أربعين ألف قبيلة

(١) الارماس جمع رمس ، بمعني كتمان الخبر ، والدفن ، والقبر . وكذلك المرمس والراموس .

تحملها الريح ، ليس منها ذابة صغرت أو كبرت فى الارض أو بين السماء والارض إلا ومعها ملكان من قبل الله تعالى ؛ فلك يجىء لها رزقها باذن الله ويسوقها اليه ، وملك آخر يقودها باذن ربها إلى مستقرها ومتقلبها حتى الذرة والقملة والدودة والبعوضة والذبابة ، فاذا استوفت أثرها ورزقها وبلغ أجلها قبض ملك الموت روحها . فسبحان من له الملك والتدبير

عباد الله فالله الله لا تغفلوا عن طاعة مولاكم فان الموت يطلبكم بالليل والنهار ، والعشى والابكار ؛ فاجتهدوا فى الحسنات ، واجتنبوا فى ليلكم ونهاركم السيئات قبل نزول الموت والندم ، فالموت لا يترك ملكا ولا أميرا ، ولا حاجبا ولا وزيرا . وأنشدوا :

قد صرف البواب والحاجب وقهرمان (١) الدار والكاتب
وأصبح الصاحب من بينهم بحيث لا جار ولا صاحب
واعتاضت الناهد (٢) من بعده الفاسواه وكذا الكاعب (٣)
وجد فى تفريق مالم يزل يجمعه وارثه اللاعب
فكن من الدنيا على أهبة يا زاهدا فيها ويا راغب
فانها أم لابنائها منها عدو قاتل سالب

رحمة الله بالمسرفين

ذكر فى بعض الأخبار أنه مات رجل من أهل المدينة وكان مسرفا على نفسه فدعي لجنازته محمد بن المنكدر رحمه الله فأبى أن يحضر جنازته ، ثم حضرها فعوتب فى ذلك فقال : لقد استحيت من الله أن أري أن رحمته تضيق عليه ولا تسعه فصليت عليه . يامسكين مثلى اعلم أنه إذا نزل ملك الموت بالعبد المذنب فيرجع إلى مولاه بالذل والصغار . فنرجو إن شاء الله تعالى أن يعف عنه ويرحمه ويجعل الموت كفارة لذنوبه . وأنشدوا :

أفى كل يوم للمنية أقرب وكل الذى آتيه يحصى ويكتب
فياسوأتاقد آن وقت ترحلى وها أنا في الميدان ألهو وألعب
فان لم تجد بالعفو منك عن الذى جنتـه يدي إنى إذا لمخيب

(١) قهرمان الدار رئيسه وكبيره المتولى شأنه (٢ ، ٣) الناهد الذى برز نهدها من الفتيات ، والكاعب الذي استدار نهدها مثل الكعب ولم ينهد بعد . ويريد بهما زوجاته إذ يتزوجن غيره بعد موته .

ذكر أنه كان بالبصرة فتي وكان مسرفا على نفسه ماترك ذنباً إلا ارتكبه ، ولا شراً إلا اكتسبه ، فلما مرض لم يعده أحد من جيرانه فدعا بعضهم وقال : إنه قد نزل بي ماترى فاذا مت فادفنى فى زاوية من زوايا بيتى فقد أذيت جيرانى فى حياتي وما أحب أن أضر بالموتى بعد وفاتى . فرؤى بعد موته فى المنام فى حالة حسنة فقيل له مافعل الله بك ؟ فقال أوقفنى بين يديه وقال ياعبدي هجروك جيرانك حنقا عليك ، وضيقوا مسالك الرحمة بين يديك ، فوعزتى وجلالى وجودى ومجدى وارتفاعى فوق علو مكانى ماضاقت رحمتى عنك ، عبدى هذه خلع مغفرتى ومنازل جنتى وخاتم أماني وسجل إحسانى وأنا الغفور الرحيم *

حكاية عن الحسن

قال الحسن رحمه الله قد علم الله منا قبل أن يخلقنا أننا نذنب ونعصيه ولم يمنعه ذلك منا أن جعلنا مسلمين . فالله الله يا أهل الذنوب مثلي بادروا قبل نزول السكرات ، ووقوع الحسرات واجتهدوا فان الموت آت ، وكل آت فهو قريب . قدآن وكلما آن فقد حان . وأنشدوا :

أآمل أن أخلد والمنايا يثبن إلى من كل النواحى (١)
ولا أدرى إذا أمسيت حيا لعلى لا أعيش إلى الصباح

عباد الله أيامكم مراحل تقطعونها ، وساعاتكم مناهل تردونها ، والموت يطوف عليكم بالليل والنهار لايؤخر من فقدت ساعاته ، وفرغت أيامه وأوقاته *

حكاية عن بعض الصالحين

يحكى عن بعض السادة الأخيار أنه قال : خرجت يوما لزيارة القبور فاذا بقوم يحملون جنازة فتقدمت اليها وصليت بهم ثم شهدت دفنها فنعست نعسة فأتانى آت فقال لى : قد غفر الله لهذا الميت على ظلمة ذنوبه ، فانتبهت مرعوبا فأخبرت بذلك أم الميت فقالت : الحمد لله رب العالمين والله لقد كان مسرفا على نفسه ، فلما نزل به الموت بكى وقال لى ياأماه ضعى خدى فى الأرض والتراب ففعلت ذلك ، فقال ضعي قدمك على خدى وأدعى الله واستوهبينى منه فلعله يرحمنى واقلعى فص خاتمى وتصدق بثمنه فعسى الله يرحمنى . فقلت لها قد غفر الله له ورحمه ، ثم أخبرتها

(١) المنايا جمع منية كناية عن الموت ، ويثبن عليه أى يقفزن ويرتفعن اليه ، ويريد بذلك أنه يرى أسباب الموت تثب اليه من جميع الجهات فكيف يعتقد بالخلود فى الحياة

جلهني رأيت . فالله الله معشر المخلصين تضرعوا إلى ربكم قبل يوم موتكم فعساه أن يرحمكم ويتجاوز عن سيئاتكم . فذلك عليه يسير، وهو على كل شيء قدير . وأنشدوا:

رأيت المرء تأكله الليالى كأكل الارض ساقطة الحديد
ولاتجد المنية حين تأتى على نفس ابن آدم من مزيد
فلاتغفل-فديتك-عن منون تدور رحاه بالهول الشديد

فكأنكم بالأعمال قد انقضت ، وبالدنيا قد مضت ، فاستعدوا بدخائر الأعمال لما تلقوا من عظيم الأهوال ، وقد نودي فيكم بالتحويل ، وقد قرب منكم الرحيل *

شاب عاص غفر له

حكى عن بعض الخائفين أنه قال : كان فى جوارى شاب وكان يتشاغل بالبطالة والجهالة مارأيته صاحيا من السكر قط وعهدى به البارحة وقد رفع صوته (١) على أمه فى ساعتى هذه . فأخبرتنى أنه أصبح ميتا من غير علة ولامرض ، وسألتني فى كفنه فزجرتها وقلت الحمد لله الذى أراحنا منه ، فمضت مدحورة فرق لها قلبي وقلت إن الرحمة لاتضيق على المذنبين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فبعثت من ساعتى فى طلبها وعزيتها وصبرتها واشتريت لها كفنا وحضرت جنازته . فعرفنى بعض أصحابنا أنه رآه فى المنام وأنه سأله مافعل الله به ؟ فقال قدمت على الله تعالى وكنت قد دخلت قبل وفاتى الحمام ، فرأيت شخصا ميتا (٢) مقعدا، فتوليت غسله ونظافته وحمله إلى بيته فقال : غفر الله لك ذنوبك كلها فصادفت دعوته إجابة فغفر الله تعالى لى وأنا فى الجنة مع التعلق بالسنة (٣) غفر الله لنا أجمعين ، وأماتنا مسلمين ، وختم لنا بخواتم الصالحين ، إنه على ذلك قدير . وأنشدوا :

لاتأسفن على الدنيا وخليها فالموت لاشك يفنينا ويفنيها
واعمل لدار يكن رضوان خازنها والجار أحمد والرحمن عاليها
أرض لها ذهب والمسك طينتها والزعفران حشيش نابت فيها
أنهارها لبن محض ومن عسل والخمر يجري رحيقا فى مجاريها
والطير تجري على الاغصان عاكفة تسبح الله جهرا فى مغانيها

(١) كذا في الأصل صوته ولعله يريد سوطه أى ضربها (٢) كذا فى الاصل ميتا ولعلها زيادة من الكاتب (٣) كذا ولعله يريد مع العاملين بالسنة أو ماشابه ذلك .

أحمد دلالها والرب بائعها وجبريل ينادى فى نواحيها
من يشترى الدار في الفردوس يعمرها بركعة فى ظلام الليل يحييها
أين الملوك الذى عن حظها غفلت حتى سقاهم بكأس الموت ساقيها
أفنى القرون وأفنى كل ذى عمر كذلك الموت يفني كل من فيها
والموت أحدق بالدنيا وزخرفها والناس في غفلة عن ترك ما فيها
لو أنها عقلت ماذا يراد بها ماطاب عيش لها يوما ويلهيها
تلهو وتأمل آمالا تسر بها شريعة الموت (١) تطوينا وتطويها
والله لو قنعت نفس بما رزقت من المعيشة إلا كان يكفيها
والله والله أيمانا مكررة ثلاثة من يمين بعد ثانيها
لو أن فى صخرة صما ململمة (٢) فى البحر راسية ملس نواحيها
رزقا لعبد براه الله لانفلقت حتى تؤدى اليه كل ما فيها
أو كان تحت طباق السبع مسلكها لسهل الله فى المرقى مراقيها
حتى ينال الذى في اللوح خط له فان أتته وإلا سوف يأتيها
أموالنا لذوى الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها
تلك المنازل فى الآفاق خاوية أضحت خرابا وذاق الموت بانيها

عظة للاستعداد للموت

عباد الله قد آن وقت التحويل ، إلى الوقوف بين يدى الملك الجليل ، فانفاسكم معدودة عليكم ، وملك الموت قاصد اليكم ، يركبكم بكلكله ، ولابد لكم من منهله . يقطع آثاركم ، ويخرب دياركم . فرحم الله عبداً نظر لنفسه ، وقدم لغده من أمسه ، قبل حلوله فى رمسه . وعمل فى العمر اليسير ، لليوم العبوس القمطرير ، وسأل المغفرة من السميع البصير ، الذى هو على كل شيء قدير ، وهو مولانا ومولاكم ونعم المولى ونعم النصير .

---

(١) فى الاصل . سريعة المؤمن وهو خطأ (٢) ململمة وملمومة أى مستديرة صلبة . يعني لو قدر الله لانسان رزقا فى جوف صخرة فى البحر أو تحت طباق الارض لسهل له الحصول عليها حتى يأخذه ولكن لابد من السعى والطلب ابتغاء فضل الله

الموت ينتقى الخيار

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال . « إذا تقارب الزمان انتقي الموت خيار أمتي كما ينتقى أحدكم خيار الرطب من الطبق » فانا لله وإنا اليه راجعون الذى ذهب عنا الأخيار وبقينا فى غمار مع الأشرار فلا للموت نعمل قبل إتيانه ، ولا أحد منا يقطع عن عصيانه . ماهذه أفعال المؤمنين ، ولاهذه سيرة الموقنين ، قد أضلنا عدونا الشيطان اللعين ، وخدعنا بمكره وأغوانا أجمعين *

عمل الملكين

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا قبض الله روح عبده المؤمن صعد ملكاه إلى السماء فقالا ربنا وكلتنا بعبدك المؤمن فلان نكتب عمله وقد قبضته اليك فأذن لنا ان نصعد إلى السماء ، فيقول الله عز وجل سمائى مملوءة بملائكتي يسبحونى ، فيقولان فأذن لنا أن نسكن الارض ، فيقول عز وجل أرضى مملوءة من خلقى ، فيقولان ياربنا أين نكون ؟ فيقول عز وجل قوما عند قبر عبدى فسبحانى واحمداني وهللانى واكتبا ثواب ذلك لعبدى إلى يوم القيامة » فالحمد لله الذى جعلنا من أمة محمد المصطفي وحسبنا بهذا فضلا ، وكفى بكتاب مولانا لاموانتا الحسنات ، و يجعل الموت لهم كفارة لما سلف من السيئات . وانشدوا :

على كل حال (١) وشريكون ‏ فقد مات مثلك فى مثلها
فما لك تلعب بالترها ‏ ت وتخدع نفسك عن عقلها
من الرشد فى برها بالعقو ‏ ق وترضى بذلك من جهلها
وانت تخالف فيها العدو ‏ ل وتطوى لسانك عن عذلها
وسيف المنية قد سلها ‏ وانت تنام على قتلها (٢)
ودولة ذى العز مقطوعة ‏ وانت تغفل عن عذلها

إلى متي هذا الصدود ، عن طاعة الملك المعبود ، والغفلة عن بحر الموت المورود ، فارحموا انفسكم قبل التلف ، وابكوا عليها قبل الأسف ، فان السفر بعيد ، وهول المطالع فظيع شديد ،

(١) كذا في الاصل ، ولعلها . على كل خير وشر يكون (٢) في الاصل ، وانت ترقد على قتلها ولا يستقيم وكذا البيت الذى بعده

والزاد قليل ، والهم والحزن طويل ، وبعد ذلك اليوم العبوس الثقيل . ياأخي لكل حي قوت وانت يامسكين قوت الموت ، فاعمل للموت قبل الفوت . وأنشدوا :

أراني فى انتقاص كل يوم ولايبقي على النقصان شى
طوى العصران مانشراه منى فأتلف جثتى نشر وطى (١)
فان أك قد فنيت ومات بعضى فان الحرص باق فى حى
وطير الموت حائمة لقتلى مدلاة على وفى عي

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أكثر الفكرة فى الموت هون الله عليه سكراته ، وجعله منه على حذر ، ومن غفل عن ذكره يوشك أن يأتيه فجأة على غير أهبة ولااستعداد » فالله الله قد انصرمت عنكم أعماركم وأنتم لاتشعرون ، فان اتبعتم هموم الدنيا حتى تفرغ فانها لاتفرغ أبدا ولو عشتم إلى أن تنقرض الدنيا . فتفرغ يامسكين فى اليسير من الايام ، ودارك أمرك مع مولاك قبل نزول الحمام .

المبادرة بالتوبة

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أيها الناس بادروا بالتوبة قبل أن تموتوا ، وبادروا بالاعمال الزاكية قبل أن تشغلوا ، وصلوا الذي بينكم وبينه بكثرة ذكركم إياه » (٢)

السنى والزنديق

ذكر فى بعض الحكايات أن رجلا من أهل السنة لقى رجلا زنديقا قد نحل جسمه وتغير لونه وأذابه الخوف ، وكان السنى قويا سمينا ، فقال له الزنديق . ياهذا صف لى بعض ماتعتقده ؟ فقال : اعتقد الموت وغصصه ، وسكراته وأهواله . فلما سمع الزنديق مقالته صاح صيحة عظيمة ثم وقع على وجهه مغشيا عليه فمكث ماشاء الله ثم أفاق فقال له زدنى ، فقال ثم من بعد الموت القبر وظلمته ، واللحد وضجعته ، ومنكرا ونكيرا ؟ قال ومامنكر ونكير ؟ فقال ملكان أسودان أزرقان يطآن فى شعورهما ، ويحفران الأرض بأنيابهما ، وبيد كل ملك

---

(١) كذا فى الاصل جثتى ولعلها محرفة عن صحتى او ما يشبهها (٢) لان من اشتغل بذكر الموت عمل له واستعد للقائه وأيقن أنه لابد ملاقيه ، واما من نسيه فانه يتمادي فى غيه ويسمد فى جهله ولايبالى بملاقاته فلا يعمل الصالحات ولا يخشى الموبقات فيهلك .

منهما عمود من حديد جهنم لوضرب به جبال الدنيا لقلعها من أصولها يسألان العبد في قبره ، قال وثم مابعد ذلك ؟ قال هول البعث والنشور والحساب والميزان والصراط ، قال وما الصراط ؟ قال هو جسر منصوب على جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف وأحر من الجمر عليه حسك وكلاليب قد تعلق بكل كلوب عدد نجوم السماء من الزبانية ، لو أذن الله لواحد منهم أن يخرج إلي الدنيا لأحرق بحارها وجبالها وإنسها وجنها وهوامها ودوابها من حر نفسه ، قال له وما الزبانية وما جهنم ؟ قال الزبانية خلقوا من النار هم ملائكة العذاب ، وجهنم دار العذاب أوقد عليها النار اربعة آلآف سنة ، السنة أربعة آلاف شهر ، الشهر أربعة آلآف يوم ، اليوم أربعة آلآف ساعة ، الساعة أربعة آلآف نظرة ، النظرة الواحدة مقدار سبعمائة الف سنة من سنين الدنيا . وهي سوداء مظلمة من دخلها طال بلاؤه وحزنه . قال له الزنديق : لقد عجبت من قلة عقلك ، هذا كله تعتقده وأنت سمين !! فوالله ما أصدق أنا بشيء من هذا الذي ذكرته إلا بالموت وحده وقد أطال(١) حزني وذاب جسمي ، وإنما أنت من عدد الانعام التي لا تعقل فالله الله إخواني اشكروا الله على مابه أنعم عليكم من جزيل نعمه إذ بعث إلي جميع خلقه محمد صلى الله عليه وسلم ، أخرجكم به من الضلالة ، وأيقظكم به من سكرة الجهالة ثم أتحفكم بطيبات رزقه ، وفضلكم على كثير من خلقه ، فلا تستعينوا بنعمه على معاصيه فان الموت لابد منه وقد وعظكم الله .

وقال رسول الله صلى الله عيله وسلم : « كفى بالموت واعظا » فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليجعل الموت نصب عينيه ، فانه لايدري متى يقدم عليه . وأنشدوا :

وللموت سلطان عليك مسلط إذا حم لم يصرف بنهى ولا أمر
ودارك إما شقوة أو سعادة وما لك من باب اليها سوى القبر(٢)
كفى عظة بالموت ان ركابه على سفر يهوي إلى حيث لايدرى

رفق ملك الموت بالمؤمن

روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا عند مريض فرأي ملك الموت عند رأسه فقال له «ياملك الموت ارفق بصاحبي» فقال له يا محمد أنا بكل مؤمن رفيق . فالله الله لاتغفلوا

(١) فى الاصل : وقد أبان حزني ولعلها محرفة (٢) وقد سبق أن ذكر المؤلف رحمه الله
القبر باب وكل الناس داخله فليت شعري بعد الباب ما الدار

عمن ليس يغفل عنكم ولاتنسوا الموت فانه لاينساكم ،وفقنا الله وإياكم لحسن العمل والفعال وهذانا وإياكم لصالح الاعمال ، إنه الجواد الكريم المفضال

- ١٣ - ﴿ مجلس فى ذكر القبور ﴾

قال الله سبحانه وتعالى (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) السورة مكية، التكاثر يعني فى الدنيا*

روت زينب بنت جحش عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال . « إذا قرأ قارىء الهاكم التكاثر يدعى فى ملكوت السموات والارض بمؤدى الشكر لله» *

حكاية فى الخوف من الله

روي عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال كان رجل باليمن يقال له يعلى وكان مشركا ليس له من الدنيا إلا قطيفة توارى عورته ، ويأوى بالنهار إلى ظل شجرة ، وبالليل إلى جحر كجحر الكلب، فسمع بخروج النبى صلى الله عليه وسلم فأقبل إلى النبى صلى الله عليه وسلم وكان شابا ، ترفعه أرض وتضعه أخري حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وقعد مع أهل الصفة (١) يطعم القبضة من العجوة والكسرة من خبز الشعير، وكان لايفارق مجالس النبى صلى الله عليه وسلم حتي تعلم أربع سور من القرآن فسمع النبي صلي الله عليه وسلم يقول «لافاقة بعد القرآن ، ولاغني بعد النار »فقال يارسول الله زوجنى؟ ، قال «أعندك مال!!» قال عندى أربع سور من القرآن ، ومن كان عنده الوحي وكلام الله فهو غني، قال النبي صلى الله عليه وسلم « صدقت فانطلق الى بني سلمة — حى من الانصار — واستخر الله فأول جارية تستقبلك فهى زوجتك فانطلق الشاب لايدرى الى أين يتوجه فاستقبلته جارية جميلة ، فقال ياجارية أى حي هذا ؟ قالت بنو سلمة ، قال الشاب الله أكبر أنت امرأتى تعالى ، قالت ماأسفهك ! قال لست بسفيه ولكن أمرنى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت الجارية إن كان أمرك بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعا وطاعة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولكن حتى

---

(١) أهل الصفة هم قوم من الصحابة الكرام ليس لهم منازل فى المدينة وكانوا يلازمون المسجد وكانت لهم صفة يجلسون عليها فنسبوا اليها ، منهم أبو هريرة وأبو ذر وأبو الدرداء وغيرهم كثيرون . وقد ترجمهم أبونعيم فى الحلية ترجمة وافية

أسمع منه،فانطلق الشاب والجارية ليأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فاذا أبوها وأخوها فقالا أين تذهبين ؟ فقالت إن الشاب تعلق بي وزعم أني امرأته فانكرت ذلك عليه فقال كذا أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنا معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع منه، فقالا سمعا وطاعة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فانطلقوا جميعا حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتكلم والدها فقال : يارسول الله زعم هذا الشاب الغريب أنك أمرته بما صنع بابنتي؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم « نعم فزوجه ابنتك على اسم الله وبركته » قال قد فعلت ، فزوجه الشيخ ابنته وأشهد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «يامعشر المسلمين أعينوا أخاكم » فجمعوا له أربعة أواق فضة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لك أوقيتان ولزوجتك أوقيتان » فقال يارسول الله قد جعلت أوقيتي لها أيضاً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ والدها « جهزوا هذه الجارية للشاب من يومه هذا » قال الشيخ سمعا وطاعة لله عز وجل ولرسوله ، فجاء الشاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره أن ينصرف الى اهله ، فجاء الى منزله فدخل إلى فراش مفروش ، والى بساط ممدود ، والى زوجة جالسة ، والى سراج يزهر ، والى طعام قد هيء له ، فلما نظر الى ذلك بادر الى مكان فى مجلسه فصلى فيه ركعتين شكراً لله عز وجل لما رأى ، ثم قام وصلى ركعتين ثم رفع رأسه الى السماء فحمد الله وأثني عليه وشكر نعمته ، ثم جعل يقوم فى خلال ذلك فيصلى ركعتين ثم يقوم الى مثل حاله من الثناء فالشكر لله عز وجل لما رأى ، فلم يزل كذلك حتى أصبح ، ثم غدا الى المسجد فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغداة والظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ثم رجع الى منزله ، فلما عاين اهله وما هيء له بادر الى مسجده فصلى مثل صلاته فى الليلة الأولى وجعل يحمد الله عز وجل ويشكره بين كل ركعتين حتى أصبح فغدا الى المسجد فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل مثل ذلك حتى تمت له ثلاث ليال (١) فجاء الشيخ فى اليوم الرابع فدخل على ابنته فسألها عن زوجها وحالها معه ! فقالت لاادري ما زوجى مايعرف غير الصلاة وهو الليل كله يحمد الله ويثنى عليه ويصلى ، فجاء الشيخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما منعك من أهلك ! » فقال

(١) لقد اشرق عليه نور النبوة ونفحات الايمان فصادف ذلك مرعى خصبا وقلبا منيرا فنقله من ظلمات الشرك والضلال الى نور الهدى والجلال فتجرد عن جميع ماعداه رحمه الله

يارسول الله تذكرت شأني وكنت مشركا باليمن لم يكن لى مأوى الاجحر كجحر الكلب آوى اليه الليل والنهار انبع ظلال الشجر والحيطان حين أخرج من جحرى فهدانى الله للاسلام وعلمنى أربع سور من القرآن فشرح الله صدرى بها ونور بها قلبى ، فلما زوجتنى هذه الجارية نظرت إلى فراشها وإلى حسنها وجمالها ولم أر فراشا قط منذ كنت ، ونظرت إلى سراج يزهر ولم يكن لى سراج قط ، ونظرت إلى هذه الحالة فتدبرت إحدي سورى الاربع فزهدنى الله فيها وما عندها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « وأى سورة هى ؟ » قال (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف) ثم بكى وبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فلما هدؤوا قال الشاب : يارسول الله خصنى منك بدعوة ، فقال « اللهم اغفرله الكثير ، واشكره على اليسير ، واغنه برحمتك » فلم تأت عليه جمعة حتى قيل للنبى صلى الله عليه وسلم إن الشاب قد مات ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « لا إله الا الله اذا فرغتم من غسله أخبرونى » فاخبروه صلى الله عليه وسلم فقال « هنيئا لك الجنة » ثم سأل زوجته هل نال منها شيئا ، قالت : لا والذى بعثك بالحق نبيا ما نال منى شيئا *

حكايات عن الصالحين فى الخشية من الله

قال ميمون بن مهران : دخلت على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو يقرأ (الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) فقال : إنما يزورون المقابر بالموت ، ولا بد لكل زائر أن يعود لوطنه من جنة أو نار *

وقال زر بن حبيش عن على رضى الله عنه قال كنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت (ألهاكم التكاثر) يقول شغلكم التكاثر بالاموال والاولاد عن ذكر الله وطاعته ، واللهو ما شغل ، واللهو ماشغل . وأكثر مايقال فى البطالة (حتى زرتم المقابر) بيوتكم . ويقال إن حيين من قريش تفاخرا وتعاددا بالاموات كان منا فلان وكان منا فلان (كلا سوف تعلمون) يقول سوف تعلمون اذا متم (ثم كلا) يقول ثم كلا سوف تعلمون فى قبوركم وهو وعيد بعد وعيد فمعنى الاول غير معنى الثانى وليس ذلك بتكرير . قال الفراء : والكلمة قد تكررها العرب على التغليظ والتخويف . فهذا من ذلك . ثم قال (كلا) أى كلا لا يؤمنون بالوعيد ، ثم استأنفه وقال (لو تعلمون علم اليقين) يقول محض اليقين ، وهو الذى لا شك أعلمكم أنكم سترون الجحيم فى الآخرة كقوله (وبرزت الجحيم لمن يرى) فالتكرار فى قوله تعالى (لترون الجحيم)

فى القيامة إذا برزت (ثم لترونها عين اليقين) إذا دخلتموها . قال الفراء : هذا تكرار التغليظ ويقال (لترون الجحيم) أى لترونها رؤية علم (ثم لترونها عين اليقين) بالمشاهدة (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) يسألون عن شكر ما كانوا فيه من النعم والحياة والنعيم ، فزعم قوم أن الآية فى الكفار ، وقال آخرون بل هى على العموم فى المؤمنين *

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ، الصحة والفراغ » *

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له : ألم أصح جسمك وأروك من الماء البارد» ؟!

وعن محمود بن لبيد قال . لما نزلت (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى نعيم !! وإنما هما الاسودان التمر والماء وسيوفنا على عواتقنا . قال « أما إنه سيكون » ابن مسعود وقتادة وسعيد قالوا : الامن والصحة . مجاهد قال : الخبز والماء والملح . ابراهيم النخعى : من سمى الله تعالى على الطعام حين يأكل ، ويحمد الله حين يفرغ فقد أدى شكره . الحسن قال : كانوا يعدون من النعيم فى الدنيا أن يتغدى الرجل ويتعشى. على رضى الله عنه : النعيم الرطب والماء البارد . أبو أمامة قال : النعيم خبز البر والماء العذب وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « طيب النفس من النعيم » أبو الدرداء رضى الله عنه قال : النعيم الشعير والماء العذب . محمد بن على (١) قال : النعيم العافية . وقال أبو عسيب مولي رسول الله صلى الله عليه وسلم : مر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فدعانى فخرجت اليه ، ثم مر بأبى بكر فدعاه فخرج اليه ، ثم مر بعمر رضى الله عنه فدعاه فخرج اليه ، ثم انطلق بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل حائطا (٢) لبعض الانصار فقال لصاحبه أطعمنا بسرا (٣) فجاء بعذق (٤) فوضعه فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثم دعا بماء

---

(١) هو محمد بن على بن أبى طالب المشهور بابن الحنفية نسبة لامه وكانت من بنى حنيفة رضى الله عنه . كان مشهورا بحبه لاخويه الحسن والحسين رضى الله عنهما وقد أوصاه أبوه عند وفاته ببرهما وحبهما والرعاية لحقهما لعظيم فضلهما (٢) الحائط هنا هو سور يصنع على الكرم والنخل والحدائق . (٣) البسر اوله طلع ثم خلال ثم بسر ثم رطب ثم تمر . والواحدة بسرة (٤) العذق المعروف بالسباطة . أو هو النخلة نفسها .

بارد فشرب وشربوا ثم قال « لتسألن عن هـذا يوم القيامة » فأخذ عمر العذق وضرب به الارض حتى تنـاثر البسر ، وقال يارسول الله إنا لمسئولون عن هـذا يوم القيامة؟ قال « نعم الا كسرة تسد بها جوعتك ، وخرقة تلف بها عورتك ، وجحر تدخل فيه من القر والحر ». على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال : النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم ، وهوقوله تعالى (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) قال الله تعالى (ألهاكم التكاثر) قيل معناها ألهاكم التكاثر فى الدنيا بجمع الحطام ، واكتساب الآثام ، والتمادى فى الاجرام . وأنشدوا :

أرضيت دارا لا بقاء لهـا تعد الشرور و تنصب الفتنا
ما يستقيم سرور صاحبها حتى يعود سروره حزنا
عجبا لهـا لا بل لموطنها الـ مغرور حين يعدها وطنا
فالحمـد لله اللطيف بنا ستر القبيح وأظهر الحسنا
ما تنقضى عنا له منن حتى يجـدد بعدها مننا

يا أخى اشتغلت باللذات ، وافنيت عمرك بالترهات ، وعصيت إله الارض والسموات ونسيت بيوت الوحشة والحيرات . فياله من بيت ما أظلمه ، ومن صـندوق ما أغمه . منزل الوحشة ، و بيت الغمة والوحدة . وأنشدوا :

وربما عوقص (١) ذو صحة أصح ما كان ولم يسقم
يا واضـعا للميت فى قبره خاطبك القبر ولم تفهم

حتى زرتم المقابر بيوت الوحشة ، ومنـازل الضيق والغمة فى ضـيق وكربات ، وغم وحسرات ، وأهوال متقطعات . من ظلمات القبور ، وسؤال منكر ونكير ، والخلود فى البرزخ إلى يوم النشور ، فانظر لنفسك أيها المغرور ، فان القبر له شأن يتلوه شئون . وأنشدوا :

لا تغرنك الحياة (٢) وقدم واحذر القبر إن للقبر شانا
إن فيه لما يحاذر ذو اللـ ـب اذا كان ذا تقى ومعانا

---

(١) عوقص بمعنى لواه الموت وشده وجذبه . (٢) فى الاصل : لا تغرنك الحياة الدنية ولا يستقيم .وذو اللب أى ذو العقل وقيل اللب القلب .

إنى موقن بما في كتابى عاجلا تسونى الاكفانا
فاذا ماوضعت فى ظلمة اللحد وبدلت من مكان مكانا
واذا لم يدركنى ربى بعفو ألق فى القبر ذلة وهوانا

صفة القبر

روي عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « القبر روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار ، ألا وانه ليتكلم فى كل يوم ثلاث مرات فيقول أنا بيت الظلمة ، أنا بيت الوحشة ، أنا بيت الدود » الله الله يا اخوانى اعملوا لهذا الضيق ، وجدوا فى العمل باجتهاد وتحقيق . وأنشدوا :

كأنى باخوانى على حافة القبر يهيلونه (١) فوقى وأدمعهم تجرى
عفى الله عني حين أترك ثاويا أزار فلا أدرى وأجفى فلا أدرى

فانتبهوا عباد الله من نومة الغفلة ، واعملوا ليوم النقلة ، واستعدوا لظلمة القبر مادمتم فى فسحة ومهلة ، ولا تقطعوا أيامكم بالمحال ، وجنبوا أعماركم سوء الفعال ، فان الموت نازل بكم ، والقبر أمامكم . وأنشدوا :

إني أبثك من حديثى والحديث له شجون
ضيعت موضع مضجعي وقتا ففارقني السكون
قل لى فأول ليلة فى القبر كيف ترى أكون؟!

أشد ما على الميت

قيل إنه لا يأتى على الميت فى قبره أشد وأصعب من أول ليلة يبيت فيه ، فمن تفقد ميته فى أول ليلة بشىء من الصدقة ، والا فليصل ركعتين وليهد ثوابهما لميته يرفع الله تعالى عن ميته مايجد من الغم والوحشة ، ويكتب الله للمصلين عبادة ستين سنة بقيامها وصيامها . وأنشدوا :

بالله يا عين نوحى وابكى على ونولحى
غداً أو بعد قبري غدا أزور ضريحى
غدا نزوح الاحبة وتمنعى أن تروحى

(١) هال الدقيق فى الجراب صبه ، وهال التراب فى القبر أرسله إرسالا ، وأهال لغة فيه.

ذكر أن الميت إذا وضع فى قبره وقال ولى الميت : انصرفوا آجركم الله يقول الميت - إن كان من أهل الشقاء - يا ليتني مع من انصرف لعظم ما يعاين من هول المطلع . يا أحبابى فاذا كان لاحدكم بيت ولم يبسط فيه علي مايجلس جلس على التراب والارض ، كذلك من لم يقدم لقبره عملا صالحا لنفسه بقي مستوحشا وحيدا فريدا فى رمسه . وأنشدوا :

أنا فى القـبر رهين   قد تبرا الاهل منى
أسلموني بذنوبى   خبت ؍إن لم يعف عنى
فارحم اليوم مشيبى   وارحم اللهم سـني
وارحم اللهم ضعفى   لا يخيب اليوم ٢ ظنى

عظة للنبى صلى الله عليه وسلم

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعظنا أحيانا فيقول « تجهزوا لقبوركم فان القبر ينادى كل يوم سبع مرات فيقول يا ابن آدم الضعيف ارحم نفسك فى حياتك قبل أن تلقانى ، فانك اذا لقيتنى وكنت عاملا بطاعة مولاك رحمتك ورأيت منى السرور ، وإن لم ترحم نفسك لم أرحمك ، أنا بيت الدود مع الندامة الطويلة ، وأنا بيت الوحشة مع الجوع الشديد والشدة ، أنا بيت العطش مع الظلمة ، أنا بيت الضيق مع العقارب يا ابن آدم إياك أن تغرك الحياة الدنيا فان ممرك على وأنا أول منازلك إلى الآخرة ، فان نجوت منى نجوت من كل شدة تتخوف منها ، يا ابن آدم أنا بيت الغضب لا أرحم شاب لشبابه ، ولا صغيرا لصغره ، ولا كهلا ولا شيخاً لكبره ، ولا أرحم إلا من رحم نفسه . وأنشدوا :

عجبت لمن يتم له السرور   بدار كل ما فيها غرور
وكيف يلذ ساكنها بعيش   ويعلم أن مسكنه القبور

يا ابن آدم لقد خلقت لامر عظيم لو كنت تعقل لظهر قنوعك ، ولبان خشوعك ، وثارت دموعك ، خوفا من القبر ووحشته ، ومن اللحد وضغطته ، ومن هول المطلع وروعته . فامهد (٣) لنفسك يامسكين بينما أنت حى وبينما يقبل منك (كل) شىء قبل طى الكتاب ، وغلق

(١) فى الاصل : حيث ان لم يعفوا عنى ، ولا معنى لها (٢) فى الاصل : لا تجيب اللهم ظنى وهو تحريف . (٣) كذا وردت فى الاصل أمهد، وصحتها مهد لنفسك : وتمهيد الامور تسويتها واصلاحها .

الباب ، ونزول الحجاب ، والرحيل إلى التراب . وأنشدوا:

لا تأمنن وإن أمسيت فى حرم إن المنايا تفاجى كل انسان
واسلك طريقك واثبت غير منحرف حتى تلاقى الجزا من عند رحمن
فكل خل وإن أشفقت تتركه وكل مال وإن أكثرته فان
والخير والشر مقرونان فى قرن بكل ذلك يأتيك الجديدان

ففكروا رحمكم الله في احبابكم وجيرانكم واصحابكم واخوانكم وآبائكم وامهاتكم وأخواتكم والأباعد والأقارب ، وذوي المودة والاجانب . قد استوحشت من أنفسكم لديار ، وانقطعت بينهم الآثار ، وبقوا رهنا في الاجداث (١) بالأوزار . قدهجرهم الحبيب وسلا عنهم القريب ، قد ضيقت عليهم اللحود ، وسالت عيونهم على الخدود ، وتمزقت عنهم الجلود ، ودبت فى اجسادهم الهوام والدود ، وبقيت ارواحهم فى البرزخ (٢) الى اليوم الهائل الموعود . لم ينفعهم ما جمعوا ، ولا حصنهم مابنوا وشيدوا ، ولا منعهم كلما صنعوا . صارت القبور لهم قراراً وفرت الاحباب عنهم فراراً . فانتبهوا يامعشر الاخوان ، واجتهدوا فى طاعة الرحمن من قبل مفارقة الاحباب والاوطان . وأنشدوا :

هى الاحداث تطرق أو تعاد وكل للمنية فى مهاد
وما يبقى الحمام إذا يوافى شديد البطش جبار القياد
فكم أسرى الى ليث هصور وجبار من الاجناد عاد
فقل لاخي السلامة عش مليا فان الكون داعية الفساد
وكن فى العمر لقمان بن عاد وهاك حمام لقمان بن عاد
فان المرء فى أيدي المنايا أسير ماله منهن فاد

العبرة بالقبور

يا أخى اذا أردت أن تدرى كيف حالك من بعدك فاخرج الى القبور وانظرها وقد عفت ، ومثل قبرك بين القبور ثم انظر ماذا تحتاج اليه فى قبرك فأكثر منه لطول مدتك فيه وهو

(١) الجدث: القبر وجمعه أجدث واجداث (٢) البرزخ: الحاجز بين الشيئين ، وهو ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت الى البعث ، فمن مات فقد دخل البرزخ .

العمل الصالح ، فاما ماسوى ذلك فما لك حاجة فى شىء من امور الدنيا فانه يصير عليك وبالا فى قبرك وحسرة ، وانظر حالك الذي انت عليه إن كان يصلح للموت والقبر فتمادى عليه ، وإن كان لايصلح لهذين فتب الى الله تعالى منها وأرجع الى مايصلح . وأنشدوا .

كم تناسى القبور يامغرور　　حفر مابها لعاص سرور
وتعامى عنها وأنت تراها　　ورحاها على الانام تدور
فاتقوا الله حق تقواه واحذر　　كل هول يخافه المقبور
ودع اللهو والبطالة واعمل　　للتى عاجلا اليها تصير
تلك دار البقا فكل تقى　　فى رباها مكرم محبور
ولعاص مصر ان لم تنله　　رحمة الله مبعد مثبور (١)

دعاء لأهل القبور

كان بعض الخائفين اذا خرج الى القبور لاترقأ (٢) دمعته ولايأكل ولا يشرب ثلاثة أيام ويقول . ترى ياأحبابي ما لقيتم فى بيوت الحسرات ، آنس الله غربتكم ، ورحم الله وحشتكم وبرد الله مضاجعكم ، وهون ماقدر عليكم مولاكم انه سميع قريب نعم المولى ونعم النصير . ثم ياخذ فى البكاء والنحيب . فالله الله ابكوا قبل أيام البكا ، واندبوا قبل يوم الاسى . وأنشدوا .

لاه بدنياه والايام تنعاه　　والقبر غايته واللحد مأواه
يلهو ولوكان يدرى ما أعدله　　اذا لاحزنه ماكان ألهاه
اوماجنت يده لوقد تعرفه　　ويلاه مما جنت كفاه ويلاه

اعلموا عباد الله أن القبور على الاموات توابيت مقفولة ، والاعمال فى أعناقهم قلائد مجعولة وأرواحهم بالغداة والعشي الى الجنة أو النار محمولة . وأنشدوا .

ياأيها الرجل المزخرف قبره　　ولعله فى جوفه مغلول
ياايها الرجل المقيم بمنزل　　فيه الحوادث ماأقام نزول
الا يغرك ملكه ونعيمه　　فالملك يفني والنعيم يزول
واذا حملت الى القبور جنازة　　فاعلم بأنك بعدها محمول (٣)

---

(١) الثبور الهلاك والخسران ، والمثبور الخاسر الهالك . (٢) رقأ الدمع سكن (٣) وفى ذلك المعنى قال الشاعر : كل ابن انثى وإن طالت سلامته　　لابد يوما على الاعناق محمول

ياإخواننا مضى الاخوان ونحن على آثارهم فانا لله وانا اليه راجعون ، قد عميت أبصارنا عن حقائق الامور ، وغفلنا عن الحمام ونسينا القبور *

حكاية عن الأصمعى

يحكى عن الاصمعى رضى الله عنه انه قال : مررت باعرابي وهو واقف على مقبرة فقلت له ياأخا العرب ماهذا الموضع الذى انت فيه ؟ فقال :

هذى منازل أقوام عهدتهم   فى رغد عيش نفيس ماله خطر
صاحت بهم نائبات الدهر فانقلبوا   إلى القبور فلا عين ولا أثر

عباد الله من كان مصيره إلى القبر ماللفرح اليه سبيل ، والقبر ينادية كل يوم يقول له لابد لك منى فماذا قدمت لى من عمل صالح ؟ وأنشدوا :

أجار الدهر ليس له جوار   وحسن الظن بالدنيا اغترار
إذا مارمت يوما كان يوما   ونقص البدر غايته السرار
ودع حرص الجبان على حياة   وأجمل إن عمرك مستعار
وذو الآمال منها فى غمار   وعند الموت ينكشف الغمار
ويرجو المرء أن يبقى سليما   ويأبى الليل ذلك والنهار
وهل تخطي المنية نفس حى   وهاديها رواح وابتكار

حكاية عن الحسين

قيل كان الحسين رضى الله عنه إذا رأى القبور قال : ماأحسن ظواهرها وإنما الدواهي فى بطونها . فالله الله عباد الله لاتشتغلوا بالدنيا فان القبر بيت العمل ، فاعملوا ولا تغفلوا وأنشدوا :

يامن بدنياه اشتغل   وغره طول الأمل
الموت يأتى بغتة   والقبر صندوق العمل

أخى ، لورأيت الميت فى قبره بعد ثلاثة أيام لاستوحشت من فقده (١) بعد طول الانس بناحيته ، ولو رأيت (كيف) تجول فيه الهوام ويجرى فيه الصديد وتخرقه الديدان مع تغير

(١) كذا بالاصل ولعلها تحريف عن هيأته أوما يشبهها .

الريح وبلاء الاكفان بعد حسن الهيأة وطيب الريح ونقاء الثوب . وأنشدوا :

باتوا على قلل الاجبال (١) تحرسهم غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا من أعالى عز معقلهم واسكنوا حفرا يابئس ماسكنوا (٢)
ناداهم صارخ من بعد مادفنوا أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التى كانت محجبة من دونها تضرب الاستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ماأكلوا دهرا وما نعموا فأصبحوا بعد طول الاكل قد أكلوا

فيا معشر الشباب ، تأهبوا الغدو الى التراب ، فانّ الشيخ يكفيه مصيبة الشيب فانه يمهد للقبر . وأنشدوا :

ما للشيوخ وللغدو والى الملاهى والبكور (٣)
وهم غـــدا أوقبله أو بعده حشو القبور

نداء القبر لساكنيه

عبادالله ، مامن أحد لامؤمن ولافاجر الا وقبره يناديه بكرة وعشية إما بالبشرى والسرور وإما بالويل والثبور ، فمن فكر فيه وفى وحشته ، وضيقه وغمته ، كان عليه أوسع من الدنيا وأفرج منها ، وأبد له الله خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله ، وجعل القبر خيرا من داره . فأكثروا ذكره فى الآناء والاوقات ، وأطيعوا جبار الارضين والسموات ، عساه يجعله لكم روضة من رياض الجنات ، ويقيكم فيه الذل والحسرات . وأنشدوا :

قف بالمقابر واذكر إن وقفت بها لله درك ماذا تستر الحفر
ففيهم لك يامغرور موعظة وفيهم لك يامغرور معتبر
كانوا ملوكا تواريهم قصورهم دهرا فوارتهم من بعدها الحفر
الدود يأكل أقواما منعمة نعم ومن دونها الالواح والمدر
أعن رضاه ذاك عنهم أم على سخط هيهات ضلت وحارت فيهم الفكر

---

(١) قلل الجبال أعلاها وأرفع نقطة فيها . (٢) كذا بالاصل ولعلها مانزلوا لان الروى على حرف اللام لا النون .
(٣) أى ما للشيوخ واللهو يغدون اليه ويبكرون أي في البكور وهم قد أخذ الدهر من قوتهم وأفنى أعمارهم وأذهب رواءهم وهم عن قليل سيكونون حشوا للقبور .

بكر بن حماد

يحكى عن بكر بن حماد رحمه الله أنه خرج يوما الى القبور وجعل ينظر الى امتداد القبور ويفكر فى الاحباب والاخوان ، والاصحاب والجيران . ثم بكى حتي طال بكاؤه وبلت دموعه لحيته ثم جعل يقول :

زرنا منازل قوم لايزوروننا ... إنا لفى غفلة عما يقاسونا
لو ينطقون لقالوا الجد ويحكم ... جدوا الرحيل فقد آوي المقيمونا
الموت أحدق بالدنيا وعزتها ... وفعلنا فعل قوم لايموتونا
فابكوا كثيرا فقد حق البكاء لكم ... فالحاملون لعرش الله باكونا

فالله الله جدوا فى العمل فان القبر أمامكم ، والموت يطلبكم يفرق ماجمعتم ويخرب ماقدبنيتم ويقطع الانفاس ، وينقلكم إلى ضيق اللحود والأرماس ، فمن قدم الى القبر عملا صالحا وجده روضة من رياض الجنان ، ومن لم يكن له عملا وجده حفرة من حفر النيران ، فاستعدوا له يامعشر الاصحاب والاخوان *

روى عن محمد بن السماك رحمه الله أنه قال : مررت بالمقابر فاذا مكتوب على قبر :

تمر أقاربى جنبات قبري ... كأن أقاربي لم يعرفونى
وذو الميراث يقتسمون مالى ... وما يألون (١) إن جحدوا ديونى
وقد اخذوا سهامهم وراحوا ... فيا لله أسرع ماانسونى ، !

عباد الله أفيقوا من سكرتكم من دار الغرور ، وطاعة الشيطان المثبور ، واعملوا لضيق اللحود والقبور .

حكاية عن أحمد بن أبى الحوارى

حكى عن احمد بن أبى الحوارى رحمه الله انه قال : خرجت يوما للقبور فذكرت الموت فى نفسي والبلاء فرأيت شابا بين القبور قد استفرغه الخوف والبكاء وهو بين القبور منصرف فقلت له من أين أقبلت أيها الفتى ، فقال من هذا المبرز (٢) ، قلت وأى شىء قلت لهم ،

(١) آلى إيلاء حلف والالية اليمين ، وهي هنا بمعنى قصر (٢) المبرز بوزن المذهب المتوضا اي المكان الذى يتبرزون فيه .

قال : قلت لهم متى ترحلون ؟ ، فقالوا حين تقدمون! . ثم ولي عنى وهو يبكى فتبعتـه فقلت له أين تريد ؟ فقال ألتمس العيش ، فقلت له كيف تلتمس العيش بين القبور ! ، فقال وأى شيء هو العيش عندكم ؟ قلت المال والبنون وأشباه ذلك من اللذات بالنساء والصبيان ، فولى عني وهو يقول : أف لعيش يعقب أحزانا ، وندامة وأشجانا . فقلت وأى شيء هو العيش عندكم؟ قال إنما العيش عندنا هو الاقرار بتوحيد الله ، والوقوف بفناء الله ، والخضوع بين يدى الله والتلذذ بحلاوة مناجاة الله ، فهناك تزدحم عليك أعلام الفوائد من الله تعالى وجميل العوائد قلت له أخبرنى عن الصادق لله فى حبه متى يشتاق إلى لقائه ؟ قال اذا نزع الله حب الدنيا من قلبه ، وتبرم ببقائه بين خلقه . فحينئذ يشتاق الى لقاء ربه. قال قلت له أخبرني عن غاية الزهد فى الدنيا ، قال ترك الحلال حتى لا يقع فى الحرام ، قال قلت أخبرني عن غاية الرضا بالله تعالى قال اذا كنت راضيا بكل ما قدر الله تعالى وقضـاه ، وأحكمه وأمضـاه ، وانه هو المتفضـل ، على المتقين بفضله ، والخاذل لمن شاء بعدله ، قلت له أخبرنى عن غاية العبادة ؟ قال تجمع الهموم فتجعلها هما واحدا حتى يستوى عندك العمران والخراب ، وتـكون خائفا من الله تعالى كأنك تراه ، فان لم تـكن تراه فانه يراك . قلت له كيف النجاة من مخالفة الناس ؟ قال إنما الناس رجلان عاقل وجاهل ، فالعاقل اشتغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره ، وقام مجتهدا بطاعة ربه فهو لا يلتفت اليك ولا إلى غيرك ، وأما الجاهل فلا يبالى كيف ما كان عليه . فعليك بالبراري والقفار ، والاستئناس بالواحد القهار ، قلت فمن أين القوت ؟ قال تهرب الى الله تعالى وقد فتح لك باب التوكل عليه ، و يضيعك حتى تتهمه فى رزقك إنه رؤف رحيم لا يسلمك . ثم تصافحنا وتفرقنا ودعا لى فما رأيت أنور قلبا منه . ووجد على قبر مكتوب :

تناجيك أجداث وهن سكوت وسكانها تحت التراب خفوت

فياجامع الدنيا لغير بلاغة (١) لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

عباد الله ارحموا أنفسكم قبل نزول العذاب فان القبر لا يرحم من ليس له عمل ، ولا يشفق على من غره طول الامل ، ولا يحن على من ضيع أيام المهل . وأنشدوا :

ماحال من سكن الثرى ماحاله ؟ أمسى وقد صرمت (٢) هناك حباله

أمسى ولا روح الحيـــاة تصيبه يوما ولا لطف الحبيـــب ينـــاله

---

(١) المراد هنا البلغة من العيش وهو ما يتبلغ به الانسان ولم تأت بلاغه لهذا المعنى ولعلها محرفة (٢) صرمت قطعت والصرم القطع

أضحى وقد درست محاسن وجهه   وتفرقت فى قـــبره أوصـــاله (١)
واستبدلت منــــه المحاسن غبرة   وتقسمت من بعده أوصاله (٢)
مازالت الايام تلعـــب بالفتى   والمال يذهب صـــفوه وحلاله

عيسى والمدينة الخربة

روى أن عيسي ابن مريم عليه السلام دخل مدينة خربة فدخل قصرا من قصورها فنادى ياخراب الآخر بين أين أهلك؟ فأجابه شيء من آخر القصر ، ياابن مريم بادوا . فاجتهـــد ولاتفرط ، فان العظام قد بليت وبقيت أعمالهم فى رقابهم . وأنشدوا :

قف بالقبور(٣) وقل على ساحاتها   من منكم المغموم فى ظلماتها
ومن المكرم منـــكم في قفرها   قد ذاق برد الامن من روعاتها
أما السكون لدى العيون فواحد   لايستبين الفضل فى درجاتها(٤)
لو جاوبوك لأخبروك بألسن   تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازل فى روضة   يفضى إلى ماشاء من راحاتها
والمجرم الطاغى بها متقلب   فى حفرة يأوى إلى حياتها
وعقارب تسعى اليه فروحه   فى شدة التعذيب من لدغاتها

عباد الله مالكم لاتفيقون من غفلاتكم ، وتنتبهون من نوماتكم ، وتصحون من سكراتكم وتملون من شهواتكم ، وتدعون الكثير من لذاتكم . وتذكرون هول المقابر ، والمصير إلى ضيق الحفائر ، فان ملك الموت لايأتيكم الا على ألذ ماتكونون من طيب عيشكم ولذة دنياكم فبادروا قبل مبادرته بكم . وأنشدوا :

بنا الفتى فى لهوه وهنائه   متبختر يختال فى لذاته
قد غره الأمل الكذوب فهمه   فى كل مايدنيه من شهواته
إذ جاءه ملك النفوس بسكرة   تركته ملقى الجسم بين ثقاته
فتقطعت أســـبابه وتخرمت   وتنكر المعروف من حالاته

---

(١) أوصاله عروقه (٢) أوصاله الثانية الاشياء التى وصلها مثل ماتقول : رأيت أعماله أى ماعمله . (٣) فى الاصل القصور وهو خطأ لان المعنى يتجه إلى القبور (٤) يريد أن سكان القبور جميعهم يتساوون عند النظر اليهم لانهم فى سكون دائم لايدرى الناظر اليهم من المنعم فيهم والمعذب ومن فى رياض الجنان ومن فى حفر النيران . ومثلهم نائم يرى حلما جميلا و اخر عكسه .

لا يستجيب لمن دعاه ولا يرى شق الجيوب عليه حين وفاته

ابن عباس وابن الخطاب

ذكر فى بعض الأخبار أن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما دخل على عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوم قتل فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ، قال بماذا ؟ قال آمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم حين كفر به الناس ، وجاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خذله الناس ، ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض ، ولم يختلف فى خلافتك اثنان ، وقتلت شهيدا . فقال له عمر رضى الله عنه : أعد على ماقلت ، فأعاد عليه فقال : والذى لا إله غيره لوان لى ماطلعت عليه الشمس وغربت لافتديت به من هول المطلع فاذا كان هذا قول عمر رضى الله عنه إمام السنة ، وحبيب الأمة ، وسراج أهل الجنة فى الجنة ، قال هذا عند الفراق والانقطاع وأشفق من هول المطلع ، فكيف بأهل اللهو واللعب ، والبهتان والكذب ، أمثالنا الذين قطعوا أعمارهم فى الذنوب ، وأفنوا أيامهم فى معصية علام الغيوب ، وغفلوا عن القبور ، ولم يتفكروا فى هول يوم النشور ؟! والله أعلم وأنشدوا :

أراني كل يوم فى انتقاص وبعد لايزول وطول هجر
وأيامى تمر بغير شىء وعمر المرء فى الأيام يسرى
ألا اخطوا على قبرى كتابا وقولوا قبر ذى ظلم وغدر
أتى الدنيا وفارقها فقيرا وكل فتى على ذا النهج يجرى
وقولوا حين أدفن أى عبد أتى مولاه فى ذل وفقر

حكى عن داود الطائى رحمه الله أنه مر على امرأة تبكى على قبر وهى تقول :

عدمت الحياة ولا نلتها إذا أنت في القبر قد ألحدوكا
فكيف أذوق لذيذ الكرى وأنت بيمناك قد وسدوكا

قال داود : فلما سمعت تذكرت فى الأحباب والاخدان ، والاصحاب والاخدان ، لا يرى لهم آثار ، ولا على الأرض منهم ديار :

أمر على القبور وأرتقيها كأنى ليس لى فيها حبيب
وأكره أن أسائلها فانى أراها حين تسأل لاتجيب

عظة نفسية

عباد الله مامضى من مضى إلى القبور الخالية من الأمم الخالية لتبقوا بعدهم إلا النذر اليسير الذى بقى من أعماركم ثم تنتبهون إلي القبور ، وتخرجون من سعة القصور والدور . والحمد لله يامعشر المؤمنين وجماعة إخوانى المسلمين جدوا واجتهدوا ، وبالعمل الصالح فاستعدوا ، وقدموا لانفسكم ماتجدوه فى المقابر ، وابكوا عليها قبل حلولها في الحفائر . وأنشدوا :

لكل أناس مقبر بفنائهم فهم فى انتقاص والقبور تزيد
وفي محشر الموتى أمام قبورهم فما منهم من للحياة يعود

وأنشدوا :

المرء رهن مصائب لا تنتهى حتى يوارى جسمه فى رمسه
فمؤخر يلقى الردى فى أهله ومقدم يلقى الردى فى نفسه (١)

تذكر أيها المغرور أباك وإخوانك ، وتذكر أهلك وجيرانك ، وتذكر أحبابك وأخدانك أين الذين كانوا لك في الدنيا أحبابا ، وفى أيام حياتك أصحابا ؟ صحبتهم وصحبوك ، وذهبوا عنك وتركوك ، وأوحشوا الاهل والأحباب ، وفارقوا القرابة والاصحاب ، قد ضمت أجسادهم المقابر ، وغيرت أبشارهم (٢) الحفائر ، وبقيت أرواحهم تنتظر يوما تبلى فيه السرائر فمنهم من يجازى بنعيم وخلود ، ومنهم من يرد النار وبئس الورد المورود ، أين لقمان بن عاد ، أين ثمود وشداد ، أين فرعون ذى الأوتاد ، وأين من طغى فى البلاد (٣) وأظهر فيها الفساد ، ذهبت والله تلك الأجناد ، وصاروا إلى ظلم القبور على غير مهاد ولا وساد . تذكر أيها الغافل أين الملوك الأكابر ، وأين الطغاة الجبابر ، وأين الذين جمعوا الأموال والذخائر ، وقادوا الجيوش والعساكر ، وكانت الخطباء تذكرهم على المنابر حولتهم والله النوائب إلى الحفائر ، وبقوا مرتهنين بأعمالهم فى ظلمات المقابر ، ونزلوا على ماقدموا من ذخائر الاعمال قد قطعت الديدان أوصالهم ، وغير البلاء أحوالهم . قد سالت

---

(١) أي أن الذي تؤخره منيته فانه يلقي الردي فى أهله من ولد ووالد وأخ وغير ذلك فكأنه أيضا فريسة لها غير ناج من أنيابها ، والذى تقدمه يلقى الردى فى نفسه وهى أعز شيء

(٢) أبشارهم بشرتهم أى جلودهم (٣) فى القرآن الكريم (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الاوتاد الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد)

العيون منهم على الخدود ، وصارت لحومهم قوتا للهوام والدود ، وقسمت من بعد دفنهم فى التراب أموالهم ، ونكحت من عدوهم عيالهم وأنشدوا :

هل كان قبلك للذات مرتاحا لو شفه ذكر ذنب قد مضى ناحا
لله عبد جنى ذنبا فأحزنه فظل حيران يذرى الدمع سفاحا
فاسفح دموعك عن ذنب أصبت به فرب دمع جري للخير مفتاحا
ورب عين رآها الله باكيــة خوف القبور ستلقى الروح والراحا
مستعبر قلق مستيقظ فطن كأن فى قلبه للنور مصباحا
ياصاحبي دعا التسويف ويحكما واستبدلا بفساد الدين اصلاحا
لاتأمنن وقوع الموت إن له لأنفس من جميع الخلق مجتاحا
إن لم يبيتهم ناداهم سحرا وإن تأخر عن تبكيرهم راحا
لايترك الموت بيتا حشوه فرح الا أعاضهم ذلا وأتراحا
أهل القبور أبينوا عن قبوركم هل تستطيعون لى بالرد إفصاحا
ماذا لقيتم وماذا بعد قيل لكم لما فقدتم من الأجساد أرواحا
يعزز على بأبدان منعمة أمسى بها الدود جوالا وسواحا
الناس فى غفلة عما يراد بهم من كان ذا بصر فالصبح قد لاحا

حكاية عن ابن السماك

حكى عن ابن السماك رحمه الله أنه حضر يوما جنازة فلما نظر إلى القبور بكى وقال لاصحابه معشر الاخوان ألا متأهب لموت يوصف له و يراه أمامه ، ألا مستعد ليوم فقره و نزوله إلى حفرته وقبره ، ألاشاب عازم قد بارز لمنيته ، ألا من ليس يغيره شباب متنه ولاشدة قوته ، إلا شيخ قد بادر لانقضاء مدته فشمر السير فيما بقى من رمقه ، ماذا ينتظر من دفن أباه ، وقبر أمه وأخاه ؟ مافرح من القبر مأواه ؛ والتراب فراشه وغطاه . وأنشدوا :

ألا إنما الدنيا بلاء وفتنة وبينا الفتي فيها مهاب مسود
إذ انقلبت عنه وزال نعيمها فأصبح من ترب القبور يمهد(١)

(١) أى بينما المرء يعتز بقوته وسؤدده يهابه الناس اذا به قد أصبح من ضمن التراب الذى فى قبره يمهد أي يسوى فيه . وقد قال فى ذلك المعرى

خفف الوطء ما أظن أديم الأ رض الا رفات هاته الاجساد

فكن خائفا للموت والقبر بعده ولا تك ممن غره اليوم أو غد

حكى عن بعض الصالحين رحمه الله أنه قال : دخلت على مريض وهو فى شدة السكرات فقلت له كيف تجدك ؟ فبكى ثم قال :

رحلت عن الدنيا وقامت قيامتي غداة أقل الحاملون جنازتى
وعجل أهلى حفر قبرى وصيروا خروجى وتعجيلى اليه كرامتى
كأنهم لم يعرفوا قط صورتى غداة أتى يومي على وساعتى

إخوانى ماهذا لمن مضى ، بل والله لمن مضى ولمن بقي ، لابد من القبر ووحشته ، ومن الموت وسكرته ، فانظروا لانفسكم مادام النظر ينفعكم ، وتفكروا فى وحشة القبر مادام التفكر يباح لكم ، من قبل وقوع السكرة ونزول الحسرة ، وحيث لاتقال العثرة . فان الايام غرور ، وهى طريق إلى القبور . وأنشدوا :

ما للمقابر لا تجيب إذا دعاهن اللبيب
حفر يسترفوقهن من الجنادل والكثيب
فيهن أطفال وولـ ـدان وشبان وشيب
كم من حميم لم يكن نفسى بفرقته تطيب
غادرته فى بعضهن مجندلا وهو الحبيب

حكاية عن بعض الصالحين

حكى أن رجلا من الصالحين رحمه الله حضر جنازة ، فلما وضعوها فى قبرها وانصرف أهلها ، وقف على قبره صديق له فناداه ياحبيب. يافلان الصديق فلم يجبه أحد، فأنشأ يقول :

أحبيب مالك لاتجيب مناديا أنسيت بعدى جملة الاحباب

فأجابه مجيب يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول :

قال الحبيب وكيف لى بجوابكم وأنا رهين جنادل وتراب
أكل التراب محاسنى ونسيتكم وحجبت عن أهلى وعن احبابى
فعليكم منى السلام تقطعت منى ومنكم عقدة الانساب

يامسكين فهذه صفتكم وصفة إخوانكم واحبابكم وجيرانكم واصحابكم فاعتبروا بهم وعظوا أنفسكم وابكوا طول حياتكم ، أيام وحشتكم ، وبعد رقدتكم ، وطول غربتكم وانفرادكم في قبوركم ووحدتكم ، فعسى الله مولاكم أن يرحمكم فيؤنسكم فيها بأنس كرامته ،

وينورها بنور مغفرته ، ويجعلها لكم أول منزلة من منازل الجنة ، وينجيكم فيها من كل عذاب ومحنة،إنه المنان الكريم ، المتفضل الرحيم ☆

موعظة ابن عباس

روى عن ابن عباس (١) رضى الله عنهما أنه قال : أرحم مايكون المولى جل جلاله بعبده إذا دخل قبره ، وتفرق الناس وأهله ، فمن أكثر من ذكره وجده روضة من رياض الجنة . ومامن يوم إلا والارض تنادى بخمس كلمات ، ياابن آدم تمشى على ظهرى ومصيرك إلى بطنى ، ياابن آدم تضحك على ظهري وسوف تبكى فى بطني ، ياابن آدم تفرح على ظهرى وسوف تحزن فى بطنى ، ياابن آدم تذنب على ظهرى وسوف تعذب فى بطني ، ياابن آدم تأكل الحرام على ظهرى وسوف يأ كلك الدود في بطني ، ياابن آدم كم من محسود فى حياته يود إذا نزل فى حفرته لو كان كل ما جمعه وخلفه لاعدائه وحساده . فكم من تارك لعياله مايصلحهم لمعادهم ويكون هو فى قبره أو فى رمسه مثبورا . وأنشدوا :

أخلق الموت جدتي — ومحا حسنى البلى
صرت بين النعيم فى — منزل البعد والقلى (٢)
وجفاني أحبتي — حين غيبت فى الفلا

ياأخى تفكر فى تلك الاكفان . وتغير الروائح وصولة الديدان ، ونهش العقارب والحيات، والكون تحت أطباق الثري والظلمات . وانظروا الى أحبابكم فى بسط الارماس، كيف عدموا الأناس والحراس ، وانقطعت عنهم الحركات وسكنت منهم الانفاس وأنشدوا:

أتعمى عن الدنيا وأنت بصير — وتجهل مافيها وأنت خبير
وتصبح تبنيها كأنك خالد — لقد كان فيما قد بلوت نذير
متى أبصرت عيناك أمر ولم يكن — يخبرنا أن البقاء يسير (٣)
فدونك فاصنع كلما أنت صانع — فان بيوت المتقين قبور

---

(١) كان ابن عباس رضى الله عنهما حبر هذه الامة وبحر غزير في العلم وقد دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم فقهه فى الدين » فكان حلال المشكلات مفسر الآيات بليغ العبارات . (٢) القلى البغض والجفاء (٣) أى كل ما نشاهده من الامور يخبرنا ان البقاء يسير فانه لايدوم شيء أبدا على حالة واحدة

حكاية عن الحسن البصرى

يحكى عن الحسن البصرى رضى الله عنه أنه نظر إلى جنازة قد وضعت فى لحدها فقال : يالها من موعظة بليغة لو صادفت قلوبا حية ، والله لقد فضح الموت الدنيا ولم يترك فيها لذى نسب فرحا . ثم أشار الى امتداد القبور فبكي وقال : هؤلاء أهل محلة قد كفي من جلس اليهم شرهم ، وإن ترحم عبد عليهم وصل اليهم ماترحم به . عباد الله اعلموا أن القبور منزلة بين الدنيا والآخرة فاعملوا لمثل هذا اليوم فانما هم إخوانكم تقدموا وأنتم فى الأثر . أيها المتخلف من بعد أخيه انت الميت من بعده غدا والباقى بعدك هو الميت فى أثرك ، الأول فالاول حتى يتوفوا جميعا فكأنا بكم قد عمكم الموت واستويتم جميعا في سكراته ، وحللتم جميعا فى القبور الى يوم النشور . فالله الله تفكروا فى طول البلاء فى ظلمات بين أطباق الثرى . وأنشدوا :

أخى مابال قلبك ليس ينقى ... كأنك لاتظن الموت حقا
أيا إبن الذين فنوا وبادوا ... أما والله مابادوا وتبقى
وما أحد بزادك منك أحصى ... وما أحد بزادك منك أشقي
وما للنفس عندك مستقر ... إذا مااستكملت أجلا ورزقا

تفكروا فى الملوك العتاة ، والجبابرة والطغاة ، الذين عمروا الدنيا وملكوها وأقطارها ، وسكنوا المشيد من قصورها ، كانوا أشد منكم قوة وآثارا ، وأقوى أجساما وأطول أعمارا خلفوا ما كسبوا للاهل والاحباب ، وعمر ديارهم من بعدهم الاصحاب ، وانصرم عنهم الليل والنهار ، ونزلوا على ماعملوا من الاوزار ، فلو أبصرتم وهم بعد قليل في ظلمات القبور وقد تقطعت منهم الجلود ، وتمزقت الخدود ، وضيقت على أبدانهم اللحود ، واتخذ الخليل من بعدهم خليلا ، وصارت أبدانهم للدود مقيلا . فتفكر ياأخى وكن إلى التوبة مسرعا عجولا ، ولاتطع الشيطان إنه كان للانسان خذولا ، وكونوا أولياء الرحمن ولاتكونوا أولياء الشيطان ، فعسى الله أن ينجيكم من عذاب النيران ، ويدخلكم برحمته الجنان . وأنشدوا :

إعمل لمثواك في الضريح ... واندم على فعلك القبيح
ولاتقصر وفيك روح ... فسوف تبقى بغير روح
واقرح (١) الخد من دموع ... بالجد من قلبك القريح
والتمس الصفح قبل يوم ... تنقل فيه الى الصفيح

(١) القروح الجروح أى اجرح خديك بمجرى الدموع والصفيح جنادل القبر

يانفس إنى غـــدا طريح والترب يحثي على الطريح
نوحى فـــلوقد حواك قبر لم تقدرى فيه أن تنوحي

أحبابى قوموا بنا الى الحزن والبكا ، والى طول الاسف والاسى ، لعل الله يرحمنا فى ظلمات القبر وعسى ، فان القبر ينادى فى الصباح والمسا *

قيل وقف بعض الصالحين فى المقابر وأنشأ يقول :

أغضاب أحبابنا أم رقود فالى كم يكون هذا الصدود
إن تكونوا قوما نياما فهبوا كم تناموا عنا ونحن قعود
أو تكونوا هجرتمونا بذنب كان منا فاننا لانعود

حكى عن بعضهم رضى الله عنه أنه قال : مات لى صديق فاغتممت عليه لما كان فيه من الصلاح والخير وحسن الطريقة ، فرأيته بعد موته فى المنام فسألته عن حاله فأنشأ يقول :

أنا لكم إخوتى نذير من هول ماضمت القبور
عاينت مالم تعاينوه وإنما يبتلى الخبـــير
إن الذى حل بى جليل جدا فقد أعذر النذير
فانما أنت فى غرور فـــلا يغرنك الغرور
فان قدامك المنـــايا والقبر والبعث والنشور
إما الى جنـــة وإما الى جحيم لها سعير

فالله الله يامعشر الاسلام انتبهوا من ثقل هذا المنام ، فان أمامكم وحشة القبور بعد سكرات هول الحمام ، فمن ضيع فى البطالة ، والجهالة أيامه ، وكثرت فى صحيفته أوزاره وآثامه فمقام الحسرة غدا فى القبر مقامه . وأنشدوا :

أبصر وتب يارجل قد أزف التنقل
الى محل (ضيق) (١) تذهب فيه الحيل
مالك فيه مؤنس الا التقي والعمل
أى غلام قام فى محرابه يبتهل
يقول فى سجدته ودمعه ينهمل

(١) سقطت تلك الكلمة من الاصل وكل كلمة عليها هاتين العلامتين ( ) فقد زدناها من عندنا لاستقامة المعنى .

يا ظاهر يا باطن يا مالك لاتعجل
اغفر ذنوبي كلها فشأنك التفضل
وتب على توبة فهي المنى والامل

نباش القبور

روى عن سعيد بن جبير (١) رضى الله عنه أنه قال: بينما نحن جلوس فى مجلس ابن عباس رضى الله عنهما إذ وقف رجل بين يديه فقال: يا ابن عباس ما أذل العاصين بين يدي الله تعالى، وما أحسن المبادرين الى طاعة الله تعالى. ياابن عباس ماأغفل المذنبين عن قرب الجليل، وأشد تخليط من لم يوفق بالرحيل. قال ثم خرج. فقام إلى ابن عباس بعض جلسائه فقال له: ياابن عباس إن هذا الفتى نباش وإنما يتستر (٢) بهذه المقالة، فاذا جن عليه الليل خرج إلى المقابر فنبش فيعرى الموتي من أكفانهم. قال ابن عباس: لا أصدق مثل هذا حتى أراه بعيني وألمسه بكفي (٣). فقال له الرجل إن شئت لأرينك ذلك. فقال قد شئت. فلما هجم الليل إذا الفتي قد أقبل وفى يده اليمنى قنديل وفى اليسرى غل حتي توسط المقابر، ثم رمى بطرفه شاخصا وقال: سلام عليكم أهل مضايق اللحود، ومطعم البلاء والدود، ما أبعد سفركم، وما أوحش طريقكم، فليت شعرى ما حالكم ارتهنتم باعمالكم وقطعتم دون آمالكم، بل ليت شعرى أندم الحياة حل بكم، أم فرح البشري بالقدوم على ربكم. سبقتمونا فلبيتم، وأجبتم قبلنا إذ دعيتم، ونحن للقدوم عليكم منتظرون، وللمنهل الذى وردتموه واردون، فبارك الله لنا ولكم على القدوم عليه، ورحمنا إذا صرنا إلى ماصرتم اليه. ثم نزل فى قبر قد احتفره لنفسه فوضع خده على شفير اللحد وجعل ينادى، يا ويلتى اذا دخلت فى قبرى وحدى ونطقت الارض من تحتى فتقول لى لا مرحبا ولا أهلا، ولا سعة ولا سهلا بمن كنت أمقته وهو على ظهرى، فكيف وقد صرت اليوم فى بطنى لأضيقن (عليك) أرجائى، ولأذيقنك مكروه بلائى. ويلى إذا خرجت من لحدي حاملا وزرى على ظهرى وقد تبرأ

(١) كان من كبار التابعين قتله الحجاج لخروجه عليه وإنكاره ظلمه ولم يعش بعده (٢) فى الاصل. يشتبر وهى تحريف. (٣) من ذلك يتضح صدق فراسة ابن عباس وأنه لا يصدق أن هذا الوجه الجميل المشرق بنور الصلاح والتقوي يكون نباشا للقبور حتى يراه ويلمسه متلبساً بجريمته.

مني أبي وأمي . بل ويل من طول كذبي إذا أسمعني منادى ربي أين فلان بن فلانة فأبرزت من بين جيرتي ،وقدبدت إلى الناس سريرتي، وقمت عريانا ذليلا ، وقاسيت كربا طويلا . ثم أساق إلى أرض القيامة للعرض ، والوقوف بين يدى جبار السموات والارض . ويلي إذا وقفت أمام ربي فقال لى عبدي استترت بمعصيتي عن المخلوقين ، وبارزتني بها وأنا عليك من أكبر الشاهدين ، أفكنت عليك من أهون الناظرين إليك ؟ ثم خر مغشيا عليه فلما أفاق رفع رأسه إلى السماء فقال : ياذخرى ويا ذخيرتي ومن هو أعلم بطويتي وسريرتي ، يامن عليه اعتمادى فى حياتى ، ومن اليه ألجأ بعد مماتى ، لا تخذلنى بعد الموت ، ولا توحشنى فى قبرى يا سامع كل صوت ، فلما سمع ابن عباس مقالته لم يتمالك أن يسعى حتي وقف على شفير القبر وجعل ينادى ، لبيك لبيك حبيبي ما أنبشك للذنوب والخطايا ، هكذا تنبش الذنوب وتمزق الخطايا . ثم التفت الى الذي سعى به وقال له : يا عبد الله هكذا فاصنع كلما علمت بمثل هذا النباش ، فارشده الى ابن عباس،فما أحبه اليه وآثره لديه ؛ ياليت كل النابشين مثله . وأنشأ يقول :

قف بنا بالقبور نبكى طويلا ونداوى بالدمع داء جليلا
فعسى الدمع أن يبرد منا بعض لوعاتنا ويشفى الغليلا
ونناديالاحباب كيف وجدتم سكرة الموت بعدنا والمقيلا
لو أطاقوا الجواب قالوا وجدنا سكرة تترك العزيز ذليلا
بدلوا بعد بالقصور قبورا ثم بعد اللباس ردما ثقيلا

عباد الله اعملوا لظلمة القبر قبل فوات العمل ، وبادروا بالتوبة قبل انقضاء الاجل ، واشعلوا فى قلوبكم نيران الخوف والوجل ، وتزودوا للقبر بينا أنتم في فسحة ومهل ، فان الموت آت ، والعمر فات ، والطريق طويل ، والزاد قليل ، وهول القبر هائل ثقيل . وأنشدوا :

تضرع (١) فى دجى الليل الى مولاك يكفيكا
ولا تأمن هجوم المو ت إن الموت يأتيكا
كأنى بالذى يهوا ك فى القبر يدليكا

(١) فى الاصل : أضرع ولا يستقيم .والضراعةالابتهالالىاللهوالدعاء

وقد أفردت في لحدك فردا بمساويكا
وأسلمك الذى قد كان فى الدنيا يصافيكا
فيا سؤلى ويا ذخرى وكل الخلق راجيكا
ويا من ليس منا أحد يحصى أياديكا
تجاوز عن مقال ثم حقق أملى فيكا

يا أخى قم بين يدى مولاك إذا دخل الليل البهيم ، واسأله لعله يكفيك فى قبرك العذاب الاليم .

حكاية عن ابن الاسود

حكى عن الحجاج بن الاسود أنه قال : رأيت فى المنام كأنى دخلت فى المقابر فاذا أهلها نيام فى قبورهم وقد تشققت الارض عنهم ، فمنهم النائم على التراب ، ومنهم النائم على القباطى ، ومنهم النائم على السندس ، ومنهم النائم على الاستبرق ، ومنهم النائم على الحرير ، ومنهم النائم على الديباج ، ومنهم النائم على الياسمين والريحان ، ومنهم النائم كالمتبسم فى نومه ، ومنهم حائل اللون ، ومنهم من قد أشرق نوره ، ومنهم من قد اشتد كربه ، ومنهم من قد اغتم فى ضيق القبر ووحشته . فبكيت فى منامى مما رأيت ثم قلت : يا رب لو شئت لسويت بينهم فى الكرامة ! فنادانى مناد من بينهم ياحجاج هذا الذي تراه من تفاضل الاحوال إنما هى منازل الاعمال، ولكل امريء منهم ماقدم . فاستيقظت فزعا مرعوبا . وأنشدوا :

تحرك إن قدرت وقم طويلا فسوف يطول نومك في التراب
وحقق ما تقول فانت عبد تساءل ثم تطلب بالجواب
وكفر ماعملت وكن مجدا وتب لله تسعد بالمتاب

عباد الله ليس لكم دواء من جميع امراض الشهوات الا التوبة ، والندم على ما سلف وحسن الاوبة (١) لعل الله يغفر لكم ما عقدتم عليه من الضمائر ، وما طويتم عليه خفيات السرائر ، وينور لكم فى ظلمات الاجداث وضيق القبور ووحشة الحفائر . وأنشدوا :

نعت نفسها الدنيا إلينا فاسمعت ونادت ألا جدوا الرحيل وودعت
وزمت(٢) مطايانا الى برزخ البلى وساقت بنا سوقا حثيثا فاسرعت

(١) الاوبة: الرجوع . (٢) زم البعير: خطمه ، وزم: تقدم فى السير ، وزم بأنفه: تكبر .

سلام على أهل القبور أحبتى لقد بليت أجسامهم وتقطعت
فما موت الاحياء الا ليبعثوا يقينا وتجزى كل نفس بما سعت

عباد الله مالكم تدعون الى الرجوع الى الله فلا تجيبون ، والموت والقبر فلاتذكرون ، فانا لله وإنا اليه راجعون ، ذهب السامعون والواعظون ، وبقى الجاهلون والغافلون . فلا سامع يعى ويسمع ، ولا واعظ يداوى وينفع . كل قد شغل بالامانى والغرور ، ونسى الرحيل الي القبور . ووجد على قبر مكتوبا :

لا تثق بالحياة من بعد قبري كل حى مصيره كمصيرى
كنت فى نعمة وفى خفض عيش فمضى وانقضى كيوم قصير
ثم افردت فى القبور وحيدا وجفانى الصديق فوق القبور

حديث فى منكر ونكير

روي أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام ليلة الاسرى : « كفى بالموت طامة(١) » فقال جبريل عليه السلام : مابعد الموت أطم منه وأعظم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما ذاك ياجبريل ؟ » قال الملكان الازرقان الاسودان يطآن فى شعورهما ، ويخرقان الارض بأنيابهما ، بيد كل واحد منهما عمود لوضرب به الجبال لقلعها من أصولها ، أعينهما كالبرق الخاطف ، وأصواتهما كالرعد القاصف ، يبتلى بهما كل مؤمن وكافر ، فيأتيانه فى قبره فيروعانه ويقعدانه ويعرضان عليه عمله ، ويريانه مقعده من الجنة أو النار . فقال صلى الله عليه وسلم : « أما الكافر لهما أن يروعانه ويفعلان به ذلك ، وأما المؤمن فكيف ؟ » قال جبريل عليه السلام كذلك أمر ربك يا محمد فأما الكافر فلا يجد من عذاب الله فترة من حين يدخل قبره ، وأما المؤمن فتكون له تلك الروعة كفارة لما مضى من ذنوبه فى الدنيا فاذا خرج من قبره خرج مغفورا له ثم لا يدرى روعة بعدها ابدا *

غرور

ذكر أن بعض الملوك بنى قصرا وشيده فأعجب بذلك وسر به ، فلما كان فى بعض الليل

(١) جاء السيل فطم الركية أي دفنها وسواها . وكل شيء كثر حتى علا وغلب فقد طم وسميت القيامة طامة .

سمع قائلا يقول :

كأني بهذا القصر قد باد أهله وأوحش منه أهله ومنازله
وصار مشيد القصر من بعد بهجة وملك الى قبر عليه جنادله
ولم يبق الا ذكره وحديثه تنادي بليل معولات حلائله (١)
فخذ عدة للموت إنك ميت وانك مسئول فما أنت قائله ؟

فأجابه الملك وهو يقول :

أقول بأن الله حق شهدته فذلك قول ليس تخفى فضائله

فأجابه الهاتف وهو يقول :

(إذافاستمع مني فـ) انك ميت وقد أزف الامر الذى أنت نازله

فاجابه الملك وهو يقول :

متي ذاك حدثني هديت فانني سأفعل ما قد قلته وأعاجله ؟

فاجابه الهاتف وهو يقول :

تقيم ثلاثا بعد عشرين ليلة الى منتهى شهر وما أنت كامله

قال فلم يتم الشهر حتى مات .وقال بعض الشعراء فى هذا المعنى :

تمنت نفسه قصرا مشيدا يلذ به ليعمره جديدا
فلما تم عاجله حمام فأخرجه الى جدث فريدا
فقل لذوى الترجح فى الامانى ولا يبغون فى التقوى مزيدا
تهابوا الموت ان له مجالا فما يبقى الكبير ولا الوليدا
ويختطف الملوك ذوى المعالى ولا يخشى الجيوش ولا الجنودا

الملك الزاهد

حكى عن عباد المهلبى أنه قال : كان رجل من ملوك البصرة ترك الدنيا وتعبد ثم بعد ذلك مال الى الدنيا وغرورها فبنى دارا وشيدها وأمر بفرشها ففرشت الدار ونجدت ، وأمر أن يصنع طعام ودعا الناس اليه فجعلوا يدخلون ويأكلون ويشربون وينظرون الي بنائه ويعجبون منه ثم يدعون له ويتفرقون عنه ، فمكث بذلك زمانا حتى فرغ من أمر الناس ، ثم أجلس

(١) أى أن زوجاته يبكين عليه ويصرخن ، والعويل . البكاء بصوت مرتفع .

نفرا من خاصة إخوانه فقال لهم . أترون سروري بداري هذه وقد حدثتني نفسي أن أتخذ لكل واحد من أولادي مثل هذه فأقيموا عندي أياما استمتع بحديثكم ، فأقاموا عنده أياما يأكلون ويشربون ويلهون ويلعبون وشاورهم كيف يريد أن يبني ، اذا سمعوا ذات ليلة هاتفا يقول بصوت جهير :

يا أيها الرجل الناسي منيته لا تأمنن فان الموت مكتوب
على الخلائق إن سروا وإن كرهوا فالموت حتم لذي الآمال منصوب
لا تبنين ديارا لست ساكنها وراجع النسك كيما يغفر الحوب(١)

قال فخرج وخرج أصحابه وراعهم ما سمعوا ، ثم قال لاصحابه : هل تجدون ما أجد ؟ قالوا وما تجد ؟ قال أجد مسكة على فؤادي وما أراها إلا علة الموت ، ثم أمر بالشراب فأهريق (٢) وأمر بالملاهي فأخرجت ثم قال : اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك ومن حضر من عبادك أني تائب اليك من جميع ذنوبي ، نادم على ما فرطت في أيام مهلتي . ثم اشتد به الامر فلم يزل يقول الموت حتى خرجت روحه ، وتفرق أحبابه عنه وأصحابه . وأنشدوا :

يا عجبا للناس لو أبصروا وحاسبوا النفس وقد فكروا
واعتبروا الدنيا إلى غيرها فانما الدنيا لهم معبر
والموعد الموت وما بعده حشر فذاك الموعد الاكبر
عجبت للانسان في فخره وهو غدا في وحشة يقبر
ما بال من أوله نطفة وجيفة آخره يفخر ؟
أصبح لا يملك تعجيل ما يرجو ولا تأخير ما يحذر
وأصبح الامر إلى ربه في كل ما يقضي وما يقدر
لا فخر الا فخر أهل التقى غدا إذا ضمهم المحشر

موعظة للبهلول

حكي عن بعض السادات أنه قال : نظر إلى بهلول وانا أبني دارا فقال لمن هذه الدار؟ ،

---

(١) الحوب والحاب : الاثم والذنب . (٢) أهرق وأهريق الماء والشراب صبه ، وأهريق دمه أي لم يؤخذ عنه دية ولا قود لانه أصبح معرضا للقتل أينما كان بأمر الحاكم

فقلت لرجل من كبار أهل الكوفة ، فقال أرنيه فأريته إياه ، فناداه ياهذا لقد تعجلت الجناية قبل العناية ، اسمع إلى صفة دار كونها العزيز أساسها المسك وبلاطها العنبر اشتراها عبد أزعج للرحيل كتب على نفسه كتابا وأشهد على عقد ضمائره شهودا هذا مااشتري العبد الجافى من الرب الوافى اشترى منه هذه الدار بالخروج من ذل الطمع إلى عز الورع ، فما أدرك المشترى من درك فيما اشتراه فعلى المولى خلاص ذلك . شهد على ذلك العقد وهو الامن والخواطر وذلك فى إدبار الدنيا وإقبال الآخرة ، ولهذه الدار حدود أربع ، فالحد الاول ينتهى إلى مبادى الصفا ، والحد الثانى إلى ترك أخلاق الجفا ، والحد الثالث ينتهى الى مدارج أهل الوفا ، والحد الرابع ينتهى الى السكون والتسليم والرضا فى جوار من على العرش استوى ، ولهذه الدار شارع ينتهى الى دار الخلد والسلام وخيام قد ملئت بالولدان والخزام (١) ليس فيها أسقام ولاضر ولا آلام ، ولا يذوق ساكن هذه الاماكن سكرات الحمام . ياهامن دار لاينقضى نعيمها ، ولا يبيد كريمها ، دار أسست فجعل من الدر والياقوت شرف تلك الحدود ، وجعل بلاطها من البهاء والنور ، وملىء خيامها من جوار بهن كمل السرور ، من العين الحور ، ليس لهن سوي الدين والتقوى مهور ، فترك الرجل قصره وتاب إلى الله عز وجل وهام على وجهه وجعل البهلول ينادي خلفه ويقول :

ياذا الذى طلب الجنان لنفسه لاتهربن فانه يعطيكا

وأنشدوا:

طاب المقام وطاب فيه نعيمه في دار عدن والجليل يراه

فالله الله ياعباد الله لاتغتروا ببناء الدور ، وتشييد القصور ، فعما قليل تخرب وتخرجون منها الى ضيق اللحود وظلمات القبور وأنشدوا :

سلام على أهل القبور الدوارس كأنهم لم يجلسوا فى المجالس
ولم يشربوا من بارد الماء شربة ولم يأكلوا من كل رطب ويابس

فيامعشر أهل الدنيا تفقدوا أهل القبور بالدعاء الحسن وتلاوة القرآن ❋

حديث فى هدية أهل القبور

فانه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من دخل المقابر وقرأ قل هو الله أحد

(١) الخزامى نبات طيب الريح فى الصحراء . وكم كان للبهلول من مواعظ

عشر مرات وأهدى ثوابها للموتى ، غفر الله تعالى للموتى وأدخل فى قبورهم النور والسرور ، ويكتب الله تعالى للقارىء بكل ميت مات من يوم أهبط الله آدم الى الارض الى يوم القيامة عشر حسنات *

الصدقة والدعاء للميت

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أهدوا إلى موتاكم » قيل وما نهدى يارسول الله الى الموتى ؟ قال : « الصدقة والدعاء » ومامن أهل بيت يموت منهم ميت يتصدقون عنه بعد موته إلا أهداها له جبريل عليه السلام على طبق من نور ، فيقف على شفير القبر فيقول ياصاحب القبر هدية أهداها اليك أهلك اقبلها ، فتدخل عليه فيفرح بها ويستبشر ويحزن جيرانه الذين لايهدى اليهم شيء (١) . فالله الله لاتغفلوا عن موتاكم ولا تنسوهم من الصدقة و الدعاء فانكم تدخلون عليهم بذلك السرور ، ويغتبطون بها في القبور *

رجاء الأموات للأحياء

وقد جاء فى الحديث أن الموتى يرجون الاحياء من الاحباب الى رأس أربعين سنة ، فمن أيأسهم أيأسه الله من رحمته ، ومن فرحهم أكرمه تعالى بتحيته . وفقنا الله وايا كم للاعمال الصالحة ، وأعاننا و إيا كم على طلب الرغائب والخيرات آمين برحمته فانه مجيب الدعوات وقاضى الحاجات ، ومقيل العثرات. وصلى الله على من أخرجنا به من الظلمات إلى النور المطهر من الآفات ، المجتنى من أطيب الثمرات ، وعليه منا أطيب السلام والتحيات ، مادامت الارض والسموات ، آمين آمين فهو مجيب الدعوات وقاضى الحاجات ، وغافر الذنوب والزلات ، آنس الله وحشتى ووحشتكم فى القبور ، وآنس روعتى وروعتكم يوم النشور وأحلنا وإيا كم برحمته دار السرور. آمين آمين *

(١) وقد حكى عن ولد كان بارا بأبيه فى حياته ، فلما مات أبوه صار يتصدق على روحه كل يوم بما يستطيع من الطعام فصادفه يوم ولم يكن معه شيء يتصدق به ، فجمع قشور البطيخ وغسلها وأطعمها البهائم صدقة على روحه ، فرآه فى المنام فقال له : جزاك الله خيرا من ولد بار فلقد كنت اشتهى البطيخ فأكلته اليوم .

-١٣- ﴿ مجلس فى فضل الصيام ﴾

قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) أيها الغافل عن الثواب الكثير ، والساهى عن الملك الكبير ، واللاهى عن لباس السندس والحرير ، المتقاعد عن اليوم العبوس القمطرير ، النائم عما أتى به محمد البشير النذير ، الذى أنقذنا الله به من جهنم وحر السعير . ياغافل ياساهى أتاك شهر رمضان ، المتضمن للرحمة والغفران ، وأنت مصر على الذنوب والعصيان ، مقيم على الآثام والعدوان متمادى فى الجهالة والطغيان ، متكلم بالغيبة والبهتان ، متعرض لسخط الرحمن ، قد تمكن من قلبك الشيطان ، فألقى فيه الغفلة والنسيان ، فانساك نعيم الخلد والجنان ، فظلت تعمل أعمال اهل النيران فان كنت يامسكين كذلك فكيف ترجو الفوز بالرضوان ، والحلول فى دار الخلد والامان ، والخلاص من دار العقوبة والهوان . وأنت مطعمك حرام ، ولباسك حرام ، ولسانك لايفتر عن قبيح الكلام وبصرك حديد إلى ماحرم من الحرام عليك ذو الجلال والاكرام ، ويدك ممدودة الى مانهاك عنه الملك العلام ، وقدمك تسعى الى ما هو إثم وحرام ، وأنت فى جميع أمورك وافعالك مخالف للقرآن والاحكام ، تارك لسنة محمد عليه الصلاة والسلام . فجسمك من الجوع متعوب من الفجر الى الغروب ، ويلحقك النصب واللغوب ، وصومك عن مولاك بالطرد محجوب وأخاف أن تكون فى النار على وجهك مكبوب ، لمخالفتك لعلام الغيوب . فخمص (١) ويحك بطنك عن أكل الربا والحرام ، واحبس لسانك عن الوقوع فى جماعة الاسلام ، وغض طرفك عما هو عليك أعظم من أعظم الآثام ، وهو النظر الى مالايحل لك من حرم الانام ، وامتثل ماأمرك به أحكم الحكام ، وقم بين يديه فى الليل البهيم اذا هجع النوام ، وتضرع اليه اذا أدهم الليل بداجى الظلام . وحينئذ يصح لك القبول لشهر رمضان ، وتفوز بالنعيم الابدى فى دار السلام ، وتنجو من الاهوال والعذاب الغرام . فليكن ـ ويحك ـ بصرك من النظر الى المحارم معدولا ، وسمعك عن سماع القبيح من القول معزولا وبطنك من أكل الحرام محمولا وقلبك بالفكرة فى الحسنات (٢) والمعاد مشغولا ، وذكر مولاك وسيدك

(١) الخمصة : بالفتح الجوعة وخمص جوع (٢) أى دائم التفكر فى تكثير الحسنات والاستعداد ليوم المعاد وهو يوم القيامة .

فى لسانك مجعولا ، ومالك فى طاعة العزيز الجبار مبذولا (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) وقد أعلمك مولاك أن الشيطان كان للانسان خذولا ، فلم خنت عهد مولاك وأمانته وكنت لنفسك ظلوما جهولا . وأنشدوا :

قل لاهل الذنوب والآثام   قابلوا بالمتاب شهر الصيام
إنه فى الشهور شهر جليل   واجب حقه وكيد الزمام
وأقلوا الكلام فيه نهارا   واقطعوا ليله بطول القيام
واطلبوا العفو من إله عظيم   ليس يخفى عليه فعل الانام
كم له فيه من ازاحة ذنب   وخطايا من الذنوب عظام
كم له فيه من أياد حسان   عند عبد يراه تحت الظلام
كم له فيه من عتيق شهيد   آمن فى القيام خزي المقام
إن دعاه مذلل بخضوع   وخشوع ودمعه ذو سجام
أين من يحذر العذاب ويخشى   أن يصلى الجحيم مأوى اللئام
أين من يشتهي التذاذا بحور   فى جنان الخلود بين الخيام
إلتمس فيه ليلة القدر واترك   إلتماسا لها لذيذ المنام
واجتهد فى عبادة الله واسأل   فضله عنـــد غفلة النوام
يالها خيبة لمن خاب فيه   عن بلوغ المنا بدار السلام
يالها حسرة لمن كان فيه   ساترا شره بثوب الظلام
يا إله الجميع أنت بحالى   عالم فاهدنى سبيل القوام
وأمتنى على اعتقاد جميل   واتباع لملة الاسلام

فضل رمضان

فالله الله عباد الله اغتنموا شهر المتاب ، وما وعدكم فيـه من جزيل الثواب ، ومن العفو عن الاوزار وعتق الرقاب . وهو شهر لياليـه أنور من الايام ، وأيامه مطهرة من دنس الآثام ، وصيامه أفضل الصيام ، وقيامه أجل القيام . شهر فضل الله به أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، شهر جعله الله مصباح العام ، وواسطة النظام ، وأشرف قواعد الاسلام ،

المشرف بنور الصلاة والصيام والقيام ، شهر أنزل الله فيه كتابه ، وفتح للتائبين فيه أبوابه ، فلا دعاء فيه إلا مسموع ، ولا عمل الا مرفوع ، ولا خير الا مجموع ، ولا ضرر الا مدفوع شهر السيئات فيه مغفورة ، والاعمال الحسنة فيه موفورة ، والتوبة فيه مقبولة ، والرحمة من الله لملتمسها مبذولة ، والمساجد بذكر الله فيه معمورة ، وقلوب المؤمنين بالتوبة فيه مسرورة . وأنشدوا :

أين أهل القيام لله دأبا بذلوا الجهد فى رضا الجبار
أنتم الآن فى ليال عظام قدرها زائد على الاقدار
فاستزيدوا من العبادة فيها تأمنوا اليوم من عذاب النار
أين من يركب الذنوب اغترارا لا يخافون سطوة القهار (١)
قد أهل الهلال من رمضان شهر زلفى وتوبة وادكار
فاذكروا الله فيه ذكرا كثيرا واستجيروه من عذاب النار
وارجعوا عن ذنوبكم بمتاب صادق واقلعوا عن الاصرار
رب من كان مسرفا مستمرا فى خطاياه مكثر الاوزار
ثم إن الاله تاب عليه فاقتضى حمده سبيل الخيار
فاعملوا أيها المسيئون وادعوا ربكم جهرة وفى الاسرار
واحذروا غفلة القنوط وداووا داءها بالرجوع للغفار
تجدوا الله فى المعاد كريما ماحيا للذنوب والاصرار

إخوانى هذا شهر ليس مثله فى سائر الشهور ، ولا فضلت به أمة غير هذه الامة فى سائر الدهور ، الذنب فيه مغفور ، والسعي فيه مشكور ، والمؤمن فيه محبور (٢) والشيطان مبعد مثبور ، والوزر والاثم فيه مهجور ، وقلب المؤمن بذكر الله معمور ، وقد أناخ بفنائكم وهو عن قليل راحل عنكم ، شاهد لكم وعليكم ، مؤذن بشقاوة أو سعادة ، أو نقصان أو زيادة

(١) ليت المؤلف رحمه الله اطلع على مافى زمننا هذا وقد صار صيام رمضان « موضة قديمة » فلا يصومه الا الشيوخ والعجائز من العامة وأما شباننا وفتياتنا فانهم يأكلون ويشربون عيانا جهارا ولا رادع من دين ولا وازع من أخلاق . ويا ليتهم استتروا بمعصيتهم الشنيعة
(٢) المحبور هو المسرور ، وحبره سره .

وهو ضعيف مسئول ، من عند رب لا يحول ولا يزول ، يخبر عن المحروم منكم والمقبول. فالله الله اكرموا نهاره بتحقيق الصيام ، واقطعوا ليله بطول البكاء والقيام ، فلعلكم أن تفوزوا بدار الخلد والسلام ، مع النظر الى وجه ذي الجلال والاكرام ، ومرافقة النبي عليه الصلاة والسلام . وأنشدوا :

الا داع إلى الله المجيب ... بقلب من معاصيه معيب (١)
ألا باك الايام تقضت ... بلا عمل ولا قول مصيب
ألا باك على أمد بعيد ... يؤديه إلى أجل قريب
فان الموت يندبنا ويبغي ... نفوسا ليس تألم للذنوب
تنادي للترحل كل يوم ... ولا تصغى الى الداعى القريب
كأن يقيننا بالموت شك ... ونلغي الحق بالافك المريب
وشهر الصوم شاهده علينا ... باعمال القبائح والذنوب
فياربا ه عفوا منك والطف ... بفضلك للمحير والكئيب
وهذا الصوم لاتجعله صوما ... يصيرنا الى نار اللهيب
سلام الله ماهبت عليه ... قبول أو شمال أو جنوب

عباد الله هذا أول الصوم قد أقبل عليكم بالمغفرة والرحمة ، فلا تصرفوه عنكم بالسخط والنقمة . لانه شهر عظيم ، زكى مبارك كريم ، من أطاع فيه الملك الجبار ، واتبع فيه السنة والآثار ، غفر الله له ماقد سلف من الذنوب والاوزار ؛ وخاصه برحمته من عذاب النار ، وأباحه بلطفه دار الرحمة والقرار ، مع مجاورة النبى محمد المختار ، صلى الله عليه وعلى آله السادة الاخيار ، ومن عصى فيه الملك القهار ، وخالف القرآن والآثار ، وعمل باعمال الفجار ، ولم يوقر شهرا عظمه الاله الستار ، غضب عليه مقدر الاقدار ، ولعنه كل شيء تختلج بالليل والنهار ، هكذا روى عن الصادق المصدوق محمد المختار ، قال الله الملك الجبار ☼

تقسيم الصوم

(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) الصيام

(١) كذا وردت في الاصل ، ويترجح عندى أنها محرفة عن منيب أي تائب راجع ، والانابة الرجوع .

ينقسم على أحد عشرضربا ، صيام الفرض (١) وصيام الظهار (٢) وصيام النقل (٣) وصيام الوطء فى رمضان (٤) وصيام كفارة اليمين (٥) وصيام فدية الاذى (٦) وصيام التمتع والقران (٧) وصيام إفساد الحج (٨) وصيام كفارة قتل الصيد (٩) وصيام النوافل (١٠) وصيام النذر (١١) ❋

والايام المنهى عن صيامها ستة ، يوم الفطر ، ويوم الاضحية ، وثلاثة ايام بعد ايام التشريق ويوم الشك (١٢) ❋

الصوم اللغوى

(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) الصوم ضربان ، صوم لغوى وصوم شرعى ، فالصوم فى اللغة هو الامساك وكل ممسك عن شيء فهو صائم . وذم اعرابى قوما فقال : يصومون عن المعروف ، ويفطرون على الفواحش . قال الله تعالى إخبارا عن مريم عليها السلام (فقولى إنى نذرت للرحمن صوما) يعنى صمتا . يقال صام النهار إذا ارتفعت الشمس ويقال صامت الخيل وهو قيامها من غير علف ولا حركة . قال الشاعر :

خيل صيام وخيل غير صائمة   تحت العجاج (١٣) وخيل تعلك (١٤) اللجما

أي خيل تصهل وخيل لا تصهل ❋

صيام الجوارح

وكذلك حقيقة الصيام ترجع الى اللغة لان مامن جارحة فى بدن الانسان الا ويلزمه الصوم

---

(١) وهو صيام شهر رمضان (٢) الظهار هو قول الرجل لامرأته أنت على كظهر أمى (٣) أى الانتقال من أي دين الى دين الاسلام (٤) هو كفارة عن هذه الخطيئة الشديدة (٥) وهو ثلاثة أيام (٦) وهو خاص بالحاج إن ترك شيئا من اعمال الحج لمرض أو غيره (٧) من استمتع بجاريته أو تزوج فى الحج (٨) افساد الحج لاى سبب كان

(٩) قتل الصيد فى مكة أيام الحج (١٠) أي صوم النوافل مثل الستة أيام البيض وغيرها

(١١) من نذره لاى شيء (١٢) أى اليوم الذى يشك فيه هل هو من شعبان أم من رمضان فان لم يعتقد أنه من رمضان فانه يفطر فيه . (١٣) العجاج الغبار والدخان والمراد ميدان الحرب (١٤) تعلك اللجما أى تمضغها ،والعلك بالكسر هو الذى يمضغ .

فى رمضان وفى غير رمضان ، فصوم اللسان ترك الكلام الا فى ذ كر الله تعالى ، وصوم السمع ترك الاصغاء الى الباطل والى مالا يحل سماعه ، وصيام العينين ترك النظر والغض عن محارم الله تعالى لان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من نظر الى امرأة نظرة حراما حشا الله عينيه يوم القيامة بمسامير من نار حتى يقضى الله بين الخلق ثم يؤمر به الى النار الا أن يتوب » وعلى كل نظرة لفحة من لفحات جهنم *

عقاب نظرة فى الحرام

ذكر عن بعض الصالحين أنه نظر على وجهه لمعة سوداء فسئل عنها فقال : نظرت يوما الى امرأة فتابعت النظرة بأخرى ، فرأيت فى المنام كأن القيامة قد قامت وقد نشر الخلائق فى صعيد واحد وجىء بجهنم ونصب الصراط على متنها وقال الله تعالى لى جز يا عبدى فاقتحمت الصراط فخرج لسان من نار جهنم فأحرق وجهى فأثر فيه هذه اللمعة ، فقال الله تعالي يا عبدي نظرة بنظرة ولو زدت لزدناك . هذا فى المنام من نظرة فكيف بمن تابع النظر ، ولم يغض البصر ؟ ! وصيام اليدين أن تقبضهما عما ليس لك بحق ولا ملك وأن لا تبسطهما الا بما هولله عز وجل رضى . وصيام البطن أن تخمصه عن أكل الربا والحرام وعن أكل أموال اليتامى ظلما . وصيام القدمين أن لاتسعى بهما فى غير طاعة الله عز وجل لانه قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مشى فى إفشاء عيب أو كشف عورة لمسلم كان أول خطوة يخطوها يضعها الله فى النار ، وكشف الله عورته يوم القيامة على رؤس الاشهاد ثم يؤمر به الى النار . وصيام الفرج القعود عن الفواحش لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

عقوبة الزنا

« من زنى بامرأة يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو مسلمة أو كأية من كانت من النساء فتح الله عليه فى قبره ثلاثمائة باب من جهنم يخرج عليه منها حيات وعقارب من نار جهنم وشهب من نار فهي تحرقه وهو معذب بما يلقى من حيات جهنم وعقاربها ويبعث يوم القيامة وهو يتأذى به الناس من ريح فرجه ثم يؤمر به الى النار وهو يؤذي أهل النار مع ما هم فيه من شدة العذاب » وقال صلى الله عليه وسلم : « من زنى بحليلة جاره المسلم لم يرح رائحة الجنة وان ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام » وقال صلى الله عليه وسلم : « عفوا تعف

نساؤكم » من فسد فسد به (١) ، وما من رجل زنى بامرأة الا جلد بين يدى الله تعالى يوم القيامة ثمانين سوطا من نار من بين يديه ومن خلفه ثم هو فى مشيئة الله عز وجل *

آفات الزنا

وقال صلى الله عليه وسلم : « الزنا يورث صاحبه ست خصال ثلاث معجلات — يعني فى الدنيا وثلاث مؤخرات — يعنى فى الآخرة — فأما التى في الدنيا فانها تذهب بالبهاء ، وتورث الفقر ، وتقصر العمر ، وأما التى فى الآخرة فانها توجب سخط الله ، وسوء الحساب ، والدخول في النار » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مررت ليلة أسرى بي على أناس أمامهم موائد حسان وعليها لحم مشوى كأحسن مايكون من الشواء ، وحولهم جيف أنتن مايكون من الجيف وهم يأكلون فى الجيف ويتركون الشواء ، فقلت حبيبي جبريل من هؤلاء ، قال : الزناة من أمتك يامحمد تركوا ماأحل الله لهم ، وأقبلوا على ماحرم عليهم ، فاليوم يطعمون بما يكرهون ، و يحرمون مايشتهون » ألا وإنه لا أحد أغير من الله ومن غيرته حرم الفواحش وحد الحدود وكذلك من عمل عمل قوم لوط (٢) حشره الله يوم القيامة أنتن من الجيف يتأذى به أهل الجمع ، ثم يؤمر به إلى النار ، فاذا دخل النار أمر به فأدخل فى تابوت من نار فيسمر عليه مسامير فوق صفائح التابوت حتى يشد فى تلك المسامير ، فلو وضع ماعلى عرق من عروقه من الآلام والأوجاع على أربعمائة الف أمة لماتوا جميعا ، وهو أشد من في النار عذابا . ومن تاب ورجع فى حياته فان الله يغفر له ولا يسأله عن ذلك بعد وفاته . فهذا صيام الجوارح وهو فرض على كل مسلم أبد الدهر فى رمضان وفى غيره .

فالله الله عباد الله صوموا جوارحكم عن المنكرات ، واستعملوها فى الطاعات تفوزوا بنعيم الابد فى قرار الجنات ، والتمتع بالنظر إلى جبار الارض والسموات .

---

(١) قال الشاعر :

من يزن يزن به ولو بجداره   إن كنت يا هذا لبيباً فافهم

(٢) وقد جاء فى بعض الاخبار أن قوم لوط لم يكونوا يستمتعون بالغلمان فى أدبارهم كما يفعل هؤلاء الفساق بل كانوا يتخذون الغلمان مباهاة وتفاخرا فانزل الله عليهم أشد سخطه .

الصوم الشرعى

والصوم الشرعى هو الامساك عن الاكل والشرب والجماع بنية من قبل الفجر ، ويجوز صوم رمضان بنية فى أوله . فهذا حد الصيام فى اللغة والشريعة .

قال الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) فيه أقوال كثيرة وأصحها ... ان المعنى فرض عليكم الصيام كما فرض على الامم الماضية التي سلفت من قبلكم ، قال مجاهد : هم أهل الكتاب ❊

روى عن سعيد بن جبير رضى الله عنه أنه قال فى قوله تعالى (كما كتب على الذين من قبلكم) أنه كان كتب عليهم إذا نام أحدهم قبل الاكل لم يطعم شيئا الى الليلة المقبلة ؛ وحرم عليهم أن يقربوا النساء تلك الليلة ، ورخص الله تعالى فى ذلك لهذه الامة ❊

وقيل إشارة الله تعالي بقوله (كما كتب على الذين من قبلكم) الى الامم الخالية وهذه الآية مدح لامة محمد صلي الله عليه وسلم لان مامن أمة ولا نبى الا وقد فرض الله تعالى عليه وعلى امته صيام شهر رمضان ، فآمنت به هذه الامة وكفرت به سائر الامم . وقيل اشارة الله تعالى بهذا الى النصارى وكانوا قد فرض عليهم اذا نام أحدهم من بعد غروب الشمس حرم عليه الطعام والشراب وكان وطء النساء عليهم حرام حتي بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة لهذه الامة وفرض عليهم شهر رمضان ، فبقي الامر على تحريم الطعام والشراب بعد النوم ، وكذلك تحريم وطء النساء حتى وقع اربعون رجلا فى الامر منهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، جامعوا نساءهم بعد النوم ❊

حكاية الانصارى

وجاء رجل من الانصار يكنى أبا قيس واسمه صرمة بن قيس من بنى النجار فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة المغرب والعشاء ثم أتى منزله فقالت امرأته : على رسلك (١) حتى أسخن طعاما صنعته ، فذهبت ثم عادت اليه وقد نام من تعبه فقالت له : الخيبة الخيبة، حرم عليك والله الطعام والشراب فبات طاويا (٢) ، وأصبح صائما وعمل فى

(١) على رسلك بالكسر أى اتئد على مهلك وهينتك . (٢) الطوى الجوع والطاوى الجائع

ارضه فاصابه من التعب ماغشى عليه فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم يهادى بين رجلين فقال له : « مالى أراك أبا قيس طليحا ؟ » والطليح هو الضعيف — وفى لغة أخرى هو التمايل — فأخبره بخبره فرق له رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دمعت عيناه ، وكانت قصة الانصارى أولا ، وكانت قصة عمر والاربعين رجلا رضوان الله عليهم آخرا ، فانزل الله تعالى فى قصة عمر وبدأ بها لان الجناح في الوطء هو اكثر منه فى الاكل ¤

قصة عمر بن الخطاب وغيره

فأنزل الله فى قصة عمر رضى الله عنه وفى الاربعين رجلا الذين وقعوا فى الوطء هذه الآية (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) الى قوله (وابتغوا ما كتب الله لكم) وقال الله تعالى فى قصة صرمة بن قيس (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل) وهذه رحمة من الله تعالى لامة محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل ان النصارى فرض عليهم صيام شهر رمضان فى الانجيل فكانوا يصومون شهرا فمرض ملك من ملوكهم فجعل عليهم إن أفاق أن يزيدوا فيه عشرة ايام ، فبرأ فزادوا فيه عشرة أيام فكانوا يصومون أربعين يوما ، فهلك ذلك الملك وجاء ملك آخر فاكل لحما فأوجع فاه فاشتكى فجعل عليه إن برىء يزيد فيه سبعة ايام فبرأ فزادوا فيه ، ثم انه هلك وجاء بعده ملك آخر فقالوا اجعلوه فى حين لا حر ولا قر فحجبهم الله تعالى عن فضل الشهر العظيم ، للاله الكريم الحكيم ، وجعلهم من اصحاب الجحيم ، وجعل ثوابهم لامة النبى الرؤوف الرحيم ¤

الاعرابي المجتهد

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه جاءه رجل من أهل نجد ثائر الرأس (١) يسمع دوى صوته ولا يفقه ما يقول ، حتى دنا فاذا هو يسأل عن الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خمس صلوات فى اليوم والليلة » فقال هل على غير هذا ؟ فقال « لا إلا أن تطوع » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وصيام شهر رمضان » قال هل على غيره ؟ قال « لا إلا أن تطوع » وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة فقال له هل على غيرها قال «لا إلا أن تطوع » قال فأدبر الرجل وهو يقول والله لاأزيد على هذا ولا أنقص منه .

(١) ثائر الرأس أى أن شعره أشعث غير منظم

فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أفلح إن صدق » (١)

ثواب الصيام

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » فارغبوا رحمكم الله فى هذا الثواب العظيم ، والملك الجسيم ، وصوموا واحتسبوا ثوابه عند الرب الرحيم ، فانه شهر أنزل فيه القرآن من عند الملك الرحمن على النبي محمد عليه الصلاة والسلام . فارغبوا فى فضله ، وسارعوا إلى القيام بحقه يا أولى العقول والالباب ؛ ولا تعملوا أعمال من خالف السنة والكتاب فما تدرون أترون غيره أم لا.

فضل الصلاة على النبي

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اخبرنى جبريل عليه السلام قال يا محمد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فلم يغفر الله له فدخل النار أبعده الله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين ؛ ثم قال جبريل عليه السلام من أدرك والديه أو أحدهما فلم يغفر له فدخل النار أبعده الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمين ، ثم قال جبريل يا محمد من أدرك شهر رمضان فلم يتقبل منه فمات فلم يغفر له فيه فدخل النار فابعده الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمين » . فالله الله إياكم والموت أن يفجأكم وقد حيل بينكم وبين صيام غيره وقد فاز العاملون وخسر المبطلون ✡

صيام الدهر

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر كله » . وفقنا الله وإياكم لاعمال البر برحمته . قال الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) سماهم باسمه ورسمهم برسمه ، وشرفهم حين عرفهم فقال (ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) سهل عليكم بذلك موارد الخطاب. فلما أراد الله جل جلاله أن يكلفهم الصيام الشاق عليهم بدأ الله بأخص أسماء المؤمنين ، وأجل

---

(١) وفى رواية أخري « أفلح الاعرابى إن صدق » والمراد بذلك والله أعلم إن صدق النية وأخلص فى العمل وواظب على الفرائض بحضور قلب فقد أفلح .

صفات العارفين ، وأعلا مقام المحبين ، فقال (ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) ثم زاد بيانا فقال (أياما) ثم زاد بيانا فقال (معدودات) ثم زاد بيانا فقال (شهر) ثم بين أي شهر فقال (شهر رمضان) ثم بين ورقق ويسر فقال(كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر) ثم بين تمامه فقال (ثم أتموا الصيام الى الليل) فكأنه سبحانه قال كتبت عليكم الصيام أياما في السنة ووعدتكم عليها المقام فى الجنة ، كتبت عليكم الصيام شهرا ، ووعدتكم الثواب شهرا (١) دهرا . كتب الله الصيام على عبيده وكتب الرحمة على نفسه ، كتب الصيام أياما معدودات، وكتب لكم على نفسه الحصول فى الدرجات ، كتب عليكم أن تصوموا شهرا وكتب لكم بالحسنة عشرا *

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صام رمضان فى إنصات وسكون ، وكف سمعه وبصره ولسانه ويده وجوارحه عن الحرام والكذب والغيبة والاذى اقترب من الله تعالى يوم القيامة حتى تمس ركبته ركبة ابراهيم الخليل ولم يكن بينه وبين العرش الا فرسخ او ميل » شك عطاء بن يسار فى هذا الحديث *

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : «لو أذن الله عز وجل للسموات والارض أن تتكلما لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة » الاشارة في قوله تعالى (أياما معدودات) كأنه سبحانه يقول فريضتى عليكم معدودة ، وعطيتى لكم (غير) محدودة ، عبادتكم لى بارة و نعمتى عليكم بارة (٢) طاعتكم من الحين الى الحين ، وثوابى لكم أبد الآبدين . صيامكم لى من العام الى العام ، واباحتى لكم من الجنة أحسن المقام . اعلموا عباد الله أن مولاكم جل جلاله حياكم بشهر الصيام ، وشرفكم بملة الاسلام ، وجعلكم من خير أمة أخرجت للانام ، بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام . فلا تدنسوا شهركم بالافك والزور ، وأطيعوا مولاكم الكريم الغفور ، تفوزوا فى الجنان بالولدان والحور *

التوبة فى رمضان

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فان الله تعالى قد وكل به ملائكة لايغلقونه مادام الصائمون يصومون *

(١) كذا فى الاصل ولعل لفظة شهر الثانية زيادة . (٢) كذا وردت هذه اللفظة فى الاصل ومعناها بارة من البر والنماء

أحاديث عدة فى فضل رمضان

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « للجنة باب يقال له باب الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم ، يقال أين الصائمون ؟ فيقومون فاذا دخلوا غلق فلم يدخل منه أحد »

وروى عن أبي هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار ، وصفدت (١) الشياطين ونادى مناد ياباغى الخير هلم (٢) ، ويا باغى الشر أقصر »

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن لله ملكا رأسه تحت العرش — عرش رب العالمين — ورجلاه فى تخوم الارضين ، له جناحان أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب أحدهما من ياقوتة حمراء ، والآخر من زبرجدة خضراء ينادى كل ليلة من شهر رمضان ، هل من تائب فيتاب عليه ، هل من مستغفر فيغفر له ، هل من طالب حاجة فيسعف بحاجته ياطالب الخير أبشر ، وياطالب الشر أقصر وأبصر » . فأين أنتم يا إخواننا من هذا النعيم المقيم ، وهذا الثواب العظيم ، من عند الاله الكريم ! ؟ ثم اجتهدوا فى هذا الشهر تسعدوا فى باقى الدهر ، واجتهدوا فى هذه الايام القليلة ، تفوزوا بالنعم الجزيلة ، والراحة الدائمة الطويلة . اجتهدوا فى شهر رمضان تفوزوا بجنات الرضوان مع الحور الحسان .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أتاكم شهر رمضان شهر خير وبركة يغشيكم الله فيه بالرحمة ، ويغفر فيه الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، وينظر فيه إلى تنافسكم ، ويباهي بكم الملائكة ، فادوا فيه أنفسكم خيرا فان الشقى كل الشقى من حرم فيه رحمة الله تعالى . » فالله الله عباد الله إياكم والحرمان ، والتمادى فى العصيان ، ولا ترضوا في أديانكم بالنقصان ، فى الشهر الفاضل شهر رمضان .

عظيم فضل رمضان

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو يعلم الناس مالهم فى شهر رمضان لتمنوا

---

(١) التصفيد التقييد . ويريد قيدهم وسجنهم (٢) هلم يارجل بمعنى تعال ويقال للواحد والجمع والمؤنث ، وفى القرآن الكريم (والقائلين لاخوانهم هلم الينا)

ان تكون السنة كلها رمضان» فقالوا يارسول الله حدثنا به فقال ‹‹ إن الجنة لتزين من الحول إلى الحول لدخول شهر رمضان ، فاذا كانت أول ليلة من رمضان هبت ريح من تحت العرش يقال لها المثيرة فتصفق ورق الجنان وخلق المصارح (١) فيسمع لذلك طنين (٢) لم يسمع السامعون أحسن منه ، فتتزين الحور العين ثم يقفن بين شرف الجنة فينادين ، هل من خاطب لنا إلى الله فيزوجه ؟ ثم يقلن يارضوان ماهذه الليلة ؟ فيجيبهن بالتلبية (٣) ياخيرات حسان ، هذه أول ليلة من شهر رمضان ، فتفتحت أبواب الجنان للصائمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ويقول الله تعالى يارضوان افتح أبواب الجنان للصائمين والقائمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولا تغلقها حتى ينقضي شهرهم هذا ، فاذا كان اليوم الثاني أوحي الله تعالى إلى مالك خازن النار يامالك أغلق أبواب النيران عن الصائمين والقائمين من أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ولا تفتحها حتى ينقضي شهرهم هذا ، فاذا كان فى اليوم الثالث أمر الله جبريل عليه السلام أن اهبط إلى الارض فصفد مردة الشياطين وعتاة الجن وغلهم فى الاغلال ثم اقذف بهم فى لجج البحار كى لايفسدوا على أمة محمد حبيبي صيامهم ، فاذا غلقت فى شهركم أبواب النيران ، وفتحت أبواب الجنان ، وصفد فيه الملعون الشيطان ، فأولى أن لايسكنكم مولاكم دار العقوبة والهوان ، وأن يمنحكم بمنه وفضله دار الخلود والرضوان ، كما فضلنا بشهر التجاوز والغفران ، وهو الكريم المتفضل المنان *

الصيام والقرآن شفيعان

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ‹‹ الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام رب عبدك منعته الطعام والشراب والشهوات بالنهار شفعني فيه ، ويقول القرآن رب عبدك منعته النوم بالليل وتلانى وحرم النوم من أجلي فشفعني فيه فيشفعان»

ويا أخي إذا كان شهر رمضان فى القيامة شفيعا فكن لمولاك فيه عبدا سامعا مطيعاً ، وليكن قلبك عن معصيته رفيعا (٤)

(١) كذا بالاصل وليس لذلك معنى ولعلها محرفة عن حلق المقارع (٢) الطنين صوت الذباب والطست والبطة ولعله يريد أن للاغصان وورق الشجر طنينا أى صوتاً جميلا (٣) أى يقول لهن لبيك ومعناها أنا مقيم على طاعتك (٤) أى مترفعا عن المعصية لارفيعا ضد الغليظ

الصيام باب العبادة

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لكل شيء باب وباب العبادة الصيام » وإذا كان الصيام لعبادة الرحمن بابا فأولى أن يكون بينكم وبين النار حجابا . أين من يدل على طريق السعادة ! عسى أصل بعد النقصان إلى الزيادة ، وألزم نفسى الاجتهاد في العبادة . وأنشدوا :

الاخبرا (٢) لمقترح النواح أطير اليه منشور الجناح
فأسأله وألطفه عساه سيسلى ما بقلبي من جراح
ويجلو مادجا من ليل جهلى بنور هدى كمنسلخ الصباح
سأصرف همتى بالكل عما نهانى الله من أمر المزاح
إلى شهر الخضوع مع الخشوع الى شهر العفاف مع الصلاح
يجازى الصائمون اذا استقاموا بدار الخلد والحور الملاح
وبالغفران من رب عظيم وبالملك الكبير بلا براح
فيا أحبابنا اجتهدوا وجدوا لهذا الشهر من قبل الرواح
عسى الرحمن أن يمحو ذنوبي ويغفر زلتى قبل افتضاحى

فضل السحور

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تسحروا فان الله يحب المتسحرين والملائكة تصلى على المتسحرين وتستغفر لهم »

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال . «لاتزال أمتي بخير ماعجلوا الفطر وأخروا السحور »

ذكر فى بعض الاخبار أن العبد المؤمن اذا قام في رمضان الى السحور فتوضأ وصلى ركعتين جعل الله تعالى خلفه سبع صفوف من الملائكة ، فاذا فرغ ودعا أمنوا على دعائه ، ويكتب الله تعالى له بعددهم حسنات ، ويرفع له فى الجنة بعددهم درجات ، ويمحو عنه

(١) يقول هل من خبر عن مقترح النواح وهو الواعظ الذي يترك الناس متأثرين بوعظه يبكون فان للقلب فى البكاء راحة للنفس اطمئنان ، وفى الندم إنابة

بعددهم سيئات ، ثم لايزالون يدعون ويستغفرون له الى يوم القيامة » فالله الله اغتنموا فى هذا الشهر المكرم هذا الثواب المعظم ، ولاتقطعوا نهاره بالغيبة وقبح الكلام ، وتغفلوا فى ليله عن طول القيام ، وتفطروا فيه على السحت والحرام . وتصوموا بجارحة واحدة وتهملوا سائر جوارحكم فى المعاصى والآثام ، فاتقوا الله إن الله عزيز ذو انتقام . وأنشدوا:

أتعصى بعد شيب الرأس جهلا كما قد كنت تعصيه غلاما
أراك من التهاون لاتبالى ولاترعي الصلاة ولا الصياما
وتفرح بالفطور ولا تبالى حلالا كان كسبك أم حراما

عباد الله اغتنموا بركة هذا الشهر العظيم ، المخصوص بالتفضيل والتكريم الذي بلغنا الله اليه فى صحة من الاجسام ، وسلامة من عوارض الاسقام ، فالواجب على من عرف قدر هذه النعمة التى سوغها ، وفضل هذه الايام التي بلغها ، أن يحفظها من التخليط والالتباس ، وأن يكف أذاه عن جميع الناس ، وأن يحذر لغو الكلام ، ولايبطل فضل الصيام عند الملك العلام .

شدة العقوبة فى رمضان

وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من سرق في رمضان أوزنا أوغصب أو انتهك حراما أو شرب خمرا أو تعدى ظلما لم يتقبل الله منه صرفا ولاعدلا ولعنه هو وملائكته إلى مثله من الحول » . فكل من يؤذى فى رمضان ويظلم على مثل ماقدم يقدم ويندم حيث لاينفعه الندم . فكم من صائم عن الطعام مفطر بالكلام ، دائب على القيام مؤذ للانام ، فهو من لسانه وفعله موزور (١) وعلى صيامه وقيامه غير مأجور . أين من زاغ (٢) عن الهدي ، ودل على سبيل الردى ، بل أين من رانت الذنوب على قلبه ، ولم يبادر بالتوبة من ذنبه ، ولم يخف من عذاب ربه ، ويحك يامسكين اغتنم شهر رمضان المتضمن بالرحمة والغفران وانظر لنفسك يامسكين قبل أن تصل إلى حلقك السكين ، وانتبه من نومك يامغرور فان ربك كريم غفور . إلى أى وقت تعانق حوبتك ، ولأى يوم تؤخر توبتك ، إلى حول حائل أو إلى عام قابل ، كلا والله ماإليك الاقدار ، ولا بيدك المقدار ، لعلك إذا انقضى عنك شهر الصوم ، لم يبق من عمرك إلا يوم (٣) ياهذا إذا أنت صمت فلتصم جوارحك كلها ، بطنك من الحرام ، ولسانك من قبح الكلام ، وبصرك ويدك وسمعك من الاجرام ، وا كتساب الآثام .

---

(١) أى فوقه الاوزار وهى الآثام (٢) الزيغ الميل ، وزاغ البصر كل والشمس مالت
(٣) انظر رحمك الله الى رقة المؤلف فى عظته وكيف يسترق الافئدة والقلوب .

كف الجوارح عن الشرور

عباد الله ينبغي لمن أصبح صائما أن يقول للسانه إنك اليوم صائم من الكذب والنميمة، وقول الزور والباطل والغيبة ، ولعينيه إنكما اليوم صائمتان عن النظر إلي مالايحل لكما ، وللاذنين إنكما اليوم صائمتان من الاستماع إلى مايكره ربكما ، ولليدين إنكما اليوم صائمتان من البطش فيما حرم عليكما من الغش فى البيع والشراء والاخذ والعطاء ، وللبطن إنك اليوم صائمة عن المطعم فانظرى على ماذا تفطرى وتجنبي المطعم الخبيث الذى تدعين اليه فان الله طيب ولا يقبل الا الطيب ، وللقدمين إنكما اليوم صائمتان من السعى الى ما يكتب عليكما وزره ويبقى قبلكما تباعته وإثمه . ومن وقف لهذا وصبر عليه فقد أوفى بعهد نبيه صلى الله عليه وسلم اليه . ومخاطبة ابن آدم لجوراحه بما تقدم وصفه يجب على العبد استعماله أيام صومه وغيرها مادام حيا ، هكذا كلما أصبح صباح أو أقبل مساء وفقنا الله وإياكم لاستعمال ذلك وأمثاله بتوبة صادقة مخلصة عاجلة بكرمه . فالله الله عباد الله امتثلوا فى هذا الشهر المكرم وفى غيره أوامر الله تعالى وانتهوا عن نواهيه *

أصل رمضان فى اللغة

قال الله تعالى :(شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) فما جعله هدى فلا يكون ضلالة ؛ وماجعله بيانا فلا يكون جهالة ، وما ضعف فيه الاجر فلا تجعلوه بطالة *

شهر رمضان ، قيل سمى شهر رمضان لشدة الحر فيه ، وقيل أخذ من حرارة الحجارة لما يأخذ القلوب من حرارة الموعظة والفكرة والاعتبار بأمر الآخرة . قال الخليل : (١) الرمضاء الحجارة الحارة ، ورمض الانسان اذا مشى على الرمضاء، فسمى رمضان بذلك لانه يرمض الذنوب أى يحرقها ، وقيل سمي بذلك لانه شهر يغسل الابدان غسلا ، ويطهر القلوب تطهيرا . وهو مأخوذ من الرمض وهو مطر يأتي قبل الخريف . وقيل رمض ورفض بمعنى واحد وهو من الحروف المتعاقبة ، يرفض قوما الى محل القربة والزلفي ، ويرفض آخرين الى

(١) هو الخليل بن احمد الفراهيدى صاحب كتاب العين فى اللغة توفى ولم يكمله وفقد الكتاب ولم يبق منه الا شذرات متفرقة فى مكاتب اوربا وهو أول من وضع علم العروض

محل البعد والسخطة . وقيل سمى شهرا لشهرته . وهو شـهر الايقان ، وشهر القرآن ، وشهر الاحسان ، وشهر الرضوان ، وشـهر الغفران ، وشهر إغاثة اللهفان ، وشهر التوسـعة على الضيفان ، وشهر تفتح فيه أبواب الجنان ، ويصفد (١) فيـه كل شيطان ، وهو شهر الامان والضمان . شهر يخفف فيه عن المملوك . تزهر فيه القناديل ، وينزل فيه بالرحمة جبريل ، ويتلى فيه التنزيل ، ويسمح فيه للمسافر والعليل ، شهر رمضان للعباد مثل الحرم فى أم البلاد (٢) الحرم يمنع منه الدجال اللعين ، ورمضان يصفد فيه مردة الشياطين . شهر رمضان فى الدنيا ، مثل الجنان فى العقبي ، سدر مخضود ، وطلح منضود ، وظل ممدود ، وملكه خلود ، متصل ليس يبيـد ، وفى رمضان بذل المجهود ، ورضى طلب المعبود ، وحفظ الحـدود ، واظهار الـكرم والجود . أقبل الصوم يا مسكين ، وكلنا مسا كين ، وأنت عاكف على ما يسخط الجبـار ، مصر على الآثام والاوزار ، عامل باعمـال اهل النار ، متشبه بالنساك والاخيار ، وأنت فى جملة الفساق والفجار ، وقد اطلع على سرك وضميرك عالم الضمائر والاسرار . وشهر الصوم شاهد عليك ، والملائكة تلعنك والله لا ينظر اليك ، وهو جل جلاله باعراضك عن الطاعة معرض عنك غاضب عليك ، فلا تجعل أيها الصائم شهرك هذا كسائر الشهور . والله سبحانه ينظر من عبده اذا لم ير أثرا لشهر رمضان من ملـكه لجوارحه ، يقول جل جلاله هذا عبدى لا يعرف لشهرى هذا فضلا ، وأنا لا أعلم الآن له عندى فضلا *

عظة بليغة

أفق يا ذا الغى والمحال ، واستيقظ ياذا السهو والاغفال ، وانتبـه من السكرات الطوال . أترضى يا مسكين أن يرد صومك فى وجهك من غير قبول من الله ؟ أتستحسن أن تـكون جائعا عطشان وليس لك جاه عنـد الله ؟ أين النية المجردة ، أين التوبة المجددة ، أين الندامة المؤكدة ، أين الحلال من الطعام ، أين اجتناب الطعمة الحرام ، أين حجر الاوزار والآثام أين الرحمة لذوي الفقر والضعفاء والايتام ، أين الاخلاص للملك العلام ، أين التزام شريعة الاسلام ، أين الاسوة بالنبي عليه الصلاة والسلام ؟؟ انظر يامسكين إذا قطعت نهارك بالعطش والجوع ، وأحييت ليلك بطول السجود والركوع ، إنك فيما تظن صائم ، وأنت فى جهالتك

(١) صفده شده ، والصفد والصفاد مايوثق به الاسير من قد وقيد وغل ، والاصفاد القيود
(٢) أم البلاد هى مكة ويقال أم القري والحرم هو البناء الذى فيه الـكعبة المشرفة .

جازم ، وفى صلاتك دائم ، وفى بحار سكراتك هائم . أين أنت من التواضع والخشوع ،أين أنت من الذلة لمولاك والخضوع ، أتحسب أنك عند الله من أهل الصيام والأمان الفائزين في شهر رمضان ؟ ؟ كلا والله حتى تخلص النيـة وتجردها ، وتطهر الطوية وتجودها ، وتجتنب الاعمال الدنية ولاتردها ، وتكثر البكاء والحسرة ، وتسيل الدموع والعبرة ، وتلزم الفكرة والعبرة ، وتسأل مولاك إقالة العثرة ، فحينئذ يكون صيامك لك من الذنوب شفاء ، ومن العيوب سترة وجلبابا . أين الصائمون ، أين القائمون ، أين الطائعون ، أين العاملون ، أين السابقون، أين الخاشعون ، أين الذاكرون، أين القانتون، أين الصادقون ، أين الصابرون ، أين المتصدقون ، أين الآمرون بالمعروف ، أين المغيثون الملهوف ، أين الناهون عن المنكر ، أين المستشعرون للفكر ، أين السامعون للعبر ، بادوا والله مع الصالحين ، وانقلبوا مع المؤمنين ، ونزلوا مع النبيين ، وسكنوا مع الصديقين ، وبقينا والله مع الجاهلين ، وسكنا مع الفاسقين وتأسينا بالغافلين ، واصطلحنا على معصية رب العالمين . فصيامك يامسكين فى وجهك مردود وأنت عن رشدك مغيب مفقود ، وعن صلاحك ونجاحك غير موجود ، وأنت عن باب مولاك مبعد مطرود ، وأعمالك بالفسق موصولة ، وجوارحك للعصيان مبذولة ، والفاظك فى الغيبة مجعولة ، وعزيمتك للطاعة محلولة ، وعبادتك فى هذا الشهر غير مقبولة ، وفرائض مولاك بالمعاصى مهمولة . وأنشدوا :

الصوم جنة أقوام من النار ... والصوم حصن لمن يخشى من النار
والصوم ستر لأهل الخير كلهم ... الخائفين من الاوزار والعار
والشهر شهر آله العرش من به ... (رب) (١) رحيم لثقل الوزر ستار
فصام فيه رجال يربحون به ... ثوابهم من عظيم الشأن غفار
فأصبحوا فى جنان الخلد قد نزلوا ... من بين حور وأشجار وأنهار

فهنيئا لمن أطاع الملك الرحمن ، فى شهر الرحمة شهر رمضان ، لقد فاز بالحور والولدان في دار السلام والرضوان . صبروا الايام القليلة ، فأعقبهم الراحة الطويلة ، والنعمة الجزيلة كلما تعودت من الخير وماتعمل فى هذا الشهر ، جوزيت الى آخر العمر ، فان الخير عادة ؛ والشر لجاجة . أين أنت ياصائم ياقائم ، أقبل على الخير تفوز بسرور دائم . تاجر مولاك فانك

(١) لم ترد هذه اللفظة بالاصل ولا يستقيم الوزن إلا بها .

تربح وعامله فانك تفلح ، واعتذراليه فانه يقبل عذرك ، واستغفره فانه يغفر ذنبك ، وارغب اليه فانه يكشف كربك ، واسأله من فضله فانه يوسع رزقك ، وتب اليه فانه يعظم حظك يا أخى هذا شهر تستر فيه القبائح والعيوب ، وتلين فيه النفوس والقلوب ، وتغفر فيه الاوزار والذنوب ، وينفس الله عن الحزين المكروب ، يقول المولى جل جلاله للملائكته ياملائكتي انظروا الى الالسن اليابسة كيف تبتل بذكرى ، انظروا الى الاحداق (١) الصلبة كيف تدمع من خوفى ، انظروا الى الاقدام المنعمة تنصب فى المحاريب ابتغاء وجهى يا أخى متى أطعمت فى هذا الشهر لله رب الارض والسموات رفعت الى الدرجات العالية فى قرار الجنات ، وحصلت مع مولاك مكسيا من الحسنات عريانا من السيئات *

تقسيم الصوم والصائمين

والصوم ثلاثة ، صوم الروح وهو قصر الامل ، وصوم العقل وهو مخالفة الهوى . وصوم الجوارح وهو الامساك عن الطعام والشراب والجماع . يا أخى من صام عن الطعام والشراب فصومه عادة ، ومن صام عن الربا والحرام وأفطر على الحلال من الطعام فصومه عدة (٢) وعبادة ، ومن صام عن الذنوب والعصيان وأفطر على طاعة الرحمن فهو صائم رضى ، ومن صام عن القبائح وأفطر على التوبة لعلام الغيوب فهو صائم تقى ، ومن صام عن الغيبة والبهتان وأفطر على تلاوة القرآن فهو صائم رشيد ، ومن صام عن المنكر والاغيار وأفطر على الفكرة والاعتبار فهو صائم سعيد ، ومن صام عن الرياء والانتقاص وأفطر على التواضع والاخلاص فهو سالم ، ومن صام عن خلاف النفس والهوى وأفطر على الشكر والرضا فهو صائم غانم ، ومن صام عن قبيح أفعاله وأفطر على تقصير آماله فهو صائم مشاهد ، ومن صام عن طول أمله وأفطر على تقريب أجله فهو صائم زاهد . قال الله تعالى ﴿ فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾ يا أخى هذه رحمة مولاك رضى أن ينقص من حقه لئلا ينقص من نفسك وهذه غاية اللطف من مولاك . رخص لك أن تفطر الايام الطوال بالعذر ، ورخص لك أن تفطر متتابعا ، وتقضى إن شئت متفرقا ليسهل عليك ، وتصوم الايام القصار عوضا عن الايام الطوال ، وهذا الرفق *

(١) حدقة العين سوادها الاعظم وجمعها حداق . (٢) أى عدة لهم من النوائب ، وفى الحديث « الصوم جنة » . أى وقاية من الشر وغواية الشيطان .

تمثيل الشهور كاخوة يوسف

قيل الشهور الاثني عشر كمثل أولاد يعقوب عليه وعليهم السلام . وشهر رمضان بين الشهور كيوسف بين إخوته ، فكما أن يوسف أحب الاولاد الى يعقوب، كذلك رمضان أحب الشهور الى علام الغيوب *

نكت فى ذلك

نكتة حسنة لامة محمد صلى الله عليه وسلم ، إن كان فى يوسف من الحلم والعفو ما غمر (١) جفاهم حين قال (لا تثريب (٢) عليكم اليوم) فذلك شهر رمضان فيه من الرأفة والبركات والنعمة والخيرات، والعتق من النار ، والغفران من الملك القهار ، ما يغلب جميع الشهور ، وما اكتسبنا فيه من الآثام والاوزار *

نكتة حسنة ، الاشارة فيه جاء إخوة يوسف معتمدين عليه فى سد الخلل ، وازاحة العلل بعد أن كانوا أصحاب خطايا وزلل . فأحسن لهم الانزال، وأصلح لهم الاحوال ، وبلغهم غاية الآمال ، وأطعمهم فى الجوع ، وأذن لهم فى الرجوع ، وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم لعلهم يعرفونها ، فسد الواحد خلل أحد عشر . كذلك شهر رمضان واحد والشهور أحد عشر وفى أعمالنا خلل وأي خلل (٣) ، وتقصير وأي تقصير ، وتفريط فى طاعة العليم الخبير . ونحن نرجو أن نتلافى (فى) شهر رمضان مافرطنا فيه فى سائر الشهور ، ونصلح فيه فاسد الامور ، ويختمه علينا بالفرح والسرور ، ونعتصم فيه بحبل الملك الغفور. إن شاء الله تعالى بمنه واحسانه ، وعفوه وغفرانه ، إنه سميع بصير ، وهو نعم المولى ونعم النصير *

أولاد يعقوب ورمضان

وإشارة أخرى ، كان ليعقوب أحد عشر ولدا ذكورا وبين يديه حاضرين ينظر اليهم ويراهم ويطلع على أحوالهم وما يبدو من أفعالهم ، ولم يرتد بصره بشىء من ثيابهم ، وارتد بقميص يوسف بصيرا ، وصار بصره منيرا ، وصار قويا بعد الضعف ، بصيرا بعد العمى (٤) فكذلك

(١) غمر جفاهم أي علاه والغمر الكثير . (٢) التثريب الاستقصاء فى اللوم . وتشديده
(٣) الخلل الفساد فى الامر . (٤) يؤخذ من كلام المؤلف أن يعقوب عليه السلام كان

المذنب العاصى اذا شم روائح رمضان ، وجلس فيه مع المذكرين وقرأ القرآن ، وصحبهم بشرط الاسلام والايمان ، وترك الغيبة وقول البهتان ، يصير إن شاء الله مغفورا له بعد ما كان عاصيا ، وقريبا بعد ما كان قاصيا ، ينظر بقلبه بعد العمى ، ويسعد بقربه بعد الشقا ، ويقابل بالرحمة بعد السخط ، ويرزق بلا مؤونة ولا تعب ، ويوفق طول حياته ، ويرفق بقبض روحه عند الوفاة ، ويفضل بالمغفرة عند اللقاء ، ويحظى فى الجنان بدرجات الالتقاء .

فالله الله اغتنموا هذه الفضيلة ، فى هذه الايام القليلة ، تعقبكم النعمة الجزيلة ، والدرجة الجليلة والراحة الطويلة إن شاء الله . هذه والله الراحة الوافرة ، والمنزلة السائرة ، والحالة الرضية ، والجنة السرية ، والنعمة الهنية ، والعيشة الرضية ، لاتنال الا بالوقار ، لهذا الشهر الذى عظمه الجبار ، وفضل به محمد المختار ، ومن لايوقره كان مصيره الى النار *

رمضان فى القيامة

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال بمنى : « إذا كان يوم القيامة بينا أنا واقف عند الميزان فيؤتى بشاب من أمتى والملائكة يضربونه وجها ودبرا ، فيتعلق بي ويقول يا محمد المستغاث المستغاث بك ، فأقول يا ملائكة ربى ماذنبه ؟ فيقولون أدرك شهر رمضان فعصى الله فيه ولم يتب فأخذه الله فجأة ، فأقول هل قرأت القرآن ؟ فيقول تعلمته وأنسيته ، فأقول بئس الشاب بئس الشاب أنت ، فلا هو يتركنى ولا الملائكة يتركونه ، ثم أشفع له من الله تعالى فأقول الهى شاب من أمتى ، فيقول الله تعالى إن له خصما قويا يا أحمد ، فأقول ومن خصمه يا رب حتى أرضيه ؟ فيقول الله تعالى خصمه شهر رمضان ، فأقول أنا برىء ممن خصمه شهر رمضان ، ومن يشفع لمن لم يعرف حرمة رمضان ؟ فيقول الله تعالى وأنا بريء ممن أنت بريء منه ، فينطلق به الى النار » فالله الله عباد الله لا تهونوا شهرا عظم الله حرمته وأوجب حقه وقد فضلكم به عن سائر الامم ، وهو هدية من الله تعالى اليكم ، وكرامة تفضل بها عليكم ليغفر لكم ذنوبكم ، ويستر عن النار عيوبكم ، ويغشيكم منه الرحمة ، ويرفع عنكم فيه النقمة ، ويفضلكم بجزيل النعمة ، ويشرح صدوركم بنور الحكمة *

أعمى . مع أن الانبياء عليهم السلام محال عليهم العاهات مثل العمى وغيره ، بل كان الذى أصاب عينيه غشاء من كثرة البكاء وفيض الدموع فكانت كأنها بيضاء لاسواد فيها أو لامتلائها بالدمع

خسران العاصى فى رمضان

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سمعت جبريل يقول سمعت الله عز وجل يقول يؤتي بشاب يوم القيامة با كيا حزينا والملائكة تسوقه بمقامع من حديد من نار وهو يقول : الامان الامان الف سنة ولا أمان له ، ثم يساق فيوقف بين يدى الله تعالى فيأمر الله تعالى ملائكة العذاب أن تسحبه على وجهه الى النار ، قلت يا جبريل من هو ؟ قال شاب من أمتك ؟ قلت وما ذنبه ؟ قال أدرك شهر رمضان (١) فعصى الله فيه ولم يستغفر الله ولم يتب اليه كى يغفر الله له فأخذه الله بغتة » فالله الله عباد الله اسمعوا بآذانكم وتدبروا بقلوبكم فلعل الله يبلغكم مرغوبكم ، ويغفر العظيم من ذنوبكم . هذا شهر كريم وثوابه كريم والموقر له عند الله كريم ، يكرمه الله بجنات النعيم ، والمستخف بحقه عند الله لئيم، مأواه فى قرار الجحيم ، مع الشيطان الرجيم *

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يؤتي يوم القيامة بشهر رمضان والناس فى الموقف فيقولون من هذا ؟ نبي أم رسول أم ملك ؟ مارأينا مثل هذا ولامثل جماله وحسنه !! فيقوم بين يدى الجبار جل جلاله فيقول : من كان له قبلي حق فليقم ، فيقولون من أنت ؟ فيقول أنا رمضان ، قال النبي صلى الله عليه وسلم فتقوم أمتى اليه وبيده قضبان من نور تضيء مابين المشرق والمغرب ، فمنهم من يعطي قضيبا يضيء له مسيرة شهر ، وآخر يضيء له مسيرة جمعة ، وآخر مسيرة يوم ، وآخر مسيرة ساعة ، وآخر موضع قدميه ، فمن شاء فليوقره ومن لايوقره فيسام عذابا يصيبه عند الانوار من الحسرة والندامة » فيامعشر أهل رمضان وقروا شهرا تنعموا فيه دهرا ، ووقروا الخطر اليسير تجازوا بالملك الكبير ، ووقروا الايام القلائل تصيروا الى الكرامة والفضائل ، وقروا اليسير من الايام تنظرون الى وجه ذى الجلال والاكرام *

موعظة للحسن البصرى

روى أن الحسن البصرى مر بقوم يضحكون فوقف عليهم وقال . إن الله تعالى قد جعل

(١) ليس المراد أنه لم يدرك إلا شهرا واحدا بل المراد أنه كان يدرك شهر رمضان من كل عام وهو رشيد مكلف فيستهتر به ولا يقوم بفرائضه حق القيام فليت شباننا يفهمون ذلك.

شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه بطاعته ، فسبق أقوام ففازوا ، وتخلف أقوام فخابوا فالعجب للضاحك اللاغب فىاليوم الذى فاز فيه المسارعون ، وخاب فيه البطالون ، أماوالله لوكشف الغطاء لاشتغل المحسن باحسانه ، والمسيء باساءته . فالله الله عباد الله اجتهدوا أن تكونوا من السابقين ولاتكونوا منالخائبين ، فى شهر شرفه ربالعالمين. فالله الله اصرفوا ضيفكم رمضان بالكرامة ، واحرصوا فيه على طلب طريق الاستقامة ، إلى أن يقضى بكم إلى دار الكرامة ، والخلد والمقامة ، وسرمد (١) العز والكرامة ، وينجيكم من هول يومالطامة *

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أحب الصلاة إلى الله عز وجل صلاة داود عليه الصلاة والسلام ، وأحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود عليه السلام ، كان ينام من الليل نصفه ، ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وكان يصوم يوما ويفطر يوما »*

الصيامباب العبادة

روي عن كعب الاحبار رضى الله عنه أنه قال : ليس فى العبادات أفضل من الصيام لانه باب العبادة (٢) . وقد جعل الله تبارك وتعالى هذا الشهر العظيم كفارة للذنب العظيم وليس فى الذنوب إلاعظيم ، لاننا إنما نعصى بها الرب العظيم . وقد قالوا لاتنظر إلى صغير ذنبك ولكن انظر من عصيت ! تاب الله علينا حتى لانعصيه . فالله الله عباد الله غضوا أبصاركم في هذا الشهر العظيم وفى غيره عن النظر إلى المحظورات ، واحبسوا ألسنتكم عن أخذ أعراض المسلمين والمسلمات ، وأكثروا فيه من الصدقة على أهل المسكنة من ذوي الحاجات ، وقوموا فى لياليكم فيه بكثرة الصلوات ، واسكبوا من أعينكم واكف العبرات ، وتضرعواإلى الله فى إقالة العثرات . عساه يبدل سيئاتكم بالحسنات*

فان قيل ماالحكمة فى فرض شهر رمضان ؟ ففيه أقوال ، أحدها أن الله تعالى أمرنا أن نصوم فيه ونجوع لان الجوع ملاك السلامة فى باب الاديان والابدان عند الاطباء والحكماء . وقيل ماملأ ابن آدموعاء شر من بطنه ؛ والحكمة ملك لا يسكن إلا في بيت خال *

---

(١) السرمد الدائم (٢) ليس المرادأن العبادة لها باب وسلم وإنما يريد أن من صام يهون عليه باقيالعبادة منصلاة وزكاة وحج لان الصيام أشدها على النفسوأعلق بتهذيبها .

فضل الجوع

روى عن يحي بن معاذ رضى الله عنه أنه قال : من شبع من الطعام عجزعن القيام ، ومن عجز عن القيام افتضح بين الخدام ، واذا امتلأت المعدة رقدت الاعضاء عن الطاعات ، وقعدت الجوارح عن العبادات . (١) وأنشدوا :

تجوع فان الجوع يورث أهله عواقب خير عمها الدهر دائم
ولا تك ذا بطن رغيب وشهوة فتصبح فى الدنيا وقلبك هائم

وروي عن ذى النون المصري رحمةالله تعالى عليه أنه قال : تجوع بالنهار وقم بالاسحار تر عجبا من الملك الجبار *

وروى عن يحي بن معاذ رضى الله عنه أنه قال : لو كان الجوع يباع في السوق لكان المريد محقوقا إذا دخل السوق ان لا يشترى شيئا غيره ، والله تعالى قد فضلكم بدين الاسلام ، ومن عليكم بشهر الصيام ، والله أعلم . وأنشدوا :

وربك لو أبصرت يوما تتابعت عزائمهم حتى لقد بلغوا الجهدا
لابصرتهم قد حاربوا النوم وارتدوا بأردية السهاد واستعملوا الكدا
وصاموا نهارا دائما ثم أفطروا على بلغ الاقوات واستقربوا البعدا
أولئك قوم حسن الله فعلهم وأورثهم من حسن فعلهم الخلدا

قيل أمرهم المولى جل جلاله بالصيام لانه ليس على أهل النار شيء أشد من الجوع ، وذلك أن الله تعالى يلقي عليهم حتى ينسوا كل العذاب من شدة الجوع . فيستطعمون مالك خازن النار فيأتيهم بطعام الغصة كما قال الله تعالى (إن لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما) فيعبر فى حلوقهم فيقولون إنا كنا نبتلع الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون المهل (٢) كما قال تعالى (وإن يستغيثوا يغاثو بماء كالمهل) الآية . فأمر الله تعالى أمة محمد صلى الله عليه وسلم بصيام هذا الشهر ليصرف عنهم ذلك الجوع ، وكذلك أمر الله تعالى بصيامه سائر الامم ،

(١) لان المعدة إذا امتلات جذبت اليها أكبر كمية من الدم حتى يحس الانسان ببرود أطرافه لذلك وحينئذ تفتر همته ويطلب جسمه الراحة بخلاف مالو كان جائعا . (٢) المهل قيل النحاس المذاب وقيل دردى الزيت وهو عكارته وهو حار يشوى الوجوه

فآمنت به هذه الامة وكفرت به سائر الامم ، وهذا من لطف الله تعالى على أمة محمد صلى الله عليه وسلم . وأنشدوا :

إذا المرء لم يترك طعاما يحبه ولم يعص قلبا غاويا حيث يمما
قضى وطرا منه يسيرا وأصبحت إذا ذكرت أمثاله تملأ الفما

وقيل فرض عليهم صيام شهر رمضان لان الزهد زهدان ، زهد فى الحلال وزهد فى الحرام وأشرفها الزهد فى الحلال ، ، فأمرهم الله تعالى بصوم هذا الشهر حتى يعطيهم ثواب زهد الحلال والحرام . وقيل أراد الله تعالى بذلك انتباه الاغنياء ليعلموا حال الفقراء فيصوموا معهم وقيل حتي يذكروا بشدة الصوم شدة القيامة لانه ليس على أهل القيامة أشد من الجوع ، وليعلموا أنه إذا كانت فى طاعة الله تعالى شدة ، فان الجوع فى النار أعظم شدة (١) . فالله الله عباد الله اجتهدوا فى حفظ هذا الشهر العظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ، يوم يفوز فيه الصائم ، ويحشر فيه المتأنى المتهاون الظالم ، إذا عرضت عليه الاوزار والجرائم ، وانتهاك المحذورات والمحارم *

سبب فريضة الصيام

فان قيل لم فرض رمضان ثلاثين يوما ؟ فالجواب ، إنه قيل إن الوقوف على الصراط ثلاثين سنة فاذا صمت ثلاثين يوما أعانك الله فى الموقف بالعافية والسلامة ، والسعادة والكرامة ثلاثين سنة . فالله الله جدوا واجتهدوا فى هذا الشهر بلا إفراط ، وخذوا لأنفسكم بالاحتياط ، واحذروا من المكث الطويل على الصراط *

رمضان رسول من الله

قيل مثل هذا الشهر كمثل رسول أرسله سلطان إلى قوم ، فان أكرموا شأنه ، وعظموا مكانه ، وشرفوا منزلته ، وعرفوا فضيلته ، رجع الرسول إلى السلطان شاكرا لافعالهم ، مادحا لاحوالهم ، راضيا لاعمالهم ، فيحبهم السلطان على ذلك فيحسن اليهم كل الاحسان . وإن استخفوا برعايته ، وهونوا لعنايته ، ولم ينزلوه منزلته من الاكرام ، وفعلوا به فعل اللئام

(١) وجدير بمن كان طعامه الغسلين والمهل أن يجوع أشد الجوع لانه يعذب به مثل بقية أصناف العذاب لأجل أن يطلب الطعام فلا يستمرئه والشراب يسيغه والعياذ بالله .

فيرجع الرسول إلى السلطان وقد غضب عليهم من قبيح أفعالهم ، وسيء أعمالهم ، فيغضب السلطان لغضبه. كذلك يغضب الله سبحانه وتعالى على من استخف بحرمة شهر رمضان. فيا أيها الانسان هذا شهر رمضان ، شهر التوبة والغفران ، وهو رسول من عند الملك الديان ، فمن أكرمه منكم حقيقة الاكرام ، وحفظ فيه لسانه من قبيح الكلام ، وبطنه من أكل الربا والحرام ، وأموال الارامل والايتام ، غفر له الملك العلام، وأدخله الجنة مع محمد عليه الصلاة والسلام ٭

أحاديث في فضل الصيام

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « مامن مؤمن يصبح صائما إلا فتحت له الجنة ، واستغفر له أهل السماء الدنيا حتى يتوارى بالحجاب (١) فان صلى ركعتين تطوعا أضاءت له السموات نورا ، وإن سبح وهلل تلقاه سبعون الف ملك يكتبون تسبيحه إلى أن يتواري بالحجاب . فالله الله عباد الله ، ياأهل الذنوب ،يا أهل المعاصي والعيوب ، يامن عصى مولاه علام الغيوب ، اعملوا فى بقية شهركم ليوم وفاتكم (٢) وفقركم ، إذا وقفتم بين يدى ربكم ٭

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا دخل شهر رمضان : « إن الله فرض عليكم شهر رمضان ، وسننت لكم قيامه ، فمن صامه وأقامه إيمانا واحتسابا خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه » وقال فى حديث آخر : « ومن صامه وأقامه إيمانا واحتسابا وجبت له الجنة » فالله الله ارغبوا فيما رغبكم فيه نبيكم وما عرفكم به من ثواب ربكم ورحمته عسى أن يغفر لكم ربكم ويتقبل منكم سعيكم ٭

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا دخل رمضان : « مرحبا بالمطهر » قالوا يارسول الله وما المطهر ؟ قال : « مطهر من الذنوب والخطايا » اللهم اكتب لنا فيه براءة من النار ، وشريعة من الايمان . فالله الله تطهروا من ذنوبكم للحلول فى جوار ربكم ، واحفظوا العهود في صيام شهركم فأدوا زكاة فطركم ٭

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «من صام رمضان ولم يؤد زكاة الفطر كان

(١) المعنى حتي يمسى عليه المساء وتغيب الشمس (٢) كذا بالاصل ولعلها يوم فاقتكم وفقركم .

صيامه معلقا بين السماء والارض حتى يؤديها » فالله الله عباد الله اتبعوا ما أمركم به النبي الرسول ، واطيعوا ربا لا يحول ولا يزول ، ولا تغيره الايام ولا الدهور ، لا إله إلا الله هو العزيز الغفور *

- ١٤ - ﴿ مجلس فى تحريم الخمر وما جاء فيها ﴾

قال عبد الملك بن حبيب رحمه الله : ذكر الله سبحانه وتعالى الخمر فى كتابه فى ثلاث آيات فذمها فى الاثنتين وحرمها فى الثالثة . فالاثنتان الاولتان منسوختان ، والثالثة الناسخة ، وذلك أنها كانت تشرب فى أول الاسلام حتي نزل تحريمها بالمدينة وبعد الهجرة ، فالناسخة قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) فهذا تحريم ، وكذلك نهى الله فى كتابه كله تحريم فى كل ما نهى عنه ، كما كل ماأمر به فرض مفترض (١) ألا ترى أنه قرن تحريم الخمر بالانصاب وهى الاصنام التى كانت تعبد من دون الله ، وقدقال تعالى فى آية أخرى (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) فقد قرن فى نهيه بين الخمر والاصنام التى كانت تعبد من دون الله تعالى فلما نزل تحريمها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منادٍ ينادى فى المدينة ألا إن الله قد أنزل تحريم الخمر ، إن الله ورسوله يحرمان الخمر . فقال بعضهم - وهم يشربونها - صه صه (٢) حين سمعوا المنادى . يقول اسكتوا حتي تسمعوا ما يقول هذا المنادى ، فلما تبينوا منه قوله قالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير . فكفوا عنها وأهريقوا ما بقي عندهم منها ، ثم ندموا على ماشربوا منها وتخوفوا أن يكون الله عز وجل قد سخط عليهم ، فانزل الله سبحانه (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا مااتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات) الآية *

تحريم الخمر

اعلموا أن أول ما عاب الله تبارك وتعالى الخمر في سورة النحل فى قوله سبحانه (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا) قال الشيخ : (٣) وهذا ظاهره تعداد النعمة ، وباطنه تعيير وتقريع وتوبيخ ، يقول الله تعالى : رزقتكم ثمرات النخيل

---

(١) أى أن كل مانهى عنه حرمه وكل مافرضه حلله (٢) صه اسم فعل أمر مبنى على السكون بمعنى اسكت (٣) الشيخ يريد به عبد الملك بن حبيب وهو من أعلام الصالحين وأجلاء العاملين .

والاعناب فاتخذتم منه السكر وعدلتم عن الرزق الحسن . فالمفهوم من هذا القول أن الله تبارك اسمه عرفكم بمنه ونعمه عليكم ، ووبخكم بتغييركم لنعمه فكأنه تبارك وتعالى قال (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا) فالمعنى تتخذون من الرزق الحسن سكرا ، وبدلتم الطيب بالخبيث وهذه غاية الكفر بنعم الله تعالى أن تستعمل في معاصى الله تعالى ، فلما نزلت هذه الآية وقد أعاب الله تعالى فى الخمر ، امتنع ناس من شربها وبقى على شربها الاكثرون حتي هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة *

حمزة عم النبي والخمر

فخرج حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وقد شرب الخمر حتى سكر منها فلقيه رجل من الانصار وبيده ناضح له ، والانصارى يتمثل ببيتين من شعر لكعب بن مالك فى مدح قومه وذكر مفاخرهم وهما :

جمعنا مع الايواء (١) نصرا وهجرة فلم يرج (حى) مثلنا فى المعاشر
فاحياؤنا من خير أحياء من مضى وامواتنا من خير أهل المقابر

فقال حمزة رضى الله عنه : أولئك المهاجرون ، فقال الانصارى : بل نحن الانصار ، فتنازعا فجرد حمزة سيفه وعدا على الانصارى فلم يمكن الانصارى أن يقوم به فانهزم وترك ناضحه فقصد حمزة إلى الناضح (٢) فضربه بالسيف فقطعه ، ومضى الانصارى مستعديا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بخبر حمزة وفعاله بالناضح ، فأعطي النبى صلى الله عليه وسلم الانصارى ناضحا

عمر بن الخطاب والخمر

فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أماترى مانلقى من أمر الخمر يارسول الله ؟ ! إنها مذهبة للعقل متلفة للمال ، فأنزل الله تعالى بالمدينة (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير) وقرىء كثير والمعنيان متقاربان (ومنافع للناس) وعلى هذا معارضة لقائل أن يقول

---

(١) فى الاصل الابواء وهى محرفة والايواء بمعنى أوينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولفظة حى لم ترد في الاصل فزدناها ليستقيم الوزن (٢) الناضح البعير الذى يستقى عليه الماء والانثى ناضحة وقد ورد أنه نحر بعيرين لعلى بن أبى طالب وهو سكران

أين المنفعه؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها » فالجواب عن ذلك ، أنهم كانوا يتبايعونها من الشام بالثمن اليسير ويبيعونها بالحجاز بالثمن الكثير ،وكانت المنافع التى فيها من الارباح . وكذلك قال الله سبحانه (قل فيهما إثم كبير) فانتهى عن شربها قوم وبقى قوم على شربها حتى دعا محمد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى قوما فأطعمهم وسقاهم الخمر حتي سكروا فلما حضر وقت الصلاه قدموا رجلا منهم يصلي بهم

ابن أبي جعونة والخمر

وكان أكثرهم قرآنا يقال له أبو بكر بن أبى جعونة وكان حليف الانصار،فقرأ فاتحة الكتاب وقل ياأيها الكافرون فمن أجل سكره خلط فقرأ قل ياأيها الكافرون أعبد ماتعبدون ، وخلط أول السورة بخا تمتها حتى ختم السورة على ذلك ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق عليه ذلك . فأنزل الله عز وجل (ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون) فكانوا يشربونها بعد صلاة العشاء الآخرة ثم ينامون ، ثم يقومون عند صلاة الفجر فيصحون منها ، ثم يشربونها بعد صلاة الصبح فيصحون منها عند صلاة الظهر ثم لايشربون بعد ذلك حتى يصلون العشاء الآخرة ،

سعد بن ابى وقاص والخمر

حتى دعا سعد بن أبى وقاص الزهرى رجلا لوليمة عملها على رأس جزور فدعا أناسا من المهاجرين فأكلوا وشربوا الخمر حتى سكروا منها فافتخروا ، فعمد رجل من الانصار إلى أحد لحيي الجزور فضرب به أنف سعد ففزره (١) فجاء مستعديا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالي (يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) الآية (٢) فاختلف العلماء من أهل التفسير فى موضع التحريم هل وقع فى قوله تعالى (فهل أنتم منتهون) أوفي غير هذا الموضع . وقال قوم من المفسرين إن التحريم وقع فى قوله تعالى (فاجتنبوه) وقال الاكثرون منهم بل وقع فى قوله تعالى (فهل أنتم منتهون) واستدلوا على ذلك بقوله تعالى فى سورة الفرقان فى

(١) الفزر الفسخ فى الثوب وتفزر الثوب تقطع (٢) الميسر القمار من أي نوع ، والانصاب ما نصب فعبد من دون الله تعالى ؛ والازلام هي السهام التى كان أهل الجاهلية يقتسمون بها

قوله (أتصبرون) والمعنى اصبروا ، وكذلك فى الشعراء (قوم فرعون ألايتقون) والمعنى اتقوا . وكذلك في سورة يوسف صلى الله عليه وعلى نبينا محمد وسلم قوله (تزرعون سبع سنين دأبا) والمعني ازرعوا . وفى سورةالواقعة قوله(فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها) يعنى الروح والمعني ارجعوها ، وكذلك قوله فى الخمر (فهل أنتم منتهون) والمعنى انتهوا . فقالوا عند ذلك انتهينا انتهينا يارسول الله ، وهذه من الاخبار التىمعناهاالامر . وقال بعض أهل العلم : إن تحريم الخمر فى الآية التى فى الاعراف قوله تعالى (انما حرم ربى الفواحش ماظهر منها ومابطن والاثم) والاثم هي الخمر ، قال الشاعر :

شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم يذهب بالعقول

وقال آخر :

نشرب الاثم بالكؤس جهارا نترك الهتك بيننا مستعارا

والهتك الأترنج . فهذه جمل تحريم الخمر وانتقاله فى مواطنه ، وأما تحريمها فى الانعام فى قوله تعالى: (قل إنما أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتا أودما أولحم خنزير) فانه رجس (١) والدم رجس ، والميتة رجس ، والخمر رجس ، بل الخمر أكثر رجسا ، بل الميتة أحلت للمضطر ولم تحل الخمر لاحد . والخمر ماخامر العقل فغطاه واذا غاب العقل حضر الجهل ، واذا حضر الجهل كفر العبد ولا يبالى . وأما قول الله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا)

أحاديث فى تحريم الخمر

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «كل مسكر حرام » وما أسكر كثيره من جميع الأشربة فقليله حرام*

وفى حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم : « كل شراب أسكر فهو حرام » واعلموا أن أمكن ما يكون الشيطان من العبد إذا شرب المسكر ، فاذا تمكن الشيطان من العبد أمره بالكفر وصده عن الايمان وعن طاعة الرحمن ، وأغلق فى وجهه أبواب الخير كله . وأنشدوا:

الخمر داعيـة إلى العصيان والخمر قائدة الى النيران
والخمر شاربها يصد عن الهدى (٢) ويبـدل الطاعات بالعصيان

(١) الرجس القذر (٢) فى الاصل الهوى بالواو ولايستقيم المعنى

والخمر شاربها حليف ضلالة ويبدل الايمان بالكفران
شرب المدامة للآله عداوة ومحبة للمارد الشيطان
فبادروا التوبة يا أهل الزنا وتقربوا للواحد الديان
وتباعدوا عن شرب مفتاح الردى ومغالق الخيرات فى الايمان
فهي المحرمة التي تحريمها فى محكم الآيات والقرآن (١)

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الخمر جماع الاثم » وهذا الحديث يخرج منه قول النبي صلى الله عليه وسلم « ليس بين العبد والكفر إلاترك الصلاة » وشارب الخمر لايقبل منه صلاة ، فاذا لم يقبل الله منه حسنة واحدة واجتمعت عليه الآثام ، فهى جامعة للاثام ، قائدة إلى الحرام ، قاطعة عن طاعة الملك العلام*

الخمر شر كله

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الخمر مفتاح كل شر وأن خطيئتها تعلو كل الخطايا كما أن شجرتها تعلو كل الشجر » (٢) فهنا قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الخمر مفتاح كل شر » وما كان مفتاحا للشر كله ، كان مغلاقا للخير كله . فاذا شربتم القهوات ، وعصيتم رب الأرضين والسموات ، وانغلقت عنكم أبواب الخيرات ، وانفتحت لكم أبواب المنكرات ، وحلت بكم عظائم المصيبات ، وغضب عليكم رب الأرباب وسيد السادات ، عاقبكم بأشد العقوبات ، فى دار المصائب والحسرات ، ومحل العذاب والبليات . وأنشدوا :

أهل الخمور من الرحمن قد بعدوا وفى العذاب على الخسران قد وردوا
بشربهم من إله العرش قد بعدوا وفى الصدور مع الشيطان قد قعدوا
دع المدامة (٣) لاتسلك طريقتها فأهلها لنعيم الرب قد جحدوا
وقد تواعدهم رب السماء على شرب الخمور بنار جمرها يقد
غدا ترى أهل شرب الخمر كلهم بدار ويل على النيران قد وردوا

(١) محكم الآيات والقرآن شى واحد غير أنه أتي بها للوزن (٢) يريد بها النخلة لانه يتخذ منها خمر كانت تشربه العرب وهى أعلا شجرة فى جزيرة العرب (٣) فى الاصل دع الملاءة وهو تحريف ظاهر . والمدامة هى الخمر لانها ينادم عليها ولها أسماء عدة مذكورة فى كتب اللغة

قول ابن عباس فى السكران

روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : من بات سكرانا بات للشيطان عروسا ، وللعروس حبيبا ، فاذا كنت حبيب الشيطان فأنت عدو الرحمن ، واذا كنت عدو الرحمن فأنت من أهل الهوان ، فى سموم النيران . عباد الله مولاكم قد أمركم بأمره ، ونهاكم بنهيه ، ومن عليكم برفقه ، ووسع عليكم من سعة رزقه . وجعلكم من خير الأمم ، وأسبل عليكم جزيل النعم ، فلا تستعينوا بنعمه على معاصيه ، فانه ذو انتقام وعذاب ، ورحمة وثواب ، فأطيعوا مولاكم فى جميع الأمور ، ولاتهتكوا أستاركم بشرب الخمور ، ولاتغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور . وأنشدوا :

يا شارب الخمر ترجو أن تنال به　　عفو الاله وأنت اليوم مطرود

وأنت تشرب طول الدهر (١) منهمكا　　وأنت عن طاعة الرحمن مفقود

شربتم الخمور ، وعصيتم الرب الغفور ، وهتكتم الستور ، وركبتم الفواحش والفجور ، وتهاونتم بصعاب الأمور ، ولم تفكروا فى العرض والنشور ، والوقوف بين يدى من يعلم ماتخفى الصدور *

ثمن الخمر خسار

ذكر فى بعض الأخبار ، مامن عبد أنفق درهما في الخمر إلا محق الله تبارك وتعالى من رزقه سبعين درهما ، وجعل الله كل درهم ينفقه فى الخمر سلسلة فى عنقه من نار جهنم ، وجعله ثعبانا يأكله فى قبره الى يوم القيامة ، فاذا خرج من قبره خرج معه الثعبان فلايفارقه حتى يلقيه فى نار جهنم ، وأعظم من هذا أن شارب الخمر لايكتب له صاحب اليمين حسنة واحدة ولاينظر الله اليه ، وإنما يكتب له صاحب الشمال ، لأن رأس العبادات هى الصلاة ولايقبل من أحد حسنة حتى تقبل صلاته ، وصاحب الخمر لاتقبل صلاته فاذا تاب تاب الله عليه ومحا الله من صحيفته كل ذنب عمله في حال شربه ، وكتب له بكل حسنة عملها ولم تقبل منه يثبتها الله تعالى واذا مات من ساعته مات ولاذنب عليه ، ويكون أفضل ممن لم يشربها فى الدنيا (٢)

(١) فى الاصل : وأنت تشرب دهر الله منهمكا . ولايستقيم الوزن والمعنى (٢) لان من تعود على شىء حتى أصبح لايطيق الاقلاع عنه ثم تاب عنه وتركه مختارا أفضل ممن لم يعلم عنه شيئا

وأنشدوا :

لا تشرب الخمر يا مغرور إن لها　　وزرا عظيما لدى الرحمن فى الحشر
الخمر تبعد عن حق الاله وعن　　شرع الرسول الذي فى محكم الذكر
إن الذى قطع الايام يشربها　　له عذاب شديد كاشف الستر

روي أن النبى صلى الله عليه وسلم أعار عليا بعيرين ليأتى عليهما بأذخر(١) يستعين به علي زفاف فاطمة رضىالله عنها ، فجاز بهما على رضى الله عنه فأناخهما عند باب حمزة بن عبدالمطلب رضى اللهعنه واستأجر يهوديا ليخرج معه ، ويأتى بالاذخر وكان حمزة يشرب ، وغنت المغنية غناء تذكر فيه أكباد الابل ، فخرج حمزة فوجد البعيرين على بابه فنحرهما ودخل باكبادهما ، فجاءعلى رضى الله عنه فوجد البعيرين نحيرين(٢) فمضى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشكا اليه ،فجاء معه صلوات الله عليه فلما رأى حمزة النبى صلى الله عليه وسلم *

كيف سكر حمزة

وكان حمزة رضى الله عنه قد أخذت فيه الخمر قال : ألستم عبيدي ؟! (٣) فتأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « لست بعبد لابيك » فقال عمر رضى الله عنه : اللهم إن الخمر مفسدة للعقل مذهبة للمال ، فأنزل اللهم لنا في الخمر بيانا ، فأنزل الله سبحانه (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس) اثم أي في تناولها، ومنافع للناس فى ترك تناولها فاذا تركها عبد من عباد الله غفر الله له ما قد سلف *

قراءة السكران

فقال قوم نشربها لما فيها من المنفعة ، فحانت وقت الصلاة فقدم رجل سكران فصلى بأصحابه فقرأ ياأيها الكافرون أعبد ماتعبدون وختم السورة على هذا ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق عليه ، فقال عمر رضى اللهعنه : اللهم أنزل علينا بيانا فى الخمر ، فأنزل الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون) فكانوا يشربونها في غير وقت الصلاة حتى كان من أمر سعد بن أبى وقاص ما كان مع الانصارى وقد تقدم

(١) الاذخر نبت ينبت فى جزيرة العرب كان يريد جمعه للوقود فى عرسه (٢) نحيرين أى منحورين (٣) الرواية الصحيحة : عبيد أبى ، وذلك لان أباه عبد المطلب كان تكفل برسول الله صلى الله عليه وسلم فى صغره وضمه مع أولاده وكان عليه شفوقا جدا

ذكره فقال عمر رضى الله عنه : اللهم أنزل علينا فى الخمر بيانا ، فأنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان) إلى آخر الآيتين إلى قوله (فهل أنتم منتهون) فقالوا بأجمعهم : انتهينا يارسول الله انتهينا ، فعند ذلك بعث النبي صلى الله عليه وسلم مناديا ينادى فى المدينة ؛ ألا إن الخمر قد حرمت . قال أنس بن مالك : فسمعت النداء وأنا أسقى طلحة فى رهط من الانصار الفضيخ والبسر والرطب (١) فوالله ما انتظروا حتى قالوا يا أنس أخرجها عنا فأهريقت فى الحين فانتهوا . فاذا فعل هذا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبادروا إلى التوبة وأطاعوا مولاهم ونبيهم صلى الله عليه وسلم فمالكم لا تتأسوا بافعالهم ، وتقتدوا بأعمالهم وتقفوا آثارهم ، وتسمعون أخبارهم وتتركوا الخمر لوجه الله الكريم فعساه يجعل الجنة مأواكم ويكرم فى الآخرة مثواكم ؟؟ فراقبوه فانه يراكم ويعلم سركم ونجواكم والله أعلم . وأنشدوا :

لايشرب الخمر الا فاجر بطر (٢) قد خالف الله والقرآن والرسلا
بئس الشراب وبئس الشاربون لها لا يسلكون الى دنياهم سبلا
هى الدليل الى دار الجحيم غدا بئس الدليل ولا يرجى لهم حولا
إلا يتوب عسى الرحمن يقبله فتب من الذنب لا تيأس وإن ثقلا

من مات يدمن الخمر

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من مات وهو يشرب الخمر لم يشربها فى الآخرة » وهى والله من الذ نعيم الجنة كما قال تبارك وتعالى (وأنهار من خمر لذة للشاربين) (٣) ياعدو نفسه يامسكين حرمت نفسك اللذات ، في قرار الجنات ، وعصيت رب الارضين والسموات ، بشربك القهوات المحرمات ، فى محكم الآيات ، ولم تستح من عالم السرائر والخفيات . وأنشدوا :

أكثرت الخمر من عيوبى وزاد حزني مع الكروب
جل مصابى وضاق ذرعى واسود قلبي من الذنوب
يا ليتنى تبت باجتهاد لعالم الجهر والغيوب

(١) الفضيخ شراب يتخذ من البسر وحده من غير أن تمسه النار والبسر هو البلح قبل أن يصير رطبا ثم يصير تمرا (٢) البطر شديد المرح من كثرة المال أو غيره (٣) وقد تواترت الاخبار بان فى الجنة نهر من خمر لذيذ الطعم والريح لا يصدع الرأس ولا يلذع اللسان ولا يؤذى المعدة

الخمر مفتاح كل شر لكل عاص لها شروب

عذاب شارب الخمر

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بعثني الله تعالى رحمة وهدى للعالمين وأقسم ربنا بعزته وجلاله لا يشرب عبد من عبيده جرعة (١) خمر إلا سقيته مكانها من حميم جهنم معذبا أو مغفورا له ، ولا يدعها عبد من مخافتى إلا سقيته إياها من حظيرة الفردوس » فيامعشر الاسلام، أطيعوا مولاكم الملك العلام ، ولا تخالفوا القرآن والاحكام ، واقبلوا نصيحة نبيكم محمد عليه الصلاة والسلام ، يدخلكم ربكم برحمته دار السلام. وأنشدوا :

إلى الله أشكو ضيق صدرى من الضر وعظم خطايا كالجبال وكالقطر
لعل إلهى أن يجود بعفوه وينقذ عبدا عام فى غمرة السكر
ظلوما غشوما لا يفارق محرما ولا يستفيق الدهر من فتنة الخمر
فياطولى حزنى ثم ياطول حسرتى لئن لم يجد لى عالم السر والجهر

شارب الخمر فى القيامة

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « والذى بعثنى بالحق إن شارب الخمر يأتى يوم القيامة فيقول الله سبحانه وتعالى لملائكته خذوه ، فيبتدرون له سبعون الف ملك فيسحبونه على وجهه فتستقبله الملائكة معها السلاسل فيضربون وجهه فيفتح فاه فيلقي فيه طعام مثل رءوس الشياطين ولا يكاد يسيغه فيخرج الدود منه فيتعلق بلسانه ثم يقع فى بطنه فهى تجرى فيه مثل الوحوش فى البرية » أيها المصرون على الجراع (٢) والآثام ، المسرفون فى شراب المسكر الحرام ، أفنيتم أعماركم فى الكذب والزور ، وضيعتم أيامكم فى الجهل والغرور ، وقطعتم أوقاتكم فى الفسق والفجور ، واستعنتم على معصية الله بشرب الخمور ، أما علمتم أن الخمر متلفة للمال ، مذهبة للبهاء والجمال ، عاقبتها الى وبال ، ويؤول شاربها إلى شر مآل (٣) الخمر أولها لهو ومزاح ، وآخرها بكاء ونياح ، امرأة شارب الخمر فى كل وقت مطلقة (٤)

---

(١) الجرعة الحسوة من الماء وغيره . (٢) أى تجرع الخمر وهو شربها (٣) المآل المرجع والعاقبة (٤) لانه دائما أبدا يحلف بالطلاق لسكره فتطلق منه وقد اختلف كثير من العلماء فى طلاق السكران وأغلبهم جوزه بتاتا ولابن القيم الجوزية بحث في ذلك مفيد .

وثيابه فى كل حين ممزقة . شارب الخمر خليل الشيطان ، شارب الخمر عدو الرحمن ، شارب الخمر بعيد من الايمان ، شارب الخمر قريب من الضلال والخسران ، شارب الخمر فى بحار السخط عائم ، شارب الخمر على عذاب النار حائم ، شارب الخمر مخالف للتنزيل ، شارب الخمر مخالف لسنة الرسول عدو للملك الجليل ، شارب الخمر ملعون على لسان سيد المرسلين ، شارب الخمر مخالف لسنة خاتم النبيين . أما علمت يامن بعد من الاحسان ، وتقرب من الفسوق والعصيان ، وحل فى سخط المهيمن الديان ، أن الخمر موقعة للعداوة والشقاق ، قاطعة للخير والارزاق ، قائدة إلى اليم العذاب يوم التلاق . أما علمت أنها تحول بين شاربها وبين الرشاد ، وتلقيه فى الضلال والفساد ، وتوقع العداوة والبغضاء بين العباد ، وتقود الى العذاب الشديد يوم التناد . وأنشدوا :

الخمر ولادة للشر أجمعه ... ومن ولادتها العصيان والكفر
تعصى الإله اذا ما عشت تشربها ... وتبعد الخير والاحسان والشكر
العبد يشربها واللعن تابعه ... والخزي شامله والويل والعسر

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لعن الخمر وشاربها وساقيها وعاصرها ومعتصرها وبايعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها والدال عليه » يا أخى قد لعن الله كل من نسب الى الخمر واللعنة هوانا للعبد ، وإذا أبعد الله العبد من جواره أصلاه (١) عذابه وحر ناره ، فبادر ياشاربها إلى المتاب ، فان الله قد حرمها فى الكتاب ، وتواعد عليها أشد النكال والعذاب . وأنشدوا :

يامن يبيت على شرب الخمور ولا ... يخشى الاله ولا يخشى من النار
تعصى الاله ولا تقضى فرائضه ... عار عليك ومافى التوب (٢) من عار
فتب من الخمر للرحمن خالقنا ... وكل ذنب قديم العهد أوتار (٣)

---

(١) أصلاه عذابه أدخله فيه وأصليته النار رميته فيها كأنك تريد إحراقه .

(٢) التوب هنا جمع توبة مثل دومة ودوم ، والتوبة الرجوع عن الذنب .

(٣) لم يظهر لى ما يريد بقوله : أوتار ، ولعله يريد أوثار أى ما عليك من حق لعباد الله أثأرتهم به فعليك أن تستسمحهم منه أو لعله يريد أوطارى فأبدل الطاء تاء .

الخمر جريمة عظيمة

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من شرب شربة من مسكر لم يقبل الله له صلاة أربعين يوما فان تاب تاب الله عليه ، والذى بعثنى بالحق من شرب من الخمر ثلاث شربات لا يقبل الله تعالى صلاته مائة وعشرين يوما ، وكان حقا على الله تعالى أن يُسقيه من الخبال» قال عبد الله بن عمرو رضى الله عنه : هو صديد أهل النار وقيحهم . وفى بعض الاخبار لو أن قطرة من الخبال القيت من السماء السابعة لاخرقت إلى الارض السابعة ولمات أهل السموات والارض من النتن ، فانا لله وإنا اليه راجعون على من شرب الخمور ، وهتك الستور ، وعصى الملك الغفور ، وبذل مهجته لعذاب الويل والثبور ، وغره بالله عدوه الغرور . وأنشدوا :

تعصى الاله وتأتى الخمر تشربها ... وترتجى من إله العرش غفرانا
وأنت تحوي فعال الخير أجمعها ... وقد جمعت من العصيان ألوانا
فتب ولا تتمادى فى الضلال عسى ... تلقى إلها كثير العفو رحمانا

عباد الله أما تستحون ممن أخرجكم من بطون الامهات ، وأسبغ عليكم جزيل النعم والخيرات ، وهداكم بفضله الى الصوم والصلوات ، ووعد من أطاعه بالخيرات فى الجنات العاليات ، وتواعد من عصاه بالخيبات وشدائد العقوبات . أما علمتم أن الخمر أم الجرائم والسيئات ، ومفتاح الكبائر والخطيات ، وباب المصائب والرزيات ؛ وموجبة لغضب رب الارضين والسموات ، ومخربة الديار بوقوع الشتات . فلا تدنسوا أعمالكم بشرب الخمر الحرام فانها أم الكبائر والآثام ، ومن شربها فقد خالف القرآن والاحكام ، وحل فى سخط الملك العلام ؛ أما تستحى يامطرود من باب الله ، يا مخالفا لحدود الله ، يا مؤالفاً لاعداء الله ، من رب من عليك بنعمة الاسلام ، وجعلك من خير أمة أخرجت للانام ، وفضلك بمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، فعصيت يامغرور مولاك ، واتبعت غيك وهواك ، ونسيت النعم التى أولاك ، ولم تنته عما عنه نهاك . أهذا جزاء من أحسن اليك ، وسترك وأنعم عليك ؟ بئس ما صنعت يامن ظل فى المعاصى سرا وجهرا ، يامن بدل نعمة الله كفرا ، يامن هتك بعصيانه حجابا وسترا ، يامن حرم بذنبه توفيقا ويسراً ، يامن أورثه العصيان شرا وعسرا . أما تستحى يامطرود يامن هو عن باب مولاه مردود ، يامن خالف الاحكام والحدود ، من رب أخرج

لك من العدم إلى الوجود ، عنبا حلالا أخرجه من العود ، تعصر منه خمرا تعصى به الملك المعبود ؟ ماأجهلك بطريق المتقين ، ماأبعدك عن سيرة خير المرسلين ، ياقليل الدين ، ياضعيف الايمان واليقين ، ياخليل الشيطان اللعين ، ستعلم غدا اذا وقفت بين يدى أسرع الحاسبين ، وأمر بك إلى العذاب المهين ، فحينئذ تقول بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ، اللهم تب علينا حتى لانعصيك برحمتك ياأرحم الراحمين *

- ١٥ - ﴿ مجلس فى فضل يوم عاشوراء وما جاء فيه ﴾

وفى صيامه من الفضل العظيم

اعلموا عباد الله أن الله سبحانه وله الحمد والمنة قد فضل هذه الامة بفضائل خص بها أمة محمد صلى الله عليه وسلم من سائر الامم . الحكمة فى ذلك أن الله تعالى لما جعل أمة محمد أقصر الامم أعمارا (١) جعل لهم هـــذه الفضائل وهذه الدرجات ، ورفع لهم بذلك الدرجات والمنازل فى الجنة وهى كالايام البيض من كل شهر وكيوم عرفة ورجب وشعبان والستة أيام بعد الفطر ومثلها كثير . فهذه أمة قد رفق الله بها وجعل لها من اليسير كثيرا ، ووعد لها على ذلك في الآخرة أجرا كبيرا . فيوم عاشوراء يوم تغفر فيـه الذنوب والخطيات ، ويتقرب فيه بالصدقات ، وأفعال الخيرات إلى عالم الخفيات . وصومه سنة مستحبة لما روى عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال *

ثواب صيامه

« من صام يوم عاشوراء أعطاه الله تعالى ثواب عشرة آلاف ملك وثواب عشرة آلاف

(١) اتفق جمهور السلف رحمهم الله على أن الامم القديمة كانت أطول منا أعماراً وأظن ذلك أتى من قصة نوح عليه السلام إذ بلغ من العمر نيفا وتسعمائة سـنة فقاسوا على ذلك أن أمته التى دعاها الى الايمان به لابد أن كانت تعيش مثله فى العمر وعلى هـذا القياس لا بد أن تكون الامم فى القرون الاولى من المعمرين لا سيما إذا أضفنا الى نوح عليه السلام الخضر وغيره مما شحنت به الكتب القديمة ، والحقيقة أنهم كانوا يعيشون كما نعيش ويموتون كما نموت ويمرضون كما نمرض الا أفراداً اشتهر عنهم طول العمر ومنهم لقمان ولبيد.

شهيد ، وثواب كل حاج ومعتمر فى ذلك العام ، وثواب تسبيح ملائكة السبع سموات ومن فيهن » *

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صام يوم عاشوراء كتب الله له عبادة ستين سنة صيام أيامها ، وقيام لياليها ، وكأنما حج واعتمر سبعين مرة » . فالله الله عباد الله تقربوا إلى الله فى يوم عاشوراء أيما استطعتم من نوافل الخير وسبل البر فان يوم عاشوراء . يوم يوصل فيه الرحم ، ويضاعف الاجر للمؤمن السخى الكريم ، ويجزي الله جل جلاله معطى الزكاة جنات النعيم ، ويبذل فيه السخط على الشقى اللئيم ، الذي يمنع الزكاة المفروضة فى القرآن الحكيم . فالله الله معشر المؤمنين ، وجماعة الموحدين ارغبوا في هذه الفضيلة الجزيلة تفوزوا بالنعمة الدائمة الطويلة ، التى ليس لها زوال ولا انقطاع ، ولا لصاحبها عنها صد ولا امتناع (١)

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أفطر عنده مؤمن فى يوم عاشوراء فكأنما أفطر عنده جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأشبع بطونهم ، ومن مسح على رأس يتيم في يوم عاشوراء رفع الله له بكل شعرة على رأسه درجة فى الجنة ، ومن كسا فيه مسكينا فكأنما كسا مساكين أمة محمد صلى الله عليه وسلم وكساه الله سبعين حلة من حلل الجنة » فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا رسول الله صلى الله عليك لقد فضلنا الله عز وجل بيوم عاشوراء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم ياعمر خلق الله السموات والارض فى يوم عاشوراء ، وخلق الشمس والقمر فى يوم عاشوراء ، والنجوم كمثله ، وخلق العرش والكرسى فى يوم عاشوراء ، وخلق القلم فى يوم عاشوراء ؛ واللوح كمثله ، وخلق جبريل فى يوم عاشوراء ، وملائكته كمثله ، وخلق آدم فى يوم عاشوراء ، وحواء كمثله ، وخلق الجنة فى يوم عاشوراء ، وأسكن آدم الجنة فى يوم عاشوراء ، وولد ابراهيم عليه السلام فى يوم عاشوراء ونجاه الله من النار فى يوم عاشوراء ؛ وهداه الله فى يوم عاشوراء ، واغرق الله فرعون فى يوم عاشوراء ، ورفع عيسى فى يوم عاشوراء ، ورفع الله أدريس في يوم عاشوراء ، وولد عيسى ابن مريم فى يوم عاشوراء ، وتاب الله على آدم فى يوم عاشوراء ، وغفر ذنبه في

(١) العجب الآن من المسلمين مع شدة محافظتهم على الصلوات وتمسكهم بوجوبها فقليل منهم — كما أرى — الذين يؤدون الزكاة ، مع وفرة عددهم وضخامة ثروتهم وأقسم غير حانث أنى لم أر فى مصر ولا تأكدت من غنى يخرج الزكاة كاملة فيا ترى هل نسخت هذه الفريضة ؟؟

يوم عاشوراء ، واستوت سفينة نوح على الجودي فى يوم عاشوراء ، وأخرج يوسف من السجن فى يوم عاشوراء ، وتاب الله على قوم يونس فى يوم عاشوراء ، وأعطي سليمان الملك يوم عاشوراء ، ويوم القيامة يوم عاشوراء » ويروى أن أول مطر ينزل من السماء يوم عاشوراء *

الغسل يوم عاشوراء

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض إلا مرض الموت ، ومن اكتحل بالأثمد(١) يوم عاشوراء لم ترمد عيناه فى تلك السنة كلها ، ومن عاد مريضا يوم عاشوراء ، فكأنما عاد جميع ولد آدم عليه السلام وعلى جميع الانبياء الكرام ، ومن سقى مؤمنا شربة من ماء يوم عاشوراء فكأنما سقي جميع ذرية آدم وكانوا عطاشا ، ومن صلى يوم عاشوراء أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة غفر الله له خمسين عاما ماضيا وخمسين عاما مقبلا ، وبنى له الله ألف منبر من نور الله » عباد الله ارغبوا فى فضل هذا اليوم المرغوب فعسى الله أن يغفر لكم ما أسلفتم من الأوزار والذنوب ، ويستر عليكم ما أتيتم من القبائح والعيوب *

روى أن موسى عليه السلام قال : مكتوب فى التوراة(٢) من صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر كله ، ومن تصدق يوم عاشوراء فكأنما لم يترك سائلا إلا أعطاه ، ومن كسا فيه عريانا فكأنما كسا جميع خلق الله ، ومن مسح على رأس يتيم فكأنما مسح رؤوس اليتامى وغرس الله له بكل شعرة على رأسه سبعمائة شجرة تحمل من الحلى والحلل عدد نجوم السماء ومن أرشد فيه ضالا دفع الله عنه ظلمة القبر وملأ قلبه نورا ، ومن كظم فيه غيظا كتب من الراضين بقسم الله تبارك وتعالى ، ومن شهد جنازة يوم عاشوراء فله بكل شيء خلقه الله وهو خالقه درجات فى الجنة ، ومن ترك فيه شهوة وأطعمها أخاه المسلم لم يقبض روحه ملك الموت حتى يطعمه من طعام الجنة ويسقيه من شرابها ، ومن اغتسل فى يوم عاشوراء كان عند الله طاهرا ، ومن قرأ آية فى كتاب الله فى ليلة عاشوراء أوفى يومها أعطى من الثواب مثل

(١) الأثمد حجر يضرب إلى الزرقة براق يكتحل به فيجلو البصر ويجفف الرطوبة ويبرد الالتهابات (٢) يوافق هذا الكلام المنقول عن لسان موسى الحديث المتقدم قريبا ويكاد يكون هو بنصه !!

ما أعطي لادريس عليه السلام ، ومن أحيا ليلة عاشوراء فكأنما عبد الله بعبادة الملائكة المقربين ، ومن بكى يوم عاشوراء أو ليلة عاشوراء أوفاضت عيناه من خشية الله تعالى كتب الله له نصيبا فى عبادة الخائفين ، ومن أتي عالما فى يوم عاشوراء ليسمعه أو يتعلم منه مسألة فى دينه وما ينفعه لآخرته أعطى مثل ثواب المهاجرين والانصار وأوجب الله له الجنة ويكتب له الملكان الحسنات إلى يوم عاشوراء من العام الذى يأتى ، ومن صام يوم عاشوراء محتسبا عالما بفضله سخر الله له بكل ساعة من ليله ونهاره من ذلك اليوم الذي صامه مائة الف ملك يدعون له إلى يوم القيامة ، ومن أراد صيام يوم عاشوراء وأصبح فيه آ كلاوهو لا يعلم فليمسك عن الأكل فى بقيته وله فضله كاملا إن شاء الله تعالى *

النفقة على العيال

وتستحب النفقة فى ليلة عاشوراء ويوم عاشوراء (١) رجاء فضل الله وطلبا لمرضاته ولوجوب البركة فيه ، فانه روى «أن من أنفق فيه درهما أخلف الله له سبعمائة . وكل درهم ينفقه فيه فى طاعة الله فهو عند الله تعالى أثقل من السموات والارضين السبع »*

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : أكثروا خير بيوتكم فى ليلة عاشوراء ويومه ووسعوا فيه على أهاليكم فيما يحل ويجمل ، فمن لم يجد فليوسع خلقه — أظنه مع قرابته — وليعف عمن ظلمه .

بنو اسرائيل وعاشوراء

وكان يوم عاشوراء يصومه بنو اسرائيل ويعظمونه ، وكانت قريش تصومه فى الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وأمر بصيامه إلى أن فرض شهر رمضان فجعل الله تعالى هذا الخير كله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم . فيوم عاشوراء يوم يتقبل الله فيه الحسنات ، وترفع فيه الدرجات المرتفعات ، وتخلف فيه النفقات ، وتكثر فيه البركات .

---

(١) والمشهور لغاية الآن أن عامة المسلمين يحتفلون بليلة عاشوراء ويوسعون على عيالهم ويتهادون اطباق العاشوراء وهى حلواء من قمح وسكر وزبيب وغيره يتفننون فى إتقانها وندر أهل بيت لايصنعونها ولا أعلم هل ذلك خاصا بمصر أم بغيرها من البلاد ؟؟

ويفرح فيه أهل الفاقة والحاجات (١) . يوم عاشوراء يوم تظهر فيه الأعمال ؛ ويوسع فيه على العيال ، وتزكو فيه الأفعال والاقوال ، ويرحم فيه عبيده ذو الاكرام والجلال . يوم عاشوراء يوم توصل فيه الارحام ، وتربح فيه الكرام ، وتخسر فيه اللئام ، لمخالفتهم القرآن والاحكام ، وعصيانهم الملك العلام . يوم عاشوراء تفرح فيه الارامل والايتام ، ويرحم فيه ذو الجود والانعام ، ويغفر فيه السيئات والاجرام ، ويوجب لمن أطاعه دار الخلد والسلام فالله الله عباد الله إياكم أن يضرب الشيطان على قلوبكم الاقفال ، ويصدكم عن سبيل الكريم المتعال ، ويفتح فى قلوبكم أبواب الفقر لتمنعوا الزكاة من أموالكم ويؤول بكم - إن أطعتموه شر مآل ، ياأخى البخيل صاحب الشيطان الذليل ، يمنع الزكاة ، ويقل النفقات ، ويفوت نفسه جميع الخيرات . فعيشه فى الدنيا عيش الفقراء وحسابه فى الآخرة حساب الاغنياء فيامعشر المؤمنين كونوا كراما ولا تكونوا لئاما فان الكرام فى جنة الخلد والنعيم ، واللئام فى عذاب الجحيم فتقربوا إلى الله فى هذا اليوم بأداء الزكاة ، وتطوعوا فيه بالنوافل من الصلوات . فعسى الله أن يغفر لكم ماأسلفتم من الاوزار والسيئات *

صيامهم له

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تعالى افترض على بنى اسرائيل صوم يوم فى السنة وهو يوم عاشوراء العاشر من المحرم فصوموه ووسعوا فيه على عيالكم وأهليكم » فمن وسع على أهله من ماله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته فمن صام هذا اليوم كان له كفارة أربعين سنة وما من أحد أحيا ليلة عاشوراء أو اصبح صائما إلا مات ولم يذق طعم الموت ، ياأخى إن العجوز لتغزل يوم عاشوراء لتبقى بركة غزلها إلى العام القابل فاعمل أنت فى هذا اليوم من الطاعات لتبقي بركتها عليك ليوم القيامة ، ومامن عبد مؤمن أنفق فى يوم عاشوراء درهما أو مثقالا إلا أخلف الله تعالى عليه فى دنياه سبعين ضعفا مثل ما أنفق ، وجعل نفقته زاده إلى الجنة فالله الله عباد الله اصنعوا فى هذا اليوم المعروف وأعينوا الضعيف وأغيثوا الملهوف ، يغيثكم الرب الرحيم الرؤف *

---

(١) ليت المؤلف رحمه الله عاش فى زمننا هذا حتى يري إن كان يفرح فيه ذوو الحاجات والفاقة أم يحزنون فقد أصبح فعل الخير للشهرة والرياء لاغير وتحجرت القلوب

كل معروف صدقة

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل معروف صدقة ، والمعروف يقى سبعين نوعا من البلاء ويقى ميتة السوء » والمعروف والمنكر منصوبان للناس فى المحشر يوم القيامة ، فالمعروف لازم لأهله يقودهم ويسوقهم إلى الجنة ، والمنكر لازم لأهله يقودهم ويسوقهم الى النار . أعاذنا الله وإياكم من النار . فالله الله أحرصوا أن تكونوا من اهل الجنان ، ولا تكونوا من أهل النيران ، واجتهدوا فى الخير والزيادة ولا ترضوا بالنقصان *

اهل المعروف

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تبارك وتعالى جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ، ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم إعطاءه ، كما يسر الغيث الى الارض الجدبة ليحييها ويحي أهلها ، وأن الله تبارك وتعالى جعل للمعروف اعداء من خلقه بغض اليهم المعروف وبغض اليهم فعاله، وحظر على طلاب المعروف الطلب اليهم وحظر عليهم إعطاءه كما خطر الغيث عن الارض الجدبة ليهلكها ويهلك اهلها، ومايغفر الله عز وجل أكثر (١) فالله الله يا اولياء الله يا اهل المعروف . فكونوا من أهل المعروف ، وأعينوا الفقير وأغيثوا الملهوف ،فعسى الله أن يغيثكم يوم البعث انه رحيم رؤف *

إخراج الزكاة

وهذا اليوم المبارك الشريف يوم عاشوراء لما جعل الله فيه من الخلف والخيرات ، واعلموا أنه لما عظم الله تعالى يوم عاشوراء وجعل فيه الخلف والخيرات استحب للمؤمنين فيه اخراج الزكاة، وما من أحد من المؤمنين والمؤمنات لم تجب عليه زكاة ماله فأعطى فى يوم عاشوراء أو تصدق من اليسير الذى معه رغبة فى فضل يوم عاشوراء الا كتب من أهل الزكاة ولم يخرج من الدنيا حتى يعطي مالا حلالا يزكى

(١) حقا لقد جبل بعض الناس على المعروف وبذله سجية فيهم لا تطبعا حتي ولو ضاقت ذات يدهم عن بذل النوال ، وفيهم قال الله تعالى (والذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) ولقد أعلم أناسا جبلوا على الشر فما لهم للخير سبيل .

عليه. فإياكم يامعشر المؤمنين والمؤمنات أن يخدعكم الشيطان اللعين، لأنه قد جاء فى الخبر أن العبد إذاهم باخراج درهم لوجه الله تعالى فتح الشيطان فى قلبه سبعين بابا من الفقر حتى يحول بينه وبين اخراجه ، فان من الله تعالى على العبد وأعانه حتى يغلب عدوه وشيطانه كان كمن هزم عسكرا من المشركين وقتلهم . ويدل على صحة هذا القول أن على بن أبى طالب رضى الله عنه كان إذا آن أوان الزكاة وعزم علي إخراجها لبس درعه وتقلد بسيفه وأخذ رمحه وركب فرسه فتقول الصحابة رضى الله عنهم مالك يا أبا الحسن لبست آلة حربك ؟ فيقول أنا خارج الى محاربة الشيطان أخاف أن يمنعني إخراج الزكاة (١) فجهاد الشيطان هو الجهاد الأكبر ، والشيطان لعنه الله يريد أن يردك الى فقر نفسك ، ويصدك عما وعدك ربك جل جلاله حيث قال عز وجل (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) والله واسع العطاء لانه جل وتعالى لاينقص من ملكه مايخلف على العبد المؤمن الذى يؤدي الزكاة ويتصدق من فضل ماله . وقوله تعالي (عليم) أى عليم بما يفعله العباد من الخير والشر ، فمن أنفق من مال الله ووسع منه على عياله وعباد الله كان له الخلف من الله تعالى ، يقول المولى جل جلاله (وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) فالله الله عباد الله ثقوا بمولاكم جل جلاله فى الخلف (٢) ولاتطيعوا الشيطان الذى يعدكم الفقر والتلف ☆

اللعنة على مانع الزكاة

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ينزل من السماء فى كل يوم اثنان وسبعون لعنة على مانعى الزكاة من هذه الأمة وقد سماهم الجليل جل جلاله كفارا فى قوله تعالي (وويل للمشركين (٣) الذين لايأتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون) وقد ذكر بعض

---

(١) والمشهور عن الامام على رضى الله عنه أنه عاش زاهدا قنوعا ومات فقيراً ليس عنده مايجب عليه فيه الزكاة ؟! (٢) فى الاصل . فى الخلق ، وهو تحريف والمراد أن الله تعالى يخلف عليهم ما أنفقوا (٣) لان من عبد المال دون الله تعالى فقد أشرك ، ومن كذب بالخلف من الله تعالي فقد أشرك ، ومن منع الزكاة شحا بها فقد أشرك ، ومن تحايل فيها ليبخسها فقد أشرك . قال الله تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) أي وأنتم بذلك راضين طيبة نفوسكم بالانفاق لوجه الله والبر الخلف والثواب ولو أخرج الأغنياء الزكاة لما احتاج فقير .

العلماء أن الله تعالى لما أخرج الذرية من ظهر آدم عليه الصلاة والسلام عزل منهم الاغنياء من أهل البدو والحضر وعزل أموالهم ثم قال جل جلاله هذه أموال أعطيتها لكم وجعلتكم عليها أمناء فلا تشتغلوا بها عن أداء فرائضى وحقوقى، ثم قال عز وجل للفقراء من أهل البدو والحضر وحرر أرزاقهم على قدر آجالهم وأخرها وجعلها (وديعة) فى أموال الأغنياء. وقال لهم عزوجل هذه أرزاق الفقراء من عبادى وديعة فى أموالكم إياكم أن تقتروا وتمسكوا عنهم أموالهم وأرزاقهم فيحل عليكم غضبى وسخطى فانى قد ائتمنتكم عليها *

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن يوم إلا وملكان يناديان تحت العرش المال مال الله والعباد عباد الله فان جاع الفقراء عذب الله الاغنياء . فالله الله عباد الله أوفوا لديه بالعهود، وارغبوا فى دار النعيم والخلود، ومجاورة الملك المعبود *

من شبع وجاع جاره

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعانا وجاره جيعانا » وقد جاء فى الحديث « إن الجار الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامة ويقول: يارب سل هذا الغنى لم منعني معروفه؟ وسد بابه دونى؟ ، وفي حديث آخر أنه يقول « يارب سل هذا لم بات طاعما وبت إلى جنبه طاويا؟ »

ومما يصدق هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأسامة بن زيد فى وصيته «ياأسامة إياك وكل كبد جائعة تخاصمك عند الله فانه يقول ما آمن بى من بات شبعانا وجاره طاويا الى جنبه » *

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أيما رجل كان له جار مسلم بات جائعا وهو يعلم بجوعه وعنده فضل ولم يشبعه فقد برىء من ذمة الله تعالى وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم » فيالها من خسارة لم نتدبرها بعقولنا، فكم بين أظهرنا من مسكين وضعيف، وزمن(١) لايمتلكون قيمة رغيف، فالله الله لاتغتروا بالعز والمال، وتضيعوا الفقراء وأهل الاقلال، فان غاية كل شىء الانقلاب والانتقال، والنفاد والزوال. وقد ذكر فى تفسير هذه الآية (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) قيل يحرص العبد على جمع الحطام، والسحت والحرام، وكل من أدي زكاة ماله فهو كريم، قد برىء من وعد الشيطان الرجيم، ووثق بوعد العزيز

(١) الزمن الكسيح أو المريض مطلقا الذى أزمن عليه المرض ولم يعد له أملا فى الشفاء

الرحيم ، ونجا من العذاب الأليم *

حديث فى ذم الشح

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اتقوا الشح فانه أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» . وأنشدوا :

صافى الكريم فخير من صافيته ‏ ‏ من كان ذا كرم وكان عفيفا
إن الكريم وإن تضعضع حاله ‏ ‏ فالفعل منه لايزال شريفا

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يطوف بالبيت فاذا هو برجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول : بحرمة هذا البيت إلا غفرت لى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما ذنبك ؟ صفه لى » فقال الرجل هو أعظم من أن أصفه لك يارسول الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ذنبك أعظم أم الارضون» ؟ قال بل ذنبي يارسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذنبك أعظم أم الجبال ؟ » قال بلى ذنبي يارسول الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذنبك أعظم أم السموات ؟ » قال بل ذنبي يارسول الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذنبك أعظم أم الله ؟ » قال بل الله أعظم وأجل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويحك فصف لي ذنبك» قال يارسول الله انى ذو ثروة من المال وإن السائل ليأتيني يسألني شيئا فكأنما يستقبلني بشعلة من نار (١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اليك عنى لاتحرقنى بنارك ، والذى بعثنى بالهدى والكرامة لو أقمت بين الركن والمقام ، ثم صليت الف عام والف عام ، حتى تجرى من دموعك الانهار ، وتسقى بها الاشجار ، ثم مت وأنت لئيم لأكبك الله فى النار ، ويحك أماعلمت أن البخل كفر والكفر فى النار ، ويحك أما علمت أن الله تعالى قال (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وأنشدوا:

إن البخيل اذامامات يتبعه ‏ ‏ سوء الثناء ويحوى الوارث الابلا
يرى البخيل سبيل المال واحدة ‏ ‏ إن الجواد يرى فى ماله سبلا

---

(١) هذا والله مانشاهده فى زمننا من أغنيائنا الذين لايبذلون شيئا من مالهم الاخشية أمير أو وزير أو حبا فى شهرة كاذبة أو رياء وسمعة وليس فعل الخير للخير من طباعهم ولايخطر على بالهم والافأين من يطعم الجائعين ويواسى المحرومين ؟ ؟

عظة فى الحض على الزكاة

قالله الله يامعشر المؤمنين كونوا من الاسخياء الصالحين ، ولاتكونوا من البخلاء الفاسقين ، فالبخيل هو شريك الشيطان اللعين ، قال الله تعالى (وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) فكل مال لاتؤدى زكاته فصاحبه خازن الشيطان ، وكل مال أخرجت زكاته فصاحبه عدو الشيطان ، حبيب الرحمن ، وعامل بالسنة والقرآن ، وناج من عذاب النيران ، وداخل فى نعيم الجنان . فكل من مات وترك مالا قد أدى زكاته فان صاحبه لاتزال الملائكة تكتب له الحسنات إلى يوم القيامة ، وكل من مات وترك مالا لم يؤد زكاته فلا يزال وزره يجرى عليه إلى يوم القيامة ، وان وصله وقع المال عندمن يزكيه ، وما من عبد أدى زكاة ماله بطيب من نفسه الا جعل الله ذلك المال يوم القيامة طوقا من نور الجنة يضىء لاهل الجمع من المؤمنين حتي يجوزوا الصراط ويدخل به الجنة (١) ، وما من عبد لا يؤدى زكاة ماله إلا طوقه الله يوم القيامة بطوق من نار جهنم لو أن ذلك الطوق وضع فى الدنيا لاحترقت الدنيا كلها وتقطعت جبالها وجفت بحارها . فو الله لو لم يكن نخر الكريم السخى إلا ذكر الله تعالى له فى كتابه لكفى في قوله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) فاغتنموا هذا اليوم الفاضل فهو يوم تعرف فيه الكرام ، وتفضح فيه اللئام . وهذا يوم عاشوراء يوم تواترت فيه الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يوم النفقة فى الله فيه مخلوفة ، والنفقة فيه في غير الله متلوفة . فاذا كان هذا اليوم تخلف فيه النفقات ، فاولى أن تغفر فيه الخطيئات ، وتتضاعف فيه الحسنات وينجى الله فيه المؤمنين من العذاب والعقوبات ، يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ، وتظهر فيه السرائر والخفيات . وأنشدوا :

ياجامع المال يرجو أن يدوم له كل ما استطعت وقدم للموازين

---

(١) ولقد بلغنى ان بعضهم يتحايل في إخراج الزكاة بأن يضع مبلغ ماعليه من زكاة فى صرة ويضع الصرة داخل جوال من القمح ويعطيه لمن تجب له الزكاة ويستبرئه منها ثم يدس عليه من يشترى منه هذا القمح ويعود اليه به ويرى فى ذلك أنه أدى ما عليه وتلك والله حيلة لا تخيل على الله تعالى .فالمقصود هو بذل المعاونة الصادقة للمحتاجين

ولاتكن كالذى قدقال إذحضرت   وفاته ثلث مالى للمساكين

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي الصدقة أفضل ؟ فقال : « أن تتصدق وأنت صحيح حريص شحيح ، تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذابلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا » *

من خلف ثروة لبيت المال

ذكر أن رجلامات بالمدينة من أهل اليمن وخلف مالا كثيرا فأخبر بخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «هل من وارث؟» فقالوا الا يارسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم: «من لاوارث له فماله لبيت مال المسلمين» فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر المال ، فجيء بالمال إلى المسجد فوضع حتي غاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجانب وغاب الناس من الجانب الآخر (١) من حلي وذهب وورق وثياب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ارفعوا المال إلى بيت مال المسلمين» فرفع كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالتفت عبدالله بن عمر رضى الله عنه فى المسجد فوجد قرصة من ذهب فيها قيراط فقال : يارسول الله هذه من ذلك المال ، فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعها فى كفه وجعل يقلبها فى يده ثم قال صلى الله عليه وسلم «لو تصدق بها فى حياته حين كان صحيحا شحيحا يأمل العيش ويخشى الفقر كانت أحب اليه من هذا المال كله يعطى من بعده فى سبيل الله » فالله الله عبادالله اسمعوا صواب المقال ، وبادروا إلى حسن الفعال ، ولا تغتروا بالعز والمال . فان المال يذهب، والدنيا تخرب، ونفسك تموت . والمرد غدا إلى الحى الدائم الباقى الذي لايموت . واعلم ياأخى أنك مرتهن بالذنوب، وأنت محاسب مطلوب ، مسئول بين يدى علام الغيوب ، فاستعد للسؤال ، وتهيأ للجدال ، فى يوم تشيب فيه الرؤس ، وتضيق من فظاعة هوله النفوس، ذلك يوم هائل عبوس . يوم تضع فيه الحوامل أحمالها، وتزلزل الارض زلزالها ، وتخرج بأمر الله بعد ذلك أثقالها . يامغرور يامسكين ، ظلمت الفقراء والمساكين ، وتركت مالك للوارثين ، ولم تخف من عقوبة رب العالمين ، يوم يقتص للمظلومين من الظالمين . وأنشدوا :

(١) أى أن المال ارتفع فوق أرض المسجد حتى صار حاجزا بين الرسول وبقية الناس لانه كان صلى الله عليه وسلم جالسا فى صدر المجلس ، وكانوا يجلسون بين يديه بغاية الوقار والاحترام فى غير تجبر ولا استعظام ، يجلس بينهم يواسى فقيرهم ويعود مريضهم ويفقههم فى الدين وكان المسجد بمثابة الديوان لهم والمجتمع العام .

يا جامع المال لأولاده يخشى عليهم شمت حساده
ولا يبالى كيف فاد الغنى يغـتر بالله وإبعــاده
اسمع مقالا سوف تحظي به إن أنت لم تعمل باضداده
بنوك إن لاذوا بمولاهم وتابعوا منهاج إرشاده
فالله يكفيهم ويحميهم والله لاخلف لميعاده
وإن يحيدوا عن سبيل الهدى وقابلوا الدين بافساده
فقد يكن مالك عونا لهم فى طاعة اللهو وأجناده

السائل فى حلقة ابن عمار

قيل وقف رجل فى حلقة منصور بن عمار فى يوم عاشوراء فقال : أيها الناس رحم الله من تصدق من فضل ، وأنفق (١) من كفاف ، وآثر من فاقة . فقال لهم منصور : معشر الناس ماترك منكم أحدا . فلم يكن أحد فى المجلس إلا واساه ، قال منصور بن عمار : اللهم عجل لهم بالخلف فى الدنيا والثواب الجزيل فى الآخرة ، قال منصور فلقد افتقدت أهل مجلسى كلهم واحدا بعد واحد بعد ذلك بعام فما منهم إلا من قال : أخلف الله على سبعين ضعفا مما أعطيت . قال منصور فأخذتنى عيناى فنمت فرأيت قائلا يقول . ابشر يامنصور قد غفر الله لجميع من كان فى ذلك المجلس فاخبرهم بذلك ، وقد غفرت لك فأنت الذى دللتهم على الخير فالله الله ياعباد الله تفضلوا على أنفسكم بأموالكم فليس أحد منكم أحق بها من نفسه ❋

تحذير من البخل

ذكر فى بعض الأخبار أن ملكا ينادى كل يوم تحت العرش ، الويل ثم الويل لمن ترك عياله بخير ، وقدم على الله بشر . وأنشدوا .

لاتؤثرن بما جمعت سواكا الموت لاتدرى متي يغشاكا
إن البنين مع البنات رأيتهم يتطلعون ويشتهون فناكا

(١) فى الأصل ، وأمسك ، وهو تحريف ظاهر ، والمشهور ، وواسى من كفاف .وقوله وآثر من فاقة يشير الى قوله تعالي (والذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) والكفاف غاية مايمكن للانسان أن يكف به عن السؤال وهو قوت يومك.

من كان يعلم أن مالك ماله   بعد الممات فلا يحب بقا كا (١)

فالله الله عباد الله اجتهدوا وارغبوا فى ثواب يوم فضله الرحمن ، ووعد من أدى زكاة ماله جنة الرضوان ، وأناب مؤدى الزكاة اخلاص الايمان، وذم مانع الزكاة وجعله من أهل الكفر والخذلان ، وبين ذلك فى القرآن . وأنشدوا :

ياجامع المال فى الدنيا لوارثه   هل أنت بالمال بعد الموت تنتفع

قدم لنفسك قبل الموت في مهل   فان حظك بعد الموت ينقطع

من أقرض الله فضاعفه له

ذكر أن رجلا دخل بعض الاسواق فى يوم عاشوراء فسمع سائلا يقول : (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم) قال فقام اليه رجل من التجار فاعطاه عشرة دنانير ، فلما كان العام القابل اذا بالرجل السائل قد جاء وحوله فقراء يتبعونه وهو يفرق عليهم الصدقة؛ فقال الرجل الذى رآه حين أعطاه الرجل العشرة دنانير . ياأخي أقسمت عليك أما أنت الذى أعطاك فلان التاجر العشرة دنانير عام اول فى يوم عاشوراء ؟ قال نعم،قال قلت ألم تك فقيرا ذلك اليوم ؟ قال بلى ! قال قلت له فما اغناك ؟ قال لما علم الله صدق نيتى وأني ما اخذت الصدقة إلا وأنا محتاج ، وعلم الله تعالى طيب نفس المتصدق باعطائها بارك لى فى تلك العشرة الدنانير وانماها لى حتى وجبت على اليوم عشرة دنانير زكاة في مالى (٢) قال فلما سمعت منه ذلك مضيت الى الرجل الذى كان تصدق عليه بالعشرة دنانير فقلت صف لى قصتك فى العام الماضى فى يوم عاشوراء اذ جاء الرجل الذي قال · (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم) ، فقال الرجل المتصدق إنه لما قرأ هذه الآية وقع فى نفسى ان الله سبحانه سيخلف علي في الدنيا ويوفينى فى الآخرة الأجر الكريم فبت على هذه النية فرأيت ربي جل جلاله فى منامى وهو يقول ياعبدى قد أنجزت الأمرين وقد أوجبت لك الجنة ◦ .

يوم عاشوراء وقتل الحسين

فالعجب كل العجب من بعض جهلة الناس الذين يذمون يوم عاشوراء ويسمونه يوم النحس لقتل الحسين رضى الله عنه فيه ، وهذه غاية السخافة فى الجهالة وفى معاندة الاخبار عن رسول

---

(١) أى اذا كبر الرجل وكان عنده مال تمنت أولاده موته ليحوزوا ميراثه ويستولون علي ماله فلذلك هم يكرهونه (٢) قال الله تعالى (إن من أموالكم وأولادكم عدوا لكم)

الله صلى الله عليه وسلم ومبالغة في الرد على صاحب الشريعة فى قوله بفضائل يوم عاشوراء ، ولولا البغى والعداوة لعدوا ذلك من فضائل الحسين رضى الله عنه إذ استشهد فى مثل هذا اليوم الشريف كما أن الواحد منا يموت له قريب فى ليلة الجمعة أو ليلة القدر أو يستشهد يوم الجمعة أو يوم عرفة فيكون من فضائله ، أو يعد من مناقبه فكذا الحسين . هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره جبريل عليه السلام بقتله *

الحسين وجده

قالت أم سلمة رضى الله عنها (١) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الحسين في منزلي إذ دخلت عليهما فطالعتهما من الباب فاذا الحسين على صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم يلعب وفى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعة من طين ودموعه تجرى على خديه ، فلما خرج الحسين دخلت اليه وقلت له : بأبي أنت وأمى يارسول الله اطلعت عليك وفى يدك طينة والصبي على صدرك وأنت تبكى ؟ ! فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم إني لما فرحت به وهو على صدرى يلعب إذ أتانى جبريل عليه السلام وناولني (الطينة) التى يقتل عليها الحسين ، فلذلك بكيت » *

رؤيا ابن عباس لمقتل الحسين

وقيل رأى ابن عباس رضى الله عنه فى منامه يوم قتل الحسين ، رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيده قارورة وهو يلتقط شيئا من الأرض قال فقلت له ماهذا يارسول الله ، قال قتل ولدى الحسين ولم أزل منذ ذلك اليوم ألتقط دمه من الأرض وأجمعه فى القارروة وأرفعه الى الله تعالى . فكان كما رأى رضى الله عنه (٢) وقيل لما خرج الحسين الى العراق خوفه أهله وجزعوا فلما رأى جزعهم أنشأ يقول .

سأمضى فما فى الموت عار على الفتى   اذا مانوى حقا وحارب مجرما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه   وخالف مثبورا ووافق مسلما

---

(١) هى زوج النبي صلى الله عليه وسلم (٢) أى أنه قتل فى اليوم الذى رآه فيه ، وقد روي أن ابن عباس رضى الله عنه نهاه عن الخروج من المدينة وحذره كثيرا فلم يقبل

وجاهد فى الرحمن حق جهاده   كفى بك ذلا أن تعيش فتغرما (١)

فلما قدم الكوفة استقبله الفرزدق فقال له الحسين : ماوراءك ياأبا فراس ؟ قال أصدقك أم لا ؟ قال الصدق أريد ، قال أما القلوب فمعك ، وأما السيوف فمع بنى أمية عليك . قال له الحسين . ما أراك إلا صدقت إن الناس عبيد المال ، فالدين نفق على ألسنتهم يحوطونه ماردت به معائشهم ، فاذا تحولوا للابتلاء قل الديانون . ثم التفت الى أصحابه وقال . على الخبير سقطنا

آيات ظهرت لمقتل الحسين

وقال الحسن : لم نر هذه الحمرة فى السماء إلا حين قتل الحسين . ووجد على حائط قسطنطنيين (٢)   أترجو أمة قتلت حسينا   شفاعة جده يوم الحساب *

ويقال ناحت الجن على قتل الحسين سبعة أيام حتى سمعت من تحت السبع أرضين ، وأبكت الملائكة أجمعين *

حكاية غريبة

وقال الحذاء بن رباح القاضى : رأيت رجلا مكفوفا قد شهد قتل الحسين وكان الناس يأتونه ويسألونه عن ذهاب بصره ؟ قال فكان يقول . شهدت قتل الحسين ولكنى لم أضرب بسيف ولم أرم بسهم ، فلما قتل الحسين رجعت الى المنزل وصليت العشاء الأخيرة ونمت ، فأتانى آت فى منامى فقال لى أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت مالى وله ؟ فأخذنى وجذبنى جذبة شديدة وانطلق بى اليه ، فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى المحراب مغتما حاسرا عن ذراعيه آخذا بحده وبين يديه نطع (٣) وملك قائم بين يديه ، و بين يدي الملك سيف من نار وكان لى تسعة من الاصحاب فقتل أصحابى التسعة كلما ضرب الملك أحدا التهبت نفسه نارا ، فكلما قام الملك صاروا أحياء فقتلهم مرة بعد أخري حتى قتلهم سبع مرات ، فدنوت من النبي صلى الله عليه وسلم وحبوت اليه فقلت السلام عليك يارسول الله ، والله ماضربت بسيف ولاطعنت برمح ولارميت بسهم ، فقال لى صدقت ولكن كثرت السواد ، أدن منى فدنوت منه فاذا طشت مملوء دما من دماء الحسين ، فكحلنى من ذلك الدم فانتبهت أعمى لا أبصر شيئا

---

(١) كذا فى الاصل ، ولعلها محرفة عن ، تعيش فتهرما . أى أنك تعيش الى أن تبلغ الهرم فحينئذ تكون مذلولا لضعف صحتك ونقصان قوتك وعدم لذتك باطايب الطعام والشراب وغيره (٢) وفى رواية ، على حائط كنيسة بالشام (٣) النطع جلد عليه رماد كثير يقتل فوقه المذنبون ومن وجب عليه القتل وكان من آلة الاعدام فى قصور الملوك والامراء

حكاية عن قتلة الحسين

وقال الفضل بن الزبير : كنت قاعدا عند السدى فجاءه رجل فجلس اليه فاذا منه ريح قطران ، فقال له السدى : أتبيع قطرانا ؟ فقال لا . قال له ماهذه الرائحة ؟ قال شهدت عسكر عمر ابن سعد (١) فكنت أبيع منهم الاوتاد الحديد ، فلما قتل الحسين يوم عاشوراء بت في العسكر فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم والحسين وعلى معهم وهو يسقى الماء من قتل من اصحاب الحسين ، فاستقيته فأبى أن يسقينى ، قال فقال لى : ألست ممن أعان علينا ؟ فقلت بل كنت أبيعهم أوتاد الحديد ، قال فقال لعلى اسقه قطرانا ، قال فناولنى قدحا فشربت منه فكنت ثلاثة أيام أبول القطران ، ثم ذهب ذلك عنى وبقيت هذه الرائحة على . قال فقال له السدى : كل خبز البر وكل من كل النبات واشرب من ماء الفرات فما أراك تعاين الجنة ولا محمد أبدا (٢) » *

من استخف بالحسين

حكى أن رجلا ممن شهد قتل الحسين يوم عاشوراء قال — وعلى وجهه الاستخفاف — : ماأكثرمايكذب أهل العراق ويقولون : إنه لم يشهد قتل الحسين أحد الا أصيب ببلاء ، وإنى حضرت يوم قتله ولم يصبنى بلاء ولا شيء ، قال وكان ضيفا عند قوم فقام ليصلح السراج فتعلقت به شرارة من المصباح فاشتعل نارا ومات على المكان *

بر سليمان بن عبد الملك للحسين

وحكى عن الحسن البصرى انه قال : رأى سليمان بن عبد الملك فى النوم أنه يبره ويلاطفه ، فسأل الحسن عن ذلك فقال لعلك فعلت الى أهل بيته معروفا ؟ قال نعم ؟ إنى وجدت رأس الحسين فى خزانة يزيد بن معاوية فكسوته خمسا من الديباج وصليت عليه فى جماعة من أصحابى وقبرته . فقال الحسن : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضى عنك بسبب ذلك ، فاحسن الى الحسن البصرى وأمر له بالجوائز . فعليكم بحفظ مقام الاشراف ولو كانوا فى غاية الاسراف

---

(١) هو القائد الذى وجهه يزيد بن معاوية لقتال الحسين رضى الله عنه (٢) أخذ ذلك السدى من ظاهر رواية الرجل وأول القطران بانه يشربه فى النار لأنه من شرابها غير أن رحمة الله تعم الخاطئين ولعله لم يكن له يد في هذا القتال ولم يرضه وعلى كل حال فحسابهم على الله

فى قتل الحسين

ورأيت فى كتاب التعازى والعزاء من وضع أبى محمد عبد الله بن محمد البللورى أن الحسين رضوان الله عليه استسقى ماء حين قتل فمنع منه وقتل وهو عطشان ، وأتى الله حتى سقاه من شراب الجنة ، وذبح ذبحا وسبيت حرمه وحملن مكشفات الرؤس على الاكف بغير وطاء حتى دخلن دمشق ورأس الحسين بينهن على رمح ، إذا بكت إحداهن عند رؤيته ضربها حرسي بسوطه ، ووقف أهل الذمة لهن فى سوق دمشق يبصقون فى وجوههن حتى وقفن بباب يزيد ، فأمر برأس الحسين فنصب على الباب وجميع حرمه حوله ووكل به الحرس وقال : إذا بكت منهن باكية فالطموها . فظللن ورأس الحسين بينهن مصلوب تسع ساعات من النهار وان أم كلثوم رفعت رأسها فرأت رأس الحسين فبكت وقالت ياجداه - تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم - هذا رأس حبيبك الحسين مصلوب وبكت ، فرفع يده بعض الحرس ولطمها لطمة حصر وجهها ، وشلت يده مكانه وفى هذا يقول الازدى :

لقد ضل قوم أصبحوا فى تلدد سباياهم في الحرب آل محمد
كما ضل سعى الناكبين بعجلهم فأعقبهم لعنا بدين التهود
وموسى وعيسى بشرا بمحمد عليه سلام الله من متهجد
أيا أمة الاسلام ياأمة الذى هدى الله منا بالنبي كل مهتد
وثوب لابناء النبي فلو ترى بنو اللعن إذ عنوا الهم بالتهدد(١)
بسوق دمشق يبصقون وجوههم فداء لها نفسى وما ملكت يدى
فما جرى دمعي ياحبيبي بناضب ولا زند ودى للحسين بمصلد

عمرو بن الليث

وقيل إن عمرو بن الليث عرض عليه جنوده يوما فرأى كثرة عسكره وكان يحمل بين

(١) يريد بنى اللعن اليهود لانهم كانوا ذميين وليس لهم أن يتداخلوا فى ذلك ويبصقوا فى وجوه الاسرى لان من شروط الذمى أن لا يتداخل فى سياسة أهل البلد كما هو جار الآن فى جميع ممالك الارض إذ أن النزيل فيهم الذى ليس من أهل البلد لايجوز له أن ينصر حزبا على آخر والظاهر أن الخليفة على شدة جبروته لم يجد غيرهم لذلك الأمر الشنيع الفظيع .

يديه اثنا عشر الف عمود من ذهب ، تحت كل عمود قائد من حشمه تحت يده الف فارس فلما رأى ذلك اغرورقت عيناه بالبكاء وقال فى نفسه : ياليتنى وقت قتل الحسين بن على مع هؤلاء فكنت أفديه بنفسى ومالى وحشمى ، فرأى بعض الصالحين فى منامه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له قل لعمرو بن الليث : اطلعنا على ماخطر بقلبك وقبلنا منك ، وأعطاك الله تعالى على نيتك وقولك الثواب الجزيل . فجاءه فأخبره فبكى بكاء شديدا *

من فضائل عاشوراء

ومن فضائل يوم عاشوراء ماذكره وهب بن منبه ، قال وهب بن منبه : أنزل الله سبحانه وتعالى خاتم سليمان عليه الصلاة والسلام فى يوم عاشوراء ، وذلك أن الله تعالى أسكن آدم الجنة وختمه بخاتم العز وقال يا آدم هذا خاتم عهدى فاذا نسيت عهدى يا آدم أخلعه منك ثم ألبسه من أنبيائى من لاينسى عهدى واورثه خلافتك ، ففزع آدم وقال ياربى من هذا الذى تورثه خلافتى ؟ قال الله تعالى ولدك سليمان ، أسلمه من الكبر واجعله مثلا للمردة من ولدك الذين يفسدون فى اطراف الارض ويسمون أنفسهم ملوكا فى أكنافها . فأخذه آدم عليه السلام فتختم به فكان يضىء لنوره أشجار الجنة ، وتضحك حور الجنان ، وتميل الخزنة لرؤيته عجبا منه ومن حسنه وجماله فسبحان من أكرمه واصطفاه صلى الله عليه وسلم حتى عصى ربه ونسى عهده طار الخاتم من أصبعه طيرانا فزعا مذعورا حتى استجار بركن من أركان العرش وأنطق الله الخاتم فقال : الهي وسيدى هذا آدم قد رفضني وأنت قد طهرتنى به وجعلتنى لاهل الطهارة ، فقال الله جل جلاله استقر فلك الامان ، وسنجعلك لمن نسلمه من الكبر ونعزه بك على أن لايملكك احد بعده ابدا ، فلما اصطفي الله سبحانه سليمان عليه السلام بالخلافة والولاية واحب أن يرى عباده قدرته جعل عن سليمان عليه الصلاة والسلام فى ذلك الخاتم وانزله الله سبحانه اليه يوم عاشوراء صبيحة يوم الجمعة ، وسليمان قائم فى محرابه وخلفه اثني عشر سبطا فى كل سبط اثنى عشر الفا من العلماء والحكماء والقضاة من أهل التوراة والزبور ودراسة الكتب إلا أصحاب البرانيس والعكاكيز فقد أظلهم الطير من فوقهم (١) فبينا سليمان

(١) لقد تواترت الاخبار عن ملك سليمان وما أعطاه الله من بسطة فى الدنيا وقوة فى الحكم حتى علمه الله منطق الوحش والطير وسخر له الجن والمردة يأتمرون بأمره ويطيعون حكمه ويشيدون له العظيم من المباني وهو مع ذلك متواضع لله زاهد فى الدنيا لم يشبع قط من أطايبها

عليه السلام فى قراءة الزبور إذ ناداه جبريل عليه السلام *

خاتم سليمان

وقال له السلام عليك ياسليمان هذه هدية الله اليك ، خذ هذا الخاتم فتختم به ، فسجد سليمان لله رب العالمين شكرا وسجد من خلفه من أول النهار الى آخره تعظيما لله عز وجل وتحميدا له حتى إذا رفع رأسه صعد كرسيه واستقبل الناس بوجهه ورفع اليهم الخاتم فلمع فى يده كالبرق الخاطف فقال لهم : هذا خاتم جمع الله لى فيه سلطانى وعزتى وفضلنى به على العالمين ، وهو خاتم الطاعة لايمسه إلا عزيز تقى نقى قالوا له : قد أدينا لك طاعتنا وأنت العزيز التقي النقى الأمين ، وكان على تربيع الخاتم مكتوب على الجانب الاول ؛ انا الله لم ازل وعلى الثانى ، انا الله الحى القيوم ، وعلى الثالث ، انا الله العزيز لاعز يز غيرى وعزيز من البسته إياه ، وعلى الرابع آية الكرسى ، محيط به لاإله إلا الله محمد رسول الله خاتم الانبياء . فهذه صفة خاتم سليمان عليه السلام (١) *

كيف نجا الاسير

وحكى أن أسيرا كان بأيدي الكفار وكانوا يعذبونه ، فلما كان فى يوم عاشوراء قال اللهم بحرمة هذا اليوم عليك الا مافرجت عنى ، قال فلطف الله به وعطف عليه قلوب الكفار حتى خلصوه وافرجوا عنه ، وقيل خرج أسير فى يوم عاشوراء من بلد الكفار فطلبوه ، فلما رأى الفرسان خلفه وأيقن أنه مأخوذ مدرك رفع رأسه إلى السماء وقال : إلهى وسيدي ومولاى بحرمة هذا اليوم أسالك أن تنجينى وتحفظنى منهم ، فأعمى الله أبصارهم عنه فنجا ، وصام ذلك اليوم فلم يجد شيئا يفطر عليه عند الليل فنام واطعم وسقى فى النوم لفضل يوم عاشوراء . فعاش بعد ذلك عشرين سنة لم يكن له حاجة إلى الطعام والشراب . وهذا رحمكم الله من فضل يوم عاشوراء فاعرفوا حقه وارغبوا فى فضله ، لاأحرمنا الله فضله وغفر لنا فيه ماأسلفنا من الاوزار والذنوب ، وستر علينا ما اتينا من القبائح والعيوب *

(١) ولقد أولع المتأخرون به وصوروه بجميع الاشكال وضرب به المثل فى جمال الفم

دعوات صالحة

اللهم (١) كما تبت على آدم فى يوم عاشوراء فتب علينا ، وكما نجيت عيسى من الاعداء فنجنا ، وكما رفعت إدريس مكاناً علياً فارفعنا ، وكما لعنت فيه إبليس فأعذنا من سخطك وجنبنا معاصيك برحمتك يا أرحم الراحمين *

اللهم ارزقنا الشهادة والسعادة كما فعلت بهابيل (٢) واجعلنا يا رب من أحبابك كما فعلت بالخليل *

اللهم برد علينا نار الآخرة كما بردت النار على خليلك إبراهيم ، وأهلك أعداءنا كما أهلكت أعداء موسى فى اليم *

اللهم نجنا من طوفان الشهوات والهوى ، وأنزل علينا السكينة والوقار في دار الدنيا *

اللهم اكشف عنا الضر والبلوى ورد علينا أبصار القلوب بعد التحير والعمي (٣)

اللهم وإذا أخرجتنا من سجن الدنيا فأكرمنا بملك البقاء ورد علينا ما فات منا من طيبات التقى *

اللهم اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وما تأخر وما أعلنا وما أسررنا وما أنت أعلم به منا برحمتك يا أرحم الراحمين *

اللهم يا عماد من لا عماد له ويا ذخر من لا ذخر له ويا حرز من لا حرز له ويا ناصر من لا ناصر له يا مؤيد قلوب العارفين ويا مستراح مذاهب المتوكلين ويا شاهد مجالس الخائفين ويا مقيل عثرة العاثرين ويا أرحم الراحمين أجب دعاءنا ولا تحرمنا خيرما عندك بشر ما عندنا

اللهم اجعلنا ممن شملته رحمتك وناله عفوك وعد على ما تعلم من ذنوبنا برحمتك وعلى ما سلف من تقصيرنا عن طاعتك ما وعدتنا من الاحسان من نفسك ياذا الجلال والاكرام *

---

(١) بعد أن أتى المؤلف رحمه الله ببيان الفضائل والثواب التى ليوم عاشوراء سرد أدعية صالحة يجب على كل إنسان أن يحفظها ويدعو الله بها فى الشدة والرخاء والصحة والمرض لانها خلاصة الدعوات . (٢) هابيل أحد ولد آدم وقد قتله أخوه قابيل حسدا وبغيا منه إذ تقبل الله قربانه ولم يتقبل من أخيه وهو أول قتيل على الارض وقصته مذكورة فى القرآن الكريم (٣) يشير الى قصة يعقوب عليه السلام ولم يكن أعمى حاشا لمقام النبوة الجليل .

[اللهم ياسيدنا كرمت أفعالك بنا فعصيناك ووجدناك كريماً فدعوناك ولقيناك رحيما فسألناك *

اللهم فكما مننت علينا بالستر والعافيـة فى حال الذنب والمعصية لا تحرمنا المغفرة والرحمة فى حال التضرع والاستكانة سيدنا ومولانا ارحم فى هـذه الدنيا غربتنا وارحم عند الموت صرعتنا وآنس فى اللحود وحشتنا ، وارحم بين يديك ذل موقفنا ، واغفر لنـا ما خفي على الناس من أعمالنا *

اللهم انظر الينا نظرة الرضا وأعذنا من نظرة الخزى والعلل *

اللهم لاتجعلنا ممن صرفت عنه وجهك ، ومحوت عنه عفوك ، وأغلقت عنه باب التوبة ، وقطعت من يديه أسباب العصمة ، وطبعت على قلبه وأعميته لذنبه ، ووكلته الى نفسه ، إنك على كل شيء قدير *

اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار *

اللهم ياربنا وسيدنا ومولانا لاتكلنا الى أنفسنا طرفة عين واحفظنا واحفظ علينا مارزقتنا وبارك لنا فيما أعطيتنا ولاتجعل لاحد من خلقك علينا سلطانا ولاسبيلا ياأرحم الراحمين *

اللهم يسرنا لليسرى وجنبنا للعسرى *

اللهم إنا نسألك من فضلك وعطاياك رزقا طيبا مباركا فيه *

اللهم اهدنا للهدي وقنا بالتقوي واغفر لنا مغفرة واقية فى الدنيا والاخرى *

اللهم لاتدع لنا فى مقامنا هذا ذنبا إلا غفرته ، ولا دينا إلا قضيته ، ولاهما إلا فرجته ، ولا مريضا إلا شفيته ، ولاغائبا إلا أدنيته ، ولاحاجة من حوائج الدنيا والآخرة مما يصلحنا ويرضيك إلا قضيتها *

اللهم أد دين المدينين ، وفرج عن المهمومين والمكروبين ، واكتب سلامة المسافرين فى البر والبحر أجمعين ، وجاز اللهم خير المحسنين *

اللهم إن نواصينا بيدك وقلوبنا في قبضتك تعلم منقلبنا ومثوانا وسرنا ونجوانا اليك مردنا ومصيرنا أنت فوق العباد بعزتك ؛ أنت الخالق ونحن المخلوقون ، وأنت المالك ونحن المملوكون أنت الرب ونحن العبيد ، أنت الغنى ونحن الفقراء اسمع دعاءنا ولا تقطع منا فى كل ماسألناك ورغبنا اليك رجاءنا فان ذلك عليك يسير ، وأنت نعم المولى ونعم النصير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين وهو حسبنا ونعم الوكيل وما

توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب (١) *

-١٦- ﴿ مجلس فى قوله تعالى الله نور السموات والارض ﴾

قلب المؤمن

مثل ضربه الله المولى البصير السميع ، لقلب العبد المؤمن المطيع ، وما أودعه من الايمان، والمعرفة فى القرآن ، من نور الملك الرحمن . فقال خالق الطول والعرض ، الذى عبد بالنوافل والفرض (الله نور السموات والارض) أى بنوره جل جلاله يهتدى من فى السموات والارض . ثم قال تبارك وتعالى (مثل نوره) يعنى النور الذى جعل في قلب المؤمن ،وهذا قول جمهور المفسرين (كمشكاة) يعنى قلب المؤمن ، والمشكاة هى الكوة غير نافذة ، وذلك أن الكوة إن كانت غير نافذة وكان فيها قنديل الزجاج ولا يقال للزجاجة قنديل حتى يكون فيها مصباح وهو السراج ، فاذا كان المصباح فى زجاجة صافية فى كوة غير نافذة انضم النور واجتمع ولم يجدله منفذاً فتكون الكوة أكثر نورا مما لو كانت نافذة ، وهذه مبالغة من الله فى وصف قلب المؤمن ثم إن الله تعالى خلق الخلق ضروبا مختلفة فاذا كانت أنوار المعرفة والايمان فى قلب العبد استدل ونظر بنور الله تعالى وأخذته الفكرة فى خلق السموات والارض وفى عظمة الله تبارك وتعالى ، فاذا كان العبد كذلك تمكن من قلبه الخوف فعند ذلك يتبع القرآن والاحكام ، ويتجنب الفواحش والآثام ، من كثرة النور الذي جعله فى قلبه الملك العلام . فهذا الصنف الذي أثنى عليه الله فى كتابه العزيز . فقال الله تعالى (إن فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب) (٢) ثم نعتهم المولى

---

(١) أكثر المؤلف رحمه الله فى ختام هـذا المجلس من الدعوات على غير عادته فى بقية المجالس ، ويظهر أنه كان يريد أن يجعل هـذا المجلس خاتمة الكتاب ثم بدا له فأضاف اليـه مجلسين فى فضل الصلاة على النبي صلى الله عليـه وسلم (٢) خص الله سبحانه بالخطاب أولى الالباب أى العقول لان مقام التفكر فى خلق السموات والارض وفى اختلاف الليل والنهار وما يترتب على ذلك من صيف وشتاء وحر وقر ومد وجزر آيات باهرة وشواهد ظاهرة على وحدانيته تعالى وقدرته يدركها ذوى العقول الراجحة المفكرة، والبصائر النيرة الطاهرة.

بالتذكير والتفكير فقال تعالى (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض) الى قوله (عذاب النار) فلما جعل الله تبارك وتعالى نور الايمان فى قلوبهم أيقنوا أن الله عز وجل خلق السموات والارض والليل والنهار والشمس والقمر علموا بنور الهدي أنما خلق الله ذلك ليطاع ولا يعصى ، وعلموا أن الجنة جزاء لمن أطاعه والنار جزاء لمن عصاه . فاستعملوا قلوبهم بالفكرة ، وجالت أبصارهم فى مصنوعات الله بالعبرة فلا يقدر واحد منهم أن يباشر شيئا من المنكرات ، ولا يضيع شيئا من الطاعات *

النور هو الهدى

قال بعض اهل العلم : أراد الله تبارك وتعالى بهذا النور الهدى ، وليس المراد به نور شعاع ولا ضياء لان الله تبارك وتعالى لا يوصف بلون من الالوان ، ولا يشبه بملك ولا انسان ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (١) وقال بعض العلماء : هذا مثل ضربه الله تبارك وتعالى في وصف نور محمد صلى الله عليه وسلم الذى هدى به المؤمنين ، واستنقذهم به من موارد الهالكين ، لان الله تعالى رحم بمحمد صلى الله عليه وسلم العباد ، وأنقذهم به من جهنم وبئس المهاد . وأوجب لهم الاقتداء بنور الجنة ، وأعظم عليهم به المنة . ثم قال تعالى (فيها مصباح) يعنى سراجا ، (المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية) الآية . فشبه الله تعالى القنديل فى شدة بياضه وتلألؤه بكوكب درى ، يوقد ذلك المصباح بزيت من شجرة لا شرقية ولا غربية ، أي لا بارزة للشمس كل النهار فتحرقها الشمس بحرها ، ولا غربية أى ولا مستترة بالظل فيؤذيها الظل ببرده كل النهار ، ولكنها شرقية غربية تصيبها الشمس بعض النهار ، وإذا كانت الشجرة كذلك فهو أنضر لها وأجود لحملها وأنور لزيتها . ثم قال تعالى (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) أى ولو لم يسرج به من شدة صفائه . تم الكلام ، ثم ابتدأ تعالى فقال (نور على نور) يعنى نور المصباح علي نور الزجاجة

(١) ضرب الله سبحانه وتعالى مثلا لنوره وهم لم يروه ولم يشاهدوه بنور المصباح الذى يرونه تحت أعينهم وإن كان البون شاسعا بين نور الله تعالى ونور المصباح إلا أن القرآن الكريم كان يضرب لهم الامثال بما يعرفونه أو يتخيلونه ، كما قال تعالى (طلعها كأنه رءوس الشياطين) والعرب لم تر رءوس الشياطين إلا أنهم لما كانوا يتخيلون رءوس الشياطين كبيرة فظيعة وإن لم يروها فشبهها بها . وكقوله تعالى (مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء) .

وصفاء الزيت . وهذا مثل ضربه الملك الجبار ، لقلوب المؤمنين الابرار ، قال سبحانه وتعالى (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) فنور الهدى اذا دخل القلب انفسح وانشرح وزالت عنه الاسباب المانعة عنه الضلالة والمعصية فعند ذلك ذكر الجوارح بالاعمال الموجبة لدار القرار ، والمنجية من سخط الملك الجبار ، ومدار ذلك كله على القلب والقلب هو سلطان البدن فاذا صلح صلح جميع الجسد ، واذا فسد فسد جميع الجسد ، وصلاحه انما هو بنور الايمان ، وبنظر الملك الرحمن ، وفساده إنما هو بظلمة العصيان ، ووسواس العدو الشيطان ولذلك ورد الخبر عن سيد البشر « إن فى ابن آدم لمضغة اذا صلحت صلح الجسد واذا فسدت فسد سائر الجسد الا وهى القلب » ❋

شجرة الزيتون

وقال الله تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) وقال عز وجل (وأنزلنا اليكم نورا مبينا) وقال سبحانه (ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا) وقوله تعالى (زيتونة لا شرقية ولا غربية)(١) لا شرقية تطلع عليها الشمس كل النهار فتحرقها ، ولا غربية يصيبها الظل كل النهار فيظلها ، وهى أفضل ما يكون من الشجر . وهذا مثل ضربه الله تعالى فى وصف نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، والنور الذى أنزل عليه هو القرآن . فالله تعالى قد وصف الشجرة بأنه سبحانه وتعالى حفظها من الشمس والظل فكذلك حفظ لنا القرآن فلم يقع فيه تحريف ولا بهتان ، ولا زيادة ولا نقصان ، ولو جعل الله حفظه إلينا وقع فيه التحريف والتبديل كما وقع فى الكتب المتقدمة قال الله تعالى (بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) ثم أخبرنا عنهم عز وجل أنهم حرفوا وبدلوا فقال تعالى (يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به) وقال سبحانه (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله) فاخبرنا الملك الرحمن فى محكم القرآن ، أنهم أوقعوا فى كتبهم الزيادة والنقصان ، والتحريف والبهتان . وخبرنا مولانا عن القرآن أنه الحافظ له بقوله (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وما حفظ الملك الديان فلا يقع فيه زيادة ولا نقصان ، ولا تحريف ولا بهتان . فكتابنا قد حفظه الملك الجليل ، فسلم من التحريف والتبديل ، وكذلك

---

(١) وخص الزيتونة بالذكر وإن كان كثير من الشجر له زيت لأن زيتها أصفى وأضوأ ما يكون . لأنها شجرة مباركة يؤكل ثمرها ويستخرج منه الزيت ويصلح عجمها طعاما للحيوانات.

حفظ نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وعصمه وهداه فقال تعالى فى عصمته لنبيه وحبيبه وصفيه (والله يعصمك من الناس) وقال تبارك وتعالى فى هدايته لنبيه (ويهديك صراطا مستقيما) فاخبرنا مولانا العزيز الحكيم عن محمد النبي الرؤوف الرحيم أنه قد هداه إلى الصراط المستقيم، وأعاذه من الشيطان الرجيم، وحفظه الملك الرحمن من الشرك والكفران، والعوج والبهتان، فقال له الديان فى محكم القرآن (قل إننى هدانى ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) فهداه الله تبارك وتعالى إلى الحق المعلوم وعلمه مالم يكن يعلم من دقائق العلوم؛ فأدى رسالة ربه غير مقصر ولا مذموم، ولا مفرط ولا ملوم، فاخبرنا الحى القيوم، عن النبي الصادق المرحوم، أنه قد بلغ كتاب ربه المعلوم، وقال له (فتول عنهم وما أنت بملوم) وقد أخبرنا الملك الجبار أنه أمر نبيه المختار بتبليغ الرسالة ليستنقذ المؤمنين من النار فقال تعالى (ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) فأمره تعالى بالتبليغ وأخبر عنه أنه قد بلغ. وما حفظ الملك القهار لقلوب المؤمنين الابرار، فقوله تعالى (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) فصار المؤمن فى عصمة الله تبارك وتعالى وحفظه، لما دخل نور الهدى فى قلبه. فهذا مثل ضربه الله العزيز الحكيم، المنان المتفضل الكريم، لنبيه الصادق الامين، ولكتابه النور المبين. ثم قال تعالى (ويضرب الامثال للناس والله بكل شيء عليم) فهو تعالى عالم بما كان وما يكون وما لم يكن ولا يكون، أن لو كان كيف كان يكون. ثم إن الله تبارك وتعالى أثني على المؤمنين المحافظين على أداء الصلوات الذاكرين لله فى المساجد فى جميع الآناء (١) والاوقات، الخائفين من عقوبة رب الارضين والسموات، فقال رب الارباب وسيد السادات فى محكم الكتاب (بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها) الآية. أى يذكر فيها جميع ما أنزل المولى من أسمائه الحسنى وصفاته العلى، لا يذكر فيها زور ولا بهتان، ولا غيبة ولا عصيان، ولا نميمة على اللسان، وإنما جعلها الله تعالى للسنة والقرآن، وعبادة الملك الديان، لا يذكر فيها لغو ولا تأثيم، لانها إنما جعلت لاداء فرض العزيز الحكيم ٭

المساجد لذكر الله

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إذا سمعتم الاصوات قد علت

---

(١) آناء الليل ساعاته.

فى المساجد فى غير ذكر الله فلا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة »*

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا علت الاصوات فى المساجد فى ذكر الدنيا تقف عليهم الملائكة فيقولون لهم اسكتوا يا أولياء الله ، اسكتوا يا أعداء الله ، اسكتوا عليكم لعنة الله » وقوله (ويذكر فيها اسمه) يذكر فيها جميع ما أنزل العليم الخبير فى كتابه المبين ، وجميع ما أمر به الصادق البشير النذير . قال الله مولانا الذي بيده ضلالنا وهدانا (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقد نهانا محمد صلى الله عليه وسلم عن فضول الكلام فى كل مكان . فاذا كان فضول الكلام وبالا على العباد فى غير المساجد ، فأولى أن يتحفظ العبد عن الكلام فى غير ذكر الله فى المساجد*

كلمة السوء

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن العبد ليتكلم بالكلمة فينزل بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب(١) * فهذا ثناء من أسرع الحاسبين على عمار المساجد المؤمنين . وقد أثنى عليهم الملك الرحمن فى محكم القرآن ، حيث أوجب لهم الايمان (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتي الزكاة ولم يخش الا الله)*

وجاء فى الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا كان يوم القيامة يقول الجبار تبارك وتعالى أين جيرانى ؟ فتقول الملائكة مولانا ومن ينبغى أن يكون جارك ؟ فيقول الله تبارك وتعالى يا ملائكتى أين عمار المساجد فى الدنيا » . وأنشد يحيي بن معاذ بعرفات :

إليك جئنا وأنت جئت بنا   وليس شىء سواك يغنينا
فنائك رحب وأنت ذو كرم   تدعو الى بابك المساكينا

قال الله تعالى: (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار) يريد أن القلوب يوم القيامة تعرف أمره يقينا فتتقلب ، وما كانت عليه من الكفر والشك في الحساب ، والبعث والثواب والعقاب ، والنعيم والعذاب ، فترى الأبصار يومئذ ما كان عنها مغطى بقوله تعالى (لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) وقيل تتقلب

---

(١) ومثل ذلك من يتباهي مع اخوانه بذكر المعاصى والفسوق وإظهار ما ستره الله عليه ونهش أعراض المسلمين ومن يكذب ليضحك منه الناس كأن يذكر عن فلان وفلان حالا حقيقة له إلا أنه يتضاحك على ذكرهم ويخلق من نفسه بطلا فى الشرور وإتيان المنكر.

الابصار من الكحولة إلى الزرقة ، ومن البصر إلى العمى ، ومن بياض الوجه إلى السواد ، والقلوب تتقلب من الشك إلى اليقين ، ومن الامن إلى الخوف ، ثم لم يوقنوا بالبعث حتى عاينوه ، ولم يصدقوا بالعذاب حتى شاهدوه . ثم ضرب الله تبارك وتعالى مثلا للكافرين فقال تعالى . (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء) يراه من البعد (حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) كذلك الكافر يحسب ما قدم من عمله في الدنيا ينفعه بل وجده بلاء وحسرة عليه لان الله تبارك وتعالى محقه وأبطله بالنفاق والكفر ، لانه عمل لم يعمله لوجه الله تبارك وتعالى ، ولا ينفع من الاعمال كلها إلا ما كان لوجه الله خالصا ، والكافر والمنافق لم يرد بعمله وجه الله تعالى فنعوذ بالله من النفاق والكفر بعد الايمان ، ومن زوال النعمة بعد الاحسان ، ومن القطيعة والحرمان ، ومن ترك الزيادة ولزوم النقصان ، ومن ترك العز واتباع الهوان ، وترك المولى الكريم وصحبة الشيطان .

ثم وصف الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه الرجال الذين يسبحون له بالمساجد فقال تبارك وتعالى :(يسبح له فيها) يعني المساجد (بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) فسبحان من لو سجدنا له على جمر الغضا وحرارة الرمضاء (١) ما بلغنا جزءا واحدا من فناء الاعداد من حق الملك الجواد الذي أنعم علينا بنعمة الاسلام ، وفضلنا بمحمد عليه الصلاة والسلام ، خير نبي وأكرم إمام ، شاهداً علينا في جميع الاحكام ، وجعل هذه الامة شهداء يوم القيامة على الناس يوم تشقق فيه السماء بالغمام . فمن كانت هذه النعمة من بعض نعمه عليهم كيف تلهيهم تجارة أو بيع عن ذكر الله ؟ ! وتجارتهم مع الله رابحة ، ومحاسنهم لذوى الالباب لائحة . ثناؤهم عطر الانام ، فهم بين الناس كالاعلام ، بهم يستمطرون الغيث إذا حجب ، وفي جملتهم يحشر السعيد والنجيب ، ومن فاخرهم يخب ، ومن حار بهم نكب ، ومن أقلع اليهم بغير ريح عطب ، بدعائهم يستمطر الغمام ، فهو دواء الآلام وشفاء الاسقام وبهم يستنقذ المغلوب ، وبهم يفرج الله عن المكروب ، كروبهم كشف العمى عن القلوب ، وبهم تغفر الخطايا والذنوب ، من اقتدى بهم تجنب الآثام والذنوب ، وأقلع عن القبائح والعيوب وبلغ من رحمة مولاه المنى والمرغوب ، وبهم يتوصل إلى غاية المحبوب . وأنشدوا :

وربك لو أبصرت يوما تتابعت عزائمهم حتى لقد بلغوا الجهدا

---

(١) الرمض وقع الشمس على الرمل وغيره والارض رمضاء اشتد حرها ورمضت قدمه احترقت من شدة الحر ومنه رمضان لانه كان يجيء في شدة القيظ .

لابصرت قوما جانبوا النوم وارتدوا بأردية التسهاد (١) واسقربوا البعدا
وصاموا نهارا دائما ثم أفطروا على بلغ الاقوات واستعملوا الكدا
أولئك قوم حسن الله فعلهم وأورثهم من حسن فعلهم الخلدا

رجال جالت قلوبهم فى الملكوت ، رجال تفكروا فى العظمة والجبروت ، رجال استقاموا على عبادة الحى الذى لايموت ، رجال خطرت على قلوبهم الاشجان ، وأتعبوا النفوس والابدان ، وتسربلوا الخوف والاحزان ، وأقبلوا على مولاهم كورود الظمآن . شربوا بكأس الزلال مع اليمين ، وتأسوا بسيد المرسلين ، وعملوا أعمال الصالحين ، واتبعوا سيرة المؤمنين واستقاموا على طريق الهدي والدين . رجال شربوا بكأس الوداد والرحب ، فكشف لهم حجب الغيب ، وغفر لهم ماعملوا من ذنب ، فاشعلوا فى قلوبهم نيران خوف الملك الرب . رجال أقلعتهم خوف الوعيد ، وأنحل أجسامهم التفكر الشديد ، رجال تجنبوا الفواحش والآثام ولذيذ الشراب والطعام ، رجال ليلهم قيام ، ونهارهم صيام ، يطلبون رضا ذي الجلال والاكرام . وأنشدوا :

سقوا كأس المحبة فاطمأنت قلوبهم وهيجها اليقين
إلى ملك تحن اليه شوقا وليس لها إلى أحد حنين
يميل بهم هبوب القرب ميلا كما مالت مع الريح الغصون

رجال كحلوا أعينهم بالسهر ، وغضوها عما لا يحل من النظر ، وشغلوا خواطرهم بالفكر ، وأشغلوا قلوبهم بالعبر ، رجال أزعجوا أنفسهم عن الاوطان ، ولزموا مساجد الملك الرحمن ، وجالت قلوبهم فى علوم القرآن ، وما واعدهم وتواعدهم به الماجد الديان . وأنشدوا :

اختصم الطرف (٢) مع فؤادى فى وصارا إلى عناد
فقال طرفى أنا ابتليت بطول ليلى وبالسهاد
وقال قلبي أنا المقلا بالكرب الصعبة الشداد
فقال جسمى : قتلتمانى أنا الذى ذبت فى الجهاد

(١) التسهاد السهاد وهوعدم النوم (٢) الطرف النظرأى تخاصمت عينى مع فؤادى

الزهاد

رجال قد نحلت منهم الابدان ، وتغيرت منهم المحاسن والالوان ، وخوف العذاب والنيران وشوقا إلى نعيم الجنان . رجال صحبوا القرآن بحسن العمل ، ولم يغتروا بطول الامل ، ونصبوا لأعينهم تقريب الاجل ، وسمت هممهم إلى الرفيع من المحل ، واشتاقت نفوسهم إلى الملك الاعلى الاجل ، فلو رأيتهم لرأيت قوما يتلون كتاب الله بشفاه ذابلة ، ودموع وابلة ، وزفرات قاتلة ، وأجسام ناحلة ، وعقول ز ائلة ، وخواطر فى عظمته جل جلاله جائلة . وأنشدوا :

يراعون نجم الليل لا يرقدونه بادمان نيات التعبد والصبر
تداعت هموم القلب فى القلب وحشة فصاح بهم أنس الجليل إلى الذكر
رجال عليهم رحمة الله أنزلت فظلوا اسكونا فى الكهوف وفي القفر
فأجسادهم فى الارض هو نامقيمة وأرواحهم تسرى إلى معدن الفخر

الخائفين

رجال حال الخوف بينهم وبين نعيم المتنعمين ، وبين غاية آمال الراغبين ، فاضت دموعهم من خوف وعيده ، وشابت لممهم من تحذيره وتشديده . فأتعبوا الابدان بالاجتهاد ، وخوفوا أنفسهم هول المعاد ، وركبوا طريق أهل السداد ، وأشفقوا من عقوبة رب جواد . وأنشدوا :

لله قوم شروا لله أنفسهم فأتعبوها بزجر الله أزمانا
أما النهار فقد وافوا صيامهم وفى الظلام تراهم فيه رهبانا
أبدانهم أتعبت فى الله أنفسهم وأنفس أتعبت فى الله أبدانا
ذابت لحومهم خوف العذاب غدا وقطعوا الليل تسبيحا وقرآنا

رجال إذا نظروا اعتبروا ، وإذا سكتوا تفكروا ، وإذا ابتلوا استرجعوا ، وإذا جهل عليهم حلموا ، وإذا علموا تواضعوا ، وإذا عملوا رفقوا ، وإذا سئلوا بذلوا اعونا للوارد ، وتفضيلا للقاصد ، حلفاء صدق ، وكهوف ودق (١) قد عملوا بالسنة والكتاب ، ونطقوا بالحكمة

(١) الودق المطر ، يريد أنهم يحفظون المعروف لطالبه كما تحفظ الكهوف ماء المطر فيكون للوراد موردا سائغا زلالا . ولا يعرف مقدار ذلك إلا من جاب القفار وعرف ما للماء من قيمة تضارع ذوب اللجين ولولا نهر النيل فى مصر لكانت من الصحاري.

والصواب ، وحاسبو أنفسهم قبل يوم الحساب ، وخافوا من عقوبة رب الارباب . رجال لزموا البكاء والعويل ، ورضوا من الدنيا بالقليل ، فأزمعوا إلى الآخره التحو يل ، ورغبوا فى ثواب الملك الجليل ، وحنوا إلى النعيم الدائم الجزيل ، وتمسكوا بالسنة والتنزيل ، ومنعوا أنفسهم التسويف والتعليل ، وأشفقوا من هول اليوم العبوس الثقيل ، الهائل المنظر الطويل . وأنشدوا:

لله قوم لدار الخلد أخلصهم ... وخصهم بجزيل الملك مولانا
فلو تراهم غدا فى دار ملكهم ... قدتوجوا من حلى الكون تيجانا
وقد دعاهم إلى الفردوس سيدهم ... إلى الزيارة والتسليم ركبانا
على نجائب ذركى تطير بهم ... والخيل(١) من جوهر والسرج مرجانا
حتى إذا جاوزوا دار السلام وقد ... أبدى لهم وجهه الرحمن سبحانا
خروا سجودا فناداهم بعزته ... إنى رضيت بكم قربا وجيرانا
إنى خلقت لكم دار النعيم فلا ... ترون بؤسا ولا تخشون أحزانا
هذا النعيم الذى لا ينقضى أبدا ... ولا تغيره الازمان ألوانا
وهو الجزاء لكم مني على عمل ... أخلصتموه وكنتم فى إخوانا

رجال ركبوا فلك السلامة ، وجروا بريح الاستقامة ، فقطعوا بحار العطب والندامة ، ونجوا من الاهوال يوم القيامة ، فحظوا فى دار المقامة ، وأرسوا فى سرمد الكرامة *

خيار الامة

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «خيار أمتي الملأ الاعلى فى الدرجات العلى» قوم ضحكوا جهرا من سعة رحمة الله ، وبكوا سرا من خوف عذاب الله . هم بالغداة والعشى فى بيوت الطيبة يدعون بألسنتهم رغبا ورهبا ، ويسألونه بأيديهم خفضا ورفعا ، ويشتاقون اليه بقلوبهم غدوا وعشيا . مؤنتهم على الناس قليلة ، وعلى أنفسهم ثقيلة ، يدبون على الارض حفاة أقدامهم دبيب النمل بغير مرح ، ولا ميل ولا ترح . يمشون بالسكينة والوقار ، ويتقربون بالوسيلة الى الملك الجبـار . يلبسون الخلقان ويعبدون الرحمن ، ويتلون القرآن ، ويشفقون من عذاب النيران ، ويخافون يوما يكثر فيه الويل والاحزان ، قد تجنبوا كل ريبة وبهتان ،

(١) كذا بالاصل والخيل ولعلها محرفة عن الحبل إذ أنه يصف النوق وما عليها وهى ركائب أهل الجنة ومطاياهم كما سبق بيانه وقد مر كثيرا أن النوق هى الركائب .

ولم يأمنوا مكر الملك الديان ، رجال تعوقوا ريب المنون ، وجزعوا من السابقة فى الغيب المكنون ، فحال بينهم وبين ما يشتهون ، ينتظرون الخاتمة كيف تكون ، أولئك أولياء الله الصالحون (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) رجال المساجد مأواهم ، والله جل جلاله معبودهم ومولاهم ، تركوا المعاصى خوفا من الحساب والسؤال ، وبادروا الى الطاعة وحسن الاعمال ، وتنزهوا عن الغى واللهو والمحال ، وحادوا عن طريق كل مطرود بطال ، وأشفقوا من عقوبة ذي المجد والجلال ، وعملوا ليوم لابيع فيه ولا خلال . وأنشدوا :

لله قوم أخلصوا فى حبه ... اختصهم ورضى بهم خداما

قوم إذا هجم الظلام عليهم ... قاموا فكانوا سجدا وقياما

يتلذذون بذكره فى ليلهم ... ونهارهم لا يفترون صياما

خمص البطون من الحرام أعفة ... لا يعرفون سوى الحلال طعاما

فسيفرحون بورد حوض محمد ... وسيسكنون من الجنان خياما

رجال تحولوا عن الدنيا تحويلا ، وبدلوها تبديلا ، ولم يشتروا بعهد الله ثمنا قليلا ، وعلموا أن وراءهم يوما عبوسا هائلا ثقيلا ، وأن أمامهم من الموت خطبا جليلا ، وبدلت عيونهم وقلوبهم بكاء ونوحا وعويلا ، حين سمعوا مولاهم يقول (كان وعده مفعولا) رجال قطعوا الايام والليالى بالتفكير ، وخافوا من هول يوم عبوس قمطرير ، وجالت قلوبهم خوف العلى الكبير ، فعما قليل ينجون من الفزع الهائل الخطير ، ويجاورون السيد النذير البشير ، فى جنة ليس فيها شمس ولا زمهرير ، رجال اطمأنت قلوبهم بذكر الرحمن ، ولزموا الطاعة وتجنبوا العصيان ، وحفظوا ألسنتهم من العيب والبهتان ، واتبعوا السنة وأحكام القرآن ، ولم يقبلوا من خدع العدو الشيطان ، وطلبوا الزيادة ولم يرضوا بالنقصان ، فأثابهم الجبار بجنة الرضوان ، ومتعهم بالحور الغنجات الحسان ، كأنهن الياقوت والمرجان ، فأخبرنا الجليل جل جلاله فى محكم القرآن ، عما أتاهم به من الجود والامتنان ، فقال تعالى (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) ؟(١) فالاحسان من العبد في الدنيا قول لا إله إلا الله ، والاحسان من الله فى الآخرة الجنة . فمن أحسن الرضا عن الله جل ثناؤه جازاه الله بالرضا عنه فقابل الرضا بالرضا وهذا غاية الجزاء ، ونهاية العطاء (٢)

(١) وفى ذلك فليتنافس المتنافسون وليتسابق المتسابقون ، فان الله تعالى وعدهم النعيم الدائم والعز المقيم فتركوه لايام معدودات فانيات . (٢) لأن من وطن نفسه على الرضاء

صفة المؤمنين

روى أن النبي صلى الله عليـــه وسلم قال لطائفة من المؤمنين : « ماأنتم ؟ » قالوا : نحن المؤمنون ، فقال « ماعلامة إيمانكم ؟ » قالوا نصبر عند البلاء ، ونشكر عند الرجاء ، ونرضى بمواقع القضاء . فقال « مؤمنون ورب الكعبة » وقيل أحسن الاشياء أن يكون العبد رقيبا على باطنه وظاهره لان الله تعالى رقيب عليه وهو قوله تعالى (أفمن هوقائم على كل نفس بما كسبت) فتكون أنت أيها العبد تراقبه فىسرائرك وعلانيتك ، وظاهرك وباطنك ، وحركاتك وسكناتك ، وتعلم أنه رقيب عليك ، وتستحى ممن هو معك ولا تستحى ممن هو أقرب اليك من حبل الوريد . وقيل : المحمود من الدنيا المساجد والمحاريب ، وذلك أن شركاءك فيها الملائكة والنبيون والصديقون وحسن أولئك رفيقا . والمذموم من الدنيا البطن والفرج والكنيف والمزابل وشركاؤنا فيهااليهود والنصاري والمجوس والمشركون والزنادقة وغيرهم . فيدعوك الرب جل جلاله وهو قوله تعالى (والله يدعو إلى دار السلام) الآية . وتأبىأنت عليه فيقول الله سبحانه ياعبدى لاتذنب فى الدنيا ، رأفة منه لعبده ، فيقول العبد : لابد لىمن الذنوب،فيقول الرب جل جلاله عبدى فتب إلىأقبلك على ما كانمنك ، فيقول العبد لاأفعل لانى مبتلى بالاهل والبطن والفرج ، فيقول الرب جل جلاله عبدى فكن مكانك حتيأوتيك فيقول العبـد ربى أى شيء تؤتين ؟ فيقول الله عز وجل الجوع والفقر والعرى والمرض ، فيقول العبد لاحاجة لى فى هذا . ثم يدعو ويتضرع ويصرخ إذا نزل به ذلك . قال فتقول الملائكة عند ذلك يا رب أما تستجيب لعبدك هـذا أما ترحمه ؟ فيقول الله عز وجل سوف يحمدنى عبدي إذا أدخلته الجنة . قال فاذا قبض روح العبد على ذلك أدخله الجنـة . فيقول العبد (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) الآية . فيقول الرب جل جلاله الآن يحمدني عبـدى وكان فى دار الدنيا يلومنى ، ويشكو إلى نظرى اليهوكان أصلح له مما كان يريده لنفسه . فالآن قد أبحت له الجنة وأدنيته منى ووصلته جنتى فادن منى يا عبـدى بلا نهاية وعلى المزيد بمشاهدتى له والنظر إلى وجهى ، لا أحرمنا الله النظر إلى وجهه الكريم ، وأدخلنا برحمته جنات النعيم *

بالمقادير خيرها وشرها وأيقن أن ماهو كائن سيكون نظر إلى الدنيا بعين صافية ونفس راضية فكانت كما نظرها . ومن ابتأس بها وعارض القدر المحتوم عاش حزينا

- ١٧ - ﴿ مجلس فى قوله تعالى ﴾

(إن الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)

اعلموا عباد الله وأحباب الله رحمكم الله أن الله تبارك وتعالى لطف بعباده المؤمنين وأمرهم بالصلاة على سيد المرسلين (١) ، ليستنقذهم بها من العذاب الدائم المهين ، فصلى عليه ربنا ومولانا تشريفا وتكريما ، وصلت عليه ملائكته تفضيلا وتعظيما ، وأمر عباده أن يصلوا عليه ليبيح لهم من الجنة مقاما كريما ، فقال من لم يزل سميعا عليما عليا عظيما (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) فاجتهدوا بنا يامعاشر الاسلام في الصلاة والسلام على محمد خير الانام فعسى ، أن يشفعه فينا يوم تشقق السماء بالغمام *

ذكر فى بعض الاخبار أن مامن ملك ولا نبي ولا ولى ولا صفى ولا صديق ولا شهيد ولا تقي ولا سعيد إلا وهو يقول يوم القيامة : بحرمة محمد أن تنجينى من عذابك ، وما من عبد صلى على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وسأل الله مولاه حاجة له فيها رضى الله عنه إلا قضى الله تعالي حاجته ، وصرف عنه عند صلاته على محمد صلى الله عليه وسلم سبعين نوعا من البلاء في بدنه وفى دينه وفى ماله وفى أهله . ورفع له سبعين درجة فى الجنة . اللهم صل على النبي محمد المختار ، وسيد الانبياء والابرار ، وزين المرسلين الاخيار ، وأكرم من أظلم عليه الليل وأشرق النهار ، أبي القاسم الأواب المختار . وأنشدوا :

صلى الاله وكل عبد صالح ... والطيبون على السراج الواضح
المصطفي خير الأنام محمد ... الطاهر العلم الضياء اللائح
زين الأنام المرتضى علم الهدي ... الصادق البر الوفى الناصح
صلى عليه الله ماهبت صبا ... وتجاوبت ورق الحمام النائح

---

(١) لا يمكن لقائل أن يحصر فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد وردت صحاح الاحاديث والاخبار بذلك كما سترى وان كان كثير من الناس غفل عنها بعد أن أمر الله تعالى بها وأعلمنا أنه وملائكته يصلون عليه وإن كانت صلاته تعالي بغير هذا المعنى .

وذكر فى بعض الأخبار ان مامن بقعة يكثر فيها الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم إلا تصير روضة من رياض الجنة ، وحصنا وحجابا بين المصلين وبين حجاب النار . فاجتهدوا فى الصلاة علي محمد يامعشر المؤمنين والمؤمنات ، وتحصنوا بها من العذاب الشديد ٭

الصلاة على النبي وشفاعته

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أكثروا من الصلاة على فاني أشفع لكم على قدر ذلك » . وأنشدوا :

صلى الاله على قدر الحبيب ومن ... وسط المدينة يعلو فوقه النور
رفعت قريش (هنالك) نعش سيدها ... فثم شكل التقى والبر مقبور
وثم خير عباد الله كلهم ... وثم أكرم خلق الله محبور (١)

عباد الله تحصنوا من العذاب والويل ، باكثار الصلاة على نبينا محمد فى النهار والليل ٭

ذكر فى بعض الأخبار أن على ساق العرش مكتوبا من اشتاق إلي رحمتي رحمته ، ومن سألنى أعطيته ، ومن لم يسألنى لم أنسه ، ومن تقرب الى بقدر محمد صلى الله عليه وسلم غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر . فالله الله يا أمة محمد ويا أحباب محمد من أصابته نائبة أو وقع فى شدة فليتضرع إلى مولاه ويسأله بقدر محمد وبحرمة محمد صلى الله عليه وسلم فان قدره عند الله عظيم . فأكثروا عباد الله الكريم ، يامعشر من آمن بالله العظيم ، الصلاة على محمد الكريم والنبي السيد الرءوف الرحيم ، ينجيكم الله بها من العذاب الأليم ، ويدخلكم جنات الخلد والنعيم ، إنه هو الحكيم العليم ٭

الصلاة عليه فى يوم الجمعة

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى على فى يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له خطيئة ثمانين سنة » (٢) . فالله الله يامعشر المؤمنين والمؤمنات ، أكثروا من الصلاة علي حبيبكم محمد فى جميع الأيام والاوقات ، والأحايين والساعات ، عسى الله أن يخلصكم من

(١) المحبور المسرور (٢) ورد كثير من الأحاديث الصحيحة رواها البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب الكتب الستة فى فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنها من مكفرات الذنوب المجربة ومن أراد زيادة الايضاح فعليه بكتب الصلوات .

الأهوال والآفات ، والعذاب والعقوبات ، ويدخلكم الجنات العاليات ، يوم تبدل الارض والسموات . وأنشدوا :

صلوا على المصطفى زلفى (١) تقربكم إن الصلاة عليه خير ما اكتسبا
أعلا الأنام على فى جلالته وأشرف الخلق منسوبا إذا انتسبا
وأسرع الناس يوم العرض مغفرة إذا العقاب بدا للخلق وانتصبا

حكى عن الشبلي رحمه الله تعالى أنه قال : مات رجل من جيراني فرأيته في المنام فسألته عن حاله ؟ فقال : ياشبلي مرت بي أهوال عظام ، وذلك أنه لما سئلت تلجلج لساني عند السؤال فلما جاءني الملكان وأراد أحدهما أن يبادرني بالعذاب ، إذا أنا بشخص جميل ما رأيت أجمل منه وجها فحال بيني وبينهما ، فقلت له من أنت ؟ - من بعد ما لقنني حجتي - فقال: أنا ملك خلقني الله من ثواب الصلاة على محمد ، وأنت كنت تكثر الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم لأخلصنك باذن الله من جميع الأحزان ، ومن عذاب النيران ، ولا أبارحك حتى أدخلك الجنة برحمة الله . فالله الله عباد الله لا تملوا من الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم زين العباد الذى خلصنا به من حر جهنم وبئس المهاد . وأنشدوا :

من كان يكثر بالصلا ة مؤملا فضل النبي
أعطاه رب محمد عونا من اللطف الخفى

أوحى الله تبارك وتعالى الى موسى صلى الله عليه وسلم، يا موسى إن أردت أن أكون اليك أقرب من لسانك الى كلامك ، ومن نور بصرك الى عينك ومن سمعك الى أذنك ، فا كثر من الصلاة على حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم . وأنشدوا :

صلى الآله على النبي محمد خير الأنام وجاءه التنزيل
وبفضله نطق الكتاب وبينت بصفاته التوراة والانجيل
ذاك النبي الهاشمى المصطفى قد جاءه الترفيع (٢) والتفضيل
أسرى به المولى الى أفق السما فوق البراق وعنده جبريل

(١) الزلفى القربة والمنزلة ومنه قوله تعالى (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى) (٢) يريد بالترفيع الرفعة ولا يقال ترفيعا وانما رفعه فارتفع رفعة

عجيبة

روى عن محمد بن النعمان رضى الله عنه أنه قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه فتي من الانصار فى حاجة فوسع له رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بكر لعلك يشق عليك أن أجلست هذا الفتى بيني و بينك؟ » فقال أبو بكر رضى الله عنه . أى والله يارسول الله إنه ليشق على أن يكون بيني وبينك أحد *

فضل المصلى وأبو بكر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . «ياأبا بكر إن هذا الفتى يصلي علي صلاة ، مايصليها على أحد من أمتى » فقال أبو بكر رضى الله عنه : كيف يقول يارسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول اللهم صل على محمد عدد من صلى عليه ، وصل على محمد عدد من لم يصلي عليه ، وصل على محمد كما أمرت بالصلاة عليه ، وصل على محمد كما تحب أن يصلى عليه ، وصل على محمد كما ينبغى أن يصلى عليه » واعلم يا أخي علماً يقينا لاشك فيه أنه ليس أحد أحظي عند نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولا عند ربنا سبحانه بعد النبيين من أبى بكر الصديق رضى الله عنه ثم عمر بعده كذلك ثم عثمان ، ثم على رضى الله عنهم أجمعين ، وصلوات الله ورحمته عليهم وعلى العشرة وجميع الصحابة ، لكن خص النبى صلى الله عليه وسلم الفتى باقعاده بينه وبين أبي بكر لما ألهمه الله من تلك الصلاة فأكرمه النبي كذلك صلوات الله وسلامه عليه ماحن مشتاق اليه *

حكاية الشافعى عن مؤمنى الجن

فما يقوى ماذكرناه من فضل الاركان الأربعة رضوان الله عليهم أجمعين ، ماروي عن محمد بن إدريس (١) قال : رأيت بمكة أسقفاً (٢) وهو يطوف بالكعبة ، فقلت له ما الذى

(١) هو الامام محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه صاحب المذهب (٢) الاسقف رتبة من رتب الكنيسة وفى الأصل السقف بفتحتين طول فى انحناء ، والاسقف يتخاشع فى سيره فسمى أسقفا وهو رئيس على جملة قسس والبطريرك رئيس الطائفة الاكبر.

رغب بك عن دين آبائك ؟ فقال . تبدلت خيرا منه ، فقلت كيف ذلك ؟ قال ركبت البحر فلما توسطنا انكسر بنا المركب ، فعلوت لوحا فلم تزل الأمواج تدفعنى حتى رمتني فى جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة ولها ثمر أحلا من الشهد ، وألين من الزبد ، وفيها نهر جار عذب فحمدت الله علي ذلك وقلت آ كل من هذا الثمر وأشرب من هذا النهر حتى يأتينى الله بالفرج ، فلما ذهب النهار خفت على نفسى من الدواب فعلوت شجرة من تلك الاشجار فنمت على غصن منها ، فلما كان فى جوف الليل فاذا بدابة على وجه الماء تسبح الله وتقول لاإله إلا الله العزيز الجبار ، محمد رسول الله النبي المختار ، أبو بكر الصديق صاحبه فى الغار ، عمر الفاروق مفتاح الأمصار ، عثمان القتيل فى الدار ، علي سيف الله على الكفار ، فعلى مبغضيهم لعنة الجبار ، ومأواهم جهنم وبئس القرار . فلم تزل تكرر هذه الكلمات حتى (اذا) طلع الفجر ، قالت لاإله إلا الله الصادق الوعد والوعيد ، محمد الهادى الرشيد ، أبو بكر الصديق الموفق السديد ، عمر بن الخطاب سور من حديد ، عثمان القتيل الشهيد ، على ذو البأس الشديد ، فعلى مبغضيهم لعنة الرب المجيد . فلما وصلت البر فاذا رأسها رأس نعامة ووجهها وجه إنسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب سمكة ، فخشيت على نفسى الهلكة فهربت بنفسى أمامها فوقفت فقالت : مادينك؟ قلت النصرانية ، فقالت ويلك ارجع الى الحنيفية فقد حللت بفناء قوم من مؤمنى الجن لاينجو منهم إلا من كان مسلما ، قلت وكيف الاسلام؟ قالت تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فقلتها فقالت أتم سلامك بالترحم على أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله عليهم أجمعين . قلت ومن أتاكم بذلك ؟ فقالت قومنا حضروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعوه يقول « اذا كان يوم القيامة تأتى الجنة فتنادى بلسان طلق يا إلهى قد وعدت أن تشد أركانى ، فيقول الجليل جل جلاله قد شددت أركانك بأبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وزينتك بالحسن والحسين ، ثم قالت الدابة : المقام تريد أم الرجوع إلى أهلك ؟ قلت لها الرجوع ، فقالت اصبر حتى تجتاز مركب ، وإذا مركب تجرى فأشرت اليهم فدفعوا إلى زورقا ، فلما علوت معهم فاذا فى المركب اثنى عشر رجلا كلهم نصارى ، فأخبرتهم خبرى فأسلموا عن آخرهم .

فالله الله عباد الله اشكروا الله على نعمة الاسلام، وعلى هدايتكم لسنة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، ومحبتكم لاصحابه البررة الكرام ، فقد فضلكم على جميع الأنام ، قال الله ذو الجلال والاكرام ، والطول والانعام (إن الدين عند الله الاسلام) ونرجع الى ما كنا فيه من الصلاة على خير الأنام ، محمد رسول الملك العلام . وأنشدوا :

لهجت بذكرك مهجتى ولسانى ... وحللت من قلبي بكل مكان
فأنا بذكرك فى البرية كلها ... علم وحبك آخذ بعنانى
سلطان حبك في الهوى عين الهوى ... وبه تعزز فى الهوى سلطانى
أنت النبى الهاشمى محمد ... صلى الاله عليك فى القرآن
أنت الحبيب لاهل دينك كلهم ... يوم المعاد وموقف الخسران
أنت الشفيع لمن عصى رب العلا ... أنت الدليل لجنة الرضوان
فلأذكرنك مابقيت معمرا ... حتى الممات ولا يمل لسانى
فصلاة ربي ماجد ومهيمن ... تترى عليك تعاقب الملوان(١)

أوتاد المجالس

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إن للمجالس أوتادا جلساؤهم الملائكة إذا جلسوا لذكر الله حفت بهم الملائكة من لدن أقدامهم الى عنان السماء بأيديهم قراطيس الفضة وأقلام الذهب يكتبون الصلاة على النبي ، صلى الله عليه وسلم يقولون أكثروا رحمكم الله، فاذا استفتحوا فى الذكر فتحت لهم أبواب الجنة ، واستجيب لهم الدعاء ، وتطلع عليهم الحور العين، وأقبل الله تعالى عليهم بوجهه الكريم ، مالم يخوضوا فى حديث غيره ويتفرقوا» وأنشدوا

اذا طيب الناس المجالس بينهم ... مداما وريحانا فذكرك طيبنا
ولو كانت الدنيا نصيبا لأهلها ... فحبك من كل الامانى نصيبنا
وإن كان حب الخلق بعضا لبعضهم ... فأنت من الخلق الجميع حبيبنا

إخواننا طوبي لمن رزق لسانا رطبا بذكر الله والصلاة على محمد رسول الله ، طوبى لمن رزقه مولانا لسانا مشغولا بذكر الاله الكريم . وبالصلاة على الرءوف الرحيم*

صيغة الصلاة

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل من أصحابه : « ماقلت البارحة من قول الخير ؟ » قال الرجل : يارسول الله صلى الله عليك ، قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

(١) الملوان الليل والنهار الواحد ملا مقصور وهما أيضا الجديدان

حتى لايبقي من الصلوات شيء ، وبارك على محمد وعلى آل محمد حتى لا يبقى من البركات شيء وارحم محمدا وآل محمد حتى لا يبقى من الرحمات شيء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « لذلك رأيت البارحة الملائكة يحفون بأزقة المدينة» فأكثروا من الصلاة على سيد الانبياء، وأفضل الاحباء وأكرم الأصفياء ، وأجل من ولدت النساء ، صلى الله عليه صلاة دائمة بلا انقضاء فى الليل إذا يغشى ، وفى النهار إذا تجلى ، وفي الآخرة والاولى . وأنشدوا :

صلى الآله على خير الأنام ومن نرجو النجاة به فى موضع العطب
فهو الشفيع لمن يرجو شفاعته عند الحساب وعند اللهو والكرب

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن أولى الناس بى أكثرهم على صلاة» فاكثروا من الصلاة عليه يامعشر الاسلام ، وتحصنوا بها من العذاب الغرام (١) واطلبوا بها رضا الملك العلام ، وأنشدوا :

يا خـــير مولود تعاظم فخره وأتي بأشرف ملة وكتـــاب
صلى الآله عليك ياخير الورى ما انهل فى الآفاق قطر سحاب
يا خير مبعوث الي خير أمة وأ كرم من يدعو لسبل صواب

ثلاثة تحت ظل العرش

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثلاثة يوم القيامة تحت عرش الله يوم لاظل إلاظله » قيل من هم يارسول الله ؟ قال « من فرج عن مكروب أمتى ، ومن أحيا سنتي ومن أكثر الصلاة على » فاجتهدوا رحمكم الله فى التفريج لهموم المكروبين ، وفى إحياء سنة خاتم النبيين ، وفى الصلاة على سيد المرسلين وأكرم الخلق على رب العالمين . وأنشدوا :

صلوا على خير الانام كرامة وجلالة يامعشر الاسلام
فهو النبي المصطفي علم الهدى وأدل من يدعو لسبل قوام
نطق الكتاب بفضله وجلاله وبفضله تنجو من الاسقام
صلوا على خير البرية كلها مالاح بدر تحت جنح ظلام
فهو السبيل لدار كل كرامة وهو الدليل لجنة وسلام
وهو الشفيع لمن يدين بدينه ولمن يلوذ بملة الاسلام

(١) الغرام الشر والعذاب الدائم ، وقوله تعالي (إن عذابها كان غراما) أى هلاكا ولزاما

للصلاة رائحة طيبة

روي عن بعض الصحابة رضى الله عنهم أجمعين أنهم قالوا : مامن مجلس يصلي فيه على النبي صلي الله عليه وسلم الا نمت له رائحة طيبة حتى تبلغ عنان السماء فتقول الملائكة هذه رائحة مجلس صلى فيه على النبى محمد صلى الله عليه وسلم *

اللهم صل عليه كما تحب أن يصلي عليه . صلي الله عليه وسلم وأنشدوا :

تتعطر الانفاس ماذكرت   اخباره فى المجلس العطر
سبحان باريه وخالقه   نورا تصور أجمل الصور
المسك منحدر ببردته   والوجه منه طلعة القمر
ياصادقا فيما يخبرنا   بشهادة الاسماع والنظر
سبحان من أنشاك من بشر   يا سيدا للخلق والبشر
القول تتبعه شواهده   والخير مقرون مع الخبر
أنت النبى بلا مدافعة   والمصطفى من خيرة البدر (١)

الامام الشافعى

روى عن أبى جعفر الطحاوى أنه قال : قال عبد الله بن عبد الحكم رأيت الشافعى رضى الله عنه فى المنام فقلت له مافعل الله بك ؟ فقال : رحمنى وغفر لى وزففت الى الجنة كما تزف العروس الى زوجها ، فقلت له ما الذى بلغك هذه المنزلة؟ قال لى بما فى آخر كتاب الرسالة من الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم؛ فقلت له وكيف ذلك ؟ فقال لى ، وصلى الله على سيدنا محمد ما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون . قال فلما أصبحت طلبت كتاب الرسالة فوجدت الامر كما ذكر . وأنشدوا :

صلوا على خير الانام ومن به   تنجو العباد بموقف الاهوال
إن الصلاة على النبي حبيبنا   من أفضل الافعال والاعمال
فهو النبى المصطفى علم الهدي   الطيب الاقوال والافعال

معشر المسلمين تحصنوا من عذاب النار ، وخففوا عن ظهوركم ثقل الاوزار ، بكثرة الصلاة على النبي المختار *

(١) كذا بالاصل ، يريد من خيرة البدور فجمعها هذا الجمع علي غير قياس للروى

أبخل النـاس

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «حسب المؤمن من البخل إذا ذكرت عنده فلم يصل على » أعوذ بالله من اللئيم البخيل . الذى يبخل بالصلاة على رسول الملك الجليل ، الذى خصه الله بالكرامة والتفضيل ، وائتمنه على الايضاح عن بيان التأويل فى جميع التنزيل . وأنشدوا :

صلوا على القمر المنير إذا بدا   فى موكب من حسنه وجماله
لم يخلق الرحمن خلقا مثله   فى فضله وبهائه و كماله
ختم النبوة طيبه فختامه   مسك تكون من نسيم جلاله
صلوا على العلم الذى من أمه (٢)   نال المنا وجري السرور بباله
صلوا على بدر التمام محبة   وكرامة وجلالة لجلاله
إن الصلاة على النبي سلامة   وتفضل وتوسل بجماله
وتودد وتحنن وتشوق   وتوسل وتقرب لنواله

عباد الله صلوا على رسول الله صلوا على سيدنا وحبيبنا محبة وكرامة ، فهو الشفيع لنا يوم القيامة ٭

أنجاكم أكثركم صلاة

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومن مواطنها أكثركم على صلاة » عباد الله الملك الديان ، ياأهل الاسلام والايمان ، صلوا بنا على سيدنا محمد رسول الملك الرحمن ، لعله يخلصنا من عذاب النيران . وأنشدوا :

صلوا على ماجد جلت مآثره   وأكثر الخلق إفضالا وإحسانا
أتى العباد وقد ضلت مسالكهم   فأوضح الحق تبيانا وبرهانا
وبين الدين بالتذكير مجتهدا   وأظهر الشرع أحكاما وقرآنا
وأنقذ الخلق من نار السموم لظي   وأورد الناس جنات ورضوانا

---

(١) أمه قصده بفتح الهمزة وتشديد الميم المفتوحة .

لاتبغ طيبا إذا ما كنت ذا كره ولا ترد بعده روحا وريحانا
فيه الجنان وفيه الحسن مجتمع والنبل والظرف أشكالا وألوانا
فالحمـــد لله إذ كنا له تبعـا لقد تفضل بالخيرات مولانا

ثمرة الصلاة

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى على صلاة تعظيما لحقى خاق الله تعالى من ذلك القول ملـكا جناحه بالمشرق والآخر بالمغرب ورجلاه مغروزتان فى الارض السابعة السفلى وعنقه ملوى تحت العرش يقول الله تعالى له صل على عبدى كما صلى على نبيي محمـد فهو يصلى عليه إلى يوم القيامة » أحبابى تحصنوا من أليم العذاب ، وارغبوا فى جزيل الثواب ، بالصلاة على النبي الصادق الاواب (١)

اعلموا عباد الله أن الله تبارك وتعالى لما اتخذ محمدا صلى الله عليه وسلم حبيبا أقسم بحياته فقال تعالى (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) (٢) فهذه غاية المحبة . ولما أحب الله تعالى أن يصلى العباد على محمد النبي الحبيب بدأ بالصلاة عليه الملك القريب ، ثم ثني بملائكته البعيد منهم والقريب ، ثم عرف عباده المؤمنين أنه يصلى على محمد هو وملائكته ، ثم أمر بالصلاة عليه أهل الايمان ، لينجيهم بها من عذاب النيران ، فقال الملك الرحمن ، فى محكم القرآن (إن الله وملا ئكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) فكانه قال جل وتعالى عبدى قد أعلمتك أنى أصلى على محمـد حبيبي وملائكـتى تصلي عليه ، فمن أكثر الصلاة علي محمد الحبيب ، جعلت له من الجنة أوفر نصيب ، وكان رفيقا وجارا لابى القاسم الحبيب . وأنشدوا :

صلى الأله بعظمه وجلاله ثم الملائكة الكرام على النبي
فهو الحبيب لربنا رب العلا وهو الدليل لجنه لا تختبي (٣)

الملائكة تستغفر للمصلى

ذكر فى بعض الاخبار أن العبد المؤمن أو الامة المؤمنة إذا ابتدأ بالصلاة على محمد صلى

(١) الاواب التائب والاوبة الرجوع (٢) يعمهون يتحيرون والعمه التحير والتردد
(٣) كذا جاء بالاصل ، ولعله يريد أن يقول لا يخبوا نورها أى لاينطفىء .

الله عليه وسلم فتحت له أبواب السموات السبع والسرادقات حتى العرش ، فلا يبقى ملك فى السموات إلا صلى على محمد صلى الله عليه وسلم ، ويستغفرون لذلك العبد أو الامة مادام العبد أو الامة يصلى علي النبي صلى الله عليه وسلم . وأنشدوا :

صلوا بنـا يامعشر الاسلام   على النبي الواضح الاحـكام
نطق الـكتاب بفضله وجلاله   وبفضله تنجوا من الاجرام

مقام الشبلى

حكى عن بعضهم أنه قال : كنت عند أبي بكر بن مجاهد جالسا إذ أقبل الشبلى (١) فقام أبو بكر اليه فعانقه وقبل بين عينيه ، فقلت ياسـيدى تفعل هذا بالشبلى وأهل بغـداد يقولون عنه إنه مجنون ؟ ! فقال قد فعلت به كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل به ، وذلك أنى رأيت رسول الله صلى الله عليـه وسلم فى المنام وقد أقبل الشبلى فقام النبي صلى الله عليـه وسلم فعانقه وقبل بين عينيه ، فقلت له يارسول الله تفعل هذا بالشبلى ؟ ! فقال صلى الله عليه وسلم نعم لأنه يقرأ فى آخر كل صلاة (لقـد جاءكم رسول من أنفسكم) الآية . ثم يتبعها بالصلاة على . وأنشدوا :

صلاة رب كريم ماجد صمد   على النبي الذى قد نال تفضيلا
صلى عليه إله العرش خالقنا   جاء الـكتاب بذا وحيا وتنزيلا
فهو الدليل لأهل الخير كلهم   لمن أراد (إلى) الفردوس تحويلا
ومن أراد فراراً عن تمرده   ومن أراد (له) الرحمن توصيلا
هذا بيان لأهل الفضل كلهم   يعجلون لدار الخلد تعجيلا

عباد الله ارغبوا فى هذا الملك الجليل ، والنعيم الدائم الطويل ، با كثار الصلاة على محمـد الأصيل ، النبي السيد النبيل ، الذى جاء بالوحى والتنزيل ، وأوضح بيان التأويل ، وجاءه الأمين جبريل ، بالتكريم والتفضيل ، وأسرى به الجليل ، فى الليل البهيم الطويل . كشف له عن أعلا الملكوت ، وأراه أسنى الجبروت ، ونظر إلى قدرة الحى الذي لا يموت . فلقد رأى فى ليلة الاسراء من آيات ربه الكبري ، وانتهى إلى سدرة المنتهى (٢) . وأنشدوا :

(١) كان الشبلى رحمه الله من أعلام الرجال وكبار الزهاد وشيوخ الصوفية الأمجاد .

(٢) السدر شجر النبق وسدرة المنتهي شجرة عظيمة تحت العرش مذكورة فى القرآن .

صلوا على خير الأنام محمد فهو الدليل إلى السبيل المرشد
صلى عليه الرب ما دام الدجى ومضى النهار وفى الظلام الأسود

إبلاغ الصلاة الى الله

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تبارك وتعالي أعطى ملكا من الملائكة أسماء الخلائق فهو قائم على قبرى إلى يوم القيامة ، فليس أحد من أمتى يصلى على إلا قال ذلك الملك : يا محمد فلان بن فلان يصلى عليك صلى الله عليك ، وضمن لى الرب عز وجل أن من صلى على صلاة صلي الله عليه بها عشراً ، وإن زاد زاده الله » فأين أنت يا من أراد النجاة من سموم الجحيم ، والفوز والخلد فى جنات النعيم ، فأكثروا من الصلاة على النبي الكريم ، والرسول الرءوف الرحيم *

صلاة الملائكة

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى على صلت عليه الملائكة ، ومن صلت عليه الملائكة صلى عليه ربه ؛ فليقل العبد أو ليكثر » واعلموا أن الفاجر الشقي الذى يسمع هذه الفضائل على الصلاة على النبي صلي الله عليه وسلم وقد حبس لسانه عنها فيجب أن يتعوذ بالله منه . نعوذ بالله من لسان جامد ، عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم رسول الملك الماجد ، العزيز الفرد الصمد الواحد . وأنشدوا :

صلوا على النور البهي محمد إن الصلاة عليه تنجى من لظى
فهو الدليل إذا اهتديت بنوره وهو الرسول فذاك مصباح الهدى

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تعالى يهب ذنوبكم عند الاستغفار (١) فمن استغفر الله تعالى بنية صادقة غفر له ، ومن قال لا إله إلا الله رجح ميزانه ، ومن صلى على كنت شفيعه يوم القيامة » عباد الله ارغبوا فى الشفاعة ، وتمسكوا بالصلاة على شفيع المذنبين يوم قيام الساعة ، وارغبوا إلى مولاكم أن يوفقنا إلى أعمال أهل السنة والجماعة (٢) وأنشدوا :

---

(١) أى أن الله تعالى يغفر ذنوبكم ويهبها لكم رحمة منه تعالى قال عز وجل (والمستغفرون الاسحار) لأن وقت السحر تتخلى النفس فيه عن شواغلها وتتفرغ لمناجاة ربها (٢) يرى من

من كان يعلم أن الله خالقه ومحمدا قد جاء بالقرآن
فليكثر التسليم بعد صلاته للطيب المبعوث بالتبيان
الهاشمى الابطحى محمد خير الانام وزين كل مكان

من كتب الصلاة فى كتاب

روى عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تصلى عليه مادام اسمى فى ذلك الكتاب » فيامعشر المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات أطيعوا رب الارضين والسموات ، بالصلاة على سيد السادات . وأنشدوا :

جد بالصلاة على خير الوري كرما ذاك النبي الذي قد جاء بالنور
فهو الامام لاهل الحق كلهم وهو الدليل على الولدان والحور

الصلاة تبلغه عن العباد

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تباهوا بالصلاة على فانها تبلغنى » فبلغوا صلاتكم على سيدكم ونبيكم وصفيكم ، وارغبوا إلى مولاكم أن يتوفاكم على سنته ، وأن يجعلكم من أمته ، وأن يجعله شفيعكم من النار ، وقائدكم إلى دار الراحة والقرار ، إلى جنات عدن تجرى من تحتها الانهار ٭

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تعالى وكل بى ملكين فلا أذكر عند عبد مسلم فيصلى على إلا قال الملكان مجيبين آمين ، فيقول الله تعالى جوابا للملكين آمين ، ولا أذكر عند أحد فلا يصلى على إلا قال الملكان لا غفر الله لك ، فيقول الله تعالى وملائكته جوابا لقول الملكين آمين » فما خلق الله تعالى أعجز ولا أذل ولا أبخل ممن يسمع ذكر محمد النبي الفاضل الزكى ولا يصلى عليه ، صلى الله عليه وسلم وملائكته وبلغ سلامنا إليه . وأنشدوا:

تتبع الفرق الاسلامية منذ العصر الاول إلى الآن أن كلا منها يدعى أنه هو وحده المتمسك بالسنة وأن عليه انعقاد الجماعة ومن يخالفه مخالف للجماعة . وتلك والله دعوى أضلت كثيرا من الناس ونص الحديث الشريف (ما أنا عليه وأصحابى) وقيل إن الامة لا تجتمع على ضلالة ، ولكن من نعمة الله على الامة الاسلامية أنها تتفق جميعها فى الاصول وتختلف فى بعض الفروع وليس بين الطوائف والنحل الاسلامية مثل مافى المذاهب المسيحية .

صلوا بنا فى الليل والنهار على النبي الصادق المختار
أسرى به الرحمن فى جنح الدجي قد جاء فى القرآن والآثار
الهاشمى المصطفى خير الورى الطائع الاواب للجبار
صلوا على المبعوث يا أهل النهى من جاء بالتنزيل والاخبار

حسنات الحرم

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى على من أمتى كتبت له عشر حسنات من حسنات الحرم » قيل يارسول الله وما حسنات الحرم ؟ قال : «الحسنة بسبعمائة حسنة » ياأخى هذا والله قول يسير وثواب كثير *

الصلاة صلة تعارف

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليردن على أقوام يوم القيامة عند حوضى ما أعرفهم إلا بكثرة الصلاة على » عباد الله أنتم ترون نبيكم وحبيبكم وصفيكم ، فأكثروا من الصلاة عليه فعسى يعرفكم بكثرة الصلاة عليه لان الصلاة عليه نور لصاحبه يوم القيامة، فعلى قدر الصلاة على الهاشمى القرشى التهامي الامى الابطحى يكون النور المضىء الذى يعرف به المؤمن التقى ، ومن لا يكثر الصلاة على هذا النبي فهو مبعد مطرود شقى . ياإخوانى فى الله صلوا على شجرة غرسها الملك الجليل ، وجعل أصلها الخليل ، وجعل خلالها التفضيل وزينها بالتنزيل ، وجعل رفيقها جبريل ، وخضع لها كل كبير وكل عزيز وذليل . أصولها عربية ، وأغصانها مضرية ، وأوراقها قرشية ، وثمرتها تهامية ، غرسها الملك الديان ، وأخضع لها جميع الانس والجان ، فصلوا عليه يامعشر الاخوان وأنشدوا :

الله فضـــل خـــير الخلق بالكرم وأفضل الناس من عرب ومن عجم(١)
هـــو النبي الذى فاقت فضائـــله وخصه الله بالتـــنزيل والحـــكم

(١) قال صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » يريد عليه الصلاة والسلام أنه لا يفخر بذلك فخر الجاهلية الاولى ولكن يقرر حقيقة يجب نشرها ، وقد قال سيدنا يوسف عليه السلام (اجعلنى على خزائن الارض إنى قوى أمين) ولم يكن فى ذلك مباهاة وتزكية لنفسه بل تقرير حقيقة ، وأمثال ذلك كثير فى القرآن ، فليس تقرير الحقائق مكروها .

اختصه بكتاب بين علم هدي العباد به من غمة الظلم
الله فضله الله أكرمه الله أرسله من جملة الامم
صلوا (عليه) عباد الله كلكموا إن الصلاة له تنجى من النقم
عباد الله طيبوا بنا مجالسنا بالصلاة على سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم ۞

طيب مجلس صلى فيه عليه

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما جلس قوم مجلسا فتفرقوا عن غير صلاة على إلا تفرقوا عن أنتن من جيفة حمار) فاذا كان المجلس الذى لا يصلى فيه علي النبي صلى الله عليه وسلم تفرق أهله عن أنتن من جيفة حمار، فلا غرو أن يتفرق المصلون عليه من مجلسهم عن أطيب من خزانة العطار. وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أطيب الطيبين وأطهر الطاهرين، وكان إذا تكلم امتلأ المجلس بريح المسك، فكذلك مجلس يذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم نمت فيه رائحة تخترق السموات السبع حتى تنتهي إلى العرش ويجد كل من خلق الله ريحها فى الارض غير الانس والجن فانهم لو وجدوا تلك الرائحة اشتغل كل منهم بلذته عن معيشته، ولا يجد تلك الرائحة ملك أو خلق من خلق الله تعالى إلا استغفر لاهل المجلس ويكتب لهم بعدد هذا الخلق كلهم حسنات، ويرفع لهم درجات، سواء كان فى المجلس واحد أو مائة أو ألف كل واحد يأخذ من الاجر مثل هذا العدد، وما عند الله تعالى أكثر. فيا أحباب رسول الله صلي الله عليه وسلم صلوا على حبيب غذى بماء الوصال وكسى ثوب الجمال والكمال، وزين بكتاب الكريم المتعال ۞

حكاية نساخ أكثر من الصلاة

ذكر عن بعض الصالحين أنه قال: كان لى جار نساخ فمات فرأيته فى المنام فى حالة حسنة فقلت له ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لى على ما كان منى، فقلت له بم كان ذلك؟ فقال كنت إذا كتبت اسم النبي صلى الله عليه وسلم صليت عليه صلى الله عليه وسلم فغفر لى بذلك وأعطاني ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر (١) فأكثروا من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا. وأنشدوا:

(١) وكذلك يعترض لمن ينسخ الكتب أن يكتب اسمه الشريف ويقرنه بالصلاة والسلام عليه، وهو وإن لم يقصد الصلاة عليه بذلك فله الثواب على كتابة صيغة الصلاة

نور النبي عـــلا على الانوار فهو الدليل لسبل دار قرار
صلوا عليه لعلـــكم تنجوا به يوم الحساب وكشفة الاسرار
صلوا على القمر المنير إذا بدا فهو الحبيب لربنا الجبـــار
صلوا على نور تكون بالهدى فهو الشفيع لصاحب الاوزار

عباد الله ارغبوا فيما رغبكم فيه الملك القهار ، من فضل الصلاة على نبيه محمد المختار ، ولا تغفلوا عن الصلاة عليه بالليل والنهار ، فان الله ينجيكم بها من عذاب النار ، ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار . الصلاة على النبي فضيلة جزيلة ، والصلاة على أصحابه سنة وفضيلة والصلاة على الملائكة قربة ووسيلة ، صلوا رحمكم الله على النبي الرفيع ، والنور البديع ، والحبيب الشفيع . أكرم من ولد ، وأعز من فقد . وأنشدوا :

صلاة رب ماجد وهاب على النبي الصادق الاواب
صلوا على المختار أنوار الهدى صلوا عليه معشر الاحباب
صلوا على النور البهي محمـد صلوا عليه جماعة الاصحاب

عدد الصلاة عليه

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا ، ومن صلى على عشرا صلى الله عليه مائة مرة ، ومن صلى على مائة صلى الله عليه بها الفا ، ومن صلى على الفا ، حرمه الله على النار وأدخله الجنة وثبته بالقول الثابت فى القبر عند المسألة ، وجاءت صلاته على نورا يضىء له الصراط مسيرة خمسمائة عام ، وبنى الله له بكل صلاة صلاها على قصرا فى الجنة قل ذلك أو أكثر » وأنشدوا :

صلوا على المختـــار من آل هاشم وخير نبي خصه بالمكارم
ومن بين الرحمن فى الذكر فضله (١) وأوضح نور العدل بعد التظالم

كالامام والمؤذن الذي يأخذ الاجر على ذلك فهما وإن كانا يقومان بوظيفتهما فى الصلاة إلا أنهما لهما الثواب والاجر على ذلك . (١) قال تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم) فالخلق الذى يستعظمه اللهَ تعالى ويثني عليه لابد أن يكون بلغ من الفضل منتهاه ، وقال تعالى (محمد رسول الله والذين معه) الآية وغيرها فى القرآن كثير فمن أنكر بعد ذلك فضله صلى الله عليه وسلم على جميع الخلق فقد أنكر القرآن والسنة الصحيحة .

وأرسله الجبــار للناس كـافة   مبين محض الحل بعد المحارم
فذاك لدين الله حصن وملجأ   وذاك على الاعداء ليث بصارم

عباد الله خففوا عن ظهوركم الذنوب الثقال ، وفكوا رقابكم من السلاسل والاغلال وارغبوا فى نعيم دار الخلد والجلال ، بصلاتكم على محمد رسول الكبير المتعال *

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى على الف مرة لم يخرج من الدنيا حتى يبشر بالجنة » فارغبوا عباد الله أن تكونوا من أهل الجنان ، بادمان الصلاة على محمد رسول الملك الرحمن ، فعسى الله أن يكفر عنكم ما سلف من الذنوب والعصيان . نعوذ بالله من لسان يابس من الصلاة على محمد ، وإذا أراد الله بعبد خيرا بل لسانه بذكره ، وبالصلاة على محمد حبيبه ونبيه ووليه وصفيه صلى الله عليه . صلواتنا على محمد المبعوث من تهامة ، الآمر بالمعروف والاستقامة ، الشفيع لاهل الذنوب فى عرصات القيامة . اللهم صل على محمد الزاهد ، رسول الملك الصمد الواحد صلى الله عليه صلاة دائمة منتهى الآباد ، طيبة باقية بلا انقطاع ولا نفاد ، صلاة تنجينا بها من جهنم وبئس المهاد . وأنشدوا :

صلوا على هذا النبي الاوضح   الهاشمي الابطحى الافصح
إن الصلاة على الشفيع محمــد   تبدى الفلاح مع النجاح الانجح
فتكثروا من ذكره أهل النهى   لاتبتغوا بدلا بذكر الارجح

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من عسرت عليه حاجة من أمر دينه أو دنياه فليكثر من الصلاة على فان الله يستحي أن يرد عبده فى حاجة إذا كان دعاءه بين صلاتين على ، صلاة قبل السؤال وصلاة بعد السؤال » وهذا والله غاية الجاه والحب لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم *

اللهم صل على محمد صلاة تزلف بها مثواه ، وتشرف بها عقباه ، وتبلغه بها يوم القيامة من الشفاعة رضاه ومناه *

صفة الرسول والثناء عليه

قال بعض السادة فى قوله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) (١) كأنه يقول من خيركم

(١) وقد قرأ جماعة (من أنفسكم) بفتح الفاء أي من أكرمكم وأفضلكم ، ومن تتبع سلسلة آبائه الكرام وأمهاته الطاهرات وقومه وقبيلته ، وقرابته وعشيرته علم أنه صلى الله عليه وسلم

نفسا،وأطهركم قلبا ، وأصدقكم قولا وأزكا كم فعلا ، وأثبتكم أصلا، وأوفا كم عهدا ، وأمكنكم مجدا . من أكرمكم طبعا ، وأحسنكم صنعا ، وأطيبكم فرعا ، وأكثركم طاعة وسمعا . من أعلا كم مقاما،وأحلا كم كلاما ، وأوفا كم زماما ، وأزكا كم سلاما . من أجلكم قدرا ، وأعظمكم فخرا ، وأكثركم شكرا،وأرفعكم ذكرا ، وأعلا كم أمرا،وأجملكم صبرا،وأحسنكم خبرا،وأقربكم بشرا،من أبعدكم مكانا،وأعظمكم شانا،وأرجحكم ميزانا،وأولكم إيمانا،وأوضحكم بيانا، وأفضلكم لسانا،وأظهركم سلطانا ، وأبينكم برهانا . من أرسخكم قدما ، وأبينكم علما وأوصلكم رحما ، وأبركم قسما ، وأبعدكم كرما، وأرعاكم ذمما . من أسطعكم نورا،وأنوركم سرورا وأجملكم حبورا وأفضلكم حيا ومقبورا *

صيغة للصلاة

اللهم صل علي من انتخبته من أشرف قبيلة ، (١) وجعلته اليك أكبر وسيلة ، وجعلت الصلاة عليه أكرم فضيلة ، وأعليته الى المرتبة الجليلة ، وجعلته بينك وبين عبادك وسيلة . اللهم صل عليه صلاة تجعلها بيننا وبين عذابك حجابا ، وتجعلها لنا الى كرامتك مثابا ، وتفتح لنا بها الى الجنة العالية بابا . اللهم صل على محمد عدد قطر الامطار ، وعدد رمال الاودية والقفار ، وعدد ورق الأشجار ، وعدد زبد البحار ، وعدد مياه الانهار ، وعدد مثاقيل الجبال والأحجار ، وعدد أهل الجنة وأهل النار ، وعدد الابرار والفجار ، وعدد مايختلج فى الليل والنهار، واجعل اللهم صلاتنا عليه حجابا من عذاب دار البوار ، وسببا لاباحة دار القرار . اللهم صل على محمد النبي المختار ، وسيد الابرار، وزين المرسلين الأخيار . وأكرم من أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار ، أبى القاسم النبى الصادق المختار . اللهم صل عليه عدد من صلى عليه وعدد من لم يصل عليه كما أمرت بالصلاة عليه ، وصل عليه كما تحب أن يصلى عليه ، وصل عليه كما ينبغى أن يصلى عليه . اللهم صل على النبي الصادق الأواب ، وعلى ذريته وعلي جميع القرابة والاصحاب ، وتوفنا اللهم على سنته ، واجعلنا من أهل ولايته ، وانفعنا بهدايته وعنايته، وأدخلنا الجنة مع صحابته الأبرار الطيبين الاخيار ، آمين آمين ياأرحم الراحمين.

---

(١) فقد كانت قريش أشرف العرب قاطبة فى الجاهلية والاسلام لما يريده الله تعالى فى أن يبعث منهم وفيهم هذا النبى العظيم والرسول الكريم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ولدت من نكاح لا من سفاح من لدن آدم . أفضل الخلق جميعا . وزبدة الشرف ولبابه .

مجلس ثانى فى قوله تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)

إن الله تبارك وتعالى اتخذ ابراهيم خليلا ، وموسى كليما ، ومحمدا صلى الله عليه وسلم وليا وحبيبا ونبيا وصفيا ، وذلك أن الله تعالى بدأ بالصلاة عليه وهو الملك العلام ، وصلت ملائكته عليه وهم الاصفياء الكرام ، فصلوا بنا معشر الانام ، على محمد عليه السلام ، رسول ذى الجلال والاكرام ، ينجيكم الله من العذاب الدائم الغرام . واعلموا أنه مامن عبد مسلم أكثر الصلاة على محمد عليه الصلاة والسلام الا نور الله قلبه ، وغفر ذنبه ، وشرح صدره ، ويسر أمره ، فأكثروا من الصلاة عليه لعل الله يجعلكم من أهل ملته ، ويستعملكم بسنته ، ويجعله رفيقنا جميعا فى جنته ، فهو المتفضل علينا برحمته *

فى الصلاة عشر كرامات

واعلموا رحمكم الله أن فى الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عشر كرامات : إحداهن صلاة الملك الجبار ، والثانية شفاعة النبي المختار ، والثالثة الاقتداء بالملائكة الابرار ، والرابعة مخالفة المنافقين والكفار ، والخامسة محو الخطايا والاوزار ، والسادسة قضاء الحوائج والاوطار ، والسابعة تنوير الظواهر والاسرار ، والثامنة النجاة من عذاب دار البوار ، والتاسعة دخول دار الراحة والقرار ، والعاشرة سلام الملك الغفار *

أما ولم يقسم الله بحياة أحد الا بحياة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) تقدير الآية : أنتم خير أمة أخرجت للناس *

احاديث فى فضل الصلاة

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وافيتم سبعين أمة أنتم أكرمها وأفضلها عند الله » . فأخبر الله تعالى أنه قال (وقولوا للناس حسنا) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ، فمن صلى على محمد فقد خالف المنافقين والكفار ، ووافق أمر الجبار ، وأما محو الخطايا والاوزار : فما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى على فى يوم جمعة مائة مرة

غفرت له ذنوب ثمانين سنة » (١)

وقال صلي الله عليه وسلم : « من صلى على مرة واحدة أمر الله حافظيه أن لا يكتبا عليه ذنبا ثلاثة أيام » . وأما قضاء الحوائج والاوطار؟

فما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « الدعاء بين الصلاتين لا يرد » وروى أن رجلا قال : يارسول الله أى الدعاء أفضل ؟ قال : « الصلاة علي » قال : أجعل ثلث عبادتى الصلاة عليك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « إذا هديت » قال : أجعل ثلثى عبادتى الصلاة عليك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « إذا كفيت » قال : أجعل جميع عبادتى الصلاة عليك ؟ قال « من جعل جميع عبادته الصلاة على قضى الله له جميع حوائج الدنيا والآخرة » وهذا كله مع أداء الفرائض . وأما تنوير الظواهر والاسرار ؟

الصلاة تنور القلب

فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من أكثر الصلاة على نور الله قلبه » وذلك أن الذنوب تسود القلوب لان العبد اذا عمل ذنبا صار نكتة سوداء فى قلبه ، فاذا تمادى على الذنوب نمت تلك النكتة حتى يسود بها القلب كله ، وإذا رطب الله لسان العبد بالصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل وزن الجبال ، فاذا غفرت ذنوبه زال السواد عن قلبه وبدا فيه النور ، لان الاسلام لا يتم إلا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه لو قال عبد . لا أرى الصلاة علي النبى صلى الله عليه وسلم واجبة لكان كافرا ورادا على الله ، وخرج عن دين الاسلام وزال نور الهدى عن قلبه (٢) قال الله تعالى (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) فهذا بيان واضح من الله . وأنشدوا:

---

(١) حديث صحيح متفق عليه ، ولما كان متوسط العمر ثمانين سنة أو هذا أقصى عمر التكليف فقد نبهنا صلى الله عليه وسلم أن من صلى عليه مائة مرة أى بشروطها ونيتها وإخلاصها بعد أداء الفرائض كاملة والتمسك بالحلال فى المطعم والمشرب والكسب والتجرد عن ظلم العباد ؟ فقد غفر الله له ذنوبه مالم يشرك أو يقتل أو يأتى الكبائر أو يعق والديه *

(٢) لان الله تعالى أمر بالصلاة عليه فى القرآن الكريم وجعلها فرضا علينا كما أكد علينا أن نسلم تسليما وأخبرنا تعالى أنه وملائكته يصلون عليه ، فمن أنكر الصلاة بعد ذلك فقد أنكر القرآن الكريم ومن أنكره فقد رد على الله وهذا الكفر الصراح نعوذ بالله .

نور القلوب يزيد عند صلاتنا للهاشمي فنوره لا ينجلي
فضياؤنا من ضوء نور محمـــد صلوا علي ذاك النبي الافضل

حكاية فى كثرة الصلاة على النبي

روى عن عبد الواحد بن زيد أنه قال : خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام فصحبنى رجل في الطريق كان لايقوم ولا يقعد،ولايجيء ولا يذهب ، ولايأكل ولايشرب ، ولايتطهرولا ينام،ولايتصرف فى شيء إلاأ كثرمن الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم،فسألته عن ذلك فقال:أحدثك بعجب عجيب ، خرجت مرة إلى مكة ومعى والدى فنزلنا منزلا فى موضع من منازل الطريق فنمت فاذا أنا بهاتف يهتف بى وهو يقول: يافلان قم فقد أمات الله والدك وقد سود وجهه ، فانتبهت فزعا مرعوبا مما سمعت فاذا هو راقد قد غطي وجهه ، فكشفت الثوب عن وجهه فاذا هو ميت ووجهه أسود ، فاشتد حزني لذلك وتحيرت فى أمره فغلب على النوم فاذا أنا بأربعة سودان عند رأسه ، وأربعة عند رجليه بأيديهم أعمدة من حديد من نار وهم يريدون عذابه ، فبينا أنا أنظر فيما يكون من أمر والدى مع السودان إذا برجل قد جاء فأشرق من نور وجهه الموضع كله الذى كنا فيه ، وأقبل على السودان فانتهرهم وقال : تنحوا عنه ، فتنحي السودان عنه من ساعتهم وغابوا عنى فلم أرهم ، ثم أقبل على والدي فمسح بيده على وجهه فاذا هو أشد بياضا من الثلج ، والنور قد علا وجهه ، ثم أقبل علي فقـال لى : بيض الله وجه أبيك وزال عنه السواد ، فقلت له من أنت فجزاك الله عنـه خيراً ؟ قال : أنا محمـد رسول الله ، فقلت له يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ما كان السبب فى مجيئك اليه ؟ فقال صلى الله عليـه وسلم : أما والدك فكان مسرفا على نفسه غير أنه كان يكثرمن الصلاة على ، فلمانزل به مانزل استغاث بى وأنا غياث لمن أ كثر الصلاة على ، فقمت من نومى فكشفت الثوب عن وجهه فاذا هو قد ابيض فأخذت فى أمره وشرعت فى دفنه فما تركت الصلاة على النبي صلى الله عليـه وسلم بعد ذلك . فاذا كانت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تورث تنوير الوجه بعد الممات ، فأولى أن تورث تنوير القلوب فى الحياة !! وذلك أن الله تعالى جعل شخصه صلى الله عليه وسلم نورا ، وقد سماه فى كتابه سراجا منيرا ، ووصف من اتبع أمره وسنته وأحبه بنور القلب ، قال الله تعالى (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) ووصف من خالف دينه ومن لم يؤمن به بظلمة القلب قال تعالى (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) فمالكم عباد الله

غافلون عن هذه الفضيلة ، والنعمة الدائمة الجزيلة ؟ وأنشدوا :

صلوا على نور تزايد فخره   يعلو على الانوار والالباب
محمد زين الخلق شرقا ومغربا   وخير شفيع ناطق بصواب
وخير حبيب للاله نبينا   وخير رسول عامل بكتاب
أتى الخلق والاصنام تعبدجهرة   وبوأهم إبليس شر مآب
فأنقذ بالنور البهى عباده   وبوأهم بالدين حسن مآب (١)
فصلوا على خير الخلائق كلهم   لتستوجبوا يا قوم خير ثواب

عباد الله تعاهدوا الصلاة على حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى إذا أراد بعبده خيرا يسر لسانه للصلاة علي محمد صلى الله عليه وسلم ، وإذا أراد بعبده شرا حبس لسانه عن الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم فيكون ذلك سببا لسواد وجهه ، كما أن الصلاة لتنوير القلب . وأما قضاء الحوائج والاوطار *

الصلاة تحل العقد

فما روى أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : « من عسرت عليه حاجة فليكثر من الصلاة على فانها تحل العقد ، وتكشف الهم والحزن ، وتكثر الارزاق » . وأنشدوا :

كم بالصلاة عليه فاز من رجل   وكم رأيت بها فى الشدة الفرجا

وأما النجاة من عذاب دار البوار (٢)

الصراط والصلاة

فما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الصلاة على نور على الصراط ».

---

(١) لان الله تعالى قال (إن الدين عند الله الاسلام) فبهدايته صلى الله عليه وسلم لهم الى ذلك الدين الحق أنقذهم من الهلاك ، وبوأهم خير مآب أى أنزلهم خير منزل (٢) أى دار الهلاك والخسران ، لانه ليس فى جهنم ربح ولا نعيم بل هى دار عذاب وانتقام وليس من الخلق إلا من يردها قال تعالى (وإن منكم إلاواردها) الآية . فمن الناس من يردها كالبرق ومنهم من يردها حبوا ومنهم من يتردى فيها وكل وعمله الصالح فى الدنيا .وما قدر الله له .

ومن كان على الصراط من أهل نور الايمان ، وكثرة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الملك الرحمن ، فلا يكون من أهل الهوان فى سموم النيران ، بل يكون من أهل الامان فى نعيم الجنان ، وأما دخول دار الراحة والقرار *

فما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من ترك الصلاة على فقد أخطأ طريق الجنة » فالله الله عباد الله يا إخوانى تثبتوا واجتهدوا فى الصلاة على خير العباد ، وفخر البلاد وزين الحشر والمعاد ، فعسى الله أن يجيرنا من العذاب الذى ليس له انقطاع ولا يرجى له نفاد . ولا تغفلوا عن الثواب الجزيل ، والملك الدائم الجليل ، بالصلاة على النبي الاصيل ، الذى نعته فى التوراة والانجيل ، واحمدوا الله الذي فضلكم بالنبي الرءوف الرحيم ، الذى جاء بالقرآن الواضح الحكيم ، المهيمن القديم ، من عند الملك العزيز الكريم ، فلعل مولانا أن يتفضل علينا بجنات النعيم ، وينجينا من العذاب الاليم ، فى سواء الجحيم ، مأوى كل كفار أثيم ومنزل كل شيطان رجيم ، وعدو فاسق فاجر لئيم *

جهنم والصلاة على النبي

ذكر فى بعض الاخبار أنه إذا كان فى يوم القيامة أمر الجبار جل جلاله أن يؤتى بجهنم ، فاذا جيء بها وكانت من الموقف مسيرة خمسمائة عام ونظرت الى أهل المعاصى اشتد غضبها وتقلب بعضها على بعض ، وغلا بعضها على بعض ، وأخني بعضها على بعض ، زفرت زفرة فلا يبقي غل ولا قيد ولا سلسلة ولا سربال ولا حية ولا عقرب إلا ألقت الكل ، على ظهرها ، وأكبت (١) الزبانية على وجوههم ، وانهزم مالك عليه السلام من بين يديها ، فعند ذلك لا يبقى ملك مقرب ، ولا نبى مرسل ؛ ولا ولى ولا صفي إلا جثا على ركبتيه ، وفر الناس كلهم هاربين ، ونبينا صلى الله عليه وسلم قائم عليه حلة خلقها الله تعالى من قبل أن يخلق الخلق بمائة الف عام ، وهو صلى الله عليه وسلم يلوح اليها بكمه ويقول : كفى عن أمتى كفي عن أمتي ، فعندذلك يتعلق العبد المذنب به صلي الله عليه وسلم وهو يقول : يا نبي الله أنقذنى من عذاب الله ، فيقول له صلى الله عليه وسلم . ألم أبلغك رسالة ربى فلم عصيت ؟

(١) فى الاصل ، وأقبلت الزبانية وهو تحريف ظاهر يؤيده انهزام مالك وهو خازنها الاعظم وذلك كله كناية عن شدتها يوم القيامة وقد سبق فى مجلس آخر وصف جهنم بالتفصيل الوافى فليراجع هناك وكل ماجاء فى وصف الجنة والنار هو حق بلا مراء .

فيقول يارسول الله غلبت علي شقوتي ، فيقول صلى الله عليه وسلم لا شقوة على أحد ممن أكثر الصلاة على فيشفع له عند الله تعالي ، فاذا رأت جهنم نور وجه المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم خمدت وكفت . فاذا كانت جهنم أخمدها الجبار ، من نور وجه النبي المختار ، فكيف لا تطفىء الصلاة عليه عن صاحبها جميع الخطايا والاوزار ؟! وإذا كان نور المصطفى أخمد عظيم النيران ، فكيف لاتوجب الصلاة عليه لصاحبها جزيل الغفران ؟ وإذا كان نور وجه محمد النبي صلى الله عليه وسلم أخمد سموم الجحيم ، فكيف لاتورد الصلاة عليه المقام الكريم والنظر الى وجه الحكيم العليم ؟! وأنشدوا :

يامن تمرد فى الايام منهمكا صلوا على المصطفى يا أكرم الامم
صلوا عليه لعل الله يرحمكم يوم الحساب ويوم الكرب والزحم (١)
إن الصلاة على المختار قارئة لقلب صاحبها جزءا من الحكم
فهو الشهيد لاهل الجمع كلهم وهو الدليل إلى الفردوس والنعم

الصلاة بشارة بالجنة

روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى على الف مرة لم يمت حتى يبشر بالجنة » وأبخل الناس رجل ذكر عنده محمد صلى الله عليه وسلم أو سمع بذكره فلايصلى عليه . وأكسل الناس من سمع المؤذن فلم يقل مثل مايقول ، وأعجز الناس من لم يدع لنفسه دبر كل صلاة . فاذا كان العبد عاجزا لنفسه فهو لغيره أعجز . وأما سلام الرحيم القهار ، فهو إن كل من كان مصليا على النبي صلى الله عليه وسلم فهو من أهل الجنة . سلم عليه ربنا ومولانا وهو قوله تعالى (سلام قولا من رب رحيم) وقوله تعالى (وتحيتهم فيها سلام) وقوله (ويلقون فيها تحية وسلاما) و (تحيتهم يوم يلقونه سلام) *

ما للمصلى عند الله

وروى عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال : قال الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم من صلى عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه ، قال فيسجد لله شكرا . فالعبد يجزى بالسلام على النبي المختار ، سلام الملك الجبار . وأنشدوا :

(١) الزحم الزحام .

يارا كبا نحو المدينة قاصدا بلغ صلاتى للنبى محمد
وقل السلام عليك ياعلم الهدي فهو الدليل إلى الشفيع الاجود
إن الذى ورث النبوة والهدى فهو الدليل لكل عبد مرشد
صلى عليه الله ماهبت صبا وترنمت ورقا بصوت تغرد

نكت فى فوائد الصلاة عليه

واعلموا رحمكم الله أن فى الصلاة على نبى الهدى محمد صلى الله عليه وسلم إشارات جميلة ونكتا كثيرة ، وذلك أن الله تعالى أجرى الصلاة على النبى الرشيد ، السيد السديد ، مجرى شهادة التوحيد ، قال تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة) . وهكذا قال رب القريب والبعيد ، فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم الصادق الرشيد (إن الله وملائكته يصلون على النبى) إشارة حسنة ونكتة مليحة *

قال الله تعالى: (فاذكرونى أذكركم) ولم يقل أذكركم عشر مرات ، وقال تعالى وجل وعلا . (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقد قال صلى الله عليه وسلم : «من صلى على مرة صلى الله عليه عشرا » فكأن الله سبحانه وتعالي يقول ؟ عبدي إذا أثنيت على مرة أثنيت عليك مرة ، وإذا أثنيت على حبيبى مرة أثنيت عليك عشرا لانه أكرم الخلق على وأجلهم عندى . (١) *

ثانية ؛ قال الله تبارك وتعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبى) وقال فى المؤمنين (هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور) بصلاتكم على النبي المحبوب . وأنشدوا :

فاكثروا التسليم بعد صلاتكم للسيد المختار ذاك الامجد
ومن يك ذا بخل شديد بذكره فذاك عن الحق المنير مبعد

---

(١) والذى يظهر لى من كلام المؤلف رحمه الله أنه يريد أن يقول أن الله تعالى غنى بعظمته عن ثناء العبيد ، قال (إن الله غني عن العالمين) وأن مقام الربوبية غنى عن ثناء أي مخلوق وأن ثناءهم لايزيد فى عظمته شيئا ولكن مقام النبوة يحتاج إلى الثناء والتأييد لان النبي بشر مثلهم فالثناء عليه تاييد لرسالته وقوة لنبوته فلذلك أكثر الثواب عليه والحث على كثرته .

كاشفة الكرب

روى عن النبي صلى الله وسلم أنه قال : « من عسر عليه شيء فليكثر من الصلاة على فانها تحل العقد ، وتكشف الكرب » فى دار الامتحان ، فأولى أن تنجى فيالآخرة من النيران فيالدار الباقية *

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من صلى على مائة مرة تزحزحت النار عنه مسيرة خمسمائة عام » فاكثروا من الصلاة عليه ياأهل ملته . صلى الله عليه وسلم صلاة مقرونة بالكمال والحسن والجمال ، والخير والافضال *

رويعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أكثركم على صلاة أكثركم أزواجا فىالجنة » فالله الله يا معشر المؤمنين أكثروا من الصلاة على سيد المرسلين . وخاتم النبيين ، وارعوافىالمقام الامين ، والتمتع بالحور العين ، والنظر إلىوجه مولانارب العالمين *

من اكثر الصلاة عليه

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :« أكثرکم على صلاة أقربكممني مجلسا » وفى هذا الحديث إشارة حسنة ، وهى أن من قرب فى الآخرة من النبى نظر إلى وجه العزيز الجبار ومن نظر إلى وجه العزيز الجبار ، وقرب من النبى المختار ، زحزح جسمه عن النار ، وأسكن دار الراحة والقرار ، فى جنات عدن تجرى من تحتها الانهار ، لايذوقون فيها طعم الحمام ، ولا يجدون ضر الاسقام، ولا تلحقهمفتور الآلام . قد أمنوا من الزوال والانتقال ورضى عنهم الكبير المتعال ، سبحانه وتعالى جل ذلك الجلال . وأنشدوا:

صلى الاله ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك أحمد
فما حملت من ناقة فوق رحلها أبر وأوفى ذمة من محمد
ولاطلعتشمسالنهار(١)علىامرىء تقي نقى كالنبي محمد
ولالاحت الجوزاءشرقا ومغربا بأطيب من طيب النبى محمد

(١) الجأه الوزن أن يقول شمس النهار ولا تكون الشمس الا للنهار فالنهار هنا حشو زائد وهو كما نبهنا مرارا ينظم هذه الاشعار تحلية لمجالسه وإن كان باعه قصيرفى الشعر رحمه الله

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أكثروا من الصلاة على فانها تطفيء غضب الجبار » فأولى أن تطفيء عن المصلى عليه صلى الله عليه وسلم فى الدنيا كيد الشيطان الفرار . عباد الله الزمو هذه الفضائل ، وارغبوا فى هذه المنازل ، وتقربوا إلي الله بهذه الوسائل ، بالصلاة على النبى المختار من أشرف القبائل ، الذى أوضح الله به الدلائل ، وجعله اليه أكبر الوسائل ، وأنشدوا :

حب النبي على الانام فريضة لاتنس ذكر الهاشمى الاكرم
إن الصلاة على النبى وسيلة فيها النجاة لكل عبد مسلم
صلوا على القمر المنير فانه نور تبدى فى الغمام المظلم
رحم العباد به عزيز قادر فالشكر لله العلى المنعم

الصلاة والدعاء

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن العبد يسأل الحاجة فلا يصلي على عقيب سؤاله ، فترجع الحاجة علي سحابة ، فاذا صلى على قضيت حاجته ، واستجيبت دعوته ، وتفتحت له أبواب السماء » فاذا كانت الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تقضى فى الدنيا الحاجات ، فالاولى أن تنجى صاحبها فى الآخرة من العذاب والعقوبات ، وتدخله الجنات العاليات .

روى عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال : « كل دعاء محجوب دون السماء ، فاذا جاءت الصلاة على صعد الدعاء » ياأحبابى والله إذا صعد الدعاء ارتفع البلاء ، ورضى إله الارض والسماء

كيف تدعو الله

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لاتجعلونى كقدح الراكب ، فان الراكب إذا أراد أن ينطلق علق معاليقه ، وملأ قدحه ، فان كانت له حاجة فى أن يتوضأ أو يشرب شرب والا أهراقه ، فاجعلونى فى وسط الدعاء وفى أوله وفى آخره » وإنما معنى الحديث أن يكون الانسان أبدا لايفتر عن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، فاذا أصابته شدة وصلى على محمد عرف صوته ودعاءه ، فاستجيب له وكشف عنه الهم والكرب . فيجب على من هو من أهل ملة محمد صلى الله عليه وسلم أن لايغفل عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أكثروا من الصلاة على فانها تهن (١)

(١) فى الاصل : تهين كيد الشيطان وصحتها تهن من وهن يهن أى أضعف كيده .

كيد الشيطان » فأولى أن تدفع عن المصلى عليـه آفات الزمان ، وتحول بينـه وبين عذاب النيران ، وتوجب له دار الخلد والامان ، وجنة النعيم والرضوان ، وأنشدوا :

إمدح نبي الهدى ياأيهاالرجل   واذكر فضائله والدمع منهمل
وصل دهرا على المختار مجتهدا   تحت الظلام وداجى الليل منسبل
عساك تحظى بدار لانفاذ لها   نعيمها دائم والظل والأكل

فائدة الصلاة على النبي

توسلوا بالصلاة على النبي الرفيع ، والحبيب الشفيق ، يغفر لكم مولاكم ماعملتم من الآثام ، ويدخلكم برحمته دار الخلد والسلام . توسلوا بالصلاة على النبي المختار ، يكن شفيعكم من عذاب دار البوار ، وينجيكم مولاكم من سموم النار ، ويدخلكم برحمته (جنات) تجرى من تحتها الانهار . توسلوابالصلاة على النبي الصادق الأواب ، ينجيكم مولاكم من أليم العـذاب ويدخلكم الجنة وحسن المآب . توسلوا بالصلاة على النبي الرشيد ؛ ينجيكم مولاكم من العذاب الشديد ، ويدخلكم برحمته النعيم الذى لايبيد . توسلوا بالصلاة على النبى البر الرءوف الرحيم يدخلكم مولاكم جنات النعيم ، وينجيكم برحمته من سموم الجحيم *

روى عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال : الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، أمحق للذنوب من الماء البارد للنار . والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من عتق الرقاب ، فاسمعوا وعوا ياأولى العقول والألباب . وأنشدوا :

تواترت الخيرات (١) شرقا ومغربا   بذكر رسول الله فى السر والجهر
فذكرك للمختار فخر ورفعة   وذكرك للمختار من أفضل الذكر

ذكر فى بعض الاخبار أنه إذا كان يوم القيامة وضعت حسنات بعض المؤمنين وسيئاتهم فى الميزان ، فترجح سيئاتهم على حسناتهم ، فيشفق المؤمنون لذلك ، فتنزل صحائف بيض من عند الله تبارك وتعالى على حسناتهم ، فترجح حسناتهم على سيئاتهم ، فيقول الرب جل جلاله هذه صلاتكم على النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثقلت بها موازينكم ، وجعلتها لكم ذخيرة وقربة . فهذا ياإخوانى فضل الله العظيم ، بالصلاة على الرسول الرءوف الرحيم *

(١) كذا بالاصل ، ولعلها محرفة عن الاخبار لان سياق العبارة يقتضى ذلك

ثبوت الشفاعة

ومن رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأمته ماروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان فى بعض الايام جالسا فقرأ هـذه الآية (إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال له يامحمد مم بكاؤك؟ فقال صلى الله عليه وسلم «فكرت فى أمتى» فقال جبريل: يامحمد الله يقرئك السلام ويقول لك أنا أسترضيك فى أمتك. ياأحبابي نبيكم عند مولاكم مكين، ومولاكم ذو القوة المتين، وإنك ياأخى عبد مهين، فهل رأيتم مهينا يعذب بين مكين ومتين؟! مولاكم عظيم ونبيكم كريم، فهل يضيع من يخاف العذاب الأليم بين عظيم وكريم؟! فصلوا عليه كما أمركم مولاكم فى القرآن الحكيم. ياأمة محمد صلى الله عليه وسلم مولاكم لطيف، ونبيكم سيد شريف، وأنت يامؤمن عبد ضعيف، فهل رأيتم ضعيفا يضيع بين لطيف وشريف؟! وأنشدوا:

يالهى عسى تكون مجيرى ... بصلاتى على البشير النذير
إننى خائف كئيب حزين ... أن أصلى بحر نار السعير
أيها الناس بادروا ثم جدوا ... بصلاة على السراج المنير
ذاك خير الانام جاء بصدق ... وكتاب من السميع البصير
فيــه أمر وفيه نهى وفيه ... مايؤدى إلى النعيم الكبير (١)
لاتملوا من الصلاة عليــه ... سوف تنجوا من حر نار الزفير
ثم تحظوا بها بدار نعيم ... ليس تبلى من عنـه وبمقدير

المداومة على الصلاة عليه

واعلموا عباد الله أن الواجب على كل مسلم ومسلمة أن لايدع الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم حينا ولا وقتا، ولايذكرها فى الشدائد ويدعها فى الرخاء، فيكون كمن يعمل للدنيا دون الآخرة، إنما يجب عليك أن تصلى عليه فى صلاتك وعند قيامك وقعودك ولباسك

---

(١) فى الاصل هذا البيت والذى بعده مكتوب سردا لاشعرا ونصه هناك: فيه أمر وفيه ثم وفيه قول بديع ليودى الى النعيم الكبير. وأصلحته ليستقيم مع بقية الابيات.

وأكلك وشرابك وسائر تصرفاتك ، فتعود عليك بركتها ، وتقبل عليك خيراتها ، وتقضى بذلك حق نفسك وحق نبيك محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تقدر أن تبلغ حق نبيك أبدا ولو كان لك ألف لسان ، تصلى بها كلها (١) عليه لأن الله تبارك وتعالى جعله سببا لخلاصك من النار ، ولمعرفتك بمولاك العزيز الجبار *

مهر حواء أم البشر

ذكر في بعض الأخبار أن آدم عليه الصلاة والسلام رفع رأسه فنظر على ساق العرش لاإله الا الله محمد رسول الله ، فقال آدم يارب من هذا الذي كتبت اسمه مع اسمك ؟ فقال الله تعالى يا آدم هو نبي وصفي وهو حبيبى ، ولولاه ماخلقتك ولا خلقت جنة ولا نارا. فلما خلق الله سبحانه حواء نظر آدم اليها فقال يارب زوجنى منها ، فقال الله تعالى وما مهرها يا آدم ؟ فقال يارب ما أعلم ، قال الله تبارك وتعالى يا آدم صل على محمد عشر مرات ، فصلى آدم عليه كما أمره الجبار جل جلاله ، فزوجه الله سبحانه منها وكان صداقها الصلاة على محمد المختار مهراً لأمة الملك الجبار ، فكيف لاتكون صلاتنا عليه مهرا للحور العين فى دار القرار ، ومن دخل دار القرار نجا من عذاب النار ، لانه قال صلى الله عليه وسلم : « أكثركم علي صلاة أكثركم أزواجا فى الجنة »*

اشارات وبشارات

إشارة حسنة ؟ وذلك أن الصلاة من الملك الجبار رحمة ونجاة من عذاب النار ، لان الله تعالى اذا صلى على المؤمنين فقد رحمهم *

أخرى ؟ قال الله تعالى : (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض) الى قوله (كأن لم تغن بالامس) فاذا جاءت الساعة بعذابها وأهوالها ذهب نبات الارض) وتلاشى في جنب العذاب حتي تبقى الارض كأن لم يكن فيها نبات قط ، واذا كان هذا فعل العذاب فرحمة الله أولى وأكثر إذا جاءت تلاشت ذنوب المؤمنين فى جنبها كأن لم تكن قط. هذا فى رحمة الله الكريم مرة واحدة فكيف فى عشر مرات ؟ ! لأن النبي صلى الله عليه وسلم

(١) لأنه صلى الله عليه وسلم تحمل فى هدايتنا غاية العناء والاذى من قومه باليد واللسان. ولم يرد بذلك نفعا شخصيا له . قال تعالى (قل لاأسألكم عليه من أجر الا المودة فى القربى) *

قال : « من صلى علي مرة واحدة صلى الله بها عليه عشر مرات » فهذه بشارة حسنة للمؤمنين والمؤمنات ، بكثرة صلاتهم علي سيد السادات ، وخير البريات *

روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : ماجلس قوم مجلسا يذكرون الله تعالى ولم يذكروا النبي صلى الله عليه وسلم الا كان ذلك المجلس عليهم وبالا وحسرة يوم القيامة (١). فتزينوا ياأمته وزينوا مجالسكم بالصلاة على نبيكم صلى الله عليه وسلم *

مكفرات الذنوب

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صعد ذات يوم المنبر فوضع قدميه فى مرقاة من المنبر فقال آمين ، وقال آمين فى الدرج الثانى ، وقال آمين في الدرج الثالث ، ثم قال صلي الله عليه وسلم : « جاءنى جبريل عليه السلام فقال يامحمد من أدرك أحد والديه أوكلاهما ومات ولم يغفرله فدخل النار فأبعده الله فقلت آمين ، ثم قال يامحمد من أدرك شهر رمضان فمات فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله قلت آمين ، ثم قال يامحمد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله فقلت آمين » *

روى عن النبي صلي الله عليه وسلم المختار « من صلي علي لم يلج النار » *

اللهم صلى على محمد مااتصلت عين بنظر ، وتزخرفت أرض بمطر ، وحج حاج واعتمر ، ولبي ونحر ، وحلق وقصر ، وطاف بالبيت وقبل الحجر *

اللهم صل عليه وعلى آله صلاة لانفاد لها ولاانقطاع ، صلى الله عليه عدد من يصلى عليه وعدد من لم يصل عليه إلى يوم القيامة ، وصلى عليه عدد الذاكرين ، وغفلة الغافلين ، وحشرنا وجميع المسلمين ، فى زمرته يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

فى آخر الاصل الذى نقلنا عنه مايأتى :

تم الكتاب المسمى ببستان الواعظين ورياض السامعين

على يد كاتبه الفقير الحقير كثير الذنب والتقصير الراجى رحمة ربه القدير الفقير حسام بن على بن على بن حسام اليمن الكبير غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين آمين

---

(١) لأنهم أثموا بعدم ذكره عليه الصلاة والسلام والصلاة عليه لانها فريضة ولأن الله تعالى قرن اسمه باسمه وشرفه وفضله وأوجب على جميع الخلق الاعتراف بفضله والصلاة والسلام عليه والثناء الواجب لقدره وأخبرنا أنه تعالى وملائكته يصلون عليه ويسلمون تسليما

وكان الفراغ من هذه النسخة المباركة فى ختام شهر ذى القعدة الحرام من شهورسنة ١٠٢٥ ختمت بخير آمين

أمات الله كاتبه محبــا لأصحاب النبي مع النبي
وأسكنه بذلك دارعدن جوار الله ذى العرش العلى

وأكمل نسخه منها الفقير اليه تعالى عثمان خليل فى يوم الثلاثاء الموافق ٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٢ الموافق ١٧ اكتوبر ١٩٣٣ وتم طبعه فى يوم الاثنين المبارك التاسع من شهر محرم الحرام سنة ١٣٥٣ هجرية الموافقة سنة ١٩٣٤ ميلادية والحمدلله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

ـــ خاتمة الكتاب ـــ

يقول مصححه الفقير اليه تعالى عثمان خليل

تم بنعمة الله تعالى طبع كتاب (بستان الواعظين ورياض السامعين) للامام الحافظ الواعظ المحدث الخطيب المؤرخ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزى رحمه الله تعالى وهو من غرر مؤلفاته ونفائس مكنوناته وفرائد درره ويتيمة عقده . ومن عرف قدر مؤلفه العظيم فى الاسلام وطول باعه فى الوعظ والارشاد وأنه ما ألف فى موضوع إلاوفاه حقه من البحث والتعليق أدرك أن هذا الكتاب الذى نقدمه اليوم سيملأ فراغا كبيرا فى تهذيب الاخلاق والرجوع إلى الله والتمسك بمحاسن الشريعة الغراء. ولقد طبع لابن الجوزى ماينيف عن الثلاثين كتابا فنفقت كلها واعيد طبع بعضها مراراً ، ولقد ساهمت فى تصحيح كتابه القيم مناقب الامام احمد بن حنبل وصيد الخاطر وصححت كتابه الفكاهى اللطيف (نوادر واخبار الحمقى والمغفلين) وشرحت ألفاظه وعلقت عليه وقمت بطبعه أخيرا مع العناية بالطبع وجودة الورق . وسأنتهز الفرص المناسبة إن شاء الله تعالى لنشر بقيه مؤلفاته الثمينة التى لم يقصد بها غير وجه الله تعالى ونفع المسلمين لذلك باركها الله ونفع بها فى حياته وبعد مماته

وكان تمام طبعه بهذا الشكل الباهر والمنظر الزاهر بالمطبعة المحمودية التجارية على نفقة صاحبها محمود افندي على صبيح صاحب المكتبة المحمودية بميدان الازهر الشريف تقبل الله قربانه وجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم آمين .

١ — كتاب المدهش: للواعظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزى فى علوم القرآن، والتفسير والحديث، واللغة وعيون التاريخ، والوعظ.. الخ مجلد عال طبع بغداد * ثمنه ٣٠ قرش

٢ — روض القلوب المستطاب: تصوف ومواعظ، وحكم لحسن رضوان * ثمنه ٢٥ قرش

٣ — استحالة المعية بالذات: بيان مذهب السلف والخلف فى المتشابه والصفات للمحدث محمد الخضر الشنقيطى * ثمنها ١٢ قرش ورق ابيض عال و ١٠ ورق اصفر

٤ — مبارق الازهار: شرح لكتاب مشارق الانوار المحتوى على ٢٢٤٦ حديثا من البخارى ومسلم لعبد اللطيف بن ملك جزآن * ثمنه ٣٥ قرش طبع اسلامبول

٥ — المجازات النبوية: يشتمل على المجازات والآثار. والاحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — طبع بغداد ورق جيد للشريف الرضى * ثمنها ١٥ قرش

٦ — مختصر شعب الايمان: للامام البيهقى مشكول الحديث تأليف أبي جعفر القزوينى بشرح مطول للشيخ حافظ احمد * ثمنه ٦ قروش

٧ — سر الروح: والبحث بالآيات والاحاديث فى حقيقتها ومعرفة النفس وهل هى محدثه أو قديمة .. الخ للحافظ أبى بكر البقاعى * ثمنه ٥ قروش

٨ — تحفة الاكياس فى حسن الظن بالناس: آيات، وأحاديث نبوية، وآثار الاولياء والعلماء والصالحين ونصائح دينية للولى على بن محمد المصرى * ثمنها ٥ قروش

٩ — تنوير الحلك فى رؤية النبي والملك: وشرحه الجميع للامام السيوطى ثمنه ٤ قروش

١٠ — الاسراء والمعراج: الطبعة الثانية للامام ابن عباس مشكولة ومشروحة * ثمنها قرشان

١١ — ثلاثة رسائل: سلفية للامام الحافظ ابن رجب الحنبلى تصوف ومواعظ ومعرفة أهل السلف واتباع آثارهم الصالحة * ثمنه ٤ قروش

١٢ — طبقات الاولياء: والصالحين والعلماء فى بلاد السودان للفقيه محمد ضيف الله * ثمنه ٢٠ قرش

١٣ — الرسائل السلفية فى إحياء سنة خير البرية: الامام الحافظ المجتهد شيخ الاسلام محمد بن على الشوكانى * ثمنه ١٠ قروش